





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

الأعضاء

د. أحمد عطية الغامري

د. جمعة علي الطولي

د. محمد السيد الوكيل

د. الشيخ محمد الحزوب

رئيس التحرير

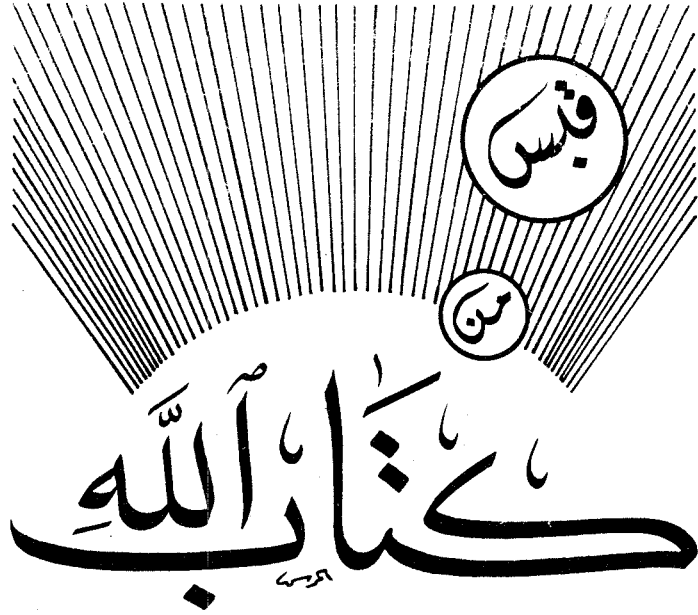
د. علي بن محمد ناصر الفقيهي

مدير التحرير

الشيخ سعد بن نذر

الإسلام: ترسل باسم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة





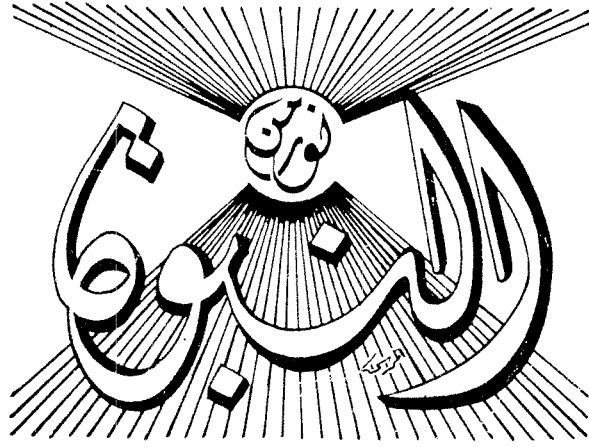
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ  
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى

آية ٨٢ من سورة طه







عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أِبْنُ جُدْعَانَ

كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحْمَ، وَيُطْعِمُ

الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ ؟

قَالَ : لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا :

«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» .

« أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسَام »



# حكمة العمل

« الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ يَكُونَانِ مِنْ  
جِنْسِ الْعَمَلِ فِي قَدَرِ اللَّهِ، وَفِي شَرْعِهِ  
فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعَدْلِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ  
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . »

« شيخ الإسلام ابن تيمية »



# زَادُ اللَّقَاءِ الْكَرِيمِ

كلمة التحريم

## لِلشَّيْخِ سَعْدِ نَدَا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه .  
وبعد : فإن المؤمن ذا البصيرة إذا أخطأ أدرك سريعاً خطأه ، ولجأ إلى الله تعالى يستغفره ، ويستعينه ، ليبصره ، فيصلح .  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ، فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [ الأعراف ] .

وحين يبصر المؤمن طريقه ، يدرك عثراتها فيتجنبها ، وينتبه إلى معوقاتها فيتقيها ، فيسلم حينئذ من مخاطرها ، ويتجاوز في يسر عقباتها .  
ولابد للمؤمن أن يقوم دائماً على إيقاظ قلبه ، حتى يرهفه ، فيفيء إلى أمر الله ، ويعجل إلى ربه فيرضى . عندئذ يوالي المؤمن مراقبة ربه تعالى ومحاسبة نفسه ، ليخلص ما يعلق بقلبه مما يقترف من آثام . والله جل وعلا يتيح لنا كثيراً من فرص الخير في الزمان والمكان ، لتتوافر لنا أسباب نيل المثوبة . ثم هو سبحانه يفتح لنا أبواب التوبة على مصاريعها ليلجها كل راغب صباح مساء . فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها ) أخرجه مسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ( ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الآخر ، فيقول : ( مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ ) متفق عليه .

ومن فرص الخير الطيبة شهر رمضان ، فيه الصيام ، وفيه القيام ، وفيه الجود ، وفيه الإحسان ، وفيه قراءة القرآن العظيم ، وفيه ليلة القدر خير من ألف

شهر، وفيه يُعطى المرء الأجر الجزيل بالعمل القليل، وفيه تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق أبواب النار، وتسلسل الشياطين، ويُنادى العبادُ كل ليلة ليكثرُوا من الخير، وليمسكوا عن الشر. فعن عرفة قال: عدنا عتبة بن فرقد، فتذاكرنا شهر رمضان، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: شهر رمضان. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تُفتح أبواب الجنة، وتُغلقُ فيه أبواب النار، وتُغلُّ فيه الشياطين، وينادى منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير هلمَّ ويا باغي الشر أقصر. رواه أحمد وابن ماجه .

بيد أن عباد الله جميعاً لا يغتنمون ما رصد الله من فرص الخير. فكل الناس يغدو، فمنهم بائع نفسه فمعتقها، وذلك هو من باع نفسه لله، فيعدُّ له جنات النعيم، ومنهم بائع نفسه فموبقها، وذلك هو من باع نفسه للشيطان، الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

فإلى أى الجانبين يتجه المؤمن؟ وإلى أى المصيرين يتمنى أن يكون؟ .

﴿ فَمَا مِنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَا مِنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [ الليل ] .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [ الشمس ] .

وإن من سُبُل ذلك أن يحسن المؤمن محاسبة نفسه في ختام كل يوم، فإن وجد خيراً فليحمد الله وليسأله المزيد، وإن وجد غير ذلك فليتب إلى الله وليستغفره، وليسأله العفو، والعافية، والتوفيق .

وبهذا يُعدُّ المرء ما يحمله عند لقاء ربه من زاد يصلح مع هذا اللقاء الكريم، وهذا ما أمرنا ربنا سبحانه أن نجدد لتحقيقه لنكون من أهل السعادة، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّقَدَّمَتْ لِغَدٍ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ، أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [ الحشر ] .

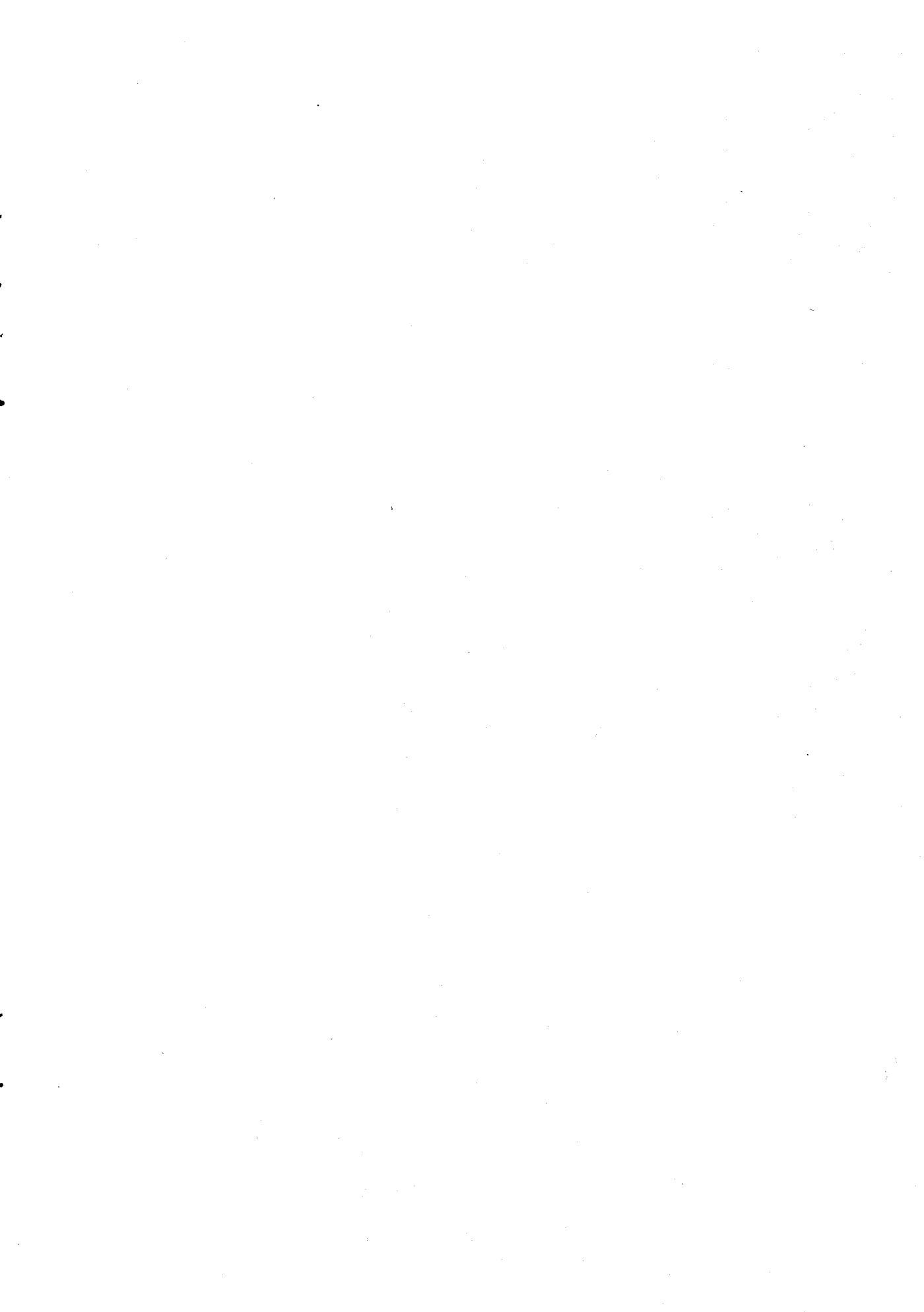
فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أمسك، ألا إلى الله تصير الأمور .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه .

التفسير



أصوله





# كَيْفِيَّةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

المسجد النبوي بقرن الجبل  
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قال الله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » ( سورة يوسف آية ١٠٨ ) .  
بين يدي تفسير الآية :

بسم الله . والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :  
فإن هذه الآية الكريمة : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ » الآية .

كآية النحل : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » الآية .  
وكآية الرعد « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو ، وإليه مآب » الآية .

متضمنةً واجب الدعوة الى الله تعالى الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده وسلفهم الصالح خير قيام . فعرف الله تعالى ، وعرفت شرائعه المتضمنة محابه ومكارهه ، وعبد سبحانه وتعالى ووحد في عبادته في أنحاء كثيرة من العالم . وسعد وكمل على تلك الدعوة خلق لا يحصى عددهم إلا الله ؛ لأنهم من أجيال أربعة عشر قرناً وزيادة .

غير أن هذا الواجب تخلى عنه المسلمون في الجملة زمناً غير قصير . فمئذ ضعفت الخلافة العثمانية وقبل سقوطها والدعوة الإسلامية واقفة ، وظلها الطيب المبارك ينحسر عن رقع واسعة من العالم الإسلامي . والأسباب معروفة . فما هناك حاجة إلى ذكرها هنا . وإنما الذي ينبغي أن يذكر هو أن العالم الإسلامي قد تحرر من سلطان الاستعمار الغربي ، وأصبح للمسلمين دول وحكومات لها شأن عظيم ، ووزن ثقيل بين دول العالم وحكوماته فيجب على المسلمين أن ينهضوا من جديد بواجب الدعوة الإسلامية ويحملوها إلى الناس ليكملوا عليها ويسعدوا بها .

وذلك واجبه الذي أوجبه الله تعالى عليهم بآية يوسف التي نحن بصدد تفسيرها ؛ إذ قوله تعالى : ( أنا ومن اتبعني ) نص صريح في أن من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ودعا إليه من الإيمان والإسلام والإحسان ، وجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى ليعرف ويعبد ويوحد ، في حدود طاقته ، وما يتسع له جهده البشري .

ونظراً إلى الظروف المحيطة بالعالم الإسلامي ، والواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم . فإن النهوض بهذا الواجب ، واجب الدعوة الى الله تعالى قد يتأتى من طريقين :

**الأول :** وهو واجب الدعوة في داخل العالم الإسلامي ، ويكون باضطلاع الحكومة المسلمة به بين مواطنيها ورعاياها . وذلك بتكوين لجان الأحياء والقرى والمساجد . وتتكون لجنة الحي في الجامع من عمدة الحي أو القرية وإمام المسجد والواعظ الخاص بالمسجد ، ويتعاون كل مواطن في الحي أو القرية مع هذه اللجنة على دعوة كل مواطن لحضور درس المسجد اليومي من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، لتلقي العلم المعرف بالله تعالى ومحابه ومساخطه ، والمواظب المساعدة على فعل المحبوب لله عز وجل ، وترك المكروه له سبحانه وتعالى . وعلى المسؤولين أن يولوا هذه اللجان وأعمالها في المساجد عناية تجعل المواطن لا يتأخر عن حضورها والاستفادة منها طوال حياته .

يضاف إلى ذلك تحويل الإذاعة إلى منبر هداية وإصلاح وتربية وتعليم على نحو إذاعة القرآن بالملكة العربية السعودية ، فإنها خير إذاعة وجدت اليوم في العالم الإنساني ؛ إنها تبث ثمان عشرة ساعة الهدى والمعرفة مع خلوها من أي باطل أو ضلال من غناء أو زمر ، أو صوت امرأة يحرم سماع صوتها .

كما يضاف إلى ما تقدم : أن يقوم وزير الداخلية في كل حكومة إسلامية بزيارات متتالية لكل قرية وحي في المدينة بحيث يؤمر أهل القرية أو الحي بالحضور إلزامياً . ويحضره الوزير ورجاله وكافة أهل القرية أو الحي ويلقي الوزير كلمة يشجع بها على طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله . ثم تلقي كلمات الوعاظ والمرشدين المتخصصين . وكلها تدعو إلى معرفة الله والتقرب إليه وطلب ما عنده من خير الدنيا والآخرة وذلك بطاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بفعل الصالحات وترك السيئات .

فعلى مثل هذا يتم النهوض بواجب الدعوة إلى الله تعالى في داخل البلاد الإسلامية . وهذا الطريق خير من نظام الجمعيات والتكتلات الخاصة ، فقد جربت فلم ينتج عنها إلا البلبلة والاضطراب وسوء الأخلاق وفساد الأحوال .

وقد عرف هذه الحقيقة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود ، فعاش طوال حكمه وليس في المملكة حزب ولا جمعية ولا منظمة ، وجرى على هذا أبنائه البررة ، فصارت المملكة مضرب المثل في الطهر والصلاح والاستقرار . بينما وجدت في البلاد الإسلامية الأخرى الأحزاب والجمعيات والجماعات ، فلم تثمر شيئاً ذا بال من الخير والإصلاح ، فضلاً عما حصل من جرائمها من مصاعب ومتاعب في كثير من البلاد الإسلامية والعياذ بالله .

**والثاني :** وهو النهوض بواجب الدعوة خارج ديار الإسلام ، ويكون من طريقين :  
**الأول :** متعذر في هذه الظروف وهو أن يتقدم الجيش الإسلامي إلى الدولة المتاخمة لحدوده فيعسكر على مقربة منها ، ثم يطالب بوحدة من ثلاث : الإسلام ، أو الدخول في حماية المسلمين للدعوة إلى الله تعالى ، والتعريف به وبما عنده وما لديه ، ويحكموا الناس بشريعة الله العادلة الرحيمة ، وإن رفضت الأوليين فالثالثة وهي القتال حتى يحكم الله بين المسلمين دعاء الله وبين الكافرين دعاء الشيطان والطاغوت . هذا طريق ، وهو متعذر في هذه الظروف كما قدمنا .

**والثاني :** وهو أن يلحق بكل سفارة لدولة إسلامية في بلاد الكفر عالمٌ متخصصٌ في شؤون الدعوة الإسلامية يتولى أمر عرض الإسلام بلغة تلك البلاد ، وبيان محاسنه ، والدعوة إليه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة بواسطة النشرة والكتاب ، والمحاضرة والندوة ، وما إلى ذلك من وسائل البلاغ .

هذا أولاً ، وثانياً أن يعنى بشأن الجاليات الإسلامية الموجودة في تلك البلاد بحيث تصبح في كمالها الروحية والأخلاقية مثلاً عالياً يُرغب في احتذائه والتمثل به . الأمر الذي يجعل سكان تلك الديار يتساءلون عن مصدر تلك الكمالات الروحية ، ويطلبون التعرف إليها ، والأخذ بها . وهذه طريق من أنجح الطرق إلى الإسلام وأكثرها نفعاً ؛ لأنها الدعوة إلى الإسلام بحسن القدوة .

ولكى تصبح الجاليات الإسلامية على هذا المستوى الرفيع من الكمال الروحي والخلقي ، يجب أن تنشأ هيئة إسلامية في العالم الإسلامي لهذا الغرض ، تكون مهمتها جمع التبرعات المالية شهرياً من كل المسلمين حكومات وشعوبا ويتولى إنفاق تلك الأموال هيئة إسلامية أخرى تعرف ( بالهيئة العليا للدعوة الإسلامية في العالم ) وتعمل هذه الهيئة على توحيد كلمة الجاليات الإسلامية وعملها من طريق بناء مسجد جامع لكل مجموعة في البلد الواحد وتزويده بعالم يؤم الناس ويعلمهم ويرشدهم ويهذب نفوسهم ويصلح أخلاقهم . مع فتح مدرسة تتسع لأولادهم ، ومقبرة لدفن موتاهم .

ومن المسجد الجامع تنبثق لجنة تعرف ( بلجنة المسجد ) تعنى بشئون الأفراد المسلمين دينياً ودينوياً في تلك المدينة بحيث تقوم بما تقوم به جماعة المسلمين عند انعدام الحاكم المسلم . فتأمر بالمعروف بين الجالية ، وتنهى عن المنكر ، وتنصح ، وترشد ، وترعى الحرمات ، وتدفع المضرات ، وتفصل في الخصومات .

وبهذا تتم الدعوة الإسلامية في خارج البلاد الإسلامية ، وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الله تعالى ، ويكونون قد قدموا لأنفسهم ولغيرهم خيراً يعود عليهم نفعة في الدنيا والآخرة .

## ( تفسير الآية )

أ - شرح الكلمات :

**قل** : فعل أمر من قال يقول قولاً ، إذا أمر غيره أن يقول ، بمعنى ينطق بقول ما من الأقوال .

**هذه** : اسم إشارة إلى القريب ، والمشار إليه هنا : طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ رسالته .

**سبيلي** : السبيل : الطريق الموصل إلى غاية . وهي هنا الإسلام ، والغاية الجنة دار السلام . وأضيفت السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه سالكها وملتزم بالسير عليها .

**ادعوا** : اطلب غيرى من الناس إلى الإسلام ليدخلوا فيه حتى يكملوا ويسعدوا .

إلى : حرف جر يفيد الغاية ويدل عليها والانتهاى إليها .

الله : اسم الرب تبارك وتعالى : ومعناه المعبود بحق الذي يأله أهل السماء والأرض .

**على** : حرف جر يدل على الاستعلاء والتمكن فيه .

**بصيرة** : البصيرة للقلب كالإبصار للعين . والمراد بها هنا : العلم التام والحجة الواضحة .

**أنا** : ضمير المتكلم وهو هنا عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصل هنا ليعطف عليه قوله ومن اتبعني .

**و** : حرف عطف ، عطف به الموصول « مَنْ » على الضمير المنفصل قبله « أنا » .

**مَنْ** : من اسم موصول بمعنى الذي .

**اتبعني** : اتبع فعل ماضي ، والضمير المستتر فاعل عائد على من ، والنون للوقاية .

والياء ضمير متصل عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبني على السكون في محل نصب مفعول به .

**وسبحان** : الواو حرف عطف - سبحان أصله مصدر كالغفران من سبح يسبح ، وصار علماً على التسييح الذي هو تنزيه الله تعالى عن النقائص وعن كل ما لا يليق به : أى طلب البراءة له من كل نقص وعيب .

**الله** : اسم الجلالة الأعظم : علم على ذات الرب تعالى .

**وما** : الواو للعطف والاستئناف . وما : حرف نفي مثل ولا ، في نفي الصفات والذوات والأفعال أيضاً ، نحو ما الله بغافل . وما القائم زيد ، وما قلت غير الحق .

**أنا** : ضمير فصل للمتكلم عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**من** : حرف جر ، ولها معانٍ كثيرة يعرف كل معنى بحسب ما تدخل عليه من الكلام ، فتكون للتبويض كأنفقوا مما رزقناكم ، وكما هي هنا إذ نفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون واحداً من المشركين ، أى بعضاً منهم .

**المشركين** : جمع مشرك وهو من عبد مع الله تعالى غيره من سائر المخلوقات ، وبأى نوع من أنواع العبادات ، التى شرعها الله لعباده يعبدونه بها .

**ب - المعنى المجمل للآية الكريمة :**

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين والمكذابين به وبدينه الحق : هذه سبيلي أى طريقتي التى لا أخرج منها ولا أحميد عنها ، وقد وضعني ربي عليها وأمرني بالتزامها ، وهي إيماني به تعالى وإسلامي وجهي له ، بعبادته وحده لا شريك له بما شرع لى من العبادات ، وما ألزمني به من الطاعات ، حال كوني داعياً إلى الإيمان بالله ربي تعالى وإلى معرفته ، ومعرفة محابه ومساخطه ، من الاعتقادات والأقوال والأعمال وإلى فعل محبوه ، وترك مكروهه . ليكمل الناس بذلك ويسعدوا عليه .

وإني في دعوتي هذه لعلى علم كامل ومعرفة تامة بربي وبمحابه ومساخطه ، وبما عنده من نعيم مقيم لأوليائه في دار كرامته ، وما لديه من نكال وعذاب أليم لأهل عدوته وبغضته ممن كفروا به وأشركوا في عبادته ، وذلك في دار مهانة أعدائه يوم يحشرون إليه ، ويجمعون ويوقفون بين يديه .

وإن أتباعي على طريقتي هم مثلي يدعون على علم تام ومعرفة كاملة ، يدعون عباد الله إلى معرفته تعالى ومعرفة محابه ومكارهه ، وإلى طاعته عز وجل بفعل محابه من المعتقدات والأقوال والأفعال ، وترك مكارهه من ذلك ، رجاء أن يكملوا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم .

وإني لمسبح ربي ومقدسه ومنزه له عن كل ما لا يليق بجلاله وجماله من الولد والشريك والعجز وكل صفات النقص وسمات الضعف والعجز .

ومع هذا فإني متبريء من المشركين ، فلا تربطني بهم رابطة ، ولا تصلني بهم صلة ، وذلك من أجل محادثتهم لربي ، وشركهم به ، وكفرهم بآياته ورسوله ، وأن أتباعي مثلي في تنزيه ربي وتقديسه ، وفي البراءة من الشرك والمشركين .

### ج - هداية الآية :

اعلم أخي المسلم أن في كل آية من آي كتاب الله تعالى الذي بلغ نيفاً وست آلاف آية هداية خاصة بحيث لا تخلو آية من ذلك . وقد تحمل الآية الواحدة هدايات عدة ، وهناك نوع من الهدايات لا تخلو منه آية آية قط ، وهو دلالة كل آية على وجود الله تعالى وعلمه ورحمته وقدرته وحكمته ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته .

وبيان ذلك : أن الآية قول نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل قول دال على قائله ؛ إذ يستحيل وجود قول بلا قائل ، فدلّت الآية إذاً على وجود الله تعالى . وبما أن الآية تحمل علماً ومعرفة فقائلها إذاً عالم ، وكون الآية تحمل مظهر الرحمة ؛ لأنها نزلت بالخير ، فممنزلها رحيم ، وكونها لا تخلو من حكمة نزلت لها فإن منزلها قطعاً حكيم ، وهكذا .

وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل أمي بشهادة الله تعالى وشهادة التواتر البشري وينطق بالقرآن ويقرؤه ، ويعلمه ، ويهدي ويحكم به ، فإن هذا دل على أنه صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله ؛ إذ لولا أن الله تعالى نبأه وأرسله لما أوحى إليه كلامه ، وأمره أن يتلوه ويعلمه ويحكم به ويهدي ، وهو أمي لا يعرف حتى الحروف الهجائية .

فهذه الهداية - وهي الدلالة الفعلية على صحة الحقيقة العظمى وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله - موجودة في كل آية من كتاب الله القرآن العظيم .

### ومن هدايات هذه الآية الخاصة :

١ - منهجية الإسلام : إذ هو سبيل الله الموصل إلى رضوانه تعالى وجواره الكريم . وهو قائم على الاعتقاد الخاص ، والقول الخاص ، والعمل الخاص . وأهله ملزمون بالتقيد التام بمعتقداته ، وأقواله ، وأعماله . وبهذا كان الإسلام منهجاً ثابتاً وواضحاً يفضي بالآخذين به إلى كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٢ - علم الداعي بما يدعو إليه : وبما يساعده على إبلاغ دعوته من الحجج القواطع ، والبراهين السواطع ، العقلية والنقلية ، ومن ذلك أساليب البيان للترغيب والترهيب .

٣ - واجب الدعوة إلى الله تعالى : ليعبد ويوحد ، ويذكر ويشكر من أجل إكمال البشر وإسعادهم في الحياتين . على كل من شهد لله بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ممن أوتي علماً وبصيرة في دين الله تعالى الذي هو الإسلام .

٤ - وجوب تنزيه الله تعالى وتقديسه : عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وجماله من سائر العيوب والنقائص ، مع وجوب إثبات كل كمال لله عز وجل مما يليق بذاته وربوبيته سبحانه .

٥ - وجوب البراءة من الشرك وأهله : ولو كانوا أقرب أقرب قريب ، وذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ويعبدوه بما شرع لعباده من ضروب الطاعات وصور العبادات . هذا وفي الآية هدايات غير ما ذكرنا . والله نسأل أن يرزقنا الاهتداء بهداياتها والعمل بها . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

قال تعالى :  
﴿ وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾  
( لقمان الآية : ١٨ )

\*\*\*\*\*

من هم القراء السبعة

هم :

نافع في المدينة المنورة - وعبد الله بن كثير في مكة المكرمة - وأبو عمرو بن العلاء في البصرة - وعبد الله بن عامر في دمشق - وعاصم - وحمة ابن حبيب والكسائي ثلاثهم في الكوفة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الْحَدِيثُ



صَوْنُهُ



# صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ

للكَئُومِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّحْمَنِ الرَّعْظَمِيِّ  
أَبَانَا سَاعِدِ بْنِ كَطِيحَةَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

## ١ - التَّرَاوِيحُ لَفَةٌ :

جمع تروِيحة : أى تروِيحة النفس وهي استراحتها . وفي القاموس : « منها تروِيحة شهر رمضان سميت بها لاستراحة بعد كل أربع ركعات - يقال : استروح أي وجد الراحة » انتهى .

ثم غلب اسم التراويح على الصلوات التي تصلى في ليالي رمضان ، ويجلس الإمام بعد كل أربع ركعات ، ولذا يقال : ويجلس بين كل ترويحتين مقدار تروِيحة .

وقد روي الإمام البيهقي في سننه بسنده عن المغيرة بن زياد الموصلي عن عطاء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربع ركعات في الليل ثم يتروح فأطال حتى رحمته فقلت : بأبي أنت وأمي يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

قال البيهقي : تفرد به المغيرة بن زياد وليس بالقوي . انتهى (١) .

ووثقه ابن معين ، وصحح الحاكم بعض أحاديثه (٢) .

الا أن الذهبي لم يوافقه على ذلك فقال : المغيرة : صالح الحديث . وتركه ابن حبان .

وقال في الكاشف : وثقه ابن معين وجماعة ، وقال أحمد : منكر الحديث (٣) . ويرى

بعض العلماء أن الاستراحة تكون بعد خمس تسليمات ، والأمر فيه وسع ، فقد سئل الإمام أحمد عن قوم صلوا في رمضان خمس تراويح لم يتروحوا بينها فقال : لا بأس (٤) .

(١) البيهقي : ٤٩٧/٣ .

(٢) انظر : المستدرک ٤١٣ .

(٣) الكاشف : ١٦٧/٣ .

(٤) المغني : ١٤١/٣ .

## ٢ - الترغيب في قيام رمضان :

**الحديث الأول :** حديث أبي هريرة ، قال : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ) . رواه الجماعة .

**شرح الحديث :** قول أبي هريرة : ( من غير أن يأمر فيه بعزيمة ) فيه التصريح بعدم وجوب القيام . قال الإمام النووي : معناه لا يأمرهم أمر ايجاب وتحتم بل أمر ندب وترغيب ، ثم قال : اجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب .

ومعنى قوله : « من قام رمضان » أي مصلياً ، ويحصل هذا بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قال النووي : إن قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح .

**الحديث الثاني :** حديث عبد الرحمن بن عوف قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله عز وجل فرض صيام رمضان ، وسنتت قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ) (١) .

إلا أن في اسناده النضر بن شيان الحداني - بضم المهملة وتشديد الدال - قال الحافظ : لين الحديث (٢) .

## ٣ - حكم صلاة التراويح بالجماعة :

**القول الأول :** صلاة التراويح بالجماعة في المسجد أفضل ، وبه قال أحمد والشافعي وأبو حنيفة وبعض المالكية ، وبالع الطحاوي من الحنفية فقال : إن صلاة التراويح بالجماعة واجبة على الكفاية .

هكذا نقل الشوكاني عن الطحاوي (٣) ، وسبقه الحافظ (٤) ، وهو مخالف تماماً لما قاله الطحاوي في شرح معاني الآثار ، وما نقل عنه الشيخ ابن الهمام في شرح فتح القدير ، يقول الطحاوي : « فهؤلاء الذين روينا عنهم ما روينا من هذه الآثار كلهم يفضل صلاته وحده في شهر رمضان على صلاته مع الإمام ، وذلك هو الصواب » . انتهى (٥) .

(١) رواه أحمد (١٩١/٨ - ١٩٥) ، والنسائي (١٥٨/٤) ، وابن ماجه (٤٢١/٨) .

(٢) التقريب (٣١١/٢) .

(٣) انظر : نيل الأوطار : ٦٠/٢ .

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ .

(٥) انظر : شرح معاني الآثار : ٣٥١/٨ .

وقد قارن قبل هذا بين أدلة الفريقين فقال : « ذهب قوم إلى أن القيام مع الإمام في شهر رمضان أفضل منه في المنازل ، واحتجوا في ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قنوت بقية ليلته ) .

وقال : خالفهم في ذلك آخرون فقالوا : بل صلاته في بيته أفضل من صلاته مع الإمام ، وحجتهم في ذلك حديث زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( خير صلاة المرء في بيته ، إلا المكتوبة ) وذلك لما قام لهم ليلة في رمضان فأرادوا أن يقوم بعد ذلك فقال لهم هذا القول .

ثم وفق بين الروایتين فقال : يوجب الحديث الأول - ( حديث أبي ذر ) - إن من قام مع الإمام يكتب له قنوت بقية ليلته ، ويوجب حديث زيد بن ثابت أن ما فعل في بيته هو أفضل من ذلك ، حتى لا يتضاد هذان الأثران » . انتهى ( ١ ) .

وقال الشيخ ابن الهمام : « إن الطحاوي روى عن ابن عمر ، وعروة ، تخلف بعض الصحابة ونقل عن القاسم ، وإبراهيم ، ونافع ، وسالم ، وأبي يوسف ، إن أمكنه أدائها في بيته مع مراعاة سنة القراءة وأشباهاها فيصلها في بيته إلا أن يكون فقيها كبيرا يقتدى به لقوله صلى الله عليه وسلم : ( عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) » . انتهى ( ٢ ) .

**القول الثاني :** الأفضل أن يصلي الرجل صلاة التراويح في البيت . وبه قال مالك ، وأبو يوسف ، وبعض الشافعية ، فقد سئل مالك عن قيام الرجل في رمضان فقال : إن كان يقوى في بيته فهو أحب إليّ وليس كل الناس يقوى على ذلك ، فقد كان ابن هرمز ينصرف فيقوم بأهله وكان ربيعة ينصرف ، وعدد غير واحد من علمائهم كانوا ينصرفون ولا يقومون مع الناس وأنا أفضل ذلك ( ٣ ) .

وأستدل هؤلاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الصلاة ، صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) ( ٤ ) - من حديث زيد بن ثابت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول لما اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى فيها حتى اجتمع عليه ناس ثم فقدوا صوته ليلة ووطنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحج إليهم فقال : ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن

( ١ ) انظر : شرح معاني الآثار : ٣٤٩٨ .

( ٢ ) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤٨ .

( ٣ ) انظر : المدونة : ٢٢٢٨ .

( ٤ ) متفق عليه .

يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا في بيوتكم ، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » .

والعجب من الألباني أنه لم يذكر هذا الحديث في كتابه « صلاة التراويح » وهو أقوى دليل للقول الثاني .

فلم يستثن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوات إلا الفرائض ، وصلاة التراويح ليست منها .

وورد هذا الحديث في صلاة رمضان في مسجده صلى الله عليه وسلم فإذا كانت صلاة التراويح في البيت أفضل حتى من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف في مسجد غيره ؟ !

ولكن بعد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صارت صلاة التراويح من شعائر الإسلام ، وواظب المسلمون على ذلك ، لذا أجمع العلماء على أفضليتها في أدائها في المساجد وذكروا في ذلك الأدلة التالية :

( ١ ) **حديث عائشة** : قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد

فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال : ( رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم ) وذلك في رمضان . متفق عليه .

**شرح الحديث** : في الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة التراويح بالجماعة ولم يمنعه من الاستمرار بالجماعة إلا تخوفه أن تكتب على الأمة .  
فإن قيل : كيف كان يفرض عليهم وقد أكمل الله الفرائض ورد الخمسين إلى الخمس ؟

أجاب البغوي على هذا السؤال قائلاً : كانت صلاة الليل واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله الشرعية كان الاقتداء به فيها واجباً ، فكان لا يأمن إن هو واظب على الصلاة بهم أن يلزمهم الاقتداء به فيه ، فالزيادة من جهة وجوب الاقتداء به ، لا من جهة انشاء فرض مستأنف على أن الإنسان قد يكلف نفسه ما لم يوجبه الشرع ثم تلحقه اللائمة بتركه كما لو نذر صلاة تلزمه وكما أخبر الله سبحانه وتعالى عن فريق من النصارى أنهم ابتدعوا رهبانية لم يكتبها عليهم ، ثم قصروا فيها ، فلحقهم اللائمة ، فقال سبحانه وتعالى « فما رعوها حق رعايتها » فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فترك العمل « انتهى (١) .

ونقل الحافظ عدة أقوال عن العلماء في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم ( خشيت أن يفرض عليكم ) ونسب هذا القول الذي مر آنفا إلى الخطابي ، وذكر احتمالا آخر عن الخطابي ، وهو : أن الله فرض الصلاة خمسين ، ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإذا عادت الأمة فيما استوهب لها والترمت مما استعفى لهم نبئهم صلى الله عليه وسلم منه لم يستنكر أن يثبت ذلك فرضا عليهم ، ثم قال الحافظ : وتلقي هذين الجوابين من الخطابي جماعة من الشراح ، كابن الجوزي ، وهو مبني على أن قيام الليل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بأفعاله وفي كل من الأمرين نزاع ، ثم نقل الحافظ أقوال العلماء الآخرين فقال :

١ - قال المحب الطبري : يحتمل أن يكون الله عز وجل أوحى إليه أنك إن واطبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم : فأحب التخفيف عنهم فترك المواظبة .  
وقال : ويحتمل أن يكون ذلك وقع في نفسه كما اتفق في بعض القرب التي داوم عليها فافترضت .

وقيل : خشى أن يظن أحد من الأمة من مداومته عليها الوجوب .  
وإلى هذا نحا القرطبي فقال : قوله ( فتفرض عليكم ) أى تظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك ، كما إذا ظن المجتهد حل شيء أو تحريمه فإنه يجب عليه العمل به .  
قال : وقيل : كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم إنه إذا واطب على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به فيه أنه يفرض عليهم .  
وعلق على هذا الحافظ فقال : ولا يخفى بعد هذا الأخير ، فقد واطب النبي صلى الله عليه وسلم على رواتب الفرائض وتابعه أصحابه ولم تفرض .

٢ - قال ابن بطال : يحتمل أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم لما كان قيام الليل فرضا عليه دون أمته ، فخشى إن خرج إليهم والتزموا معه قيام الليل أن يسوي الله بينه وبينهم في حكمه ، لأن الأصل في الشرع المساواة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أمته في العبادة .

قال : ويحتمل أن يكون خشى من مواظبتهم عليها أن يضعفوا عنها فيعصى من تركها بترك اتباعه صلى الله عليه وسلم .

٣ - وقال الكرمانى : إن حديث الاسراء يدل على أن المراد بقوله تعالى « لا يبذل القول لدى » الأمن من نقص شيء من الخمس ولم يتعرض للزيادة .

٤ - وقال البعض : إن الزمان كان قابلا للنسخ فلا مانع من خشية الافتراض وعلق

عليه الحافظ بقوله : « وفيه نظر ، لأن قوله تعالى « لا يبديل القول لدى » خبر ، والنسخ لا يدخله على الراجح .

هـ - قال الحافظ : وقد فتح الباري بثلاثة أجوبة أخرى :

**أحدها :** أن يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطاً في صحة التنفل بالليل ، ويوميء إليه قوله في حديث زيد بن ثابت ( حتى خشيت أن يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا ) أيها الناس ( في بيوتكم ) فمنعهم من التجمع في المسجد اشفاقاً عليهم من اشتراطه ، وأمن مع إذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم .

**ثانيها :** أن يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الأعيان ، فلا يكون ذلك زائداً على الخمس ، بل هو نظير ما ذهب إليه قوم في العيد ونحوها .

**ثالثها :** يحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة ، فقد وقع في حديث الباب أن ذلك كان في رمضان . وفي رواية سفيان بن حسين : ( خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر ) فعلى هذا يرتفع الاشكال ، لأن قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدراً زائداً على الخمس .

قال الحافظ : وأقوى هذه الأجوبة الثلاثة في نظري : الأول . انتهى ( ١ ) .

**الحديث الثاني :** حديث أبي ذر ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان فلم يقم في شيء من الشهر حتى كانت ليلة سابعة بقيت فقام بنا إلى نحو من ثلث الليل ، ثم لم يقم بنا ليلة سادسة بقيت ، فلما كانت ليلة خامسة بقيت قام بنا إلى نحو من شطر الليل ، فقلنا يارسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ؟ فقال : ( إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ) ، ثم لم يقم بنا ليلة رابعة بقيت ، فلما كان ليلة ثالثة بقيت قام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور ، قال : فكان يوقظ في تلك الليلة أهله وبناته ونساءه « ( ٢ ) .

---

( ٢ ) رواه أصحاب السنن : الترمذي ( ١٦٠/٢ ) . وأبو داود ( ١٠٥/٢ ) . والنسائي ( ٨٣/٣ ) . وابن ماجه ( ٤٣٠/٨ ) . كلهم بطرق عن داود بن أبي هند . عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى . عن جبير بن نفير . عن أبي ذر .  
قال الترمذي : حسن صحيح .  
ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره .



**شرح الحديث :** قوله ( لو نفلتنا ) أى لو جعلت بقية الليل زيادة لنا على قيام الشطر ، وهو من التسنيل ، وفي النهاية : لو زدتنا من الصلاة النافلة ، سميت بها النوافل لأنها زائدة على الفرائض ، وتقديره : لو زدت قيام الليل على نصفه لكان خيرا لنا ، ولو « للتمني » (١) .

**وقال الشوكاني :** المراد هنا لو قمت بنا طول ليلتنا ونفلتنا من الأجر الذى يحصل من ثواب الصلاة . انتهى .

وفي الحديث دليل على مشروعية الجماعة لصلاة التراويح .

**الحديث الثالث :** حديث أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلي ، وهم يصلون بصلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصابوا ، ونعم ما صنعوا (٢) .

وروي هذا الحديث أيضا محمد بن نصر المروزي (٣) .  
والمحفوظ في هذا أن عمر بن الخطاب جمع الناس وراء أبي بن كعب كما جزم الحافظ وغيره (٤) .

هذه بعض الأحاديث التي رويت في مشروعية الجماعة في صلاة التراويح .  
وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) فحمل العلماء على صلاة التهجد كما خصصوا من هذا العموم بعض الصلوات التي شرع فيها الجماعة كالعيدين ، والكسوف ، والاستسقاء ، وكذلك صلاة التراويح ، ولذلك لما أمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من افتراض صلاة التراويح أمر بإقامتها في المسجد جماعة ، واستمر هذا العمل منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا فصارت صلاة التراويح في شهر رمضان من شعائر الإسلام ، إلا أن من ترك التراويح جماعة في المسجد ، وأقامها في البيت لا يذم ولا يلام .

(١) انظر : تحفة الأحوذى : ٥٢١/٣ .

(٢) رواه أبو داود ( ١٠٦/٣ ) وقال : ليس هذا الحديث بالقوي . مسلم بن خالد ضعيف . انتهى .

قال الذهبي في الكاشف ( ١٤٠/٣ ) ، وثق ، وضعفه أبو داود لكثرة غلطه .

وقال الحافظ في التقریب : فقيه صدوق كثير الأوهام .

(٣) انظر : قيام الليل : ( ص ١٥٥ ) بطريق خالد بن مسلم ولم يقل فيه شيئا .

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ .

### ٣ - عدد ركعات صلاة التراويح :

فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

القول الأول : ركعات التراويح ثمانية - وهو قول المحدثين والمحققين .  
القول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة - وبه قال الأئمة الثلاثة : الشافعي وأبو حنيفة ، وأحمد .

القول الثالث : ركعات التراويح ست وثلاثون - وبه قال الإمام مالك .

#### واليكم بعض الأدلة للقول الأول :

١ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي ثلاثا (١) .  
وقد بوب ابن خزيمة في صحيحه (٢) باب ذكر عدد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان فذكر هذا الحديث ، كما ذكره البيهقي في سننه (٣) في باب ما روي في عدد ركعات القيام في شهر رمضان .

ويبدو أن الجميع أستمسكوا به لمعرفة عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغيره ، كما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عقب صلاة التراويح ، وسوف يأتي ذلك قريبا إن شاء الله .

٢ - حديث جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمانين ركعات ، وأوتر ... رواه أبو يعلى ، والطبراني في الصغير ، كما قال الهيثمي وفيه : عيسى بن جارية وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن معين (٤) .  
وقال الحافظ في الفتح : (٥) ورواه ابن خزيمة وابن حبان ، وعزاه في التلخيص (٦) لابن حبان فقط ولم يتكلم على اسناد الحديث مع وجود عيسى بن جارية في اسناد ابن حبان كما في موارد الظمان .

(١) متفق عليه : ففي البخاري مع الفتح (٣٣٣) ، وفي مسلم (٥٠٩٨) من طبعة فؤاد عبد الباقي .

(٢) صحيح ابن خزيمة : (٣٤٧٣) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : (٤٩٥٢) .

(٤) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ .

(٥) فتح الباري : ١٢/٣ .

(٦) التلخيص : ٢١/٣ .

وقد ذكر الشيخ الألباني هذا الحديث ونسبه لابن نصر والطبراني وقال : سنده حسن (١) . ولم يتكلم على عيسى بن جارية .

والطبراني ذكر هذا الحديث في المعجم الصغير (٢) باسناده عن يعقوب بن عبد الله القمي عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمان ركعات وأوتر ، فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج ، فلم نزل حتى أصبحنا ثم دخلنا ، فقلنا يارسول الله اجتمعنا البارحة في المسجد ورجونا أن تصلي بنا ؟ فقال : إني خشيت أن يكتب عليكم ) .

قال الطبراني : لا يروى عن جابر بن عبد الله إلا بهذا الاسناد ، تفرد به يعقوب وهو ثقة ، ولم يتكلم عن عيسى بن جارية .

وذكر الذهبي هذا الحديث وقال : اسناده وسط (٣) .

أقول : عيسى بن جارية : هو الأنصاري المدني ، قال الحافظ : فيه لين . وقال الذهبي : روى عن جرير وجابر ، وعنه أبو صخر حميد بن زياد ، ويعقوب القمي مختلف فيه ، قال ابن معين : عنده مناكير (٤) . وفي الميزان : قال النسائي : منكر الحديث ، وجاء عنه : متروك . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وأما يعقوب بن عبد الله القمي فهو - بضم القاف - أبو الحسن الأشعري ، سبق أن وثقه الطبراني . وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الدارقطني : ليس بالقوى (٥) . وحكم عليه الذهبي بأنه صدوق (٦) .

ويبدو من هذا أن الحديث لا يقل عن درجة الحسن ، ولذا سكت عليه الحافظ ، وحسنه الألباني ، وقال الذهبي : اسناده وسط . والمعروف أن الذهبي من أهل الاستقراء . ثم أخرج الإمامان الجليلان وهما ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما ، إضافة إلى ذلك أنه موافق لحديث عائشة .

وبهذين الحديثين أخذ المحققون من علماء أهل الحديث والفقهاء . فإن أحدا منهم لم يقل بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى أكثر من ثماني ركعات في رمضان أو في غير رمضان ، وإنما الخلاف في الطول ، والقراءة ، والوقت ، والجماعة ، وغير ذلك .

(١) انظر : صلاة التراويح : ص ٣١ .

(٢) المعجم الصغير : ١٩٠/٨ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال : ٣١٧٣ .

(٤) انظر : الكاشف : ٣٦٦/٢ .

(٥) انظر : الخلاصة للخزرجي : ١٨٢٣ .

(٦) انظر : الكاشف : ٢٩٢/٣ .

وأما التراويح ، وقيام رمضان ، وصلاة الليل ، وصلاة التهجد في رمضان ، فهي عبارة عن شيء واحد ، قال الشيخ عبيد الله المباركفوري : « اعلم أن التراويح وقيام رمضان وصلاة الليل وصلاة التهجد في رمضان عبارة عن شيء واحد ، واسم لصلاة واحدة ، وليس التهجد في رمضان غير التراويح لأنه لم يثبت من رواية صحيحة ولا ضعيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ليالي رمضان صلاتين إحداهما التراويح ، والأخرى التهجد ، فالتهجد في غير رمضان هو التراويح في رمضان كما يدل عليه حديث أبي ذر وغيره ، وأليه ذهب صاحب فيض الباري (١) . ( الشيخ أنور شاه الكشميري ) من الحنفية حيث قال ، « المختار عندي أن التراويح ، وصلاة الليل واحد ، وإن اختلفت صفتاهما كعدم المواظبة على التراويح وأدائها بالجماعة ، وأدائها في أول الليل تارة ، وإيصالها إلى السحر أخرى بخلاف التهجد فإنه كان في آخر الليل ، ولم تكن فيه الجماعة . وجعل اختلاف الصفات دليلاً على اختلاف نوعيتها ليس بجيد عندي بل كانت تلك صلاة واحدة ، إذا تقدمت سميت باسم التراويح ، وإذا تأخرت سميت باسم التهجد .

ولا بدع في تسميتها باسمين عند تغاير الوصفين فإنه لا حجر في التغاير الاسمي إذا اجتمعت عليه الأمة ، وإنما يثبت تغاير النوعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه التهجد مع إقامته بالتراويح (٢) . انتهى .

وقد جزم أيضاً الشيخ بدر الدين العيني وهو من كبار العلماء الحنفية أن قول عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في العشر الأواخر في رمضان يجتهد ما لا يجتهد في غيره ، المقصود منه التطويل في الركعات والسجود والقيام والقعود بدون الزيادة في العدد (٣) .

وقد ذكر الشيخ العيني عشرات الروايات عن الصحابة الآخرين لاثبات عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم وخرج منها بأنه ما كان يزيد عن ثمان ركعات ، ويزيد وينقص من ركعات الوتر ما شاء ، وذهب الشيخ ابن الهمام - من محققي الحنفية - إلى أن الثماني ركعات سنة ، والبقية مستحبة ، وأنكر عليه المشايخ الحنفية القائلون بسنية العشرين (٤) .

**القول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة :**

استند أصحاب هذا القول بالأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه جمع الناس وراء أبي بن كعب على عشرين ركعة كما استندوا أيضاً بحديث مرفوع إلا أنه ضعيف

(١) انظر : (٤٢٠/٢) من فيض الباري .

(٢) انظر : مرعاة المفاتيح : ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ .

(٣) انظر : عمدة القاريء : ٢٠٤/٧ .

(٤) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤/٨ .

بالاتفاق ، فلذا نرى أن المحققين من أصحاب المذاهب لم يذكروا هذا الحديث المرفوع في الاستدلال لما ذهبوا إليه كالشيخ ابن قدامة وغيره .

ولو كان هذا الحديث صحيحا لكان حجة قاطعة على أصحاب القول الأول ، ولتبادر المحققون إلى ذكره ، ومع ذلك فنحن نذكر هذا الحديث ثم نتبعه الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الخصوص .

**الحديث المرفوع** : قال الإمام الزيلعي : روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١) ، والطبراني في معجمه (٢) ، وعنه البيهقي (٣) ، من حديث إبراهيم بن عثمان أبي شيبة عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر .

قال الحافظ الزيلعي : وهو معلول بأبي شيبة إبراهيم بن عثمان جد الإمام أبي بكر بن أبي شيبة ، وهو متفق على ضعفه ولينه ابن عدى في الكامل ثم أنه مخالف للحديث الصحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة ..... فذكر حديثها (٤) . انتهى كلام الزيلعي .

وقال الهيثمي : رواه الطبراني (٥) في الكبير والأوسط وفيه : أبو شيبة وهو ضعيف (٦) .

وقال الحافظ في التقریب : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان متروك ، وقال الشيخ ابن الهمام : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان ضعيف (٧) .

وقال البيهقي : تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي وهو ضعيف (٨) .

فسند هذا الحديث يدور على أبي شيبة لأن كل من خرجه فطريقه ينتهي إليه فلا يفرنك إذا قال أحد إن لهذا الحديث سندا آخر ، فإن الطبراني والبيهقي صرحا بأن أبا شيبة تفرد بهذا الحديث ، وذكر الحافظ الذهبي في الميزان وقال : إنه من مناكير أبي شيبة ، وكذا الحافظ مع علمه الغزير لم يجد لهذا الحديث سندا آخر ، فقد جزم وقال : « وأما ما رواه أبو شيبة من حديث ابن عباس فاسناده ضعيف ، وقد عارضه حديث عائشة هذا الذي في الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها » (٩) .

(٦) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ .

(٧) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٢/٨ .

(٨) انظر : سنن البيهقي : ٤٩٦/٣ .

(٩) انظر : فتح الباري : ٢٥٤/٤ .

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٣٩٤/٣ .

(٢) الكبير : ٣٩٣/٨١ .

(٣) البيهقي : ٤٩٦/٣ .

(٤) انظر : نصب الراية : ١٥٣/٣ .

(٥) انظر : المعجم الكبير : ٣٩٣/٨١ .

وَمَعَ وجود هذه التصريحات من الأئمة والمحققين ، ومنهم علماء الحنفية جاء الشيخ يوسف البنوري رحمه الله تعالى الحنفي غاضبا وثائرا على من يقول : إن عدد ركعات التراويح ثمان ، ورماهم بالسفسطة والعجرفة في القول والبيان والزيع في المعتقد ، والبغض مع صلحاء الأمة ثم قال : « ويدفع القول الأول بأنه وإن كان ضعيفا - أي إبراهيم بن عثمان أبو شيبة - ولكن يؤيد روايته تعامل الأمة في عهد الفاروق ومن بعده ، ويدفع الثاني بالحمل على اختلاف الأحوال كما أشار إليه الحافظ في سياق آخر . وقد يعمل بالضعيف لتقويته بالتعامل وغيره » (١)

وقال بعد ذلك - ويبدو أنه متعب جدا لعدم نجاحه في محاولاته الكلامية - :  
« العشرون لا بد أن يكون لها أصل في المرفوع ، وإن لم يبلغ إلينا بالاسناد القوي » (٢) .  
وهي قاعدة مخترعة تنم عن العجز من الإتيان بالأدلة المعقولة .

### دراسة الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخصوص عدد ركعات صلاة التراويح :

روى الإمام البخاري في صحيحه (٣) عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . انتهى .

هذا الحديث الذي ذكره الإمام البخاري معلقا وقال : عن ابن شهاب ، وهو في الحقيقة عطف على ما سبق من الاسناد . ورواه مالك في موطنه باسناده نحوه .

**شرح بعض الكلمات :** ( أوزاع ) بسكون الواو ، بعدها زاي معجمة ، أي جماعة متفرقون ، وقوله في الحديث : متفرقون : تأكيد لفظي .  
( أمثل ) أي أفضل ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استنبط من تقرير

(١) انظر : معارف السنن : ٥٤٧/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٥٥٠/٥ .

(٣) انظر : فتح الباري : ٢٥٠/٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه في تلك الليالي ، وإن كان كره ذلك لهم ، فإن كرهه خشية أن يفرض عليهم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم حصل الأمن من ذلك .

( فجمعهم على أبي بن كعب ) أي جعله إماما . قال الحافظ : كأنه اختاره عملا

بقوله صلى الله عليه وسلم ( يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله ) ، وقد قال عمر : أقرؤنا أبي .

( ثم خرجت معه ليلة أخرى ) فيه إشارة إلى أن عمر ما كان يصلي مع

الجماعة وراء أبي ، لأنه يرى أن الصلاة في آخر الليل في البيت أفضل ، فإنه قال

في آخر الحديث : والتي تنامون عنها أفضل .

وقد روى محمد بن نصر من طريق طاوس ، عن ابن عباس قال : كنت عند عمر في

المسجد فسمع هيعة الناس فقال : ما هذا ؟ قيل : خرجوا من المسجد ، وذلك في رمضان فقال :

ما بقي من الليل أحب إلي مما مضى . انتهى .

( الهيعة ) قال في النهاية : الصياح والضجة .

( قول عمر : نعم البدعة ) وجاء في بعض الروايات : نعمت البدعة . والبدعة أصلها

ما أحدث على غير مثال سابق .

وتطلق في الشرع : في مقابل السنة ، وتكون ممنوعة .

قال الحافظ : والتحقيق في ذلك أنها إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع

فهي حسنة ، وإن كانت مما تدرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة ، وإلا فهي من قسم

المباح (١) .

وقال الحافظ ابن الأثير : البدعة بدعتان ، بدعة هوى ، وبدعة ضلال ، فما كان في

خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والانكار ، وما كان تحت

عموم ما ندب الله إليه ، وحض عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال

موجود كنوع من السجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن

يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له ثوابا

فقال : ( من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ) وقال في ضده ( ومن سن

سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به

ورسوله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا النوع قول عمر بن الخطاب : نعمت البدعة هذه (٢) .

(١) انظر : فتح الباري : ٢٣٢/٤ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث : ١٠٦٨ .

ونرجع إلى الحديث أصل الموضوع فنقول :

إن الإمام البخاري لم يذكر عدد الركعات التي جمع عليها عمر بن الخطاب وفي هذا إشارة إلى أن الآثار التي وردت في ذكر عدد الركعات لم تصح عنده ، أو أنه يرى أن عمر لم يتجاوز على ثماني ركعات فذكر عقب قصة عمر حديث عائشة رضي الله عنها التي تقول : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً .

لذا وقع الخلاف بين الرواة في ذكر عدد الركعات ، وإليكم بعض هذه الآثار :

١ - في موطأ مالك (١) : عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد أنه قال : أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميما الداري أن يقوموا للناس بأحدى عشرة ركعة قال : وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر .

وبطريق مالك رواه البيهقي (٢) وصرح فيه بأن محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد .

ورواه سعيد بن منصور في سننه بوجه آخر عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد .

واسناده صحيح ، فإن محمد بن يوسف الكندي المدني الأعرج ثقة ثبت مات في حدود الأربعين ومائة وهو شيخ مالك واحتج به الشيخان .

والسائب بن يزيد صحابي معروف حج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، ثم إن هذا الحديث موافق لحديث عائشة رضي الله عنها وحديث جابر بن عبد الله . إلا أن الحافظ ابن عبد البر يقول : روى غير مالك في هذا الحديث « إحدى وعشرون » وهو الصحيح ولا أعلم أحداً قال فيه إحدى عشرة إلا مالكا ، ويحتمل أن يكون ذلك أولاً ثم خفف عنهم طول القيام ونقلهم إلى إحدى وعشرين إلا أن الأغلب عندي أن قوله : إحدى عشرة وهم . انتهى .

ورد الزرقاني بقوله : ولا وهم مع أن الجمع بالاحتمال الذي ذكره قريب ، وبه جمع

(١) الموطأ مع شرحه التنوير : ١٠٥٨ .

(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٣ .



البيهقي أيضا ، وقوله إن مالكا انفرد به ليس كما قال ، فقد رواه سعيد بن منصور من وجه آخر عن محمد بن يوسف مثل قول مالك (١) . انتهى .

وقال النيموني في آثار السنن : ما قاله ابن عبد البر من وهم مالك فغلط جدا لأن مالكا تابعه عبد العزيز بن محمد الدراوردي عند سعيد بن منصور ، ويحيى بن سعيد القطان عند أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه ، وكلاهما عن محمد بن يوسف وقالا : إحدى عشرة .

وهذه الروايات التي رويت عن عمر بن الخطاب في غاية من الصحة ، وفيها ذكر لإحدى عشرة ركعة ، لأن عبد العزيز بن محمد الدراوردي من الثقات أيضاً أخرج له أصحاب الستة ، ويحيى بن سعيد القطان إمام في الحفظ والضبط والاتقان .

وزاد الألباني في رسالة صلاة التراويح (٢) فقال : وأيضاً تابع مالكا إسماعيل بن أمية ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن اسحاق عند النيسابوري ، وإسماعيل بن جعفر المدني عند ابن خزيمة في حديث ابن حجر كلهم قالوا عن محمد بن يوسف به . انتهى .

٢ - أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٣) عن داود بن قيس وغيره ، عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب ، وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة يقرأون بالمئين وينصرفون عند بزوغ الفجر .

قال الشيخ المباركفوري : إن عبد الرزاق انفرد برواية إحدى وعشرين ركعة ولم يخرج أحد غيره فيما أعلم ، وعبد الرزاق وإن كان ثقة حافظاً فقد عمي في آخر عمره فتغير كما صرح به الحافظ في التقريب ، وأما الإمام مالك فبقي إماماً لدار الهجرة (٤) .

والمعروف أن الحكم في المختلطين أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يؤخذ حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنهم قبل الاختلاط أو بعده ، فمسألة عبد الرزاق هي من القسم الثالث وخاصة إذا خالف الثقات .

ثم هذه الرواية مخالفة للحنفية فإنه يستلزم أن يقولوا بأن التراويح ثمانى عشرة ركعة ، أو أن الوتر ركعة واحدة .

وأما داود بن قيس فهو الصنعاني ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه الحافظ :

مقبول .

(١) شرح الموطأ للزرقاني : ٣٥٤٨ .

(٢) صلاة التراويح : ص ٥٣ .

(٣) للمصنف : ٢٦٠/٤ .

(٤) انظر : تحفة الأحودي : ٥٢٧/٣ .

٢ - وأخرج محمد بن نصر المروزي (١) ، عن السائب بن يزيد بدون الاسناد وفيه ذكر لعشرين ركعة ومثله عند البيهقي (٢) بطريق أبي عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدينوري ، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني ، أنبأنا عبد الله محمد بن عبد العزيز البغوي ، ثنا علي بن الجعد ، أنبأنا ابن أبي ذئب ، عن يزيد بن خصيفة ، عن السائب بن يزيد ..

قال صاحب مرهقة المفاتيح : أما رواية يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد فهي عند البيهقي بوجهين في أحدهما أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ، وفي الآخر أبو عبد الله الحسين بن فنجويه ، ولم أقف على ترجمتهما ولم يعرف حالهما . انتهى (٣) .

**أقول :** أما وجه أبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري فلم أجده في السنن الكبرى وأما قوله في أبي عبد الله الحسين بأنه لم يقف على ترجمته فهو صحيح ، فإنني بعد البحث لم أقف على أكثر ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة « تمام بن أبي الحسين » اسمه فقط بدون أن يقول عنه شيئاً (٤) .

وقال الحافظ (٥) : روى مالك من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عشرين ركعة ، وتبعه الشوكاني (٦) فقال : رواه مالك في الموطأ والظاهر أنهما قد سهوا في ذلك فإن مالكا لم يرو رواية يزيد بن خصيفة هذه في الموطأ .

وقد ذكر النووي حديث يزيد بن خصيفة وعزاه إلى البيهقي وغيره ولم يعزه إلى مالك (٧) وهذا لا يمنع أن يروى مالك هذه الرواية في غير الموطأ ، بالإضافة إلى ذلك فقد قال الإمام أحمد عن يزيد بن خصيفة : منكر الحديث مع توثيقه له في رواية الأثرم عنه (٨) .

ومعنى هذا أن يزيد بن خصيفة انفرد برواية هذا الأثر وهو مخالف لما رواه زملاؤه الآخرون فيكون الضعف في روايته من أجل مخالفته فقد قال الحافظ في مقدمة الفتح (٩) في ترجمته : هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب من أقرانه بالحديث ، عرف ذلك بالاستقراء من حاله ، وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم . انتهى .

(١) انظر : قيام الليل ، ص ١٥٧ .

(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٢ .

(٣) ٣٣٢/٢ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ، ١٠٥٧/٣ .

(٥) انظر : فتح الباري ، ٢٥٣/٤ .

(٦) انظر : نيل الأوطار : ٦٣/٣ .

(٧) انظر : شرح المذهب : ٥٢٧/٣ .

(٨) انظر : ميزان الاعتدال : ٤٣٠/٤ .

(٩) ص ٤٥٣ .

فرواية يزيد بن خصيفة غريبة وشاذة مع صحته كما زعم به النووي (١) . لأنها تخالف روايات الثقات لأن ابن خصيفة ومحمد بن يوسف كلاهما ثقان يرويان عن السائب بن يزيد ، فالأول يقول في روايته « إحدى وعشرون » ، والثاني « إحدى عشرة ركعة » ، فيرجح القول الثاني لأنه أوثق من صاحبه ، لذا اقتصر الحافظ في وصف يزيد بن خصيفة في التقريب بقوله : « ثقة » بينما قال في وصف محمد بن يوسف « ثقة ثبت » وأيضاً محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد فلأجل قرابته للسائب يكون أعرف الناس في حديث السائب من غيره .

هذه هي خلاصة الخلاف بين يزيد بن خصيفة ومحمد بن يوسف ، وقد حمل بعض علماء الحنفية على علماء أهل الحديث فنسبوا إليهم القول بتضعيف يزيد بن خصيفة معتمدين على قول أحمد فرموهم بالجهل والتعصب ، والحق أن علماء أهل الحديث لم يضعفوا يزيد بن خصيفة ، بل رجحوا رواية محمد بن يوسف على روايته للأسباب التي مر ذكرها .

فلم ينجح في محاولة من أراد تقديم حديث يزيد بن خصيفة أو تصحيحه كما يظهر هذا جلياً من قول الشيخ اللكنوي في « الرفع والتكميل » ، ومنه الدكتور نور الدين عتر في « منهج النقد في علم الحديث » في باب « منكر الحديث » ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

٤ - روى مالك في الموطأ (٢) عن يزيد بن رومان أنه قال : كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب بثلاث وعشرين ركعة « إلا أن فيه انقطاعاً ، فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه توفي سنة ثلاثين ومائة فلم يلق إلا صغار الصحابة كابن الزبير ، وأنس ، وعبيد الله ، وسالم ، ابني عبد الله بن عمر ، ولم يذكر الحافظ في « التهذيب » ، ولا السيوطي في « اسعاف المبطل برجال الموطأ » أنه التقى بعمر بن الخطاب .

وقد نص الزيلعي (٣) بأنه لم يدرك عمر بن الخطاب ، وقال العيني (٤) : سنده منقطع .

٥ - روى ابن أبي شيبعة عن وكيع ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة (٥) ، ويحيى بن سعيد لم يدرك عمر بن الخطاب فقد قال ابن المديني : لا أعلمه سمع من صحابي غير أنس (٦) .

(١) شرح التهذيب : ٥٢٧/٣ .

(٢) الموطأ : ١٠٥/٨ مع التنوير .

(٣) نصب الراية : ١٥٤/٢ .

(٤) انظر : عمدة القاري : ١٢٦/١ .

(٥) المصنف : ٣٩٣/٢ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٢٢٣/٨١ .

٦ - وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن عبد العزيز بن رفيع قال : كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ويوتر بثلاث (١) .  
وعبد العزيز بن رفيع لم يدرك أبي بن كعب ، فإنه توفي سنة ( ١٩ هـ ) ، أو سنة ( ٣٢ هـ ) ، وعبد العزيز توفي سنة مائة وثلاثين على أنه لم يذكر أى واحد في ترجمته أنه روى عن أبي بن كعب ، إنما يروى عن صغار الصحابة وكبار التابعين (٢) .

٧ - وروى محمد بن نصر المروزي في قيام الليل قال : قال الأعمش : كان ابن مسعود يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث ، إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود .  
٨ - وروى البيهقي (٣) عن أبي الحسن أن علي بن أبي طالب أمر رجلاً أن يصلي بالناس خمس ترويحات ، عشرين ركعة . قال البيهقي : وفي هذا الاسناد ضعف . انتهى .

أقول : لأن فيه أبا الحسن وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب (٤) .

٩ - وروى البيهقي من وجه آخر من طريق حماد بن شعيب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي قال : دعا القراء في رمضان فأمر منهم رجلاً يصلي بالناس عشرين ركعة وكان يوتر بهم ، وفيه حماد بن شعيب ضعيف ، ضعفه ابن معين وغيره (٥) ، وقال البخاري : فيه نظر (٦) .

وقد ذكرت آثار غير هذه ولكن يظهر من دراستها أنها لا تخلو من ضعف ، فإن الآثار الصحيحة عن عمر بن الخطاب تدل على أنه أمر أبي بن كعب أن يصلي بالناس ثمانين ركعات وهي موافقة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ما زاد على هذه فهي كلها ضعيفة ، أو مقطوعة غير صحيحة .

١٠ - وروى أبو داود في سننه عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ليلة ، ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي . فإذا كانت العشر الأواخر تخلف فصلى في بيته ، فكانوا يقولون : ابق أبي (٧) ، وبطريقه رواه البيهقي (٨) ، وكذا ذكره الزيلعي (٩) عن أبي داود ، بأن أبا صلي بهم عشرين ليلة .

(١) المصنف : ٣٩٣/٢ .  
(٢) راجع ترجمتهما في تهذيب التهذيب ، وتهذيب الكمال .  
(٣) السنن الكبرى : ٤٩٧/٣ .  
(٤) التقريب : ٤١٣/٣ .  
(٥) انظر : الجرح والتعديل ، ١٤٢/٢٨ .  
(٦) التاريخ الكبير : ٢٥٨/٢ .  
(٧) أبو داود : ١٣٦/٢ - باب القنوت في الوتر .  
(٨) السنن الكبرى : ٤٩٨/٣ .  
(٩) انظر : نصب الراية : ١٢٦/٢ .

ثم تعمد بعض من لا أمانة له ولا ديانة ، فأثبت في حاشية بعض نسخ أبي داود المطبوعة في الديار الهندية بأنه توجد في نسخ أخرى : عشرين ركعة بدلاً من عشرين ليلة . وظهر ذلك أول مرة في حاشية الشيخ محمود الحسن على سنن أبي داود وهو إمام الحنفيين في جامعة دار العلوم بديوبند ، ثم جاءت خطوة أخرى فأثبتوا في المتن ( عشرين ركعة ) وقالوا في الحاشية « وفي نسخة عشرين ليلة » وذلك في شرح فخر الحسن على سنن أبي داود .

وأمامي الآن نسخة بذل المجهود المطبوعة في لبنان على طبع الهندية ، وفي هامشها « في نسخة بدله ركعة » ، كذا في نسخة مقروءة على الشيخ مولانا محمد إسحاق رحمه الله تعالى ( ١ ) .

ثم هذا السند الذي ساقه أبو داود فيه انقطاع لأن الحسن البصري لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه ولد في سنة إحدى وعشرين ، ومات عمر في أواخر سنة ثلاث وعشرين أو في أوائل المحرم سنة أربع وعشرين .

١١ - وعند مالك رواية أخرى عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول : ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان قال : وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات ، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف .  
قال ابن عبد البر : أدرك الأعرج جماعة من الصحابة وكبار التابعين .  
وأما داود بن الحصين فهو أبو سليمان المدني الأموي مولاهم ، وثقه ابن معين ، وضعفه أبو حاتم وقال : لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه ( ٢ ) .

قال الحافظ بعد ذكر هذه الروايات وغيرها : قال ابن إسحاق : وهذا أثبت ما سمعت في ذلك ( يعني به رواية محمد بن يوسف ، عن جده السائب بن يزيد قال : كنا نصلي زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة ) وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ( ٣ ) .

وهذا الذي نرجحه لأنه يوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم . والمسألة فيها خيار ، كما قال الإمام الشافعي : رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين ، وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق ، وعنه قال : إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن ، والأول أحب إلي .

( ١ ) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود ، ٢٥٢٧ .

( ٢ ) انظر : الجرح والتعديل ، ٤٠٩/٢٨ .

( ٣ ) انظر : فتح الباري ، ٢٥٤/٤ .

**القول الثالث :** وهو قول الإمام مالك بأن صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة .  
وجد أهل المدينة على ذلك : وقيل : ثمان وثلاثون ، فقد روى محمد بن نصر المروزي ، عن  
ابن أيمن ، عن مالك هكذا ، وقال مالك : وعلى هذا العمل منذ بضع ومائة سنة ، ثم يقول  
مالك : وليس في شيء من ذلك ضيق .

فكان يرى أن الأمر موكول إلى المصلي فهو يختار العدد المناسب حسب نشاطه ، وقد  
قال الترمذي في سننه : أكثر ما قيل أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة - يعني بالوتر - .  
ولكن نقل ابن عبد البر : عن الأسود بن يزيد : تصلى أربعين ويوتر بسبع .  
وسبب اختيار أهل المدينة ستا وثلاثين ركعة أن أهل مكة كانوا يطوفون بين كل  
ترويحتين طوافا ويصلون ركعتين ، ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة  
مساواتهم فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات فزادوا ست عشرة ركعة فصار المجموع ستا  
وثلاثين ركعة . ذكره النووي (١) وغيره . والحمد لله رب العالمين .

المنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار .  
والمنتقل من معصية إلى معصية ، كالمنتقل من دين باطل إلى دين  
باطل .

(ابن تيمية)

المعاصي سبب المصائب ، والطاعة سبب النعمة ، وإحسان العمل  
سبب لإحسان الله .

(ابن تيمية)

(١) انظر : شرح المهذب : ٥٢٧/٣ .

# حَدِيثُ تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ

للسَّيِّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ مَرادٍ  
أستاذ مشارك بكلية الشريعة

قال الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني : حدثنا وهب بن بقية عن خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .

إسناد الحديث : وهب بن بقية شيخ أبي داود هو وهب بن بقية بن عثمان أبو محمد الواسطي ويقال له : وهبان ، ثقة من العاشرة روى عنه : مسلم وأبو داود والنسائي وخلق ، ومات سنة تسع وثلاثين ومائتين ( ٢٣٩ هـ ) .

وخالد : هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان أبو الهيثم ويقال أيضاً أبو محمد المازني مولاهم ، ثقة ثبت من الثامنة روى له الجماعة ، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة ( ١٨٢ هـ ) .

ومحمد بن عمرو : هو محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني ، صدوق له أوهام من السادسة روى له الأربعة والبخاري مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات ومات سنة خمس وأربعين ومائة ( ١٤٥ هـ ) .

وأبو سلمة : هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قيل اسمه : عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكث من الثالثة روى له الجماعة ومات سنة أربع وتسعين ( ٩٤ هـ ) .

وأبو هريرة : هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة الدوسي اليماني رضى الله عنه حافظ الصحابة . اختلف في اسمه اختلافا كثيرا وكان اسمه في الجاهلية : عبد شمس ومات سنة سبع وخمسين ( ٥٧ هـ ) .

قال ابن اسحاق في مغازيه : حدثني بعض أصحاب أبي هريرة أنه قال : كان اسمي في الجاهلية : عبد شمس بن صخر فسميت في الإسلام : عبد الرحمن . رواه الحاكم في مستدرکه (١) .

**تخريج الحديث :** أخرج حديث أبي هريرة هذا : الترمذي في باب افتراق الأمة . وابن ماجة مختصراً في باب افتراق الأمم . وابن حبان في صحيحه . والحاكم في مستدركه . وأحمد بن حنبل في مسنده . والآجری في الشريعة . وأبو يعلى في مسنده . من طرق كلها عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً .  
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .  
قلت : والترمذي والحاكم رحمهما الله معروف تساهلها في التصحيح ومحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق ولكن لم يكن من أهل الضبط والاتقان فحديثه حسن وسبق أن البخاري روى له مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات .

**وحديث افتراق الأمة روى عن جماعة من الصحابة منهم :** معاوية بن أبي سفيان وعوف بن مالك وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو .  
أما حديث معاوية رضي الله عنه فأخرجه أبو داؤد والحاكم وأحمد بن حنبل بسند جيد ولفظه عند أبي داؤد : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة .

وفي رواية له : وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .  
وأما حديث عوف بن مالك رضي الله عنه فأخرجه ابن ماجة في باب افتراق الأمم بسند جيد ولفظه : افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة .  
والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار . قيل يارسول الله من هم ؟ قال : الجماعة .

وأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فأخرجه ابن ماجة بلفظ : إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة .

وفي إسناده : أبو عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف .  
وأما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فأخرجه الترمذي والحاكم ولفظه عند الحاكم : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله .



وإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة ف قيل ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي .  
وفي رواية الترمذي: وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة .  
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف فتحسين الترمذي للحديث لاعتضاده بما روى في الباب من أحاديث .

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله في تهذيب السنن: حديث أنس رواه أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يزيد الرقاشي ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الله ابن غزوان عن عمرو بن سعد عن يزيد الرقاشي .

قلت: يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف وعبد الله بن غزوان وشيخه عمرو بن سعد مجهولان . كذا في الميزان .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة بعد ما نقل قول الحاكم في مقدمة مستدركه: إنه حديث كبير الأصول وقد روى عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك .

قال: وروى عن أنس بن مالك وجابر وأبي أمامة وعلي وعمرو بن عوف وعويمر أبي الدرداء ومعاوية بن أبي سفيان ووائلة بن الأسقع كما بينتها في كتابي الفرق .  
**شرح الحديث:** افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة الخ . هذا شك من الراوى وقد ورد ذلك في حديث معاوية وحديث عبد الله بن عمرو من غير شك وقد تقدما .

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، هذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب وقع كما قال .

والمعنى أن الأمة تفترق فرقا تتدين كل فرقة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى .  
والمراد من ( أمتي ) أمة الإجابة .

وليس المراد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه وإنما المقصود بالذم من خالف أهل الحق في التوحيد والقضاء والقدر وشروط النبوة والرسالة وموالات الصحابة وما جرى مجرى ذلك لأن المختلفين في هذه الأمور يكفر بعضهم بعضاً بخلاف الفروع الفقهية فإنهم مختلفون فيها من تكفير ولا تفسيق للمخالف فيها .

فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف (١) .

قلت وإلى ذلك يومئى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاوية : وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب (٢) بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

وفيه إشارة أيضاً إلى أن الأهواء والبذع إذا تمكنت من النفس واستحكمت بها فصاحبها على خطر عظيم قد لا يوفق للتوبة منها كما أن داء الكلب إذا تمكن من صاحبه واستحكمت به فهو على خطر من الهلاك قد لا يشفى منه .

قال الخطابي في معالم السنن : في الحديث دليل على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم من أمته .

وفيه دليل على أن المتأول لا يخرج عن الملة وإن أخطأ في تأويله . اهـ .

قلت : وفي الجهمية قولان للعلماء هل هم من أهل القبلة أم لا ؟ وممن قال إن الجهمية ليسوا من فرق الأمة : عبد الله بن مبارك ويوسف بن أسباط (٣) .

وجاء في حديث غير أبي هريرة في فرق الأمة ، زيادة : كلها في النار إلا واحدة كحديث أنس بن مالك ومعاوية وعوف بن مالك وعبد الله بن عمرو وغيرهم .

والحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره ولذا قال الحاكم بعدما ساق حديث معاوية في ١٢٨٨ : هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي .

وأما ما قاله الشوكاني في فتح القدير ٥٦٢ : أما زيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فقد ضعفها جماعة من المحدثين بل قال ابن حزم : إنها موضوعة .

وكذلك ما نقله زاهد الكوثري عن ابن الوزير أنه قال في كتابه : العواصم والقواصم : إياك أن تغتر .

بزيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فإنها فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة وقد قال ابن حزم : إن هذا الحديث لا يصح .

(١) الفرق بين الفرق للبيهقي ص ٩ .

(٢) الكلب : بفتح الكاف . داء يصيب الكلب بجنون . وعلامته أن تحمر عيناه . وإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك

أعراض رديئة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية .

فقد تولى الإجابة عن ذلك محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة بما ملخصه :

ولا أدري من الذين أشار إليهم الشوكاني بقوله : فقد ضعفها جماعة ، ؟ فإنني لا أعلم أحداً من المحدثين ضعف هذه الزيادة بل إن الجماعة قد صححوها وقد سبق ذكر أسمائهم .

وأما ابن حزم فقد راجعت كتابه الفصل في الملل والنحل وقلبت مظانه فلم أعثر عليه ثم إن النقل عنه مختلف فابن الوزير قال عنه : إن الحديث لا يصح والشوكاني قال عنه : إنها موضوعة ، وشتان ما بين النقلين .

فإن صح عنه ذلك فابن حزم رحمه الله معروف عند أهل العلم بتشده في النقد فلا ينبغي أن يحتج بقوله عند تفرده فكيف إذا خالف جماعة المحدثين ؟  
وأما ابن الوزير فقد صحح حديث معاوية في كتابه القيم : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ص ٢٦٢ .

وقد روى حديث افتراق الأمة مقلوب السند والمتن بلفظ : تفرق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا واحدة . قالوا يارسول الله من هم ؟ قال : الزنادقة وهي القدرية . أخرجه العقيلي وابن عدى .

قال أهل العلم : هذا الحديث وضعه الأبرد بن أشرس وسرقه يسين الزيات فقلب إسناده وخط والمعروف بلفظ : كلها في النار إلا واحدة .

قال في الميزان : قال ابن خزيمة : أبرد بن أشرس كذاب وضاع ويسين بن معاذ الزيات قال ابن حبان : يروى الموضوعات وقال البخاري : منكر الحديث .  
وقد أشكل حديث افتراق الأمة على بعض الناس من جهة معناه .

والإشكال في قوله : كلها في النار إلا واحدة ، ومن المعلوم أن أمته صلى الله عليه وسلم خير الأمم والمرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود كما جاء ذلك في الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟

وقد أجاب عن ذلك الشيخ صالح بن مهدي المقبل في كتابه : العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشائخ ص ٤١٤ .

بما ملخصه : إن الناس عامة وخاصة فالعامة آخرهم كأولهم مثل النساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليسوا من أمر الخاصة في شيء فلا شك في براءة هؤلاء من الابتداء .

وأما الخاصة فمنهم مبتدع أحدث البدعة واتخذها ديناً وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلاً يرد إليه نصوص الكتاب والسنة . ثم تبعه قوم من نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها ولكنه إمامهم المقدم . وهؤلاء هم المبتدعة حقاً .  
ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه في نفسه راجع إلى الحق وقد دس تلك الأبحاث نقوضها في مواضع على وجه خفي . ولعل هذا تخيل مصلحة دنيئة أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية نفسه .  
فهذا عرف الحق من الباطل وتخبط في تصرفاته وحسابه على الله إما أن يحشره مع من أحب بظاهره أو يقبل عذره .

وما تكاد تجد أحداً من هؤلاء النظار وأهل الكلام إلا وقد فعل ذلك .  
ومن الناس من ليس من أهل التحقيق ولا هيبىء للهجوم على الحقائق وقد تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الأبحاث وحفظ كثيراً من غناء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حجاب .  
وهؤلاء الأكثرون عدداً والأردلون قدراً فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة .

فالقسم الأول مبتدع قطعاً والثاني ظاهر الابتداع والثالث له حكم الابتداع .  
وإذا حققت ما ذكرنا لك لم يلزمك السؤال المحذور وهو هلاك معظم الأمة لأن الأكثر عدداً قديماً وحديثاً هم العامة . وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة .  
ولعل القسمين الأوسطين وكذلك من خفت بدعته من القسم الأول تنقذهم رحمة ربك من الانتظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية . ورحمة ربك أوسع بكل مسلم . اهـ .

**أصول فرق أهل الأهواء :**

أصول فرق أهل الأهواء والبدع ثمانية :

الأول المعتزلة : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم عشرون

فرقة .

والثاني الشيعة الشنيعة : وهم اثنتان وعشرون فرقة ترجع في الأصل إلى ثلاث

فرق : الغالية والإمامية وهم الرافضة والزيدية .

والثالث الخوارج : ويسمون الحرورية والنواصب والشراة بضم الشين وهم عشرون

فرقة .

**والرابع المرجئة :** والإرجاء له معنيان :

أ - التأخير ، تقول : أرجأت الأمر إذا أخرته .

ب - إعطاء الرجاء ، تقول : أرجيت فلاناً إذا أعطيته الرجاء .

والهمزة على الأول أصلية وعلى الثاني منقلبة عن حرف العلة .

وتسمية الجماعة مرجئة على المعنى الأول صحيح لأنهم يؤخرون العمل عن النية وعقد القلب لقولهم : إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبما جاءت به من عند الله فقط والعمل ليس بإيمان . وتسميتهم مرجئة على المعنى الثاني واضح لقولهم : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . فقد أعطوا المؤمن العاصي الرجاء في ثواب الله . والمرجئة خمس فرق .

**والخامس النجارية :** ويسمون الحسينية أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن

عبد الله النجار ، وافقوا أهل السنة في خلق أفعال العباد ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات . وهم

ثلاث فرق .

**والسادس الجبرية :** وهم الجهمية في الصفات أتباع جهم بن صفوان السمرقندي .

والجبرية لا تثبت للعبد قدرة ولا فعلاً وتقول : نسبة الأفعال إلى العبد مجاز والفاعل حقيقة هو

الله تعالى . وهم فرقة واحدة .

**والسابع المشبهة :** وهم غلاة المثبة الذين شبهوا الخالق بال مخلوق حكى عن بعضهم

أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية وأسألوا عما وراء ذلك . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً

كبيراً . والمشبهة فرقة واحدة .

فهذه اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة الملتزمون أتباع

سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في القليل والكثير .

واعلم أن افتراق الأمة واختلافها في أصول العقيدة قد حدثت بعد انتقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من

معبد الجهني وأتباعه ثم شيئاً بعد شيء إلى أن تكاثرت الفرقة الضالة .

وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم الطريق التي يسير عليها المؤمن ووضع صلى الله

عليه وسلم الميزان الصحيح الذي تعرض عليه المعتقدات ليبين صحيحها من مفسادها فما خالف

منها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فهو مردود على صاحبه

غير مقبول منه .

وذلك يقتضي من كل مؤمن أن لا يآبه لما تزعمه كل فرقة وتدعيها لنفسها من أنها الناجية ومن عداها هالك .

فما من فرقة حتى الذين ألهوا البشر إلا وتتبجح بأنها على الحق .  
فاعرض يا أخي المؤمن كل ما تسمع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافقهما فهو الحق الذي يجب أن تعض عليه بالنواجذ ولا تفارقه إلى أن تلقي ربك سبحانه . اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه إنك ولي ذلك والقدير عليه .

وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه الى يوم الدين .

## العلم والمال

كان على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول :  
العلم خير من المال ، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك ، والمال تفنيه النفقة  
والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ...  
مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم  
مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة ...

# مَكَانَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَمَا تُرْتَمُّ وَأَثَارُهُمُ الْحَمِيدَةُ فِي الدِّينِ

للدكتور ربيع هادي مدظلهم  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد - فإن الله بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وإن أسعد الناس بهديه واتباعه وحببه ومولاته ونصرة ما جاء به من الحق هم صحابته الكرام ومن اتبعهم بإحسان من القرون المفضلة . ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم إلى يوم الدين .

ثم إن من يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفرق المنتسبة إلى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدرس مناهجهم وعقائدهم وأفكارهم بانصاف وفهم وتجرد يجد أن أهل الحديث هم أشد الناس اتباعاً وطاعة وتعلقاً وارتباطاً بما جاءهم به نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - كتاباً وسنة في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ودعوتهم واستدلالهم واحتجاجهم وهم على غاية من الثقة والطمأنينة بأن هذا هو المنهج الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الطريق السليم والصراط المستقيم .

وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمر لم يشرعه الله ولم يرض به ولا يؤدي إلا إلى الهلاك والعطب .

فمن هم أهل الحديث إذا ؟

هم من نهج نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة والعض عليهما بالنواجذ وتقديمهما على كل قول وهدى سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع .

فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكل جد وصدق وعزم . وهم الذين يحملون العلم النبوي وينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

فهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج الإسلامي ، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، وكل من شذ عن منهج الله واتبع هواه في كل زمان ومكان لا تأخذهم في الله لومة لائم .

هم الطائفة التي مدحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزكاها بقوله : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، الذين ميزهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحددهم عندما ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ف قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي .

لا نقول ذلك مبالغة ولا دعاوى مجردة ، وإنما نقول الواقع الذي تشهد له نصوص القرآن والسنة ، ويشهد له التاريخ وتشهد به أقوالهم وأحوالهم ومؤلفاتهم .

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى : ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ) ( آل عمران : ١٠٣ ) .

وقوله : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) ( النور : ٦٣ ) . فكانوا أشد الناس بعداً عن مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأبعدهم عن الفتن .

وهم الذين جعلوا دستورهم ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ) ( النساء : ٦٥ ) .

فقدروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها وعظموها حق تعظيمها فقدموها على أقوال الناس جميعاً وقدموا هديها على هدى الناس جميعاً واحتكموا إليها في كل شأن عن رضى كامل وصدور منشرحة بلا ضيق ولا حرج وسلموا لله ولرسوله التسليم الكامل في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم .



هم الذين يصدق فيهم قول الله : ( انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون )  
(النور : ٥١) .

هم بعد صحابة رسول الله جميعا وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون هم سادة التابعين وعلى رأسهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن الحنفية وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق والحسن البصري ومحمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز ومحمد ابن شهاب الزهري ثم اتباع التابعين وعلى رأسهم مالك والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عينة وإسماعيل بن علية والليث بن سعد وأبو حنيفة النعمان .  
ثم اتباع هؤلاء وعلى رأسهم عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والإمام محمد بن أدريس الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وعفان بن مسلم .  
ثم تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني .  
ثم تلاميذهم كالبخاري ومسلم وأبي حاتم وأبي زرعة وأبي داود والترمذي والنسائي .

ثم من جرى مجراهم في الأجيال بعدهم كابن جرير وابن خزيمة والدارقطني في زمنه والخطيب البغدادي وابن عبد البر النمري .  
وعبد الغني المقدسي وابن قدامة وابن الصلاح وابن تيمية والمزى والذهبي وابن كثير واقران هؤلاء في عصوهم ومن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة الى يومنا هذا .  
هؤلاء الذين أعنى بهم أهل الحديث .

### جهودهم في خدمة السنة عموماً :

لقد شرف الله أهل الحديث وأكرمهم بحب السنة النبوية المطهرة واحترامها والأهتمام بها ، واعتبارها مع القرآن مصدراً وحيداً لتعاليم الإسلام العقائدية والتشريعية في العبادات والمعاملات وسائر جوانب الحياة فشمروا عن ساعد الجد في حفظها والحفاظ عليها وتدوينها والرحلات الطويلة الشاقة في سبيلها وتمييز صحيحها من سقيمها .

وتدوين أسماء رواياتها وبيان أحوالهم من عدالة وضبط واتقان أو ضعف وكذب وتدليس وغير ذلك من أحوالهم من أنواع الجرح والتعديل مما يتعلق بالأسانيد والمتون بدون مجاملة

لأحد لا تأخذهم في الله لومة لائم وتلك ميزة خاصة لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم -  
امتازت بها على سائر الأمم حققها الله على أيدي أئمة أهل الحديث الذين أبدوا من الكفاءات  
العلمية المدهشة ما لا يلحقهم ولا يدانيهم فيها أهل أي علم من العلوم .  
وبرهنت أعمالهم وجهودهم وما خلفوه من تراث عظيم على عبقریات عظيمة وقرائح  
متوقدة وعقول خصبة قادرة على تشقيق علوم الحديث وتنويعها إلى حد تحار فيه الألباب .

من هذا الانتاج العظيم أنواع المؤلفات الآتي ذكرها :

- ١ - الجوامع .
- ٢ - المسانيد .
- ٣ - والصحاح .
- ٤ - السنن .
- ٥ - المستخرجات .
- ٦ - كتب مفردة في أبواب مخصوصة .
- ككتب في رؤية الله في الآخرة وكتب في الإخلاص والتوحيد . والظهور والسواك  
والأذان وصفة الصلاة .
- ٧ - كتب مفردة في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب .
- ٨ - كتب في التفسير .
- ٩ - كتب في المصاحف والقراءات .
- ١٠ - كتب في النسخ والمنسوخ .
- ١١ - كتب في الأحاديث القدسية .
- ١٢ - كتب في المراسيل .
- ١٣ - الأجزاء عندهم تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من  
بعدهم .
- ١٤ - الفوائد .
- ١٥ - الوجدانيات .
- ١٦ - الشائيات والثلاثيات إلى العشاريات .
- ١٧ - كتب في الشمائل والسير والمغازي .
- ١٨ - كتب في أحاديث شيوخ مخصوصين .
- ١٩ - كتب في جمع طرق بعض الأحاديث .

- ٢٠ - كتب في رواية بعض الأئمة أو في غرائب حديثهم .
- ٢١ - كتب في الأحاديث الأفراد .
- ٢٢ - كتب في المتفق والمفترق وفي المؤلف والمختلف . وكتب في المتشابه .
- ٢٣ - كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب .
- ٢٤ - كتب في مبهم الأسانيد أو المتون .
- ٢٥ - كتب في الأنساب .
- ٢٦ - كتب في معرفة الصحابة .
- ٢٧ - كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم .
- ٢٨ - كتب المعاجم .
- ٢٩ - كتب الطبقات .
- ٣٠ - كتب في علوم الحديث أى مصطلحه .
- ٣١ - كتب في الضعفاء وكتب في الثقات وكتب فيهما .
- ٣٢ - كتب في العلل .
- ٣٣ - كتب في الموضوعات .
- ٣٤ - كتب في بيان غريب الحديث .
- ٣٥ - كتب في اختلاف الحديث .
- ٣٦ - كتب في الأمالى .
- ٣٧ - كتب في رواية الأكابر عن الأصاغر .
- ٣٨ - كتب في أدب الرواية .
- ٣٩ - كتب في العوالي .
- ٤٠ - كتب في الأطراف أى أطراف الأحاديث .
- ٤١ - كتب في الزوائد .
- ٤٢ - كتب في الجمع بين بعض الكتب الحديثية .

فهذه هي بعض المجالات التي كان يخوضها علماء الحديث والأثر تأليفاً ودراسة وهو يدل على همم عالية وعقول متفتحة خصبة واسعة الأفاق وإذا كان يحق للأمة أن ترفع رؤوسها وتعتز بأسلافها فبهؤلاء العباقرة وبعلمهم الواسعة النافعة وعقولهم النيرة المتفتحة ، في الوقت الذي كان غيرهم ولا يزال يبذلون جهودهم في الحجر على العقول ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدي إلى الهلاك والضياع والفناء .

جهودهم الخاصة بالعقيدة والدعوة الى الكتاب والسنة والتثبيت عليهما والدفاع عنهما :

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن سلك منهجهم واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، مؤمنين إيماناً كاملاً بما جاء في كتاب الله المجيد وسنة رسوله المطهرة في باب أسماء الله وصفاته المقدسة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل وكذلك في الإيمان بالقدر والجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه وسائر المعتقدات التي حصل فيها الإنحراف من بعض الفرق والله الخالق العليم الحكيم - قد فطر الناس وأعدهم وهياهم وأعطاهم عقولاً تناسب الحق وتوافقه وانزل اليهم كتباً تتضمن من العقائد والشرائع ما يوافق العقول السليمة والفطر الصحيحة التي سلمت من الإنحراف والفساد . فيتلقي حواريو الأنبياء ومن ورثهم بحق واتبعهم بإحسان ما جاء به الرسل والكتب بالإيمان والتسليم .

وهذا كان موقف الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان .

ولما ذرت قرون شياطين البدع وقفوا لهم بالمرصاد فضللوهم وبدعوهم وكفروا من يستحق التكفير وقتلوا بعض رؤساء البدع والفتن والزندقة ثم ردوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم على أهل البدع وبينوا خطرها وضررها على الإسلام والمسلمين .

وثبتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم وبينوا لهم أن الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ومنازمة الأهواء وأهلها . إيماناً منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الإيمان به واعتقاده كفيلاً بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة . وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتها فاستناداً إلى ما جاء في الكتاب والسنة من وجوب اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطاعته والانقياد له وإيجاب رد ما تنازع الناس فيه إلى الله والرسول والوعيد الشديد لمن خالف هذا المنهج وشرع في الدين ما لم يأذن به الله .

ومن تحذير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البدع وذمه لها وحكمه على كل بدعة أنها ضلالة وأنها مردودة لا يقبلها الله .

قام من لحقتهم هذه الفتن من الصحابة بقمع أهلها والرد عليهم فقام علي - رضي الله عنه - بقتل الخوارج وروى هو وغيره من الصحابة عن رسول الله ما يحض على قتلهم وأنه من أفضل ما يقرب إلى الله .

واحرق غلاة الشيعة بالنار حينما غلوا فيه ورفعوه إلى درجة الألوهية .

ولما بلغ عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن قوماً ينفون القدر وأن الأمر عندهم أنف قال لمن أخبره بهم : « إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني برىء منهم وأنهم مني برآء والذي

نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل احد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .

وسئل مالك عن يقول « القرآن مخلوق ، قال : هو عندي كافر فأقتلوه . وعن ابن المبارك والليث بن سعد وابن عيينة وهشيم وعلي بن عاصم وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح مثله (١) » ومثله عن النووي ووهب بن جرير ويزيد بن هارون (٢) . وقيل لعبد الرحمن بن مهدي : إن الجهمية يقولون : إن القرآن مخلوق .

فقال : « إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى » وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله أرى أن يستتابوا والا ضربت أعناقهم (٣) .

وقال الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي : « لما كلم حفص الفرد الشافعي فقال حفص القرآن مخلوق فقال له الشافعي - رضي الله عنه - « كفرت بالله العظيم (٤) » . وسئل مالك عن الاستواء فقال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك الا صاحب بدعة وأمر به فأخرج وكان يقول : إن الله في السماء . وأخرج رجلاً من حلقتة لأنه مرجىء .

وقال سعيد بن عامر : « الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى . قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا هم : ليس على العرش شيئاً » (٥) .

وقال ابن المبارك لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى .

وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟

قال : فوق سماواته على عرشه ... وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية (٦) .

وقال البخارى : « نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم وإنني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم (٧) » .

(١) شرح السنة للبخارى (١/١٨٧) .

(٢) خلق أفعال العباد ص ١١٩ تحقيق على سامي النشار .

(٣ ، ٤) شرح السنة للبخارى (١/١٨٧) .

(٥ ، ٦) خلق أفعال العباد ص ١٢٠ .

(٧) خلق أفعال العباد ص ١٢٢ .

ونقل الإمام البخاري أقوال كثير من الأئمة في تضليل وتكفير الجهمية في انكارهم ان الله في السماء وفي قولهم ان القرآن مخلوق . ( راجع خلق أفعال العباد له ) .  
وخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء .

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة ، فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر فنثبت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : « ليس كمثل شيء » ( انظر فتح الباري ( ٤٠٦/١٣ - ٤٠٧ ) .

وروى الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفي سنة ٢٧٩ في جامعه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - « أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل احد » .  
وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وروي عن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا ثم قال : « وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف ؟

هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث امرها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا : إن معنى اليد هاهنا القوة .  
وقال إسحاق بن إبراهيم إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو سمع كسمع أو مثل سمع ، فإذا قال : سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه .

وإما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً .

وهو كما قال الله تعالى : في كتابه : ليس كمثل شئء وهو السميع البصير « ( الترمذي كتاب الزكاة عقب حديث ٦٦٢ ج ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبي ) .

وروى أيضا حديث الحسن البصري عن أبي هريرة مرفوعاً في السماوات والمسافات بينها وإن العرش فوقها وذكر الأرضين والمسافات بينها ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه . ثم اثبت استواء الله على عرشه فقال :

« وهو على العرش كما وصف في كتابه ( ٤٨ - كتاب التفسير حديث ٣٢٩٨ ) ( ٤٠٤/٥ )

طبعة الحلبي .

**أما المؤلفات في نصرة العقيدة والرد على أهل البدع فهي كثيرة لا تحصى نذكر منها ما يأتي :**

ألف الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والحديث المتوفي سنة ٢٤١ هـ : كتاب : **الرد على الجهمية والزنادقة** . وألف كتاب : **السنة** . وألف ابنه عبد الله كتاب : **السنة** .

وألف أبو بكر بن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٥ هـ كتاب : **الإيمان** . وألف الإمام البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ : كتاب : **خلق أفعال العباد** ضمنه الرد على الجهمية المعطلة لصفات الله والقائلين بخلق القرآن .

وضمن كتابه الجامع الصحيح ثلاثة كتب في هذا المجال : كتاب : **الإيمان** وضمنه الرد على المرجئة . وكتاب : **التوحيد** وضمنه الرد على معطلة الجهمية . وكتاب : **الاعتصام** وضمنه وجوب اتباع الكتاب والسنة وضمنه الرد على أهل الرأي المفرقين في القياس والرد على منكري حجية خبر الأحاد .

وألف أبو داود كتابه : **السنن** وأدخل فيه كتاب السنة وضمنه الرد على القدرية والمرجئة والجهمية المعطلة وهو يضع تراجم واضحة بأسماء هذه الفرق كقوله بباب الرد على الجهمية في موضعين من كتاب السنة في الموضوع الأول رد عليهم انكار استواء الله على العرش وفي الموضوع الثاني رد عليهم انكار النزول .

ووضع الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه مقدمة لكتابه **السنن** في اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استغرقت ٩٨ صفحة وضمنها ستة وستين حديثاً ومائتي حديث . وضمنها أبواباً كثيرة من جملتها باب فيما انكرت الجهمية ذكر فيه انكارهم

الرؤية والكلام والاستواء على العرش وساق أحاديث في الرد عليهم وذكر الخوارج وغيرهم من  
المتدعة وعقد باباً في اجتناب الرأي .

• وألف عثمان بن سعيد الدارمي المتوفي سنة ٢٨٠ هـ كتاب : الرد على الجهمية .  
• وكتاب : الرد على بشر المريسي .

• وصنف أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي المتوفي سنة ٢٩٢ هـ كتاب : السنة .

• وصنف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب :  
الشريعة . وكتاب : التصديق بالنظر إلى وجه الله وما أعد لأولياؤه .

• وألف أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشافعي الطبراني صاحب  
التصانيف المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب : السنة .

• وألف الإمام أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب :  
السنة .

• وألف الإمام أبو علي حنبل بن اسحاق الشيباني ابن عم الإمام أحمد بن حنبل  
وتلميذه المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب : السنة .

• وألف الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مؤلف علم أحمد وجامعه  
المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : السنة وهو في ثلاث مجلدات .

• وألف الإمام أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ذو  
التصانيف المتوفى سنة ٣٦٩ هـ كتاب : السنة .

• وألف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني المتوفي سنة ٢٨٧ هـ  
كتاب : السنة .

• وصنف أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين  
الحافظ الكبير ذو التصانيف العجيبة المتوفي سنة ٣٨٥ هـ كتاب : السنة .

• وصنف الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفي سنة ٣٢٤ هـ كتاب :  
الابانة . وكتاب : الموجز على طريقة أهل الحديث في اثبات الصفات وضمنه الرد على

الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل .  
• وألف الإمام الحافظ خشش بن اصرم المتوفي ٢٥٣ هـ كتاب : الاستقامة والرد على

أهل البدع .  
• وألف إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : التوحيد

• واثبات صفات الرب عز وجل .



وألف إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ عقيدة على منهج أهل الحديث وجرى في تفسيره الكبير الشهير على المنهج نفسه .  
وصنف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة الحافظ الرحال المتوفى سنة ٣٠١ هـ كتاب : السنة .

وصنف الإمام أبو بكر أحمد بن اسحاق الشافعي النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٢ هـ المعروف بالصبغي كتاب : الأسماء والصفات . وكتاب : الإيمان بالقدر .  
وألف أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال الأصبهاني المتوفى سنة ٣٤٩ هـ كتاب : السنة .

وألف أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ كتاب : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع .

وصنف الإمام الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ كتاب : الصفات . وكتاب : النزول . وكتاب : الرؤية .  
وألف الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧ هـ كتاب : الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، والإبانة الصغرى ، والسنة .

وألف الإمام الحافظ الجوال صاحب التصانيف الكثيرة محمد بن اسحاق بن يحيى بن مندة المتوفى سنة ٣٩٥ هـ كتاب : التوحيد ، وكتاب الإيمان .

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ كتاب : الحججة في مجلد .

وألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي محدث بغداد المتوفى سنة ٤١٨ هـ كتاب : شرح أصول السنة .

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٣٨ هـ رسالة في اثبات الاستواء والفوقية .

وألف الإمام الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ كتاب : الفاروق في صفات الله . وكتاب : ذم الكلام .

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ كتاب : الحججة في مجلد .

وافتح الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ كتابه : شرح السنة . بكتاب الإيمان من ص ٧ - ٢٣١ ضمنه الأبواب الآتية :

١ - باب الإيمان بالقدر . ٢ - باب وعيد القدرية . ٣ - باب الرد على

الجهمية . ٤ - باب الرد على من قال بخلق القرآن . ٥ - باب الاعتصام بالكتاب والسنة . ٦ - باب رد البدع والأهواء . ٧ - باب مجانبة أهل الأهواء . ونهج في كتابه التفسير نهج أهل الحديث والسنة في اثبات الصفات ومخالفة أهل الأهواء في ذلك .

وألف العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب شيخ الإسلام الهروي المتوفي سنة ٥٣٢ هـ عقيدة على منهج السلف .  
وألف الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني المتوفي سنة ٥٣٥ هـ كتاب : الحجة في بيان المحجة على منهج أهل الحديث .

وألف الإمام الحافظ محدث الإسلام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الحنبلي صاحب التصانيف المتوفي سنة ٦٠٠ هـ كتاباً في الصفات في جزئين تذكرة الحفاظ / ١٣٧٤/٤ .

وألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية - رحمه الله - المتوفي سنة ٧٢٨ هـ عدداً من الكتب في : العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، كالعقيدة الواسطية ، والعقيدة الحموية ، والعقيدة التدمرية ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ومنهاج السنة ، والرد على البكري ، والرد على الاخنائي ، والفتاوى ، وكلها تهدف إلى العودة بالأمة الإسلامية إلى الكتاب والسنة وإلى منهج السلف الصالح .

وألف تلميذه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية - رحمه الله - المتوفي سنة ٧٥١ هـ كتاب : الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله ، وكتاب : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطله والجهمية .  
والقصيدة النونية في مجال العقيدة . وأعلام الموقعين في باب الاعتصام بالسنة .

وألف الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ كتاب : العلو للعلي الغفار جمع فيه نصوص الكتاب والسنة في علو الله وما بلغه من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأتباعهم إلى عصره .  
وألف العلامة القاضي صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي المتوفي سنة ٧٩٢ هـ رسالة سماها الاتباع موضوعها وجوب اتباع السنة كما شرح

العقيدة الصحاوية على منهج أهل الحديث في الصفات والقرآن والقدر وغيرها من العقائد الإسلامية .

ثم كانت حركات الدعوة إلى الكتاب والسنة وتصحيح العقائد ومحاربة البدع في العالم الإسلامي . كحركة الصنعاني والشوكاني في اليمن .

وحركة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وحركة أهل الحديث في الهند امتداداً لدعوة أهل الحديث ومنهجهم وهي لا تزال قائمة إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة » .

• • • • •

### يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء

عن عبد الرزاق ، قال :

سمعت سفيان الثوري يقول لرجل من العرب :

« ويحكم ، اطلبوا العلم ، فإنني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم ، فتذلون ... »

اطلبوا العلم ، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة «

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه ، قال :

« يرزق الله العلم السعداء ، ويحرمه الأشقياء » .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه :

« يا بني ، تعلموا العلم ، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً ، وإن افتقرتم كان لكم مآلاً »

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول :

« زيادة العلم : الابتغاء ، ودرك العلم : السؤال ... فتعلم ما جهلت ، واعمل

بما عملت » ...

( جامع بيان العلم وفضله )

قال رسول الله ﷺ :

« لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن  
من رجل بأرض فلاة دوية مهلكة ومعه  
راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنزل عنها  
فنام وراحلته عند رأسه فاستيقظ وقد  
ذهبت ، فذهب في طلبها فلم يقدر عليها  
حتى أدركه الموت من العطش ، فقال :  
والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلي ،  
فرجع فنام ، فاستيقظ ، فإذا راحلته عند  
رأسه ، فقال : اللهم أنت عبدى وأنا  
ربك ، أخطأ من شدة الفرح »  
متفق عليه .

العقيدة



## بَيَانُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَسْتِوَاءِ وَسَائِرِ الصِّفَاتِ

لِسَمَاعَةَ شَيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ  
الرَّئِيسِ لِعَامِ الْإِسْلَامِ بِمَجْمُوعَةِ الْعِلْمِ وَالْإِفْتَاءِ وَالرَّعْوَةِ وَالْمُتَلَدِّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد :

فقد اطلعت أخيراً على ما نشر في مجلة البلاغ بعددها رقم ٦٣٧ من اجابة الشيخ أحمد محمود دهلوب على السؤال الآتي : ما تفسير قوله تعالى ﴿ استوى على العرش ﴾ وجاء في هذه الاجابة جملة نسبها إلى السلف وهي قوله : (وقال أهل السلف استوى على العرش استوى عليه وملكه كقولهم :

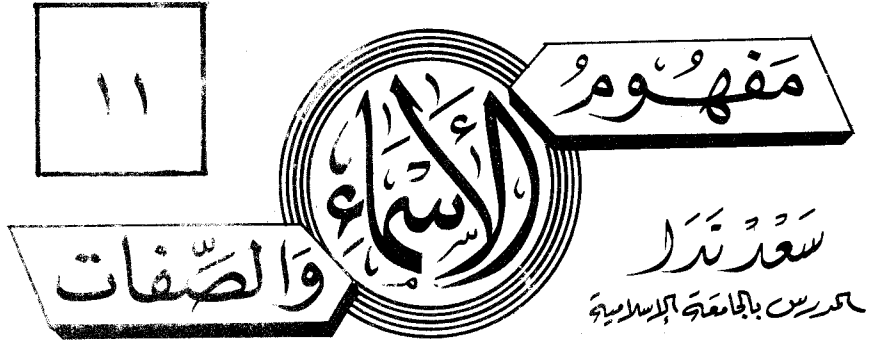
استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق  
وحيث إن هذه النسبة الى السلف غلط محض . احببت التنبيه على ذلك لثلاث يغتر من يراها فيظنها من قول العلماء المعتبرين . والصواب أن هذا التفسير هو تفسير الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي الصفات وتعطيل الباري سبحانه وتعالى عما وصف به نفسه من صفات الكمال . وقد أنكروا علماء السلف رحمهم الله مثل هذا التأويل وقالوا إن القول في الاستواء كالقول في سائر الصفات وهو إثبات لجميع لله على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . قال الإمام مالك رحمه الله : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) .

وعلى هذا درج علماء السلف من أهل السنة والجماعة رحمهم الله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الحموية (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . ﴿إِنِّي مَتَوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ . ﴿أَمُتُّمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسَفَ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ . ﴿أَمُتُّمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسُلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ . ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ . في سبعة مواضع إلى أن قال إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالكلفة . وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا

بالكلفة مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار . ﴿ فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم ﴾ وفي الصحيح في حديث الخوارج (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً) إلى أن قال (إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا الله مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع مبلغ مئين أو الوفاً الخ أ. ه .

وبما ذكرناه يتضح للقراء أن ما نسبته أحمد محمود دهلوب إلى السلف من تفسير الاستواء بالاستيلاء غلط كبير وكذب صريح لا يجوز الالتفات إليه، بل كلام السلف الصالح في ذلك معلوم ومتواتر، وهو ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من تفسير الاستواء بالعلو فوق العرش، وأن الإيثار به واجب، وأن كيفيته لا يعلمها إلا الله سبحانه . وقد روى هذا المعنى عن أم سلمة أم المؤمنين وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله وهو الحق الذي لا ريب فيه وهو قول أهل السنة والجماعة بلا ريب . وهكذا القول في باقى الصفات من السمع والبصر والرضى والغضب، واليد والقدم والأصابع والكلام والإرادة وغير ذلك . كلها يقال فيها إنها معلومة من حيث اللغة العربية، فالإيمان بها واجب والكيف مجهول لنا لا يعلمه إلا الله سبحانه مع الإيمان أن صفاته سبحانه كلها كاملة، وأنه سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه، فليس علمه كعلمنا ولا يده كأيدينا ولا أصابعه كأصابعنا ولا رضاه كرضانا إلى غير ذلك كما قال سبحانه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ﴾ وقال تعالى : ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ والمعنى انه لا أحد يساميه سبحانه أى يشابهه وقال عز وجل : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة والواجب على المؤمن التمسك بما أخبر الله به ورسوله ودرج عليه سلف الأمة من الصحابة رضى الله عنهم وأتباعهم بإحسان، والحذر من مقالات أهل البدع الذين أعرضوا عن الكتاب والسنة وحكموا أفكارهم وعقولهم فضلوا وأضلوا . والله المسئول أن يحفظنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن وأن يعيذنا وسائر المسلمين من نزغات الشيطان وأتباع خطواته إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه ، وبعد :

فإذا توهم بعض الناس أن الكتابة في أسماء الله عز وجل أمر لا أهمية له وزعموا أنهم جميعاً يعرفون الله تعالى ، ولا حاجة لهم الى مثل هذه الموضوعات .

فأقول : وهل يعرف ربه من يجهل ربه بأسمائه الحسنی وصفات كماله العليا التي اختارها هو سبحانه لنفسه وجعلها لنا سبيلا الى التعرف عليه جل وعلا ؟

وهل يستطيع أن يعبد ربه ويجرد له عبادته من لم يتعرف على ربه ولم يعلم له اسماً ولاصفة ؟

وإلا فليدلى أولئك الزاعمون : بمن يطلب الواحد منهم الرزق مثلاً إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الرزاق ، ومن صفاته صفة الرزق ؟ ومن يطلب المغفرة إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الغافر والغفار ، ومن صفاته صفة المغفرة ؟ وهكذا .

ان معرفة العبد أسماء ربه الحسنی وصفات كماله العليا له شأن عظيم ، ومن روائع ما ذكره الامام ابن القيم - رحمه الله - في أهمية التعرف على الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله قوله : [ لا حياة للقلوب ، ولا سرور ، ولا لذة ، ولا نعيم ، ولا أمان ، إلا بأن تعرف ربها ، ومعبودها ، وفاطرها ، بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، ويكون ذلك أحب إليها مما سواه ، ويكون سعيها فيما يقربها إليه . ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بإدراك ذلك على التفصيل ، فاقضت حكمة العزيز العليم بأن بعث الرسل به مُعَرِّفِينَ ، وإليه داعين ، ولمن أجابهم مبشرين ، ولمن خالفهم منذرين ، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة

رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله . وعلى هذه المعرفة تبنى مطالبُ الرسالة جميعها ، فإن الخوفَ والرجاءَ ، والمحبة والطاعةَ والعبوديةَ تابعةٌ لمعرفة المرجُو ، المخوف ، المحبُوب ، المطاع ، المعبود .

ولما كان مفتاحُ الدعوة معرفةَ الربِّ تعالى ، قال أفضلُ الداعين إليه رسولُ الله ﷺ لمعاذ بن جبل ، وقد أرسله الى اليمن : ( إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فاذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة . . . الحديث ) .

وهو في الصحيحين - واللفظ لمسلم (١) . [

ثم قال الامام ابن القيم - رحمه الله - : [ والمقصود أن الله تعالى أكمل للرسول ولأُمَّته به دينهم ، وأتم عليهم به نعمته . ومحال مع هذا أن يدع ما خلق له الخلق ، وأرسلت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، ونُصِبَتْ عليه القِبْلَةُ ، وأُسِّسَتْ عليه المِلَّةُ ، وهو باب الايمان بالله ، ومعرفة ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ملتبساً مشتبهاً حقُّه بباطله ، لم يتكلم فيه بما هو الحق بل تكلم بما هو الباطل ، وأن الحق في إخراجه عن ظاهره . فكيف يكون أفضل الرسل وأجلُّ الكتب غيرَ وافٍ بتعريف ذلك على أتم الوجوه ؟ مبين له بأكمل البيان ؟ موضح له غاية الايضاح ؟ مع شِدَّة حاجة النفوس إلى معرفته ، وهو أفضل ما اكتسبته النفوس ، وأجلُّ ما حصلته القلوب ؟ (٢) ] .

بعد هذا التقديم ، أعود إلى اتمام ما بدأتُه من الكلام على أسماء الله الحسنى ، سائلاً الله عز وجل أن يلهمني الرشاد . فأقول :

المؤمن :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو من ( آمن ) عباده من أن يظلمهم .  
وأصل ( آمَنَ ) : ( أَمَّنَ ) بهمزتين لُيِّنَت الثانية (٣) .

(١) مختصر الصواعق المرسله ج١ ص ٤ ، ٥

(٢) المرجع السابق ص ٧

(٣) مختار الصحاح في مادة ( أ و ن ) .

وقيل : المؤمن : هو الذى يَصُدِّقُ عِبَادَهُ وَعَدَّهُ : فهو من الإيمان : التصديق ، أو يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فهو من الأمان ، والأمن ضد الخوف (١) .

● وقد ورد اسم ( المؤمن ) جل وعلا فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط (٢) . فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ . . . ﴾ [ الحشر آية ٢٣ ] .

- وقد قيل فى معنى ( المؤمن ) فى هذه الآية : أنه سبحانه الذى يؤمن خلقه من ظلمه . المصدِّق الموقن : بمعنى أن الناس آمنوا برهم فسماهم مؤمنين ، وآمن الربُّ الكريمُ لهم بإيمانهم . صدقهم (٣) .

- وقيل المؤمن : هو واهب الأمن (٤) .

- وقيل : المؤمن : فيه ستة أقوال :

١ - أنه - سبحانه - الذى آمن الناس ظلمه ، وأمن من آمن به عذابه . قاله ابن عباس ومقاتل .

٢ - أنه المجير - قاله القرظى .

٣ - أنه الذى يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَحَدَوْهُ - قاله ابن زيد .

٤ - أنه الذى يَصَدِّقُ عِبَادَهُ وَعَدَّهُ - قاله ابن قتيبة .

٥ - أنه الذى وَحَدَ نَفْسَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [ آل عمران آية ١٨ ] - قاله الزجاج .

٦ - أنه الذى يُصَدِّقُ ظُنُونَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُخَيِّبُ آمَالَهُمْ ، كقول النبى ﷺ ( أنا

عند حسن ظن عبدى بى ) - حكاه الخطابى - وهذا الحديث جزء من حديث قدسى رواه كل من البخارى ومسلم فى صحيحهما بتمامه ولفظه عند البخارى بتمامه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ( يقول الله تعالى : أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء خير منهم ،

(١) النهاية لابن الأثير - الجزء الأول ص ٦٩

(٢) المعجم المفهرس ص ٩٠

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن - للطبرى - جزء ٢٨ ص ٥٤

(٤) الكشف - للزنجشبرى - جزء ٤ ص ٨٧ . وجامع البيان للإيجى - جزء ٢ ص ٣٥٠

وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ) .

والحديث يرشد الى تحسين الظن بالله عزوجل ، وهذا لا يكون الا لمن تاب ، وندم ، وأقلع ، وأتبع السيئة الحسنة ، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة فَمَنْ فعل ذلك ثم أحسن الظن ، فقد أحسن وحلَّ محلَّه ، وأما مَنْ أساء وأصر على الكبائر ، فَوَحْشَةُ المعاصي لا يجامعها إحسان الظنَّ بالله تعالى (١) .

- وقيل : المؤمن : هو المصدِّق لرسله باظهار معجزاته عليهم ، ومصدِّق الكافرين ما أوعدهم من العقاب (٢) .

أو هو الذى يؤمِّن أوليائه من عذابه ، ويؤمِّن عباده من ظلمه ، فيقال : آمنه من الأمان الذى هو ضد الخوف ، كما قال تعالى ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ [ قريش آية ٤ ] ، فهو سبحانه المؤمن (٣) .

- وقيل : المؤمن : آمن خلقه من أن يظلمهم - قال الضحاك عن ابن عباس .

أو : أنه صدِّق عباده المؤمنين فى إيمانهم به - قاله ابن زيد (٤) .

- وقيل : المؤمن هو المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه سبحانه ، أو بخلق المعجزة .

أو : هو واهب عباده الأمن من الفرع الأكبر .

أو : هو مؤمنهم منه إما بخلق الطمأنينة فى قلوبهم ، أو باخبارهم بأنهم لا خوف عليهم .

أو : أنه المصدق للمؤمنين أنهم آمنوا - قاله ثعلب .

أو : أنه المصدق للمؤمنين فى شهادتهم على الناس يوم القيامة (٥) .

(١) زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج ابن الجوزى - ص ٢٢٥ - بقليل تصرف -

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - جزء ١٨ ص ٤٦ - بقليل تصرف - وفتح القدير - جزء ٥ ص ٢٠٧ -

(٣) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - جزء ١٨ - ص ٤٦ - بقليل تصرف - .

(٤) تفسير ابن كثير - جزء ٤ ص ٣٤٤

(٥) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للأوسى جزء ٢٨ - ص ٦٣ -

وقيل : المؤمن هو الطاهر الذى لاتعلق به شائبة . ومنه سمي المؤمن مؤمناً (١) .

وقيل : المؤمن الذى أثنى على نفسه بصفات الكمال ، وبكمال الجلال ، وبكمال الجلال والجمال ، الذى أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين ، وصدق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به (٢) .

### ● أقول :

وإذا كان علماء التفسير - على مدى العصور - قد ذكروا تلك المعانى السامية الرائعة لاسم ( المؤمن ) سبحانه ، فانه يبدو لى أن هذا الاسم الكريم يعنى - بإجمال هذه المعانى - أنه - جل وعلا - الطاهر الذى لاتعلق به شائبة ولا نقيصة ، لأنه الكامل فى كل صفاته كما لا مطلقاً ، وهو الذى يهب الأمن لعباده ، فيؤمنهم جميعاً من الظلم لأنه سبحانه يتنزه عنه ، ويؤمن قلوب المرسلين والمؤمنين بهم بما أنزل من الحق ، ثم يؤمنهم من عذابه ، لأنهم أولياؤه الذين آمنوا به ووحدوه وجرّدوا له العبادة ، ويؤمنهم فى الدنيا من كل خوف وحزن ، كما قال تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [ يونس آية ٦٢ ] ، ويؤمنهم فى الآخرة من الفزع الأكبر كما قال سبحانه : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ [ الأنبياء آية ١٠٣ ] بل سيجعلهم شهداء على الناس ويجعل الرسول ﷺ شهيداً عليهم يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ هو سميع عليم ﴾ [ الحج آية ٧٨ ] .

فاسم ( المؤمن ) - سبحانه - يشمل كل حسن وجمال وخير ، يشيع أثره فى هذا الكون :

أنظر إلى الأمن الذى يغشى الناس فى أسرابها ، والطيور فى أوكارها ، والأسماك والحيتان فى بحارها ، والزواحف فى جحورها ، وأسراب النمل فى شقوقها ، وجماعات النحل فى بيوتها : حين تأكل ، وحين تشرب ، وحين تنام ، وحين تتزوج ، وحين تتوالد . أنظر الى الأمن السائد فى كل المخلوقات ، والطمأنينة المبسوطة على كل الكائنات ، لتجد أن ذلك كله من آثار اسم ( المؤمن ) جل جلاله ، الذى يهب الحياة لخلقه ، ويهب الأمن للأحياء .

(١) التفسير القرآنى للقرآن - جزء ٢٨ ص ٨٨٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدى - جزء ٥ - ٣٠١ -

ومن ثم ينبغي عليك - أيها الانسان - أن تكون مؤمناً (بالمؤمن) سبحانه ، وأن تجرد له أعمالك جميعاً ، ليطمئن به قلبك وتأمين به نفسك ، وينتشر الأمن في كل كائن من حولك ، وحينئذ ستشعر بلذة الحياة الآمنة الوادعة الطيبة التي تختفي فيها المعاصي ومشكلاتها ، وتبرز فيها الطاعات وثمراتها ، ويكون الله ورسوله فيها أحب اليك مما سواهما ، والحب سبيل الطاعة ، والطاعة سبيل الفوز العظيم في الدنيا والآخرة ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [ الأحزاب آية ٧١ ] .

## المُهَيِّمُنُ :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو الرقيب . وقيل : الشاهد . وقيل : المؤمن . وقيل : القائم بأمر الخلق .

- وقيل أصله : مؤتمن ، فأبدلت الهاء من الهمزة ، وهو مُفَعِّلٌ من الأمانة (١) .

● وقد ورد اسم ( المهيمن ) جل وعلا في القرآن الكريم مرة واحدة فقط (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... ﴾ [ الحشر آية ٢٣ ] .

- وقد قيل في معنى ( المُهَيِّمُنُ ) في هذه الآية : الشهيد أو الأمين . قاله ابن عباس رضي الله عنهما . أو المصدِّق لكل ما حدث ، قاله ابن زيد ثم قرأ ( ومهيمننا عليه ) (٣) وقال : فالقرآن مصدِّق على ما قبله من الكتب ، والله مصدِّق في كل ما حدث عما مضى في الدنيا ، وما بقى ، وما يحدث في الآخرة (٤) .

- وقيل : ( المهيمن ) الرقيب على كل شيء الحافظ له . مُفَعِّلٌ من الأمن إلا أن همزته قلبت هاءً . (٥) .

- وقيل ( المُهَيِّمُنُ ) : فيه أربعة أقوال :

١ - أنه الشهيد : قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والكسائي . قال الخطابي : ومنه

(١) النهاية لابن الأثير - الجزء الخامس - ص ٢٧٥ -

(٢) المعجم المفهرس - ص ٧٣٩ -

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ [ المائدة آية ٤٨ ] .

(٤) جامع البيان للطبري - جزء ٢٨ - ص ٥٤ .

(٥) الكشاف للزخشري - جزء ٤ - ص ٨٧ - .

قوله تعالى : ﴿ ومهيماً عليه ﴾ [ المائدة ٤٨ ] - فالله تعالى : الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل .

٢ - أنه الأمين : قاله الضحاك .

وقال الخطابي : وأصله : مُؤَيَّمٌ ، فقلبت الهمزة هاءً ، لأن الهاء أخف عليهم من الهمزة - ولم يأت : مُفَعِّلٌ في غير التصغير إلا في ثلاثة أحرف : ( مُسَيِّطِرٌ - ومُبَيِّطِرٌ - ومُهَيِّمٌ ) وقد ذكر في سورة الطور آية ٣٧ عن أبي عبيدة أنها خمسة أحرف : في قوله تعالى ﴿ أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطنون ﴾ إنه لم يأت في كلام العرب اسم على مُفَعِّلٍ إلا خمسة أسماء : مُهَيِّمٌ - ومُجَيِّمٌ - ومُسَيِّطِرٌ - ومُبَيِّطِرٌ - ومُبَيِّقِرٌ .

فالمهيمن : الله الناظر ، المحصى ، الذي لا يفوته شيء - ومجيمر : جبل - ومسيطر : مسلط - ومبيطر : يبيط - ومبيقر : الذي يخرج من أرض إلى أرض يقال : يبيقر إذا خرج من بلد إلى بلد .

٣ - أنه المصدق فيما أخبر - قاله ابن زيد .

٤ - أنه الرقيب على الشيء ، والحافظ له ، - قاله الخليل والخطابي .

وقال بعض أهل اللغة : الهيمنة : القيام على الشيء ، والرعاية له ثم قال :

ألا إن خير الناس بعد نبيه \* \* \* مُهَيِّمُهُ التالیه فی العرف والنکر

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم (١) .

وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هورقيب عليهم كقوله : ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ ، وقوله ﴿ ثم الله شهيد على ما يقولون ﴾ ، وقوله ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ - قاله ابن عباس رضی الله عنهما وغيره - (٢) .

- وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الرقيب المطلع على السراير (٣) .

- وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الشهيد على عبادته بأعمالهم ، الرقيب عليهم - قاله مجاهد وقتادة ومقاتل .

(١) زاد المسير - جزء ٨ - ص ٢٢٥ .

(٢) تفسير ابن كثير - جزء ٤ ص ٣٤٤ .

(٣) جامع البيان - للإيجي - جزء ٢ ص ٣٥٠ .

يقال : هَيْمَنُ يُهَيِّمُنْ فهو مُهَيِّمٌ : إذا كان رقيباً على الشيء .

وقال الواحدى : وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مُؤَيِّمٌ من آمن يؤمن ، فيكون بمعنى المؤمن - والأول أولى (١) .

- وقيل : (المهيمن) : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَعِّلٌ من الأمن بقلب همزته هاء (٢) .

- وقيل : (المُهَيِّمُن) : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَعِّلٌ بقلب همزته هاء ، وإليه ذهب غير واحد - وتحقيقه كما في الكشف : أن أَيَّمانَ على فَعَّلَ مبالغة أمن العدو للزيادة في البناء - وإذا قلت : أمن الراعى الذئب على الغنم مثلاً ، دل ذلك على كمال حفظه ورقبته . فالله تعالى أمن كل شيء سواه سبحانه على خلقه وملكه ، ءلاحاطة علمه ، وكمال قدرته عز وجل ، ثم استعمل مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشيء من غير ذكر المفعول بلا واسطة للمبالغة في كمال الحفظ . كما قال تعالى ﴿ ومهيماً عليه ﴾ وجعله من ذلك أولى من جعله من الأمانة ، نظراً إلى أن الأمين على الشيء حافظ له ، اذ لا ينبيء عن المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة . وجعله في الصحاح اسم فاعل من : آمنه الخوف على الأصل ، فأبدلت الهمزة الأصلية باء كراهة اجتماع الهمزتين ، وقلبت الأولى هاء كما في هراق الماء .

وظاهر كلام الكشف : أنه ليس من التصغير في شيء .  
وقال المبرد : إنه مُصَغَّرٌ - وقد أخطأ في ذلك ، فإنه لا يجوز تصغير أسماء الله عز وجل (٣) .

- وقيل : (المهيمن) : القائم على الوجود ، المسيطر على كل ذرة فيه (٤) .

● أقول : في اسم : (المهيمن) سبحانه ، ذكر المفسرون المعانى التى عرضت جانباً منها ، وأجملها في أن المراد بمعنى (المُهَيِّمُن) جل وعلا : القائم بأمور الخلق - الرقيب الحافظ لكل شيء ، الشهيد على عباده ، المطلع على أعمالهم وأسرارهم ، الأمين ، المصدق فيما أخبر ولكل ما حدث .

(١) فتح القدير - جزء ٥ - ص ٢٠٨ - .

(٢) تفسير أبي السعود - جزء ٧ - ص ٢٣٤ - .

(٣) روح المعانى - جزء ٢٨ - ص ٦٣ - .

(٤) التفسير القرآنى للقرآن - جزء ٢٨ - ص ٨٨٣ - .



والذى بيدولى أن اسم (المُهَيِّمِن) جل جلاله ، يتضمن معناه شمول الهيمنة بمعنى السيطرة المطلقة لله عزوجل على كل كائن في هذا الكون ، إيجاداً وإعداداً ، وتحريكاً ، وتسكيناً ، بعلمٍ محيطٍ ، وعدلٍ مطلقٍ ، وقدرةٍ شاملةٍ ، ومشئئةٍ نافذةٍ ، وقدراً سابقٍ ، فلا راد لمشيئته ، ولا معقب لقدره ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد . وما أراد وقوعه في كونه سبحانه - وما دونه في اللوح المحفوظ غيبه عن خلقه ، واستأثر بعلمه وحده ، وهذا الاستثثار أثر من آثار هيمنته سبحانه .

ومن أمثله قوله عزوجل : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [ الأنعام آية ٥٩ ] .

ثم أنه سبحانه مع هذه الهيمنة التي من مقتضاها قهر عباده سبحانه : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير ﴾ [ الأنعام آية ١٨ ] ، لم يهمل عباده بل يراقبهم ، ويشهد كل أقوالهم وأعمالهم ، بل ويطلع على أسرارهم وما تُكن صدورهم ، ويوالى إمدادهم بكل ما يحتاجون لعمارة هذه الأرض ، وما يصلح لهم في دنياهم وأخراهم ، ويرسل إليهم ملائكة حفظة لهم بإذن الله طول حياتهم حتى تنتهى آجالهم ، كما قال سبحانه : ﴿ له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [ الرعد آية ١١ ] ، وكما قال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلنا وهم لا يفرطون ﴾ [ الأنعام آية ٦١ ] .

ومن آثار هيمنته سبحانه أنه يملك أن يتصرف في خلقه كيف يشاء ، لأنهم في ملكه ، والمالك من حقه أن يتصرف في ملكه بكافة أنواع التصرفات . ومن نماذج هذه التصرفات ما ذكره الله تعالى تنبيهاً لنا وتذكيراً باستمرار وشمول هيمنته على خلقه سبحانه قوله : ﴿ قل من يُنجيكم من ظلمات البرِّ والبحر؟ تدعونه تضرعاً وخفيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله يُنجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تُشركون . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعضٍ . أنظر كيف نُصِرُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [ الأنعام آية ٦٣ - ٦٥ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ؟ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ؟ ﴾ [ الأنعام آية ٤٦ ، ٤٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَخُجِرُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ، ذَلِكَ اللَّهُ ، فَإِنِّي تُوفِّكُونَ ؟ فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ، وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأنعام آية ٩٥ - ٩٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾ [ الرعد آية ١٢ ، ١٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاطِرِينَ . وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ فَثَبَّاطٌ مَبِينٌ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيًا وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ . وَلَقَدْ عَلَّمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا المُسْتَآخِرِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الحجر آية ١٦ - ٢٥ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالغِيهِ إِلَّا يَشُقُّ الأَنْفُسَ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالخَيْلَ والبغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [ النحل آية ٥ - ٨ ] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [ الفرقان آية ٤٥ - ٤٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [ الفرقان آية ٥٣ - ٥٤ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ؟ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ؟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ؟ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ ؟ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [ القصص آية ٧١ - ٧٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . إِنَّكُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . إِنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ؟ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [ الواقعة آية ٥٧ - ٧٤ ] .

سبحانك ربنا العظيم ، ما أعظم سلطانك ، وما أكمل هيمنتك المطلقة على كل شيء في هذا الوجود ، لا يفتك منها أى مخلوق صغراً كبر ، دق أم عظم .

نزهك ربنا العظيم عن كل ما لا يليق بجلالك وسلطانك ، ونقره لك وحدك بسمو أسمائك وكمال صفاتك ، ونعترف لك بجليل فضلك وإحسانك وكرمك ، بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا ، ونشهد بأنك وحدك المستحق لأن تُشكر فلا تُكفر ، وتُذكر فلا تُنسى ، وتُطاع فلا تُعصى .

وَنَكِلُ أُمُورَنَا إِلَيْكَ وَحَدَّكَ ، فَأَنْتَ مَلَاذُنَا وَحَدَّكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَرْجِعُنَا إِلَيْكَ وَحَدَّكَ فِي  
الْآخِرَى ، أَنْتَ مَوْلَانَا الْمُهَيَّمُنُ عَلَيْنَا حَقًّا ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ الْخَاضِعُونَ لَكَ صِدْقًا ، ﴿ إِنَّ  
كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ  
آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [ مريم آية ٩٣ - ٩٥ ] .

أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَثْبِتَ قَلْبَنَا عَلَى دِينِهِ ، وَأَنْ يَصْرِفَهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ  
لَنَا بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ خَتَامَ الْإِيمَانِ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

### حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ( في الصحيحين ) قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم :

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه :

( ١ ) من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما :

( ٢ ) ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله .

( ٣ ) ومن كان يكره أن يرجع في الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن  
يلقى في النار .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ( في صحيح مسلم ) قال :

صلى الله عليه وسلم :

ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً ، بالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى

الله عليه وسلم رسولاً .

الفقه



أصوله



سَمَّاهُ السَّخِجَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ :

## يَدْعُو الْمَسْأَمِينَ لِلْمُبَارَاةِ بِالتَّوْبَةِ

وجه الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نصيحة إلى المسلمين دعاهم فيها إلى وجوب التوبة إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب وفيما يلي نصها:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين . . وفقني الله وإياكم للتذكر والاعتبار والأتعاض بما تجري به الأقدار والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والأوزار . . أمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . أما بعد :

فإن الله عز وجل بحكمته البالغة وحجته القاطعة وعلمه المحيط بكل شيء يتبلي عباده بالسراء والضراء والشدة والرخاء وبالنعمة والنقم ، ليمتحن صبرهم وشكرهم ، فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة . . قال الله جل وعلا في كتابه العظيم : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ . . والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب والصابر والشاكر . . كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً وَالنَّاسُ لِرَبِّكُمْ قَاغِيَةٌ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَنَبْلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والحسنات هنا هي النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة ، والنصر على الأعداء ، والسيئات هي كالألزال والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك . . . وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والمعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس إلى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم

ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة. وأما توحيد الله والإيمان به وبرسوله وطاعته وطاعة رسله والتمسك بشريعته والدعوة إليها والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة والنجاة من كل مكروه والعاقبة من كل فتنة. كما قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. . . وقال سبحانه: ﴿وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ أَنفَكُوا مَنَافِقَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾. . . وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقد بين سبحانه في آيات كثيرات أن الذي أصاب الأمم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم. . . كما قال عز وجل ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ وأمر عباده بالتوبة إليه والضراعة إليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقال سبحانه: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وقال سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا أن جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾.

وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والرياح العاصفة وغير ذلك من المصائب أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون. وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ والمعنى هنا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا، ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال



عز وجل: ﴿ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم ان يأمرؤا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم . . وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان واثيوبيا وغيرها . . ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك . . وأنواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ومن ذلك المجاعة والجذب والقحط في كثير من البلدان . وكل هذا واشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي والانحراف عن طاعته سبحانه والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة والإعراض عن الآخرة وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عباده .

ولاشك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم ، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه وسارعوا إلى ما يرضيه وتعاونوا على البر والتقوى وتأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم وكفاهم شر أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه . كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ وقال عز وجل : ﴿أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وقال عز وجل : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وقال سبحانه : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ الآية . وقال عز وجل : ﴿والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتؤن الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ .

فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته وإحسانه وأمنه وسائر أنواع نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله واستقام على شرعه وتاب إليه من ذنوبه . . أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن أداء حقه وأصر على كفره وعصيانه فقد توقعه سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره كما قال سبحانه : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه وبادروا إلى طاعته واحذروا معصيته، وتعاونوا على البر والتقوى، واحسنوا إن الله يحب المحسنين، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت، وارحموا ضعفاءكم، وواسوا فقراءكم، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي، والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين . . كما قال سبحانه : ﴿ فأصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ . والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحم عباده المسلمين، وأن يفقههم في الدين، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين . إنه وليُّ ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

### الحسنة والسيئة

قال بعض السلف :  
 إن للحسنة لنوراً في القلب ، وقوة في البدن ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ...  
 وإن للسيئة لظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، وسواداً في الوجه ، ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق ...

# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

الدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٢ -

بيننا في مقالنا السابق أن الفقه الإسلامي قد حوى نظاما متميزا ومتفردا في الإثبات، يتسق مع نظامه الشامل العادل. فهو مع تحديده لأدلة إثبات الدعوى - على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء - إلا أنه لم يحد من سلطة القاضي في تقدير الأدلة حتى لا يجعل وظيفة القاضي الية لا أثر لها في الحكم. كما أنه لم يطلق للقاضي الحرية الكاملة في تحديد الأدلة تجنباً لتعسف القضاة في استعمال هذا الحق فيستغلون سلطة وظيفتهم.

وقبل أن نتناول هذه الأدلة نود أن نشير إلى أن القوانين الوضعية بعد مناقشات وتعديلات قد لجأت إلى تحديد الأدلة في الدعوى المدنية والتجارية، اتفاقاً بذلك مع قول جمهور الفقهاء، إلا أنها قد خالفت الفقهاء في تحديد القيمة لكل دليل من هذه الأدلة، كما سنرى إن شاء الله - أما في الدعوى الجنائية فإن القانونيين يميلون إلى رأي ابن قيم الجوزية الذي يقضي بعدم حصر أدلة الثبوت، ولذلك نجدهم يطلقون للقاضي الحرية الكاملة في الدعوى الجنائية ليستمد اقتناعه من أي دليل يعرض عليه.

أما فيما يتعلق بأدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، فإننا نجدها قد انقسمت إلى قسمين رئيسيين: قسم اتفق الفقهاء على حجته وقبوله كدليل في الدعوى، يعول عليه القضاة، ويتمسك به الخصوم في إثبات دعواهم، وقسم اختلف الفقهاء في قبوله دليلاً للإثبات. ومنشأ هذا الاختلاف في هذا القسم الأخير هو: إما لعدم قوة الأدلة الدالة على اعتباره، أو للاحتياط الشديد الذي تميزت به بعض المذاهب الإسلامية، فاحتاطت للقضاة حتى لا يكون تعويلهم على أدلة ظنية لا تطمئن إليها النفوس، فتضطرب الأحكام وتختلط الحقوق.

ولنلق الآن نظرة عامة على هذه الأدلة، ولنشير إلى موقف القانونيين في بعض مسائلها.

القسم المتفق عليه:

أولاً: الإقرار:

والمعنى الاصطلاحي للإقرار كما تدل عليه عبارات الفقهاء هو (إخبار الإنسان بحق عليه لغيره). فلا يسمى إخبار الغير بحق لآخر إقراراً<sup>(١)</sup>.

الأصل في الإقرار:

وقد ثبتت حجية الإقرار بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول:

(١) البحر الرائق لابن نجيم ج ٧، ص ٢٤٩ ط دار المعرفة بيروت. وانظر أيضاً منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين ج ٧ ص ٢٤٩. تبصرة الحكام لابن فرحون ج ٢ ص ٥٣ المطبعة البهية مصر سنة ١٣٠٢ هـ.

فالكتاب : قوله تعالى : ﴿وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه﴾ (البقرة : ٢٨٢) فأمر سبحانه من عليه الحق بالاملال ، وإملاله هو إقراره وإلا لما كان فيه فائدة ، ولما أمر الله به . وكذلك قوله تعالى : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ (النساء : ١٣٥) وشهادة الانسان على نفسه هو إقراره بالحق .

أما السنة : فما روى متفقا عليه من أنه ﷺ قبل إقرار ما عزب بالزنا . وعند مسلم وأصحاب السنن أنه قبل إقرار الغامدية بالزنا ، فعامل كلا منهما بموجب الاقرار بإقامة الحد عليه (١) .  
أما الاجماع : فقد أجمعت الأمة من عهده ﷺ إلى يومنا هذا على أن الاقرار حجة على المقر ، وجرت بذلك في معاملاتها وأقضيتها .

أما المعقول : فهو أن العاقل لا يقرب بشيء ضار بنفسه أو ماله إلا إذا كان صادقا فيه .  
والاقرار هو أول الحجج الشرعية وأقواها ، لأنه ليس هناك أبلغ من أن يقضي الانسان على نفسه بالاعتراف بثبوت الحق عليه . ولما كان للاقرار هذه القوة وهذه الأهمية في الاثبات ، كان لابد من عناية الفقهاء به وضبطه حتى يكون صحيحا واضح الدلالة . ولذا فقد جعلوا له شروطا لابد من توافرها ، بعضها في المقر ، وبعضها في المقر له ، وبعضها في المقر به .

ويمكن إجمال هذه الشروط في أنه يشترط في المقر أن يكون عاقلا بالغيا ، طائعا ، مختارا ، وأن لا يكون هازلا ، كما يشترط في المقر له أن يكون موجودا حال الاقرار ، أو وجد قبله ومات ، وأن يكون أهلا للملك ، وأن يكون سبب استحقاقه للمقر به مقبولا عقلا ، فلو أقر للحمل وقال عن بيع باعه ، لغا الاقرار ، وألا يكون المقر له مجهولا جهالة فاحشة (٢) .

### التهمة في الاقرار :

ومن الشروط التي تدل على بعد نظر فقهاء الشريعة هو أنه يشترط لصحة الاقرار عندهم ألا يكون المقر متهما في هذا الاقرار ، فلو كان متهما فيه لم يصح إقراره ، إذ التهمة تخل برجحان جانب الصدق على جانب الكذب ، ولأن الاقرار شهادة على النفس كما قدمنا والشهادة ترد بالتهمة .  
ومن الأمثلة على رد الفقهاء الاقرار بتهمة المقر ، إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين .  
وتكليف هذه التهمة التي تلحق بالمريض مرض الموت : هو أن المريض وقد أحس بدنو أجله وقرب رحيله عن الدنيا وفراقه لماله الذي سيؤول إلى خلفاء غيره ، ربما أراد أن يؤثر بعض هؤلاء الخلفاء على غيرهم بميل الطبع أو ربما أراد أن يجرم بعضهم لضغينة يحملها عليهم ، فيذهب إلى تنفيذ غرضه بصورة الاقرار من غير أن يكون للمقر له دين عليه أصلا ، فكان متهما في هذا الاقرار فيرد الاقرار .

ويظهر القول بعدم صحة إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين ، واضحا جليا في عبارات

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ١٩٥ . ط المطبعة المصرية ومكتبتها . وانظر جمع الفوائد ج ١ ص ٧٤٩ ط دار التأليف مصر .

(٢) بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦١ ط البايي الحلبي سنة ١٣٧٩ هـ ، المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك اليباني ص ٤٤ وما بعدها . الاصول

القضائية في المرافعات الشرعية : علي قراة ص ٧٠ .

فقهاء الحنفية والحنابلة والمالكية، أما الامام الشافعي فإنه وإن كان متفقاً معهم في الحد من تصرفات المريض مرض الموت فيما يتعلق بالوصية والبيع والشراء بمحابة، إلا أنه لم يوافقهم في عدم قبول إقراره لانتفاء التهمة في نظره (١).

وما يقال عن المريض مرض الموت، يمكن أن يقال عن المدين المحجور عليه بسبب الدين، فقد ذهب فقهاء الحنفية والحنابلة الى وقف سريان إقراره، وقالوا: إن إقرار المدين بحق حال الحجر عليه تصرف يضر بالغرماء. ومقصود الحجر هو منع المدين من كل تصرف يضر بهم، إذ أن الحجر لحقهم، والمدين متهم في هذا الأقرار، وعليه فإنه لا يشارك المقر له الغرماء فيما حجر عليه من مال، ولكن يؤخذ المقر بإقراره، ويلزمه بعد قضاء ديون الغرماء الذين طلبوا الحجر على المدين (٢). وقد قررت هذه الأحكام منذ زمن بعيد في الفقه الاسلامي لمصلحة الورثة في مال مورثهم، والدائنين في مال مدينهم، فاحتاط الفقهاء ومنعوا التصرفات التي تلحق بهم الضرر. وفي نفس الوقت وقف القانون الغربي جامدا ولم يستطع أن يقرر شيئاً من هذا القبيل. ولذا لجأ القانونيون في مصر لاستمداد هذه الأحكام من الشريعة الاسلامية.

يقول الدكتور محمد كامل مرسي «ولكن الرأي الصحيح هو أن الأحكام التي أتى بها الشارع المصري خاصة بالبيع الحاصل في مرض الموت ليست مبنية على فكرة عدم أهلية المريض، وقد جاءت بها الشريعة الاسلامية مراعاة لمصلحة الورثة والمحافظة على حقوقهم بمنع المورث من إثارة بعضهم على بعض» (٣).

ويقول الدكتور عبد الناصر العطار «لم يعرف القانون المدني مرض الموت، فيرجع في تعريفه إلى الشريعة الاسلامية باعتبارها مصدراً رئيسياً للتشريع، ومصدراً تاريخياً استمدت المشرع منه أحكام المريض مرض الموت، ومصدر احتياطي لا بد من الرجوع إليه إذا لم يوجد نص أو عرف» (٤). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة هذه الشريعة وكما لها وتفرداها بكثير من الأحكام التي عجزت القوانين الوضعية أن تأتي بمثلها.

### ثانياً: الشهادة:

ويطلق عليها جمهور الفقهاء البينة، فالأصل أن البينة تطلق على كل ما يبين به الحق، ولكن جمهور الفقهاء خصوها بالشهادة، ولذا قد عتب عليهم ابن القيم في هذا التخصيص وقال: إن من خص البينة بشهادة الشهود لم يوف مسأها حقه.

(١) أصول البيزودي وكشف الأسرار ج ٤ ص ٣٠٩ ط المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٨ هـ. المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٧٣ ط دار المنار سنة ١٣٦٧ هـ. قوانين الأحكام الشرعية لابن جزى المالكي ص ٢٤٢ ط دار العلم بيروت. الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٢٦٢ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ هـ.

(٢) الهداية مع تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٢٥٤. المطبعة الأميرية مصر سنة ١٣١٥ هـ. المغني لابن قدامة ج ٤ ص ٤٣٩.

(٣) مجلة القانون والاقتصاد، العدد الثالث السنة الثامنة مارس ١٩٣٨ م. ص ٢٧٣.

(٤) الدكتور عبد الناصر العطار: إثبات الملكية بند ٢٤ ص ١١٢.

والشهادة في اصطلاحهم هي إخبار الأنسان بحق لغيره على غيره، أو هي إخبار صادق لأثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء<sup>(١)</sup>.

### الأصل في الشهادة وحكمها:

وأداء الشهادة واجب في غير الحدود، لقبول الله تعالى: ﴿ولا يَأبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقوله تعالى: ﴿ولا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبَهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

أما جرائم الحدود فالستر مطلوب فيها، وإذا كان الستر مطلوباً فيها، فإن الإخبار بها يكون خلاف الأولى، وما كان خلاف الأولى لا يكون واجباً<sup>(٢)</sup>.

### نصاب الشهادة:

أما نصاب الشهادة فهو على أربع مراتب:

الأولى: الشهادة على الزنا ونصابها أربع رجال.

الثانية: الشهادة على بقية الحدود والقصاص ونصابها رجلان، ولا تقبل فيها شهادة النساء.

الثالثة: الشهادة على ما لا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء كالولادة، والبكارة فيكتفي فيها بشهادة امرأة واحدة.

الرابعة: سائر حقوق العباد، سواء أكانت مالا أو غير مال كالبيع والهبة والنكاح والإجارة والوصية، ونصابها رجلان أو رجل وامرأتان.

والشهادة حجة من الحجج الشرعية تثبت بها جميع الحقوق، سواء كانت من حقوق الله الخالصة أو من حقوق العباد، مهما كانت قيمة الشيء المدعي به، طالما توفر النصاب المشترط للحق المدعي به، وطالما توفرت الشروط والضوابط التي قررها الفقه الإسلامي لهذه الشهادة، سواء تعلقت بالشاهد وما يتعلق به من تزكية، وتحمل، وأداء، ومعاينة للمشهود به، أو سماع فيما يقبل السماع فيه، أو تعلقت بالمشهود له، أو المشهود به. والشهادة ليست كالأقرار القاصر على المقر وحده، إنما هي حجة متعددة يثبت بها الحق المدعي به على الغير.

### مقارنة بين الفقه والقانون في موضوع الشهادة:

(١) الشهادة في الفقه الإسلامي دليل كامل يثبت به جميع الحقوق سواء أكانت من حقوق الله الخالصة أو من حقوق العباد مهما كان القدر المدعي به، أما في القانون الوضعي فهي دليل احتياطي واستثنائي غير كامل، فلا يؤخذ بها كدليل إلا في حدود معينة (المواد ٦٠ إلى ٦٤ إثبات

(١) الطرق الحكمية ص ١٤، بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦٣، فتح القدير لابن الهمام ج ٦ ص ٣.

(٢) البحر الرائق ج ٧ ص ٦٠، حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ١٩٨.

مصري) كما لا يثبتون بها كل دعوي مدنية إلا في حالات استثنائية كحالات فقد السند من صاحبه بقوة قاهرة من حريق أو غرق أو سرقة .

والواضح أن هدف القانونيين من ذلك هو الحد من شهادة الزور التي احترفها الكثيرون فأصبحوا حربا على العدالة . كما أن القانون قد جعل معوله في الأثبات على الكتابة والمحركات الرسمية .

ولاشك أن شهادة الزور من أكبر الكبائر في الشريعة الإسلامية ، حذر منها المولى عزوجل ورسوله الكريم ، يقول تعالى ﴿ واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ (الحج : ٣٠) . وتضافرت الأخبار عنه ﷺ بمنعها وتحريمها وتأثيم مرتكبها .

ولذا فإننا نقول أن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تؤخذ بكامل منهجها التشريعي نظاما وخلقا ، وإلا لما استطعنا أن نجني ثمرتها ، أو نفيد من تطبيق قانونها الفائدة المرجوة ، فالقانون وحده لا يكفل الأمن ولا يقيم العدل إلا إذا صحبته صحة ضمير ممن يطبق القانون ، ومن يسرى عليه القانون ، وإلا لكان أشبه بجسد بلا روح ، والشريعة الإسلامية بما تبذله من إصلاح للفرد ، وما تقيمه من ضمير يفظ ، يراقب الله عزوجل ، تجعل من قلب كل فرد في المجتمع الإسلامي رقبيا عليه ، فلا يقدم على قول أو فعل فيه غضب لله تعالى ، فالقاضي بها يحكم ورائده رضا الله بإيصال الحق إلى أهله ، والشاهد يشهد ورائده رضا الله بأداء الشهادة على وجهها ، والخصم ينبغي أن لا يقصد بخصومته الجور والتعدى . وهكذا تندرج هذه المراقبة لله على كل فرد في المجتمع الإسلامي في أفعاله وأقواله وسلوكه .

أما الكتابة الذي عول عليها القانون وجعلها دليلا رئيسيا في الأثبات خصوصا في المعاملات المدنية والتجارية ، فالشريعة الإسلامية مع احترامها لمبدأ الكتابة وحضها عليه ، حتى ذهب بعضهم إلى وجوبه في إثبات الديون استدلالا بالأمر بالكتابة في آية الدين في سورة البقرة : ٢٨٢ (١) . إلا أن عامة الفقهاء لم يجعلوه شرطا لا يجوز الأثبات إلا به .

(٢) إن القانونيين بالرغم من اعتدادهم بالشهادة إلا أنهم لم يتقيدوا فيها بنصاب معين ، كما أنهم لم يفرقوا بين شهادة الذكر وشهادة الأنثى ، ولم يخصوا كل منها بموضع على النحو الذي قدمناه في الفقه الإسلامي ، ولم يلاحظوا أن شهادة الرجل كشهادة المرأتين . ولاشك أن هذه الأحكام منها ما هو مقرر وفق آيات محكمات ، ومنها ما هو مستفاد من أقوال رسول الله ﷺ وأقضيته . فستان بين من يكون مصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن يكون مصدره العقل البشري الذي لا يتقيد بنصوص أو أوامر إلهية .

(٣) لا يشترط عند فقهاء الشريعة أن يحلف الشاهد يمينا قبل أداء الشهادة وإن كانت محاكنا الشرعية قد درجت على ذلك الآن . أما في القانون الوضعي فتعتبر الشهادة باطلة إذا لم

(١) راجع تفسير القرطبي على الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

يؤد الشاهد اليمين (مادة ٨٦ إثبات مصري ومادة ٢٨ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٤) إذا كان القانون الوضعي قد انتهى إلى وجوب التفريق بين الشهود حتى يؤدي كل شاهد شهادته على انفراد (مادة ٨٤ إثبات مصري والمادة ٢٩ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١). فإن الأمام علي - رضى الله عنه - هو أول من فرق بينهم في مجلس القضاء، كما ذكر ذلك الكندي في القضاء، وابن القيم في الطرق الحكمية، وخلاصته أن شابا شكوا أن نفرا خرجوا مع أبيه للتجارة وكان معه مال كثير، فعادوا دونه، فرفع الأمر إلى شريح الذي استخلفهم وخلى سبيلهم. ثم رفع الأمر إلى علي - رضى الله عنه - الذي وكل بكل شاهد رجلين وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم من بعض، ولا يمكنوا أحدا أن يكلمهم، ثم دعا كاتبه ونادى عليهم واحدا واحدا يسألهم عن يوم خروجهم، ونزولهم، وأين مات، أبو الفتى، ومن صلى عليه، وأين دفن، فلما رأى اختلافهم ضيق عليهم فأقروا بالقضية<sup>(١)</sup>.

### مقارنة بين الشهادة والأقرار:

(١) الشهادة حجة كاملة لاتصال القضاء بها، لأن القاضي ولايته عامة وتتعدى إلى الكل، أما الأقرار فإنه حجة قاصرة على المقر وحده، ولا يحاسب الغير بإقراره، وذلك لقصور ولايته على غيره، ولذا فإنه لو أقر مجهول النسب بالرق جاز على نفسه وماله ولا يسري هذا الأقرار على أولاده.

(٢) الشهادة لا توجب حقا إلا باتصال القضاء بها، أما الأقرار فإنه موجب للحق بنفسه عند عامة الفقهاء وإن لم يتصل به القضاء. والجدير بالذكر أن القانون الوضعي لا يعترف إلا بالأقرار القضائي، أما الأقرار في غير مجلس القضاء فلا عبرة له عندهم (مادة ١٦ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٣) يصح الأقرار بالمعلوم والمجهول، ويقبل إقراره، بخلاف الشهادة فإنها لا تكون إلا بعد العلم بالمشهود به. فلو قال لفلان عليّ دين أو حق، قبل، ولو أقر بزناه بامرأة لا يعرفها حد ولا بد من علم الشهود بالمشهود عليه فلو قالوا لا نعرفها ترد شهادتهم.

ولا يوجد دليل من أدلة الأثبات غير الأقرار والشهادة اتفق الفقهاء على حجيته، وعليه فقد تبقى لنا الأدلة المختلف فيها وهذا ما سنحاول عرضه في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

(١) الطرق الحكمية ص ٤٥.



# شَرَعِيَّةُ المَعَامَلَاتِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا البُنُوكُ الإِسْلَامِيَّةُ المَعَاصِرَةُ

للسَّيِّدِ عُمَرَ الرَّعْمِيِّ جَدِّ الرَّحْمَةِ  
الكويت

\* هذه كلمة من محب لكم ولأمتنا الإسلامية أسديها لكم تبرئة للذمة ونصحاً للأمة، وحساب الجميع على الله سبحانه وتعالى. ولأن موضوع البنوك الإسلامية طويل ومتشعب، ولأنه لا يسعني في هذه العجالة تفصيل هذا الأمر، فإنني سأضع بين أيديكم خطوطاً عرضية محددة لما يجب أن يدور عليه البحث ولما أحب أن ألفت نظركم إليه.

أولاً : البنوك الإسلامية غاية وهدف :

من تحصيل الحاصل الآن أن أذكر أن البنوك الإسلامية غاية إسلامية وهدف وأمل لكل مسلم صادق وأن كل مسلم مطالب بأن يسعى إلى إقامة هذه المصارف الإسلامية على النحو الذي يحقق للمسلم طيب المطعم والكسب، ولأمة الإسلام النصر والعزة، ولاشك أنه يبرأ من الإسلام من يريد أن يحول بين المسلمين وبين إقامة نظام اقتصادهم وفق الشريعة ومن يريد تعطيل مسيرة البنوك الإسلامية لتطبيق شريعة الله.

ثانياً: نظرة الى الوراثة:

من جانب الحرص على المصارف الإسلامية كتبنا مقالات مطولة في عدم شرعية كثير من المعاملات الجارية الآن فيها، وقد كان لنا بحمد الله شرف الدعوة والعمل من أجل إقامة هذه المصارف وذلك منذ عام ١٩٦٦ مقتدين ومساعدين لأستاذنا في هذا الصدد الدكتور عيسى عبده رحمه الله الذي هو بحق رائد ومنشئ أول مصرف إسلامي فجزاه الله عن المسلمين خيراً وأفسح له في جنان الخلد.

ثالثاً: الغاية التي من أجلها تنشأ المصارف الإسلامية:

لا يخفى عليكم أن المصرف الإسلامي يختلف عن المصرف الربوي في شيء أساسي هو أن المصرف الإسلامي هو التاجر والصانع والزارع والمؤجر، والذي يعمل في الصيد واستخراج المعادن، وباختصار هو الذي يقوم بكل الأعمال المشروعة للكسب وهذا بعكس

البنك الربوى الذى يقوم بدور الوسيط فقط بين صاحب المال وبين صاحب المشروع الزراعى أو الصناعى أو التجارى . فالمصرف الربوى فى حقيقته وكيل عن المودع فى أنه يقرض ماله بالربا بفائدة معلومة دون أن يتحمل شيئاً من الخسارة ، وأما المصرف الإسلامى فإنه يأخذ المال من المودعين ليزرع هو ، ويصنع هو ، ويبنى هو ، ويؤجر هو ، وبالتالي يكسب أو يخسر ويشارك المودع فى الربح والخسارة .

وليس بخاف على أحد اليوم أن المصارف الإسلامية جميعها لم تقم بشىء يذكر مما أسست من أجله فلم تفتح بنفسها زراعة أو صناعة أو تجارة أو صيداً أو استخراج معادن . اللهم إلا خمسة فى المائة فقط من الأموال المودعة عندها ذهبت إلى هذا الصدد وأما بقية الأموال المودعة فإنها تتعامل فيها بطريقة ربوية لا شبهة فيها بتاتاً أنها ربوية تحايلية . وذلك فيما يسمونه ببيع المرابحة ، وكذلك فى الاعتمادات المستندية .

ففى بيع المرابحة المزعوم يشتري المصرف الإسلامى فى الظاهر لنفسه وفى الحقيقة للمشتري الذى تعاقده معه وباع له ، والمصرف هنا ليس مشترياً حقيقة وإنما هو وسيط ربوى ضامن للربح غير مخاطر بشىء فهو يبيع ويشترى فى وقت واحد ويسلم البضاعة وهى ما زالت فى مصانعها أو فى البحر أو فى مخازن التاجر البائع . وهذا تحايل صارخ على الربا وليس من البيع فى شىء وقد فصلنا هذا الأمر بحمد الله فى مقالات عديدة ، ورددنا ردوداً شافية على كل الذين حاولوا الدفاع عن هذا البيع الزائف الذى يسمونه (بيع المرابحة) وما هو من بيع المرابحة المعروف فى الإسلام فى شىء .

وأما الاعتمادات المستندية فهو نوع من ضمان وصول مستندات البيع إلى المشتري ، وهو خدمة تتقاضى عليها البنوك أجراً وهذا جائز إلا أن البنوك الربوية إذا سددت عن عميلها وتأخر فى السداد فإنها تحسب عليه فائدة ربوية على كل يوم تأخير ، وأما المصارف الإسلامية فقد وجدت من يتحايل لها أيضاً ويضع نسبة تصاعديّة على العميل المشتري فالذى يسدد فى ثلاثة أشهر يدفع ١٥٪ والذى يسدد فى ستة أشهر يدفع ٣٪ والذى يسدد فى سنة يدفع ٦٪ وهذا هو عين المداينة بربح معلوم ، ولا يفيد هذا القول بأن الدين مختلط مع عقد آخر هو الوكالة عن المشتري فى استلام المستندات ، لأن أخذ الأجرة على تسليم المستند معلومة ويمكن فصلها عن المداينة . ولذلك فلا فرق بتاتاً بين ما تصنعه المصارف الإسلامية الآن فى الاعتمادات المستندية . وما تصنعه البنوك الربوية . وهذه القضية أيضاً قد فصلناها فى مذكرة ورفعناها إلى بيت التمويل الكويتى عندما طلب منا أحد العلماء إفتاءً فيها .

رابعاً: ليس المهم أن نرفع شعاراً إسلامياً بل المهم أن تطبق الإسلام الحقيقي :

أظن أنه ليس بخاف عليكم أنه ليس المهم أن يرفع المسلم شعاراً يقول أنه مسلم ثم يمارس بعد ذلك ما يحلوه ، وإنما المهم الآن - والآن بالذات أن نظهر الإسلام الحقيقي وأن نقدم الإسلام حقيقة للناس . وقد ذكرت في معرض ردودي السابقة على قضية (بيع المرابحة) أنه بهذا الطريق من التحايل نستطيع أن نزاول كل الربا الموجود في الأرض الآن عن طريق ما يسمى (بيع المرابحة) فهذا النوع من التعامل قد يسر إجراء أى معاملة ربوية على أى صورة عن طريق ما يسمى (بيع المرابحة) وهذا معناه أن لا يوجد الآن ربا في الأرض فقط بل أى معاملة ربوية نستطيع أن نجعلها (شرعية) إلا بأن نغير شكل الكتابة فقط ، فبدلاً من أن أقول أخذت ديناً بفائدة كذا وكذا أقول إننى لست مشترياً ولا بائعاً وإنما أنا قد أسلفت نقودى لغيرى بفائدة معلومة لزمن معلوم .

خامساً: أنظروا عمن توقعون؟

وختاماً أقول للمجتمعين اليوم انظروا عمن توقعون . إنكم توقعون عن الله . فإن قلت إن هذا حلال فإنكم تعنون أن الله قد حرم هذا ، ولا شك أن تحليل الحرام كتحريم الحلال . وأن الربا إحدى وسبعون باباً أسرها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم . فانظروا أين تضعون أنفسكم ، واعلموا أن الله سائلكم غدا عما ستوقعون عليه اليوم .

وفى الختام أذكر هذه الحادثة لأوضح لكم إلى أى مدي أنتم مسئولون : فقد سألت بعض القائمين على المصارف الإسلامية : لماذا لا تؤسسون مشروعات صناعية وزراعية وتجارية وهذه هى المهمة التى من أجلها أسست البنوك الإسلامية؟ فقال لى : لانستطيع ذلك فقلت : شاركوا بعض الشركات القائمة اشترى وشركات ناجحة . فقال : لم نجد من نستأمنه؟ ونخاف أن نخاطر بأموال المودعين . فقلت له : هذه هى نفسها حجة المرابين . أنهم لا يريدون المخاطرة . ولكن أليس الذين أودعوا نقودهم عندكم من المسلمين الذين فروا من الربا . وأنهم دخلوا وأودعوا أموالهم عالمين أنها قد تتعرض للربح والخسارة؟ فلماذا تخافون إذن من المخاطرة؟ . ولم أسمع لليوم جواباً .

فيا إخوانى الأعزاء هذه مسئوليتكم : فإن وجهتم المصارف الإسلامية اليوم إلى العمل الإسلامى الصحيح توجهت . وكان لكم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى . وإن أقررت ما هو حاصل الآن من المعاملات الربوية كرستم الظلم والغش والربا وكانت المصارف الإسلامية القائمة اليوم وجهاً جديداً تحايلاً للمصارف الربوية فاخترتوا اليوم ما تشاؤون واللهم هل بلغت . اللهم فأشهد .

## متى يكون بيع المربحة حلالاً ومتى يكون حراماً؟

من المعلوم قطعاً أن كل عمل محرم إذا ألبس الصورة الشرعية فإنه يبقى على تحريمه بل يزداد حرمة لأنه يأخذ صورة الحيلة للتوصل إلى ما حرمه الله سبحانه . ولاشك أن المقاصد والنيات لها دخل كبير في الحكم على العمل هل هو حرام أم حلال . ومن المعلوم قطعاً أيضاً كون البيع مباحاً ولكن هذه الإباحة ليست على إطلاقها فإن ثمة شروطاً لابد من توافرها ليكون البيع حلالاً وثمة موانع تمنع صحة البيع لابد من الابتعاد عنها .

وقد أجاز فقهاؤنا الأقدمون نوعاً من البيع سموه بيع المربحة ولكنه اتخذ في بعض المعاملات الجارية والحادثة الآن صورة شرعية زائفة لعمل ربوي صريح .

فبيع المربحة المشروع هو أن يقول البائع للمشتري اشترت هذه السلعة بكذا وأربحنى فيها كذا وأبيعك إياها سواء باعه هذه السلعة حاضراً أم بأجل وهذا لا خلاف في مشروعيته بين الفقهاء . وما زال المسلمون يتعاملون في أسواقهم بمثل هذا البيع ، فكثيراً ما يقول لك التاجر «هذه السلعة وقفت علي بكذا أربحنى كذا وأبيعك إياها» .

والبيع هنا صحيح سواء كذب البائع أو لمصدق فكذبه هنا حرام عليه لا يمنع صحة البيع وإن كان في هذا إثم عظيم لقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة : وذكر منهم رجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له لقد اشتراها بكذا وكذا وإذا وهو على غير ذلك» رواه البخاري .

ولكن الصورة المحرمة من صور المربحة والتي لاشك أنها تحايل على الربا ، هو ما يصنعه الكثيرون ممن يلجأون إلى المصارف الإسلامية ، أو الممولين فيقولون لهم «اشتر لي الأرض الفلانية أو السيارة الفلانية وأنا أشتريها منك» وهو لا يلجأ إلى المصرف أو الممول إلا من أجل أن يبيعه مؤجلاً ومن أجل الحصول على المال ، فبدلاً من أن يقترض بربا ويشتري السلعة يلجأ إلى هذه الحيلة فيأخذ الممول أو المصرف وسيطاً لا من أجل الشراء وإنما من أجل الحصول على المال . والبنك الإسلامي لا يشتري السلعة لنفسه وإنما من أجل أن يبيعه لذلك المشتري ، فالمقاصد هنا معلومة قطعاً وصورة الشراء الأول والبيع الثاني ما هي إلا غطاء شرعي زائف لعمل غير مشروع يقينا وهو الربا . ومن أجل ذلك تتهم البنوك الربوية المتعاملين بمثل هذا البيع مع البنوك الإسلامية بأنه لا فرق بين عمل هذه البنوك وتلك ، وإن كان في البنوك الربوية صريحاً والبنوك الإسلامية ملفوفاً .

وعليه فاننا نقول في الحلال فسحة وأبواب الرزق المشروعة أكبر وأعظم من أبواب الرزق المحرمة. ولا يجوز تحليل هذه المعاملة لأنها تحايل واضح على الربا يتم في صورة البيع. ولا علاج لذلك إلا بأن يشتري البنك الاسلامى لنفسه ثم يبيع لمن شاء دون أن يكون هناك اتفاق أو وعد سابق على الشراء والبيع قطعاً لمادة الربا، وبعداً عن الشبهات، والحلال بين والحرام بين، ولا شك أن بيع المربحة بهذه الصورة من الحرام البين الذى لا يحتاج إلى كبير بيان.

## القول الفصل فى بيع المربحة

أولاً - صفة بيع المربحة (المشروع):

بيع المربحة الشرعى هو أن يذكر البائع للمشتري الثمن الذى اشترى به السلعة فيقول وقتت علي بكذا ربحنى فيها كذا وأنا أبيعك اياها: وفي هذا يقول ابن قدامة فى المغنى «معنى بيع المربحة هو البيع برأس المال وربح معلوم ويشترط علمهما برأس المال فيقول رأس مالي فيه. أو هو علي بهائة «مثلاً» بعثك بها وربح عشرة فهذا جائز لا خلاف فيه ولا نعلم فيه عند أحد كراهة» «اه».

ويقول صاحب بدائع الصنائع «فقه حنفى» هو أن يبيع بمثل الثمن الأول مع زيادة ربح. «ص ٢٢ ج ٥ ط أولى» وهذا البيع مازال معمولاً به فى أسواق المسلمين جميعاً الى اليوم فأنت تأتى الى التاجر فيقول لك هذه الشاة مثلاً اشتريتها بخمسين ديناراً ربحنى فيها خمسة دنانير وأنا أبيعك اياها.

ثانياً - صفة «بيع المربحة» المعمول بها فى بعض البنوك الاسلامية :

وأما المعاملة التى يسمونها فى البنوك الإسلامية بيع مربحة فهى تختلف عما قدمنا شكلاً وموضوعاً ونية وقصدًا، فإن البنك لا يملك السلعة والمشتري الذى يلجأ الى البنك لا يقصد خدمة البنك فى أن يشتري له وإنما - يلجأ الى البنك من أجل المال لأنه ليس لديه مال حاضر وهو يريد شراء سلعة ما «أرضاً مثلاً أو سيارة» فيأتى الى صاحب الأرض «البائع الحقيقى» ويتفق معه على السعر ثم يذهب الى البنك الإسلامى ويقول له اشترى الى هذه الأرض الفلانية ويوقع معهم عقداً يسمونه «وعد بالشراء». ثم يذهب موظفوا البنك ويحضرون البائع ويتفقون معه على أن يبيعوا له بثمن أكثر نسيئة أعنى الى أجل ويسمون هذه «الدورة الطويلة» بيع مربحة.

أوجه تحريم هذه المعاملة :

( أ ) قصد الربا :

ولا شك أن هذه المعاملة ليست من البيع والشراء في شيء فإن المشتري الحقيقي ما لجأ إلى البنك إلا من أجل المال، والبنك أيضاً لم يشتتر هذه السلعة بقصد أن يبيعها بأجل إلى المشتري وهذه المقاصد لا يستطيع أحد أن يكابر فيها.

( ب ) بيع ما لا يملك :

ولاشك أيضاً أن البنك الإسلامي عندما يأتيه مشتر ويقول : اشتر لي السلعة الفلانية فإن البنك يساومه على البيع ويشترط عليه إذا اشتراها له أن يشتريها بريح كذا وكذا، وهنا يكون البنك قد باع ما ليس عنده . وقد جاءت النصوص بتحريم ذلك بل إجماع الأمة كلها على هذا كما قال ابن قدامة في المغنى «ولا يجوز أن يبيع عيناً لا يملكها ليمضى ويشتريها ويسلمها رواية واحدة» أحمد بن حنبل «وهو قول الشافعي ، ولا نعلم فيه مخالفاً لأن حكيم بن حزام قال للنبي ﷺ : إن الرجل يأتيني فيلتمس من البيع ما ليس عندي فأمضى إلى السوق فأشتره ثم أبعه منه فقال النبي ﷺ «لا تبع ما ليس عندك» (أهـ ص ١٥٥ ج ٤ المغنى).

ومعلوم يقيناً أن البنك يبيع ما ليس عنده باتفاقه مع المشتري الذي يسمونه وعداً بالبيع ، والحال أنه تعهد مكتوب موقع عليه يلتزم به المسلم على الأقل أخلاقياً وأديباً ولا يجوز للمسلم أن يخلف وعده حقاً إن البنك لا يقاضي من يتخلف عن هذا الوعد ويطالبه أمام المحاكم بإنجاز ما وعد<sup>(١)</sup> ولكنه يكبله بتوقيع ووعد يلزمه أخلاقياً على الأقل أن يشتري ، وهل هناك بيع أظهر من هذا وأوضح .

( ج ) بيعتين في بيعة :

هذه المعاملة التي يتبايعون فيها في البنوك الإسلامية هي بيعتان في بيعة . وقد جاءت النصوص وكلام السلف بالنهي عن ذلك فقد صرح أن النبي ﷺ قد نهى عن بيعتين في بيعة . قال الإمام ابن تيمية «وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال لمن باع بيعتين في بيعة «فله أوكسهما أو الربا» وهذا إن تواطأ على أن يبيع ثم يبتاع فما له إلا الأوكس وهو الثمن الأقل أو الربا» أهـ فتاوى ج ٢٩ ص ٤٤٧ ولاشك أن الشراء الأول للبنك ثم البيع ما هما إلا عمليتان اثنتان في صفقة واحدة قصد بها التحايل على الربا.

(١) عندما كتبنا ذلك كان الأمر كذلك . وأما الآن فإن العقود الجديدة تنص على التقاضي أمام المحاكم إذا أحل أي طرف

بهذا الوعد .

## ( د ) القضية كلها تحايل لأخذ الربا :

وهذه المسألة برمتها ما هي إلا دورة طويلة ، القصد منها التوصل الى الربا بغطا شرعى . ولهذا قال ابن قدامة بعد أن ساق بعض المعاملات التى ظاهرها الشرع وباطنها التوصل الى محرم : قال : «والحيل كلها محرمة غير جائزة فى شيء من الدين وهو أن يظهر عقداً مباحاً يريد به محرماً مخادعة ، وتوسلاً الى فعل ما حرم الله ، واستباحة محظوراته أو إسقاط واجب ، أو دفع حق ، ونحو ذلك ، قال أيوب السختياني «إنهم ليخادعون الله كما يخادعون صبياً ، لو كانوا يأتون الأمر على وجهه كان أهون على» أ هـ .

وذكر صاحب المغنى أمثلة للحيل فى أبواب الربا منها قوله : «وهكذا لو أقرضه شيئاً وباعه سلعة بأكثر من قيمتها توصلنا الى أخذ عوض عن الفرض فكل ما كان من هذا على وجه الحيلة فهو خبيث محرم « ا هـ » واستطرد ابن قدامة قائلاً : «وقال أبو حنيفة والشافعى ذلك كله وأشباهه جائز إذا لم يكن مشروطاً فى العقد» لكن ، قال بعض أصحاب الشافعى «يكراه أن يدخل فى البيع على ذلك لأن ما كل ما لا يجوز شرطه فى العقد يكره أن يدخل عليه» ثم عقب ابن قدامة على آراء الشافعى وأبى حنيفة هذه بقوله «ولنا أن الله تعالى عذب أمة بحيلة احتالوها فمسخهم قرده وخنزير وسهام معتدين وجعل ذلك نكالا وموعظة للمتقين ليتعظوا بها ويمتنعوا عن مثل أفعالهم وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى « وموعظة للمتقين » أى لأمة محمد ﷺ فروى أنهم «أى بنى اسرائيل» كانوا ينصبون شباكهم للحيثان يوم الجمعة ويتركونها الى يوم الأحد ، ومنهم من كان يحفر حفائر ويجعل اليها المجرى فيفتحها يوم الجمعة فإذا جاء السمك يوم السبت جرى مع الماء فى المجرى فيقع فى الحفائر فيدعها الى يوم الأحد ثم يأخذها ويقول : ما اصطدت يوم السبت ولا اعتديت فيه فهذه حيلة . «أ هـ» .

وقال ابن عباس أيضاً فمن يشتري بنقد «حاضر» ومقصوده البيع نسيئة «أى الى أجل» قال «إذا استقمت بنقد ثم بعت بنقد فلا بأس ، وإذا استقمت بنقد ثم بعت بنسيئة فتلك دراهم بدراهم» قال ابن تيمية تعقياً على كلام ابن عباس هذا «ومعنى كلامه إذا استقمت ، إذا قومت يعنى إذا قومت السلعة بنقد وابتعتها الى أجل فإنما مقصودك دراهم بدراهم» الفتاوى ص ٤٤٢ ج ٢٩ «وعقب الامام ابن تيمية ناصحاً من يتبع بعض الأقوال الضعيفة لأهل العلم ويستحل مثل هذه الحيل قال «عليهم اذا سمعوا العلم أن يقولوا عن هذه المعاملات الربوية ، ولا يصلح أن يقلد فيها أحداً فمن يفتى بالجواز تقليداً لبعض العلماء فإن تحريم هذه المعاملات ثابت بالنصوص والآثار ولم تختلف الصحابة فى تحريمها وأصول الشريعة شاهدة بتحريمها ، والمفاسد التى لأجلها حرم الله الربا موجودة فى هذه

المعاملات مع زيادة مكر وخداع ، وتعب وعذاب فإنهم يكلفون من الرؤية والصفة والقبض وغير ذلك من أمور يحتاج إليها في البيع المقصود ، وهذا البيع ليس مقصوداً لهم وإنما المقصود أخذ دراهم بدراهم فيطول عليهم الطريق التي يؤمرون بها فيحصل لهم الربا فهم من أحل الربا المعذبين في الدنيا قبل الآخرة وقلوبهم تشهد بأن هذا الذي يفعلونه مكر وخداع وتلبس ولهذا قال أيوب السخيتاني « يخادعون الله كما يخادعون الصبيان فلواتوا بالأمر على وجهه لكان أهون علي » انتهى فتاوى ص ٤٤٥ ج ٢٩ .

### الخلاصة :

وخلاصة الأمر أن هذا البيع الذي يسمونه في بعض البنوك الإسلامية ببيع المربحة ليس هو ببيع المربحة في شيء ، واعتمادهم هو قول للشافعي رحمه الله في هذه المسألة لا يحل لهم ذلك لأمرين :

الأول : أن الشافعي يفترض في هذا حسن النية وعدم التحايل على الربا قطعاً .  
والثاني : أن الشافعي رحمه الله يرى جواز ما يئاثل هذه الحيلة وهو بيع العينة كما قال :  
(وان اشترى الرجل طعاماً الى أجل فقبضه فلا بأس أن يبيعه ممن اشتراه منه دون غيره بنقد والى أجل) «أهـ ص ٣٩ ج ٣» وهم لا يقولون بجواز مثل هذا البيع لأنه تحايل فكذا يجب أن يقولوا ذلك في مثيله «أهـ» .

### كلمة أخيرة :

وعلى كل حال فليس مقصوداً في هذا والله يعلم . الطعن في البنوك الإسلامية ، والتشويش عليها ، كما أدعى بعض الناس ساعهم الله . بل مقصوداً هو النصح والتقويم وخاصة إن هذه معاملة قد استشرت في الناس ويعلم العامة قبل الخاصة أنها تحايل صريح على الربا ، والبنوك الإسلامية لم تبدأ عملها بعد وما زالت في أول الطريق وعملها يبدأ عندما تكون هي الزارع والصانع والتاجر والشريك الحقيقي الذي يتحمل في الربح والخسارة ، والمضارب الذي يمول غيره ويتحمل في الربح والخسارة ، وهنا فقط يبدأ عمل البنك الإسلامي والطريق طويل ونسأل الله العون كل العون للقائمين عليها . ونصيحتي للمودعين أن لا ينتظروا الربح السريع من أول الطريق بل علينا التضحية ولن يضير البنك الإسلامي إذا مكث سنة أو سنتين أو أكثر يؤسس شركات حقيقية ، ويشارك هو حقيقة وبينى اقتصاداً إسلامياً حقيقياً ، ولو أنه في سبيل ذلك لم يحقق لزيائنه هذه النسبة المرتفعة من الأرباح .



## البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق :

\* يعقد حالياً في الكويت المؤتمر الثاني للمصارف الإسلامية، وذلك لمناقشة شرعية المعاملات التي تمارسها المصارف الإسلامية، وحتى يدرك الجميع الحقائق التي تواجهها هذه المؤسسات، ويعرف الناس ما يدور بداخلها نحب أن نضع الجميع أمام هذه الحقائق لتصل المصارف الإسلامية إلى التطبيق الصحيح للإسلام ولتكون مصارف إسلامية حقيقية وليست مجرد غطاء إسلامي لواقع ربوي .

### أولاً : الفارق الأساسي بين البنك الربوي والمصرف الإسلامي :

كثيرون لا يدركون الفارق الأساسي بين المصرف الإسلامي والبنك الربوي والفارق باختصار يتمثل فيما يأتي :

\* البنك الربوي يقوم نظامه وعمله الأساسي على تجميع أموال المستثمرين، ومن ثم اقرضها بفائدة ثابتة للتجار والمؤسسات والمصانع والحكومات والأفراد المحتاجين، وهذا يعني في المحصلة أن البنك الربوي وكيل عن المودع في اقرض أمواله بفائدة ثابتة ثم هو أعني البنك الربوي يتقاسم الفائدة بينه وبين المودع . وهذا يعني أيضاً أن البنك الربوي لا يخاطر بالأموال وإنما يقرضها بفائدة ثابتة . وما يتحصله من فوائد يتقاسمه مع المودعين فيه .

\* وأما المصرف الإسلامي فإنه يجمع أموال المودعين لا ليؤجرها أو يقرضها للغير وإنما ليعمل هوبها من خلال مؤسساته الخاصة - يعمل بها في الزراعة والتجارة والصناعة وشراء العقار وتأجيرها وسائر أوجه الكسب المشروع وبالتالي فالمصرف الإسلامي مخاطر بأموال المودعين لأنه قد يكسب ويربح عند ممارسته لهذه الأعمال وقد يخسر وبالتالي فإنه لا يعطى فائدة ثابتة وإنما يتقاسم الربح والخسارة مع المودعين (المستثمرين) هذا هو الفارق الأساسي بين البنك الربوي والمصرف الإسلامي .

### ثانياً - الواقع الفعلي للمصارف الإسلامية :

ولكن للأسف فإن هذا المفروض الذي بيناه آنفاً غير مطبق في المصارف الإسلامية الآن - اللهم إلا بنسبة ضئيلة جداً لا تتعدى خمسة في المائة ٥٪ من الأموال المودعة فيها . وأما بقية أعمال المصارف الإسلامية الحالية فإنها تعمل بطريقة ربوية خالصة وذلك على النحو التالي :

البنوك الربوية تقرض التجار الذين لا يملكون نقوداً حاضرة (سيولة) في مقابل فائدة

ثابتة . وهذا من الربا الصريح الواضح وأما المصارف الإسلامية ، فانها تصنع مع التجار نفس الصنيع ولكن عن طريق دورة طويلة من الاجراءات التي لاداعى لها . فالتاجر الذى يأتيها يريد (سيولة) نقوداً حاضرة تقول له نحن لانقرضك مالا (لأننا بنك إسلامي) . ولكن ماهى البضاعة التي تريدها أرنا إياها ونحن نشترىها ثم نبيعها لك . بشرط أن تتكفل أنت بجميع مصاريف الشحن والتأمين وجميع الالتزامات الأخرى التي تترتب على نقل هذه البضاعة وتأخذ منك عشرة في المائة . هذه هى صورة معاملة البنك الإسلامى مع التاجر الذى لجأ اليه من أجل (السيولة) النقود وهكذا يكون البنك الإسلامى ضامناً للربح غير مخاطر بشيء - فهو يوهم نفسه ويوهم الناس أنه يتاجر والحال أنه مقرض بفائدة وما قضية الشراء والبيع إلا تمثيلية وقد يسأل سائل وما الحرام فى ذلك والجواب أن الحرام يتأتى من أن البنك الإسلامى فى هذه الحال يبيع ما ليس عنده وما لا يملك وهذا لا يجوز فى الشريعة ، وبيع البضاعة ولم يتسلمها بعد ولم ينقلها إلى مخازنه وقد نهى النبى ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضه (كما فى صحيح مسلم) وكذلك سائر البضائع والتجارات وكذلك فالبنك هنا ليس تاجراً وإنما هو مقرض فقط فهو لا يشتري لنفسه وإنما يشتري لغيره ، ولا يلتزم بشيء بتاتاً نحو تجارته فلا هو ملزم بنفقات نقلها ، ولا بضمانها إذا هلكت بل وهو أيضاً غير ملتزم بتسليمها إلى المشتري وإنما يسلمه المستندات وهو يذهب لاستلام بضاعته التي تكون مازالت فى عرض البحر . ولذلك فالتاجر يكون فى جانب المخاطرة والبنك الإسلامى يكون فى جانب الأمان التام شأنه فى ذلك شأن البنك الربوى تماماً إلا أن البنك الربوى وصل إلى مقصوده دون لف ودوران والبنك الإسلامى لا يصل إلى مقصوده إلا بزيادة عناء ولف ودوران . وهكذا تكون (الشريعة الإسلامية) على هذا النحو مزيداً فى التعقيد والتطويل مع فعل نفس الأمر الذى حرمه الله سبحانه وتعالى .

### ثالثاً - الدعاوى لا تغير الحقائق :

وقد استباح القائمون على البنوك الإسلامية لأنفسهم مثل هذه المعاملة التي بينها أنفاً من باب أنهم عندما يأتيهم العميل فلاهم لا يبيعونه وإنما يعدونه وعداً غير ملزم بأن يبيعوا له إذا اشتروا السلعة . فإذا اشتروها لأنفسهم قاموا بعد ذلك ببيعها للعميل وهذا الكلام أيضاً غير صحيح بدليل ما يأتى :

١ - لا يوجد شيء فى الشريعة يسمى وعداً غير ملزم إذ المؤمن مطالب شرعاً بانفاذ ما وعد وإلا كان على شعبة من نفاق .

٢ - كيف يكون وعد الشراء هذا غير ملزم وقد نصوا فيه على ما يأتي كما جاء في نص العقد المعنون بـ (رغبة ووعد بالشراء) ففي المادة الرابعة منه : يتحمل الطرف الذي يخجل بهذا الوعد الضرر الفعلي الذي يلحق بالطرف الآخر ما لم يكن الاخلال لأسباب قاهرة أهـ . فكيف إذن يكون الوعد غير ملزم إذا كان الطرف الذي سيخجل بهذا الوعد سيتحمل الضرر الناشئ من الاخلال بالوعد ؟

ولعل قائلاً يقول إن الأمر لن يصل إلى أن يتقدم البنك الإسلامي بطلب محاكمة العميل الذي يتخلف عن انفاذ وعده للبنك وإنما هذا مجرد تهديد وتخويف وأقول هذا أيضاً خطأ لأن المادة الخامسة من هذا الوعد تنص على ما يأتي فهي تقول بالنص : «عند نشوء أى خلاف بين الطرفين بشأن هذا الوعد يصعب عليهما حله ودياً يعرض على محكمين ملتزمين بالشريعة الإسلامية (هكذا) يتم اختيارها على الوجه التالي :

\* حكم يختاره الطرف الأول .

\* حكم يختاره الطرف الثاني .

\* وحكم تختاره غرفة تجارة وصناعة الكويت .

ويتم الفصل في النزاع وفقاً للقوانين والأعراف التجارية السائدة بدولة الكويت وبما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية (عجباً) ويكون حكمها سواء صدر بالاجماع أو بالأغلبية ملزماً للطرفين وغير قابل للطعن فيه بالمعارضة أو الاستئناف وإذا اعتذرت غرفة التجارة والصناعة عن ترشيح الحكم الثالث يقوم الحكمان المختاران من قبل الطرفين باختياره ، فاذا تعذر ذلك تقوم المحكمة الكلية بتعيينه وفقاً لأحكام قانون المرافعات المدنية والتجارية الكويتي» .

### وبعد . . . .

أنظرتم يا إخواني إلى مفهوم الوعد غير الملزم في نظر البنوك الإسلامية إنه وعد يجرك جراً إلى محاكمة لا استئناف فيها ولا طعن فأى إلزام وأى دكتاتورية أبلغ من هذا . . . ؟ إن هذه الالتزامات المترتبة على هذا الوعد بالشراء (غير الملزم) لهى أبلغ من كل الالتزامات التي تترتب على الإخلال بعقد بيع حقيقى . ولذلك قلنا إن الادعاء بأن وعد الشراء غير ملزم أكذوبة كبيرة وإيهام كبير .

رابعاً - نناشدكم الله العودة إلى الحق والصواب

للأسباب السابقة كتبنا مراراً وتكراراً مناشدين القائمين على البنوك الإسلامية الله - أن يعودوا إلى الحق والصواب وأن لا تصحح الشريعة الإسلامية ألعوبة في أيديهم فإن الدنيا

لا تغنى من الآخرة شيئاً، ومصير الجميع غداً بين يديه سبحانه وتعالى وهو سائل كل إنسان منا على ما اكتسبه بلسانه وقلمه ويده .

ولذلك قلنا إن المؤتمر الحالى للبنوك الإسلامية مفترق طرق فإما أن تتحول البنوك الإسلامية إلى مزاولة عملها وفق الشريعة حقيقة وذلك بأن تفتح هى وكالات تجارية وتمارس التجارة الفعلية حقيقة ، وكذلك تقوم هى بالزراعة والصناعة والبناء ، والمقاولات بشركاتها وعمالها وصناعها ، وإما أن تأخذ البنوك الإسلامية من المجتمعين صكاً شرعياً لتزاول ما تزاول من أعمال ربوية تحت غطاء هذا الصك الشرعي .

فماذا أنتم فاعلون أيها المجتمعون اليوم ؟

### الفرق بين التاجر والمرابى

من المقطوع به فى الشريعة أن الله سبحانه وتعالى قد أباح البيع ، وحرم الربا . ومقالنا هذا مخصص وموجه لوضع الفروق بين البيع المشروع والربا المحرم .

تعريف البيع وشروط صحة عقده :

البيع معروف لدى جميع الناس تقريباً وهو استبدال نقود بسلع ، أو سلع بسلع أخرى كاستبدال أرز بنفط مثلاً . ويشترط له الصدق وعدم كتمان العيب ، وخيار المجلس «ولهذا شرح فى مقام آخر إن شاء الله تعالى» والتسليم . ومن شروطه الهامة التى تخفى على كثير من الناس وجوب حيازة التاجر للسلعة قبل بيعها للمشتري ومعنى هذا أن التاجر لا يجوز له أن يبيع مالىس عنده . وأنه يجب عليه أولاً أن يشتري السلعة ويجوزها ثم بعد ذلك يشرع فى بيعها .

حكمة مشروعية البيع :

ولا يخفى حكمة مشروعية البيع وجواز الربح من ورائه وذلك لما يأتى :

( ١ ) البائع خادم للناس لأنه يجلب البضاعة ويتعهدها ، ويعرضها لمن يشتري ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والتعب ، ومعنى هذا أنه يقوم بخدمة حقيقية لغيره .

( ٢ ) البائع مخاطر فهو يشتري السلعة بهاله ومخاطر فى طلب الربح وقد تربح تجارته وقد تكسب وتبور . ولذلك فهو يتغنى فضل الله كما فسر العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ابتغوا من فضل الله ﴾ قالوا هو التجارة لأن الله نهى عنها

في الآية التي قبلها عند سماع النداء بصلاة الجمعة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ الآية . .  
الجمعة ٦٠ .

وهذا سبب هام لإباحة التجارة وذلك أن البائع كما قلنا منتظر لفضل الله وهو كسب تجارته الذي قد يأتي وقد لا يأتي تماما كالزارع والراعي والصياد وكل هؤلاء ينتظرون الربح ويخافون الخسارة .

والآن نأتى إلى الربا فما هو الربا ولماذا كان حراماً ؟ :

تعريف الربا :

الربا نوعان أساسيان أولهما : أخذ زيادة على تسليف النقود . ومعنى هذا إنه تأجير النقود لمدة معينة بسعر معين . حيث يسترد المرابي رأس ماله والزيادة وهذا هو الربا المشهور وهو ما يسمى في الفقه بربا النسيئة لأن النساء من الامهال ومعناه امهال مستلف النقود مدة معينة مقابل زيادة على رأس المال . وأما النوع الثاني من الربا فهو بيع أصناف معينة من السلع بجنسها متفاضلاً ومن هذه الأصناف الذهب والفضة والقمح والشعير ، والزبيب والتمر . وما قاسه العلماء على هذه السلع . فلا يجوز مثلاً أن يبيع طناً من القمح بطن ونصف من قمح آخر . وهذا النوع لا يعيننا الآن في مقالنا هذا لأن تحريم هذا النوع من الربا إنما هو من باب سد الذرائع .

لماذا حرمت الشريعة الربا ؟ :

وفي تحريم الربا حكمة عظيمة جداً أهمها ما يأتي :

( ١ ) القيام بخدمة لا يجوز أخذ الأجرة عليها :

لاشك أن الربابي يؤدي خدمة للمدين فهو يسلفه النقود ، والمدين يستفيد ولاشك بأخذه لهذه السلفة . فقد يكون محتاجاً إليها لتنفيس كربه كأن يكون محتاجاً إليها للاستثمار والاتجار كأن يكون مريداً للزراعة أو صناعة أو تجارة أو نحو ذلك وحصوله على المال من المرابي «مصرفاً كان أو غيره» سهل له ذلك .

ولكن هذه الخدمة نهى الشارع الحكيم عن أخذ أجرة عليها وذلك لما تؤدي إليه من فساد النفوس والمجتمعات ولذلك جعلها الشارع خدمة مجانية تماماً كالشهادة والكفالة ، والشفاعة ، والضيافة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وكل هذه الخدمات ولاشك من المسلم للمسلم ولكن الشارع نهى وحرم أخذ الأجرة على شيء من ذلك ، وجعل تسليم النقود خدمة مفروضة بلا أجر . وذلك أن أخذ الأجر على هذه الأعمال يؤدي إلى التقاطع والمقت والكراهية وفقدان المحبة والموالة بين المسلم والمسلم .

( ٢ ) المرابي غير مخاطر وهو في جانب الأمان دائماً :

السبب الثاني الذي من أجله حرم الربا أن المرابي لا يخاطر بهاله ولا يضعه إلا حيث يضمن الربح ولا يهتم بمن أخذ منه المال هل خسراً أم كسباً وبذلك يظل المرابي في جانب الأمان دائماً فينمو ماله باستمرار ويظل غيره في جانب الخطر صعوداً وهبوطاً . واستمرار الحال على هذا النحو معناه في النهاية تحول المال إلى القلة وبالتالي تحول السيطرة والعلو والنفوذ .

( ٣ ) الربا ضد الزكاة :

يستحيل أن تزكون نفس المرابي لأنه يأخذ المال ممن أسلفه دون نظر إلى فقره أو غناه ولذلك يستحيل أن يكون المرابي منفقاً مزيكياً . بل لا تروج بضاعة المرابي وهي تأجير النقود إلا في الأزمات والمصائب وفي وجود احتياج الناس له .

هذا باختصار أهم الفروق بين المرابي والتاجر أو بين البيع والشراء . والآن تعالوا لنطبق هذه القواعد على البيع المزور الذي تمارسه البنوك الإسلامية لننظر هل هو من البيع أو من الربا ؟

تعريف البيع الذي يسمونه بيع المربحة :

تاجر كويتي يبيع الأحذية مثلاً وله محلاته وزبائنه ويريد أن يستورد صفقة كبيرة من إيطاليا مثلاً ليس عنده نقود لشراؤها . فيذهب إلى البنك الإسلامي ويقول هذه صفقة أريد شراؤها من إيطاليا وهذه مواصفاتها وكميتها وعنوان مصنعها . والآن ماذا يصنع البنك الإسلامي . يقول لهذا العميل «تاجر الأحذية» نحن نشترها لك بزيادة «بربح» ٢٠٪ مثلاً عن ثمن الشراء ويقول التاجر قبلت على أن يسدد هذا المبلغ في غضون عام أو عامين مثلاً أو أقل من ذلك أو أكثر . ويحصل الاتفاق شفويّاً أو كتابياً على ذلك .

ثم يقوم البنك بشراء السلعة من مصادرها وبمجرد شحنها يستدعي تاجر الأحذية ليوقع عقداً بالشراء مع البنك وتصبح البضاعة التي مازالت في البحر ولم يتسلمها أحد بعد في ذمة تاجر الأحذية . . . والآن لنناقش هذا العقد بصراحة .

## والسؤال الأول : هل البنك هنا مارس التجارة ؟

والجواب . . . لا حتماً . لأسباب كثيرة منها : أن البنك لا يتاجر في الأحذية فليس له خبرة بها ولا يعرف ما يروج في الكويت مما لا يروج فيها وليس عنده أى معرض أو مخزن لاستقبالها . ويوم طلب البنك هذه السلعة من مصدرها لم يكن يعلم أى شىء عن محتوياتها ؟ فكيف يكون هذا تاجراً . . . ؟

وثانياً : التاجر يؤدى خدمة للمشتري كما ذكرنا آنفاً وهى أنه يجلب البضاعة ويتعهد بها ويعرضها والبنك هنا لم يفعل شيئاً من هذا قط فالمشتري وهو تاجر الأحذية هو الذى له علم بمصانع الأحذية وأنواع هذه الأحذية ومعرفة ما يروج مما لا يروج وهو الذى يتحمل الخسارة إن بارت هذه السلعة . وأما البنك فقد قام بعملين فقط أحدهما حقيقى وآخر زائف .

أما العمل الحقيقى فهو أنه دفع ثمن السلعة لمصدرها فى إيطاليا والثانى هو عقد شراء من المصنع لهذه الأحذية وعقد الشراء هذا زائف وباطل لأنه لم يشتر لنفسه وليحوز السلعة اليه وإنما اشتراها ضامناً بيعها على تاجرها الحقيقى . وبهذا يتبين أن البنك الإسلامى هنا يقوم بمهمة المرابى تماماً الذى يسلف النقود ويضمن الربح .

وثالثاً : لاشك أن البنك الإسلامى بهذه الصورة يكون بنكاً طفيلياً ربوياً ، فهو بهذه الصورة ليس بتاجر قطعاً . لأن التاجر يلتزم بتسليم السلعة للمشتري والبنك الإسلامى لا يسلم السلعة وإنما يبيعها وهى ما زالت فى البحار وأمامها كثير من المخاطر والآفات وقد تكون موافقة للمطلوب وقد تكون مغشوشة من مصدرها وكل هذه الأخطار تقع على المشتري ولا يلتزم . . . البنك بشىء منها لأنه يفض يده من السلعة قبل وصولها .

ومن أكبر الأدلة على طفيلية البنوك الإسلامية الحالية بهذه المعاملة المحرمة إنها لا تلتزم بأى إتفاق قانونى أو أخلاقى أو إنسانى نحو السلع التى تستوردها لعملائها . . . فالتاجر الحقيقى الذى يستورد غسالات مثلاً أو سيارات أو ثلاجات ملتزم قانونياً وأخلاقياً أمام زبائنه بقطع الغيار والتصليح والصيانة ، والبنك الإسلامى يستورد ويبيع كل هذه الأشياء دون أى التزام قانونى أو أخلاقى بصيانتها أو تصليحها . . . وإنما يقع هذا على كتف التجار الحقيقين الذين يشتري لهم البنك . . .

وبهذا يظهر لكل ذى عينين أن البنك الإسلامى فيما يسمونه ببيع المرابحة لا يمارس

تجارة وإنما يمارس التمويل الربوى الذى لا شبهة فيه . فحقيقة عمله فى التجارة هو أن يسلف  
التجار لشراء بضائعهم بزيادة «ربح» ربوية فى مقابل أجل السداد .

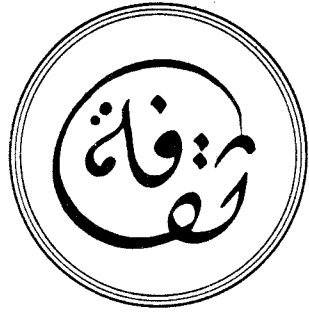
ومرة ثانية نقول شتان بين النظرية والواقع لقد قامت البنوك الإسلامية لتمارس  
الاقتصاد الاسلامى ولو فعلت هذه حقيقة فى مجال هام كالتجارة لقلبت أوضاع السوق رأساً  
على عقب ، ومن ذلك أنها كان يمكن أن تكسر احتكار المحتكرين ، وأن تكتفى بالربح  
القليل تيسيراً على عامة الناس وأن تشجع صغار التجار ، وأن تقلل من السماسرة ، وأن  
ترخص الأسعار حتماً لأنها ستقضى على أرباح البنوك الربوية التى تأخذها من التجار فى  
مقابل التمويل ولكنها للأسف لم تفعل شيئاً من ذلك ، وإنما جعلت من نفسها بنوكاً ربوية  
جديدة حيث تأخذ فائدة من التاجر الذى يشتري منها وبذلك تزيد ثمن السلعة على  
المستهلك ولومارست هى التجارة رأساً وتحملت مخاطرها لحذفت من تكاليف السلعة هذه  
الزيادة الربوية وكانت كلفة السلعة هى : ثمن الشراء + مصاريف النقل والتخزين  
والعرض + الربح ، وأما تكلفة السلعة الآن فهى : ثمن الشراء من المصدر + تكاليف النقل  
والتخزين والعرض + فائدة البنك الإسلامى + ربح التاجر .

وهكذا وضعت البنوك الإسلامية نفسها موضع الوسيط الطفيلى الذى يضمن الربح  
عن طريق تمويل التجار بدلاً من أن تكون هى التاجر المسلم الحقيقى الذى يتغنى من فضل  
التاجر ويحاطر بهاله فى البر والبحر وينفع عباد الله .

وبعد فلقد حاولت جهدى أن أشرح هذا الموضوع بلغة سهلة واضحة لتقوم الحجة  
على عموم الناس . وذلك لخطورة هذا الأمر فقد أهلك الله طائفة من بنى إسرائيل  
ومسخهم قرده وخنازير لتحايلهم على أكل الحرام . وهذا البيع الذى يسمونه بيع المربحة  
هو من المحرم قطعاً لما أسلفنا وأرجو أن أبرىء ساحتى أمام الله وأكون قد بلغت . وأقول  
اللهم أشهد .

ومرة ثانية نحن لا نتهم نية أحد ، وحساب الجميع على الله وحده ، وعلى الذين  
يتهموننا أن يتقوا الله فى أنفسهم ، وأن يقرأوا هذا الكلام بنزاهة المسلم . والدنيا لا تغنى من  
الأخرة شيئاً . وحرام أن نسكت ونحن نرى البنوك الإسلامية تقع فى حماة الربا الخبيث  
الملتوى ، ولتسأل البنوك الإسلامية . كم متجراً فتحت ؟ وكم مصنعاً شيدت ؟ وكم يداً  
عاملة استخدمت ؟ وأين الزراعة والرعى ، والتعدين الذى أنشئت من أجله ؟ هذا هو  
ميدان البنوك الإسلامية ، وليس ميدانها أن تكون وسيطاً ربوياً جباناً يخشى المشاركة  
والقراض ، والمخاطرة المشروعة فى سبيل الرزق والكسب .





اسلامية



# الغزو الفكريّ وسائله

لِسَمَاحَةِ شَيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَارِزٍ  
الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

س ١ : ما هو تعريف الغزو الفكري في رأيكم ؟

ج : الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعنى مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة . وهو اخطر من الغزو العسكري لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المغزوه ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصح مريضة الفكر والإحساس ، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه .

وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها ، والأمة التي تبتلئ به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً .

س ٢ : هل يتعرض العرب عامة والمملكة خاصة لهذا النوع من الغزو ؟

ج : نعم يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره :

- الغزو النصراني الصليبي .
- الغزو اليهودي .
- الغزو الشيوعي الإلحادي .

أما الغزو النصراني الصليبي فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح أدرك النصارى أن حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهي وقتية لا تدوم ، ولذا فكروا في البديل الأفضل ، وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادي وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين لأن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يري الكافر له الأمر والنهي

في بلده ، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه . وهذا ما حصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيش الصليبية الغازية . أما المسلم الذي تعرض لذلك الغزو الخبيث فصار مريض الفكر عديم الإحساس فإنه لا يري خطراً في وجود النصاري أو غيرهم في أرضه ، بل قد يري أن ذلك من علامات الخير ومما يعين على الرقى والحضارة . وقد استغنى النصاري بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوى وأثبت من أي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد ، وبثمن أو بلا ثمن ، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التي تستدعي العجل كما حصل في غزو أوغندا والباكستان ، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التي تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء .

أما الغزو اليهودي فهو كذلك لأن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم . ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى . وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم ، فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم . ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونحلاً باطلة كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها ويستعينون بالنصاري وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم .

أما الغزو الشيوعي الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية ، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة السليمة فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرها أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعي الخبيث وتعددهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب ، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدبت بعضهم ببعض وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعاناً من بنى الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبنى قومهم فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصاري واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً ، وبالمدد والعون أحياناً أخرى ، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم جميعاً يد واحدة على المسلمين يرون أن الإسلام هو عدوهم اللدود . ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

س ٣ : ماهي الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره ؟

ج : الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها :

١ - محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هي طريقة الغرب في كل شيء سواء فيما يعتقد من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق أو ماهو عليه من عادات وطرائق .

٢ - رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشرّبوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم ، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسائرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له .

٣ - تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تراحم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج و الأذكار وغيرها . ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدامة التي تحارب اللغة العربية وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي .

٤ - إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة وتشويق الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلّم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عوناً لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين .

٥ - محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها إما بطريق مباشر كما حصل في بلاد الإسلام حينما تولى ( دنلوب ) القسيس تلك المهمة فيها أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس ( دنلوب ) وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد .

٦ - قيام طوائف كبيرة من النصاري واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولى كراسى التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التي يلقنونها لطلبتهم أو التي تمتلىء بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال

قاموا بنصيب كبير من إحداث الفتنة الكبرى ، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب وما يولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة فأكملوا ما بدأه أساتذتهم وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم فالله المستعان ...

٧ - انطلاق الجيوش الجرارة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال ولقد تعد لها أضخم الميزانيات وتسهل لها السبل وتذلل لها العقبات ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ) « الصف : ٨ » وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهد الاستشراق موجه إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً وإنهم يتحملون مشاقاً جساماً في ذلك العمل في بلاد أفريقيا وفي القرى النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا ثم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمر يراجعون حسابهم وينظرون في خطتهم فيصحون ويعدلون ويبتكرون . فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفي ادنبرج سنة ١٩١٠ ، وفي لكونا سنة ١٩١١ ، وفي القدس ١٩٣٥ م ، وفي القدس كذلك في عام ١٩٣٥ م . ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله .

٨ - الدعوة إلى افساد المجتمع المسلم وتزويد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التي حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها وذلك حينما يلتقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه وإقامة قضايا وهمية ودعاوي باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت وأن لها الحق في كذا وكذا يريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلية بينة يقول الله سبحانه وتعالى : ( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً ) « الأحزاب : ٥٩ » ويقول سبحانه ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو أبناءهن أو أبناءهن أو أبناءهن ) الآية : « النور : ٣١ » ويقول : ( وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ) ويقول : ( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) « الأحزاب : ٣٣ » ويقول صلى الله عليه وسلم : ( إياكم والدخول على

النساء قال رجل من الأنصار يارسول الله أفرأيت الحموقال الحموموت ) وقال : ( لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ) .

٩ - إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين .

١٠ - تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية وتشيد بأهدافها وتضل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لهم تربية كافية عليه وخاصة في إفريقيا يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين .

هذه بعض الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم في سبيل غزو أفكار المسلمين وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غربية شرقية أو غربية وهى كما نرى جهوداً جبارة وأموا الأبطال و جنوداً كثيرين كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية إذ يعتقد القوم أن المشكلة الرئيسية في ذلك هى إخراجهم من الإسلام وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها أسهل وميسور . ولكننا مع هذا نقول إن الله سيخيب أمالهم ويبطل مكرهم ويضعف كيدهم لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين . قال الله تعالى : ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) « الانفال : ٣٠ » وقال سبحانه : ( إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ) « الطارق : ١٥ - ١٧ » وإن الأمر يحتاج من المسلمين وقفة عقل وتأمل ونظر في الطريق التي يجب أن يسلكوها والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون من الوعى والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم وعاملين على إحباطها وإبطالها ولن يتم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمسك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به وتذكر هديه في كل شئ وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين وتفهم معنى سورة الكافرون وما ذكره سبحانه في قوله : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ) « البقرة : ١٢٠ » وقوله : ( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ) « البقرة : ٢١٧ »

أسأل الله سبحانه أن يهيبء لهذه الأمة من أمرها رشداً ، وأن يعيذها من مكائد أعدائها ، ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها من العزة والقول والكرامة . إنه خير مسئول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# حديث عن الرورة

وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه

محاضرة أقيمت بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية

للكوثر علي بن محمد ناصر فقير  
عميد شؤون المسابقات بالجامعة

سأ الأربعاء ١٤٠٣/١/٣

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فإن الجامعة الإسلامية التي هيأ الله الأسباب لانشائها في المدينة النبوية التي قال رسول الله ﷺ فيها : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . . » وقد أسست لهدف نبيل وغاية محمودة ، وهو العودة بالمسلمين جميعاً إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية المأخوذة من الكتاب والسنة ، واتباع منهج سلف الأمة في ذلك ، وذلك لمعرفة المؤسسين لها والراسمين لسياستها وأهدافها ، أنه بصلاح القلوب وتنقيتها من جميع شوائب الشرك والبدع والخرافات تصلح المجتمعات وتصح مسيرتها ، لأن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، فالقلب ملك الأعضاء وقائدها .

وهذا هو منهج المصطفى ﷺ في دعوته ، فقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس لتحقيق هذه الغاية ، وهي توحيد الله وترك كل ما يدعى من دونه ، ولو علم ﷺ أن هناك منهجاً آخر يمكن به صلاح البشرية لتبعه ، فقد عرض عليه رؤساء قريش لصفه عن منهجه في دعوته أموراً منها : أنه إذا أراد بدعوته الملك فهم على أتم استعداد أن يتوجه ملكاً عليهم ، ولكنه يعلم أن الملك لا يصلح قلوب الناس ولا ينقذ البشرية مما وصلت إليه من تدهور في العقيدة والسلوك والأخلاق ، وإنما الملك ثمرة من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوف أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ [النور / ٥٥] .



ولذلك بقى في دعوته سائراً على منهجه غير مبال بمعاداة ومخالفة الناس جميعاً له فيما يدعوهم إليه - إلا الذين آمنوا بدعوته وهم قلة .

والفئة القليلة المؤمنة ، تغلب الفئة الكثيرة الضالة باذن الله .

فهو ﷺ يعلم أنه لو صار ملكاً عليهم ، وهم لا يؤمنون بمبادئه ، وشريعته التي يريد تطبيقها وتنفيذها عليهم يعلم يقيناً أن ليس في استطاعته ولا في مقدوره تنفيذ هذا المنهج فيهم .

ولكن حينما صلحت تلك القلوب فأمنت بالله ثم بكل ما جاء عنه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ ، قامت الدولة في المجتمع المدني الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً [ الأحزاب / ٣٦ ] .

فكما نعلم جميعاً ، أن عقوبة الزاني المحصن الرجم بالحجارة حتى الموت ، فما الذي دعى المرأة الغامدية أن تقدم نفسها لإقامة تلك العقوبة عليها ، وما الذي دفع ماعزاً أن يقدم نفسه لتلك العقوبة أيضاً .

والجواب - أنه صلاح القلوب التي أصبحت فارغة من كل شيء إلا الإيمان بالله وبما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ، الإيمان الجازم باليوم الآخر وما يجرى فيه ، وأن من لم يعاقب على جريمته في الدنيا ، فلن ينجو من ذلك يوم القيامة ، يوم الاجزاء على الأعمال إن لم يعفو الله عنه ، وبذلك الإيمان الصادق والعمل الصالح تحققت الخلافة في الأرض التي هي ثمرة من ثماره ، وذلك ليُعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ وبقيام تلك الخلافة تحافظ الدولة على حماية هذا المبدأ العظيم الذي خلق الله الجن والإنس من أجله ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [ الذاريات : ٥٦ ] . ولا تتحقق تلك المحافظة إلا بالقيام بكل ما من شأنه عز الإسلام وأهله وهو ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وحث عليه دستورها القرآن الكريم ، الذي لم يفرط في الله فيه من شيء ، وهو القائل : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] .

وقد قامت الدولة الإسلامية من عهدا الأول بذلك ، ومكن الله لها في الأرض ، وبحفظها لدين الله واقامة شريعته في الأرض بقيت لها العزة والكرامة .

وحين ابتعد الناس عن هذا المنهج الذى رسمه لهم رسول الهدى ﷺ ، وابتعد الناس عن دينهم فتركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم بعوامل كثيرة ، نشأ عنها تفرق الأمة فى عقائدها وسلوكها ومناهج حياتها بما يزينه لها أعداؤها ، فتشتت المسلمون وتفرقت كلمتهم ، وذلك بسبب تركهم لوصية رسول الله ﷺ وهى قوله : ( تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وستى ) .

ومعناه أن من ترك التمسك بهما فسيضل ، وهذا هو الواقع المشاهد . ومعلوم أن التمسك بهما هو العمل بما جاء فيهما أمراً ونهياً فى جميع مجالات الحياة ، بدأ بالعقيدة واخلاص العبادة لله وحده ، وانتهاء بعمل ما يمكن المسلمين من أداء هذه العبادة لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله : ( لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ) .

والمهتمون بأحوال المسلمين والذين يسعون لاصلاح المجتمعات ليستعيد الإسلام مجده ، وتستعيد الأمة الإسلامية كرامتها وقوتها وسيرتها الأولى ، هؤلاء يسلكون لتحقيق هذه الغاية مناهج مختلفة .

والناظر فى دعوات زعماء الاصلاح الذين سبقونا وهم كثيرون ، أقول إن المتبع لدعوات أولئك لا يجد دعوة نجحت وحقت ثمارها المرجوة منها إلا الدعوة التى سلكت وترسمت المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ ، وهو البدء باصلاح القلوب أولاً .

وأعنى بالمنهج الذى نجح فى ذلك هو منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى لازال المجتمع الإسلامى يجنى من ثمار دعوته المباركة ، رغم ما كثفه أعداء الدعوة هذه ضدها من دعايات باطلة ، سواء على المستوى السياسى الذى يتذرع به أصحابه لصد العامة عن سماع هذه الدعوة . أو على يد رؤساء الطرق الصوفية الضالة المضلة ، وذلك بما يبثونه فى أتباعهم من أن أتباع هذه الدعوة ودعاتها يكرهون رسول الله ﷺ ، والأولياء وينكرون كراماتهم ، وذلك ليحافظ هؤلاء على خدمة العامة وخضوعهم لهم لأخذ ما يحتاجونه من أموالهم بالدجل والشعوذة .

وسوف أذكر أمثلة من كتبهم حينما أذكر لكم ثانى رجلين من رجال الدعوة السلفية تعرف عليهما أعضاء الدورة ، وقد كان كل واحد منهما صاحب طريقة .

وقد قرأ الاخوة ما كتبه أحدهما عن مخازى طريقته التي أنقذه الله منها ، تلك الطريقة التي بلغ فيها الكاتب أعلى رتبة ، وهي رتبة الخليفة الذي له الاذن المطلق من أحمد التيجاني في اعطاء الطريقة والتنصيب والاذن لمن يراه أهلاً لذلك - وان شئت فقل : في اضلال الناس عن الصراط السوى وادخالهم في مذهب الحلول والاتحاد المعبر عنه عندهم بالفناء أحياناً - كما ذكر هو ذلك في أحد كتبه في الرد على الطريقة التيجانية .

أعود فأقول : إن الجامعة الإسلامية أسست في مدينة رسول الله ﷺ ، للعودة بالناس الى هذا المنهج الصحيح ، وقد جاء في أهدافها ايصال هذا الخير إلى العالم الإسلامي بالوسائل التي تحقق هذا الهدف ، وأولها التعليم ، فهي تقدم :

- ١ - منحاً دراسية لأبناء العالم الإسلامي حسب حاجات تلك البلاد وعدد سكانها .
- ٢ - ترسل بعثات للوعظ والإرشاد .
- ٣ - تبعث الكتب الدينية النافعة للمؤسسات والمدارس والأفراد .

أما المنح الدراسية : فقد لَبَّى أبناء العالم الإسلامي قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [ التوبة : ١٢٢ ] ، ودليل ذلك وجود أكثر من مائة جنسية من أبناء العالم الإسلامي في مختلف مراحل التعليم في الجامعة .

وبوصول هؤلاء الطلاب الجامعة الإسلامية يصبحون أمانة في عنق المسئولين فيها فعليهم أن يراعوا هؤلاء الطلاب وأن يعلموهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، على الأسس التي رسمتها الجامعة في سياستها وأهدافها . وهي الرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة .

وقد آتت الجامعة ثمارها في هذا الحقل فخرجت عدداً كبيراً من أبناء العالم الإسلامي ، وعادوا الى بلادهم رُسل خير يبلغون قومهم هذا الخير الذي حصلوا عليه في جميع أنحاء العالم ، وقد شهد لهم بذلك الذين زاروا تلك البلاد ورأوا أعمالهم وما يقومون به من توجيه وارشاد ، ولا عبرة بالشاذ منهم عن هذا المنهج فتلك سنة الله في خلقه .

وقد قال لي رئيس جماعة عباد الرحمن - في كانو - سليمان بللو - مقارنا بين الطلاب الذين يرجعون إليهم من البلاد العربية بعد إكمال دراستهم ، وبين الطلاب الذين يعودون من الجامعة الإسلامية .

قال : إن الطالب الذى يعود من الجامعة الإسلامية يمكنه سنوات وأنت تشم فيه رائحة المدينة . فقلت له : ما معنى هذا الكلام . فقال : إن سلوكه وأخلاقه ودعوته تختلف كثيراً عن الذين عادوا إلينا من البلاد العربية الأخرى .

أقول هذا لأن هدف الجامعة الإسلامية الأول فى نشر الدعوة هو التعليم وقد نجحت فى هذا نجاحاً ملموساً على يد خريجياتها حتى الذين كانوا فى أيام دراستهم لا يلقى لهم بال ولا يعرف عنهم نشاط ، فقد حدث عندهم رد فعل لما يشاهدونه من انحراف عن المنهج السوى .

- كما أن الجامعة حققت نجاحاً بالوسائل الأخرى التى أشرت إليها ، وهى إرسال الوفود للوعظ والإرشاد ، وبعث الكتب للمؤسسات والمدارس والأفراد .

- ولكن فى نظري ويشاركنى فى هذا كل الذين اشتركوا معى فى الدورة .

إن من أنجح الوسائل لهدف الجامعة بعد تعليم الطلاب فى داخلها ، هو المشاركة فى إقامة هذه الدورات التعليمية ، وذلك لما يأتى :

١ - الدورات التى شاركت فيها أنا وزملائى والذين سوف أذكر أسماءهم هى دورات تعليمية تقوم بتنفيذ منهج فى مواد معينة لها مذكرات بأيد الطلاب ، ويوضع جدول حصص لكل مدرس ليقوم بتدريس مادته كما لو كان فى المعهد .

٢ - المتدربون - هم معلمون فى مراحل التعليم المختلفة - الثانوى ، والاعدادى ، والابتدائى ، فهم ينقلون ما تعلموه إلى طلابهم فى مدارسهم ، والذين ينقلون ما يسمعون من أساتذتهم إلى أهليهم وذويهم .

٣ - المنهج المقرر يشمل مادة العقيدة ، وهذا هدف الجامعة الأول .

والعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة هى أساس كل انطلاق .

ثم مادة التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والنصوص ، والتربية ، وطرق تدريس المواد الدينية ، وطرق تدريس اللغة العربية ، ومواد أخرى مساعدة .

- وكما تعلمون جميعاً أن المواد المقررة لا تكفى فى حد ذاتها . وإنما الأمر يرجع إلى مدرس المادة وعقيدته ومنهجه وما يريد أن يبلغه إلى الآخرين .

وزملائي في هذه الدورات التي اشتركت فيها لا أعتقد أن منهم من يختلف عن هذا المنهج لأنه المنهج الحق الذي يؤمنون به ويدينون الله به قبل كل شيء وهو المنهج الجامعة الذي رسمته في أهدافها ونظامها الأساسي ، وهو نشر العقيدة السليمة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة ، والتي سبقنا إلى تطبيقها سلف الأمة .

وقد كان جميع أعضاء الدورة من المدرسين السعوديين إلا في المواد التي لا تخصص لهم فيها ، فقد أخذنا من هيئة التدريس بالجامعة .

ومن هؤلاء المشتركين في الدورات جميعاً :

عميد شؤون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطاني ، والشيخ عبد العزيز الصاعدي ، والشيخ صالح السحيمي ، والشيخ محمد زربان الغامدي ، والشيخ سليم الأحمدى ، والشيخ راشد الرحيلي والشيخ جبران والشيخ ابراهيم عمير .

وأعتقد أن هؤلاء جميعاً يؤمنون بأن منهج الجامعة الإسلامية في إبلاغ دعوتها في داخل الجامعة وخارجها هو المنهج الصحيح ، وهو دعوة الناس جميعاً إلى الكتاب والسنة ، والبدأ أولاً وقبل كل شيء بالعقيدة الصحيحة ، وأنهم جميعاً يرفضون ما يسمى بمنهج التجميع ، يرفضونه بأسلوبهم في دعوتهم ، ولا يلتفتون الى أى أسلوب آخر يفرض عليهم ، يقومون بذلك دون ضجيج أو شعارات ترفع ، لأن الغرض هو إبلاغ الحق الذي يؤمنون به إلى الآخرين الذين هم في حاجة إليه ، دون نصب رايات لا يعمل أصحابها غير رفعها .

أما عمل هؤلاء داخل الجامعة فيتمثل في القيام بالتدريس وتوجيه الطلاب الى المنهج الصحيح في العقيدة والسلوك ، يوجد أثر ذلك عند طلابهم الذين تلقوا التدريس على أيديهم في مختلف مراحل التعليم في الجامعة ، ثم في كتابة من له مشاركة في الكتابة . وأما عملهم لتحقيق هدف الجامعة خارجها فإني مضطرها إلى ذكر أمثلة لما حققته هذه الدورات على أيدي هؤلاء الإخوة وزملائهم الذين لم يرفعوا لوائح بأعمالهم أمام الآخرين ، ولم يتحدثوا بما قدموا إلا لمن سألهم عما وجدوا ، وماذا عملوا ، وهم لا يجبون ذلك لأنهم لا يريدون من أحد من الناس جزاء ولا شكوراً .

ولكنني أستميحهم عذراً في ذكر ذلك إجابة على أسئلة تكررت كثيراً وذلك لبيان الحقيقة للذين لا يعلمون . ( ولذا فإن العنوان الكامل لهذا الحديث هو : « حديث عن

الدورات التدريبية وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه وتحقيقها لأهداف الجامعة الإسلامية لو كانوا يعلمون » .

فأقول : إن الدورة الأولى عام ١٤٠٠ هـ وأعني بها دورة نيجيريا - التي اشتركت فيها - لا الدورات في بنجلادش وباكستان التي شارك فيها زميلي في الدراسة من المرحلة الإعدادية الى أخذ شهادة الدكتوراه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي .

أقول : فقد كان من المشاركين معي في هذه الدورة كما أشرت سابقاً عميد شؤون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطاني وغيرهما ، وقد التحق بهذه الدورة ثلاثمائة معلم ، والذين دخلوا الامتحان ومنحوا شهادة الدورة أكثر من مائتين وثلاثين معلماً .

أما الأعمال التي قام بها الأساتذة في تلك السنة إضافة إلى التدريس فما يأتي :

١ - القيام بخطبة الجمعة في الجامع الذي يحضر للصلاة فيه أكثر من أربعة آلاف ، إذ يصلون خارج المسجد تحت الأشجار وفي الشمس ، حرصاً منهم على سماع الداعية المعروف عندهم أمين الدين أبو بكر ، إماماً لسَمَاع خطبه أول ترجمته للخطب التي تلقى يوم الجمعة والأخوة هناك ومنهم القاضي نائبي والي يلقبونه بالمرجم المشهور .

وهو رئيس جماعة الدعوة والذي عرف العقيدة السلفية . وقرأ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجم مسائل الجاهلية على أشربة ( باللغة الهوسا ) يتداولها الشباب وتباع في السوق ، كما قرأ ما وجدته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، أما شيخه في الحديث كما قال - فناصر الدين الألباني ولم يره - ، ثم نبذه للطرق الصوفية بواسطة الشيخ أبي بكر قومي عضو المجلس الأعلى للجامعة وعضو رابطة العالم الإسلامي ، وهو الرجل المعروف بمحاربة أصحاب الطرق والخرافات ولا زال في محاربتهم إلى الآن .

٢ - المشاركة في المحاضرات والندوات التي تقيمها المؤسسة الإسلامية في قاعة مدرسة العلوم العربية طوال شهر رمضان ، وتنقل في الإذاعة يومياً .

٣ - إقامة ندوات ومسابقات للطلاب اشترك فيها الدكتور عبد العزيز فاخر ، والشيخ عوض أحمد سلطان الشهري ، وغيرهما من الأساتذة .

ومما حدث في هذه الدورة أن طالباً صاحب طريقة أرسل للاشتراك في الدورة من أجل إثارة الأسئلة لينقل ما يقال الى شيخه ، وقد جرى النقاش في الفصل حول التوسل فذكر المدرس التوسل المشروع - واستشهد بقول عمر بن الخطاب للعباس في صلاة الاستغاثة - قم يا عباس فادعوا الله لنا . . . الخ . فقال الطالب : يقول رسول الله ﷺ : ( توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ) فقال له المدرس : لورجعت لهذا الحديث لوجدته موضوعاً . فقال : هذه طريقتكم ، الحديث الذي يصلح لكم تستشهدون به ، والذي يصلح تقولون عنه موضوع .

ثم ذهب الى شيخه وقال له ما يشاء - فأرسل الشيخ سكرتيه للاذاعة وسمحوا له فألقى حديثاً قال فيه : أن جماعة من الوهابيين جاءوا لتفريق كلمة المسلمين ولكن بحمد الله فقد كان هذا الحديث منه سبباً من أسباب نجاح الدورة وظهورها ، وبيان الحق الذي جاء به المشتركون فيها .

كما تعرف الأخوة في هذه الدورة على الداعية المشار اليه أمين الدين أبو بكر وجرت معه مناقشات حول أسلوب الدعوة ، وما الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه الداعية .

وقد وجدنا عنده أكواماً من الكتب تتحدث عن الإسلام عموماً وتدعوا لنصرته ، وهي تهتم بما يسمى بالتنظيم والتخطيط والتنفيذ ، حتى صار هذا الأسلوب يجري على ألسنة بعض الشباب وهو لا يدري ماذا ينفذ . وكل هذه الكتب تدعو الى تجميع الناس لا فرق في الدعوة فيها بين من يهتم بالأساس وهو العقيدة الصحيحة وغيره ، فكل صاحب طريقة أو تربية والتربية اللطيفة في التسمية سواء كان قادرياً أو تيجانياً يمكنهم الدخول في هذه الدعوة إذا تحقق شرط واحد وهو الولاء العام لها .

ومن المصادفة أن الشيخ أمين الدين كان قادرياً ، أى يتبع الطريقة المنسوبة لعبد القادر الجيلاني ، فهو يعرف أسرارها وما تهدف اليه في دعوتها ولها صولة وجولة وأتباع كثيرون .

وقد حارب هذه الطريقة التي يعرف ضلالها وفسادها ومخالفتها للشريعة الإسلامية .

فلما كثرت عنده هذه الكتب التي تدعو للتجميع ، وقد دعم ما تدعوا اليه هذه الكتب ، الشخص الذي يحملها اليه ، ويحمل كل جديد منها باستمرار ، ولا يتأخر عن

نيجيريا فهو دائم الأسفار إليها ففي كل ثلاثة أشهر تقريباً يزورها - وقد سألته عن مهمته - فقال : إنه يريد تأسيس مطبعة ودار للنشر - ولكن مضى ثلاث سنوات ولم يوجد أثر لذلك .

وقد حاول هذا الرجل اقناع أمين الدين بمهادنة أصحاب الطرق بحجة الحكمة في الدعوة وجمع كلمة المسلمين ، ولكن أمين الدين بحمد الله قد أقنعه الأخوة بالدعوة الصحيحة ، وهي تؤدّى بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن بيان الحق لا بد منه ، والافهامعنى الدعوة اذا لم يبين الحق من الباطل .

وفي الدورة الثانية وبعد زيارته لنا أعنى أمين الدين ، ذهبت لزيارته في مسجده فوجدت عنده كتاباً جديداً بكمية لا بأس بها ، ولكنه لم يعرف ما فيه إذ لم يقرأه ، والكتاب اسمه « تربيتنا الروحية » وقد ذكرت ما فيه من خرافات في مقدمة تحقيقي لكتاب « الرد على الجهمية لابن مندة » وهو مطبوع الطبعة الثانية .

ولقد حملت منه نسخاً هدية له ولطلابه ولبعض الأساتذة الذين تعرفت عليهم .

فتناولت كتاب التربية ، وفتحت على ص ٢١٦ ، ٢١٧ لأنظر هل تنطبق على الطبعة التي نقلت منها قول المؤلف : إن الكرامة تحدث للمتسبب للطريقة الرفاعية وإن كان فاسقاً . . . الخ . فوجدتها كذلك لأنها مصورة .

فأعطيتها لأمين الدين فلما قرأها . وضع يده على رأسه وقال : أنا أعرف بكذب الصوفية وخرافاتهم ودجلهم وقد وصلت في الطريقة القادرية إلى رتبة ممتازة عندهم ، وقد أنقذني الله منها وقد كنت أضرب الطبل في المسجد للذكر - وهذا من طقوسهم - قال : فأنا إذا أعود لها مرة أخرى .

وقد كانت مناقشة الإخوان له في منهج الدعوة الصحيحة نبراساً له اهتدى به الى منهج السلف في دعوته ، والمذكور داعية له تأثيره في المجتمع يشغل جميع أوقاته في التعليم والدعوة ، وعنده بعض الطلبة يعولهم لفقيرهم ، وبعضهم من الوثنيين أسلم على يديه فقلاه أهله ، وليس عنده من الدخل إلا راتبه وهو يعمل مدرساً وله أسرة .

ومما يجدر ذكره أن الرجل الذي كان يدعو أمين الدين إلى مهادنة أصحاب الطرق اتصل بجماعة الشيخ أبي بكر قومي ، وهم جماعة نصر الإسلام ، فدعاهم الى مهادنة الطرق الصوفية ، وقال ان كتاب الشيخ عبد الرحمن الافريقي في الصوفية لا يصلح توزيعه



لأنه يفرق كلمة المسلمين ، فاصطدم بهم وأخذ البوليس الى السجن وبقي فيه حتى جاء رئيس المؤسسة الإسلامية من (كانو) إلى (كادونا) فأخرجه بكفالته .

أما في هذه السنة فقد كان أعضاء الدورة مع الطلبة المشتركين في الدورة وغيرهم يجرون مناقشات حول الطرق وهي مناقشة علمية سلكتها من أول يوم فيطالبونهم بالأدلة من الكتاب والسنة على ما يقولون ويدعون فهي الحكمُ فيما اختلف فيه .

وقد أرسل مشائخ الطرق طلاباً من أتباعهم للاشتراك في الدورة ، لإثارة الأسئلة ونقل ما يجري في الدورة .

ولكن باستعمال الاخوة الحكمة في الدعوة ظهر الحق واندرج الباطل .

ومن أمثلة ذلك :

إن طالباً قادرياً في المستوى الجامعي قال في الفصل بعد مناقشات حول الطرق - إن الأئمة الأربعة أجمعوا على تكفير ابن تيمية .

فقال له المدرس : هل وجدت هذا في كتاب ؟ قال : نعم . قال من كتب الأئمة الأربعة فيظهر أنه تملص من الاجابة .

فقال المدرس للطلبة وهم في المستوى الجامعي هل تعرفون متى وجد الأئمة الأربعة وهم يعرفون ذلك ، ثم بين لهم أنهم وجدوا في القرن الثاني والثالث ، وابن تيمية وجد في القرن السابع فكيف حكموا بكفره قبل أن يولد ، وبذلك أصبح الطلبة يخاصمون الطالب ويسكتونه إذا سأل ، كما حدث له مناقشة مع الشيخ صالح السحيمي في شرح البيت :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به . . الخ .

وفي هذه الدورة كان للأساتذة دور مع أتباع الخميني ، ذلك أن الشعب النيجيري شعب مسلم يجب الإسلام ، ولكن الذى ينقص الشباب هناك هو العلم بحقيقة الإسلام ، وما تنطوى عليه دعوات الفرق المنتسبة للإسلام .

فحين سمعوا ما يسمى بالثورة الإسلامية ، وقد كثف أصحاب هذه الدعوة دعايتهم في نيجيريا بارسال الوفود والنشرات باللغة الانجليزية والعربية انخدع هؤلاء الشباب بهذه الدعوة .

وقد اشترك بعض هؤلاء الطلاب الذين تركوا مدارسهم في الدورة في العام الماضي وجرت معهم مناقشات طويلة . وفي آخر شهر رمضان تركوا الدراسة واعتكفوا في المسجد فقلنا لهم إن الاعتكاف سنة وطلب العلم فريضة فلم يقبلوا .

فطلبنا من الشيخ محمد زربان وهو الرجل المعروف بأسلوبه في الدعوة أن يذهب ليلقى دروساً في المسجد ، وكان هدفنا هو ملاحقة هؤلاء الشباب المغرربهم عسى الله أن يهديهم ، وقد استمر معهم يناقشهم ويحيب على شبههم ويوجههم ولكنه في آخر الأمر قال :  
إنني أصب في قرية مخروقة أملاًها في الليل فتصبح فارغة .

وذلك أنه بعد مناقشتهم واقناعهم في المساء مثلاً يصبحون يعيدون المسألة بعينها .

ورغم ما ظهر على بعضهم من تأثر عند سفرنا فقد مكث أحدهم أورتيسم عند الشيخ محمد زربان ليلة سفرنا إلى وقت متأخر من الليل ثم بكى متأثراً بما يسمع ومع هذا كله لما عدنا هذا العام وجدنا شوكتهم قوية وشعارات الشيعة ظاهرة عليهم كلبس العمام بل قال لى الشيخ أمين الدين إنهم في داخل البلد وفي الذهاب للمسجد يلبسون العمام السود ، ثم لهم مكتبة باسم مكتبة الأمة تأتيها الصحف والمجلات والنشرات من إيران يوزعونها مجاناً ومعها صور الخميني وهي معلقة على باب المكتبة .

وفي أول خطبة جمعة خطبها الشيخ محمد زربان في الجامع ، وترجمها الشيخ أمين الدين أبوبكر- وقد تعرض المترجم لدعوة الخميني وبين للناس أنها ضلال ميين إذ أن عقائدهم تقوم على تكفير الصحابة وعلى رأسهم أبى بكر وعمر ، وهو الرجل الوحيد فيما أعلم يبين للناس علناً أن ثورة الخميني ليست إسلامية ، ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما هى دعوة باطنية .

وبعد صلاة الجمعة وحين خرجنا من المسجد تقدم طالب من طلاب الشيخ محمد زربان من الذين كان يناقشهم العام الماضي بمجلة حرس الثورة يوزعها علينا ، ثم اتبعوها بنشرات أخرى مطبوعة باللغة العربية والانجليزية فيها أقوال الخميني .

وبعد أن عرفوا أننا قرأناها طلبوا منا موعداً فلبينا طلبهم فحضروا بعد صلاة العشاء في السكن فاجتمعنا في المكان المعد للصلاة ، وجرت المناقشة مع رئيسهم وهو آيتهم واسمه بشير - الذى لم يجاوز عمره العشرين سنة وهو طالب ذكى أضله أولئك الدعاة .

فقد دعاه الخميني بواسطة عملائه إلى زيارة إيران فزاره هو وبعض زملائه وقابلوا الخميني ورجع معمدا لانقاذ المستضعفين .

وقد جرت المناقشة معه لعقيدة الرافضة ودعوتهم ، وما الإسلام الذي يدعون اليه ، وهم يعتقدون كفر الصحابة الذين نقلوا لنا القرآن والسنة . . . الخ .

فكان الرجل أعمى لا علم عنده ، وقد قطع هؤلاء الصلة بينهم وبين علمائهم فحين قلنا لهم العام الماضي ما دمتم تركتم دراساتكم في الجامعة ، فاتصلوا بالشيخ أبي بكر قومي ، والدكتور حسن غاورزوا ، رئيس القضاة ، وأمين الدين أبو بكر لتتفقوا في الدين على أيديهم قالوا : إن هؤلاء موظفون مع الحكومة فلا يوثق بعلمهم . لذلك تمكنت الدعاية المكثفة مع وجود العاطفة الإسلامية عندهم من اضلالهم ، فمثلا يقولون رداً على تكفيرهم للصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، إن هذا القول تركه المتأخرون وإنما هي عقائد قديمة .

ف قيل لهم : إن هذا القول موجود في كتاب الخميني - الحكومة الإسلامية - فقال بشير : هذا الكتاب طبعته رابطة العالم الإسلامي ضد الخميني ، فقلنا له : أنت زرت إيران ولا شك أنك أخذت من الخميني الذي قابلته النسخة الأصلية فاطلعنا عليها فرفض .

فقال له الشيخ صالح السحيمي : ما رأيك لو قلت : إن لأئمتنا درجة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فقال : أنت كافر .

فقال له : ولو قال هذا القول الخميني مارأيك فيه ، فقال : أمره الى الله . فقلنا له اتق الله ما الفرق بين الاثنين .

فقال بحماس : أنا لا أكفر الخميني لأنه يجاهد في سبيل الله .

والله يقول : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . فهو سيهتدى . هكذا بلغ حال هؤلاء ، وليست هناك مقاومة لهذا الضلال تذكر ما عدا ما يقوم به الشيخ أمين الدين أبو بكر ، حتى الكتب الصغيرة مثل الخطوط العريضة وكتب إحسان إلهي ظهير لا توجد في هذه البلاد .

أما الطلبة الذين اشتركوا في الدورة فقد كان بعضهم متأثراً بدعوة الخميني - أو بفتنته - لأنها تلمس عواطفهم ومشاعرهم الدينية بألفاظها ولا يعرفون حقيقتها .

وقد ركز الإخوة جميعاً على إزالة هذه الشبه من أذهانهم ، باستثارة عواطفهم الدينية أيضاً ، وهو طلب الحكم منهم على من يكفر الصحابة ومن يقول أن أبا بكر وعمر صنمى قريش ، فيصدر الحكم منهم على قائل ذلك . فبين لهم أن هذه عقيدة الشيعة الرافضة الإمامية فى القديم ، وهى الموجودة الآن فى كتبهم التى تنشر وتوزع .

وقد فضح الله باطل الشيعة وإن كانوا يستعملون التقية ديناً وهى النفاق بعينه - وذلك بما قاموا به من نشر لكتاب الكافى فى أجزاء صغيرة مبسطة للقراءة - أعلى الصفحة باللغة العربية وفى أسفلها الترجمة باللغة الانجليزية ، وفيه الطعن على أبى بكر وعمر ومعاوية وغيرهم من الصحابة .

وقد ركز فى الكلمة التى ألقىت فى حفل اختتام الدورة والتى حضرها وزير الاسكان ورئيس القضاة على حثهم على الإهتمام بالشباب المسلم والعناية بالعقيدة الصحيحة التى أخبر الرسول بأن الأمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة . ولما سئل عنها قال : هى من كان مثل ما أنا عليه وأصحابى . فالذى يكفر الصحابة ويقول فى أبى بكر وعمر أنها صنمى قريش كيف يكون داعية للإسلام .

فوعده رئيس القضاة بأنهم سيعملون بهذه النصيحة .

أما الآن فإلى الحديث عن ثانى رجلين من رجال الدعوة الى العقيدة الصافية .

الذى تعرف عليه أعضاء الدورة وتناقشوا معه وقرأوا كتبه واعجبوا بعمله وبأفكاره . ذلك الرجل هو الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى المحاضر فى جامعة بايرو- فى كانو- وألّد أعداء الطريقة التيجانية التى بلغ فيها درجة يتمناها كل تيجانى كما قال ذلك فى مقدمة كتابه « الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته » .

أريد أن أقول قبل أن أذكر شيئاً عن كتبه : إن أعضاء الدورة وأعنى بهم السعوديين خاصة - بقدر ما قدموا لطلابهم فى بيان العقيدة الصحيحة فقد أخذوا معلومات جيدة فى معرفة أسرار الطرق الصوفية الخبيثة التى أضلت شباب العالم الإسلامى فى كل مكان ، وذلك بما قرأوه فى كتب الشيخ محمد طاهر ميغرى ، وبما سمعوه من تحليل لأقوال ابن عربى وابن الفارض وغيرهما .

وقد كان البعض منا يظن أن الطرق الصوفية عبارة عن أواد يعملون فيها خلافاً لما عمله السلف الصالح فى الذكر بما يحدثونه من حلقات وذكر جماعي . . الخ .

ولكن تبين لنا بعد قراءة تلك الكتب أنها أى الطرق الصوفية كفر وإلحاد وزندقة ، بين ذلك وأرجعه إلى مصادره وأصوله القديمة قبل الإسلام ، كما بين الغاية من أن الدعوة إليها ، هى محاربة لكتاب الله وسنة رسوله بصرف الناس عن القرآن بالأوراد ، وصلاة الفاتح التى ادعى التيجانى أن الملك نَزَلَ بها على البكري مكتوبة فى صحيفة من نور وأنها تعدل القرآن ستة آلاف مرة بل أضعاف ذلك . لأنهم يقولون لأتباعهم : إن القرآن ثقيل - كما قال تعالى : انا سنلقى عليك قولا ثقيلا « فهولثقله يخرب الديار ويزلزل البيوت - فيكتفى بالأوراد التى أجربها أضعاف أجر القرآن ستة آلاف مرة أو أكثر وهى سليمة العواقب .

أما كتبه التى ألفها ولا تزال مخطوطة فهى :

الأول : الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته .

الثانى : ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .

الثالث : التيجانية آخر مظهر للباطنية القرمطية الإسماعيلية .

الرابع : كتاب فى المهدي .

والكتب الثلاثة الأولى هى فى الأصل كتاب واحد بعنوان « التعليمات المفيدة » وسبب تأليفه أنه ألقى محاضرة فى جامعة بايرو بعنوان التربية عند الشيخ ابراهيم ايناس السنغالى . تعرض فيها لبيان ضلاله والحاده ، وقد أخذ رسالته الماجستير بعنوان « إبراهيم ايناس آراؤه وأصول أفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد .

فكتب أحد أتباع الطريقة التيجانية وهو موريتانى ، رسالة فى الرد عليه بعنوان ( إنذار وإفادة لمن باع دينه بشهادة ) أى بشهادة الماجستير فكتب محمد طاهر ميغرى هذه الكتب الثلاثة

أما الكتاب الأول - وهو الطريقة التيجانية دين جديد .

والثانى - وهو ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .

فقد قرأها الأساتذة من أولها الى آخرها قراءة متأنية مع المناقشة الحادة بعض الأحيان ، لأن المؤلف شديد اللهجة فى الرد على المخالف وقد يستنبط بعض الأحيان من أقوالهم ما يراه بعضنا الزام لهم بما لم يحمله قولهم - وهو مشترك معنا فى التدريس فى الدورة فيحضر عندنا فى السكن فتجرى معه مناقشة ممتعة ومفيدة . وقد دلت على علم الرجل وفهمه ، واعتداده بما يقتنع به . كما أن من مميزاته قبول الحق اذا تبين له . وعدم العناد فيه .

وهو لا يقبل المجاملة والاحتمالات التي يُفسَّرُ بها بعض أخطاء العلماء في العقيدة .

وله منهج خاص في ذلك ، وهو تتبع العالم في مسار فكره في كتبه فإن كان يسير في أغلب كتبه إلى تأييد هذه الفكرة بشتى الوسائل والاحتمالات والتفسيرات ، ثم لا ينقل أقوال المخالفين له كاملة ، وإنما يقتصر على ما يحتاجه منها ، ثم يروى أحاديث موضوعه وهو يعلم ذلك ولا يبين أنها موضوعة . . وهكذا ، فمثل هذا لا يقبل الاعتذار عنه لأن تلك عقيدته .

وان أخطأ مرة أو مرتين فهذا كغيره من العلماء يخطئون ويصيبون . وليسوا بمعصومين .

وأهم ما يمتاز به المذكور في دراسته وبحوثه إستيعابه لأقوال الخصم وأدلته وحرصه الشديد على النقل للأمور المنسوبة لذلك الشخص بأمانة لا زيادة ولا نقصانا .

ثم سرد للتسلسل التاريخي لبدء الفكرة ، وتطورها في جميع مراحلها ، وبعد ذلك يبدأ في المناقشة ، فيبطل ما قاله أولئك بعد مناقشة أدلتهم مناقشة علمية وابطالها بالعقل والنقل ، ثم يورد أدلته على ما يريد اثباته من الكتاب والسنة ، وأقوال الأئمة ، المعتمدة أقوالهم كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم ، وابن العربي وابن حجر وغيرهم .

ولا يورد أحكامه على الآخرين جزافاً ، وهو بعيد كل البعد عن الحكم بالعواطف .

هذا بالنسبة لكتبه المخطوطة ، والتي أحضرنا بعضها لأنه يرغب نشرها في المجتمع النيجيري الذي أفسده أصحاب الطرق المضلة ، وهو فقير لا يستطيع طبعتها .

وهي كتب تخدم الدعوة ، فهو جدير بأن يشد من أزره ويشجع وينشر الصالح من كتبه .

أما كتبه المطبوعة فمنها كتابه « إبراهيم ايناس السنغالي آراؤه وأفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » . وهو رسالة ماجستير تقدّم بها في جامعة بايرو- بكانو- .

والرسالة كما هو واضح من عنوانها « دراسة لشخصية إبراهيم ايناس وتحقيق لكتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع في مجلد واحد يشمل ٥٢٠ صفحة .

وطبيعة البحث العلمي - لاسيما دراسة الشخصيات والمعاصرة منها على الخصوص ،  
والمفتون بها مئات الآلاف بل الملايين من الناس - سواء قدمه صاحبه رسالة في جامعة فهو  
يعلم أنه سوف يعرض نفسه للمناقشة في جميع أقواله . أو يقدمه للقراء فكذلك سيكون  
مستهدفاً للنقاد ، فهو يحتاج قدر استطاعته ، ولا بد أن يبقى عنده نقص لكونه بشراً .

وقد ذكرت أن ما يميز بحوث الشيخ محمد طاهر ميغرى هو الاستقصاء وإيراده لكل ما  
يستطيع أن يتوصل اليه من أقوال قيلت في المسألة .

وقد ناقشه أساتذة الدورة في هذا الاستطراد ، وأقنعنا بضرورة ذلك في بعض  
المواطن .

فكذلك كان بحثه في دراسته لشخصية إبراهيم انياس السنغالي .

فقد قام بدراسة ميدانية ، فسافر إلى كولخ موطن أسرة إبراهيم انياس وإلى موريتانيا  
حيث يوجد أتباع طريقته ، ثم اتصل بكل من له به صلة حتى جمع عنه جميع المعلومات التي  
استطاع أن يجمعها عن حياته وسجل ذلك كما أخذه بأمانة الناقل .

ثم درس الطريقة التيجانية التي ينتسب إليها إبراهيم انياس ويدعو لها وينشرها في  
نيجيريا بلد غير بلده .

فذكر تاريخ أحمد التيجاني ، وبين سيرته السيئة ، وما جرى له من الحاكم التركي  
الذي سجنه لأنه ثبت عليه تزيفه للنقود ، ثم ضربه له وأخيراً تسفيره .

ثم ذكر حقد الشيخ التيجاني على الحاكم التركي المسلم وعلى الإسلام والمسلمين  
جميعاً ، ودعوته على بلاد المسلمين بأن يستولى عليها الاستعمار .

ولما قيل له في ذلك قال : إن الله أوحى إليه بأنه ساخط على المسلمين وأنه لا يقبل  
دعاء أحد فيهم .

وقد ناقشه محمد طاهر ميغرى في هذه الأقوال الزائفة وأثبت كذبه فيها ثم نقل إجماع  
المسلمين على تكفير من ادعى نزول الوحي بعد النبي ﷺ على أحد من خلقه مستدلاً بأدلة  
ختم النبوة - وبحديث الصحيحين - بأنه سيكون بعد الرسول دجالون كذابون قرابة ثلاثين  
كلهم يزعم أنه نبي .

ثم أثبت بعد ذلك تعاون التيجاني وجميع أصحاب الطرق مع المستعمرين ،  
ووصيتهم لأتباعهم بالسمع والطاعة للمستعمرين .

وبعد ذلك انتقل إلى تبشير التيجاني بأنه ستكون فيضة في آخر الزمان على يد أحد  
أتباعه ، يدخل الناس في الطريقة التيجانية أفواجا ، وأن من دخل فيها فهو من أهل الجنة  
سواء عبد الله أو لم يعبد ، وسواء ارتكابه المعاصي والذنوب من زنى وسرقة وغيرها ، فإن  
الله قد تكفل له بأن يقضى عن أتباعه من خزائن جوده وكرمه . وأن يدخلهم الجنة بغير  
حساب ولا عذاب .

هذا نموذج مما ذكره عن التيجاني وقد حكم بكفره لادعائه الوحي . ولادعائه دخول  
أتباعه الجنة بغير حساب وأن الله تكفل له بذلك .

وبعد ذلك انتقل إلى إبراهيم انياس السنغالي فاستقصى سيرته من حين ولادته ،  
ذاكراً الخرافات التي قرنت بولادته ، ثم تتبع سيرته إلى أن أصبح صاحب طريقة ، وأنه لما  
كان في السنغال أصحاب طرق ينافسونه ، وهم أقوى منه ، كان أكثر أتباعه في الدول  
المجاورة مثل موريتانيا وغيرها .

ثم بين اتصاله بنيجيريا لنشر طريقته فيها ، وأنها كانت بسبب معرفة بينه وبين أمير  
(كانو) وقعت في الحج ، ثم قدم إلى (كانوا) بعد ذلك لنشر طريقته . ثم ادعى بعد أن قَبِلَ  
الناسُ منه طريقته ، أنه هو صاحب الفيضة التي بشر بها أحمد التيجاني ، والتي قال عنها  
أنها ستكون في آخر الزمان على يد أحد أتباعه ، فقرر لهم أنه صاحبها وأنه صاحب الدائرة  
الفضلية التي تقع خارج دوائر الشرع كلها ، وأن كل من اتبعه يدخل الجنة بلا حساب وإن  
ارتكب المعاصي من زنا وفجور وقتل وسلب لأموال الناس فالله يقضى عن أتباعه كل ما  
ارتكبه من خزائن فضله . وهذا سبب تسمية دائرته بالدائرة الفضلية .

قال : وإن الذين لا يؤمنون بطريقته ويعادونها كفار يخلدون في النار .

ثم نقل عنه قوله من قصيدة له :

ومن يحبني ومن يراني . . . في جنة الخلد بلا بهتان

وقوله في قصيدة أخرى يدعى فيها تصرفه في الكون قال :

قد خصّني بالعلم والتصريفى . . . إن قلت كُنْ يَكُنْ بلا تسويفى



ثم ناقش محمد طاهر ميغرى هذه الكفریات مناقشة علمية وبين مصادمتها للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأنها خروج على الشريعة الإسلامية ، وأن من يقولها ويعتقدتها فهو الكافر الذى يستحق العقاب من الله - لاعموم المسلمين الذين يَكْفُرُونَ بتعاليم طريقته الخارجة عن الشريعة الإسلامية .

وقد عقد باباً فى أول أبواب الكتاب بعنوان « إبراهيم انياس من شيخ الطريقة الى شيخ الإسلام » .

فقد يظن المتعجل فى الحكم أنه يمدحه وهو فى الحقيقة يذمه . فقد أثبت فى هذا المبحث أن إبراهيم انياس يقول بالتقية ويعمل بها ، كما أثبت فى الأبواب الأخرى أن الصوفية هم باطنية إسماعيلية يقولون ويعتقدون عقائد الروافض .

قال : وباستعماله لعقيدة التقية فقد خدع الناس بمكره وخداعه ، وقد منح ذكاء وأسلوباً عجيباً فى خداع العالم حتى استطاع أن يكون عضواً فى رابطة العالم الإسلامى . قال : فهو يظهَر للعالم الإسلامى بمظهر شيخ الإسلام ثم يعود الى قفصه فى كولخ يعلم الناس ضلاله وفساد عقيدته ، إلى أن قال : فقد عاش طول حياته تيجانياً ومات تيجانياً ، وقد قال فى باريس وهو فى المستشفى ، على فراش الموت :

رأيت رسول الله جهرًا ويقظة . . . بباريس هل هذا المحل محله

ثم نقل إلى لندن فمات بها ونقل جثمانه إلى كولخ فدفن بها وقد أوصى بالطريقة لخلفه من بعده .

كما نقل فى أول الكتاب من كتاب السر الأكبر المحقق مع الدراسة والذى سبقت الإشارة إليه ما يأتى :

قال : إن كافرًا فاسقًا اغتصب امرأة تيجانية فعاشها طول حياته ، هذه المعاشرة الفاسدة ، فلما مات هذا الكافر دخل الجنة ، وذلك بسبب معاشرته لهذه المرأة التيجانية مع العلم أن المرأة غير ملتزمة بأداء الأوراد التيجانية ، ولكنها لم تركها انكاراً لها وإنما تركتها كسلاً وتهاوناً<sup>(١)</sup> .

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس، حياته وأراؤه ص ١٩٤ - ١٩٧ .

ثم يناقش الشيخ محمد طاهر ميغرى هذا الكلام الفاسد ويحكم على معتقده بالكفر .

هذه نماذج قليلة ذكرتها مما تضمنه هذا الكتاب من المخازى التى أثبتها فيه الشيخ محمد طاهر ميغرى عن التيجانية وعقائدهم وكفرهم وعن إبراهيم ايناس نفسه المخصص بالدراسة ، وذلك لأن للشيخ محمد طاهر عليّ وعلى زملائى فى الدورة حق المسلم على المسلم وأخص بالذكر من المشايخ أكثر من غيره إمامنا فى الصلاة الذى لم تفته صفحة واحدة من قراءة كتبه . ( ومنها ما قرىء من هذا الكتاب إبراهيم ايناس ، والذى قال عنه بعضهم : إن مقدمته تكفى فى بيان أنه طعن للطريقة التيجانية ولأصحابها - وأقول إن الذى قاله هو الحق وقد سمعتم تكفيره للتيجانى ولا إبراهيم ايناس بما جاء عنها من عقائد فاسدة .

منها أن الملك نزل على التيجانى بالوحى . وادعاء ابراهيم ايناس أن أتباعه فى دائرة وراء دوائر الشرع - وأن الله تكفل له بادخال أتباعه الجنة بغير حساب ولو عملوا ما عملوا من المعاصى وأن الله يقضى عنهم من خزائن فضله ، وأنه يرى رسول الله باستمرار حتى فى باريس وأن الكافر الفاسق يدخل الجنة إذا عاش امرأة تيجانية . . الخ ) .

أقول إن من قرأ هذا الكتاب ليقف على رأى مؤلفه فى التيجانية وفى إبراهيم ايناس فقط ، فسيجد حكمه على التيجانى وإبراهيم ايناس بالكفر الصريح لا بالمدح ، ويحمد الله الكتاب موجود .

ولم أتحدث عن محمد طاهر ميغرى عن عاطفة ، وانما أتحدث عن حقائق وعن رجلٍ داعيةٍ يتبع مذهب السلف ومحارب الطرق الضالة المضلة ، فيجب أن يشد أزره ويشجع بطبع الصالح من كتبه .

وأعتقد بعد ما سمعتم والكتاب موجود - أنه لا ينبغي أن يقال عنه إنه خبيث يدعو للتيجانية أو يمدح التيجانية ، فهذا حكم جائر ظالم ، وربما صدر هذا الكلام من صاحبه عن حسن نية وعدم قراءة للكتاب وإنما أكتفى ببعض الصفحات وكان الإنسان عجولاً ، وهذا الذى أعتقده ، لأن حق المسلم على المسلم أن لا يظلمه ولا يخذله . . الخ ما جاء فى الحديث .

ولو كان مثلُ هذا القول صحيحاً لما كتب التيجانى الموريتانى تلك الرسالة رداً عليه بعنوان « انذار وافادة لمن باع دينه بشهادة » ولا شك أنه قد باع ما سماه هو - التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته بيعة لا رجعة فيها إن شاء الله .

وحيث أن القول في محمد طاهر ميغرى وفي كتابه قد أصاب شخصاً آخر ، كما يقال :  
عصفورين بحجر - وهو في الحقيقة ليس بعصفور وإنما هو صقر على رخم الطرق الصوفية ،  
ذلك الشخص هو : الشيخ أبو بكر قومي الرجل المعروف في نيجيريا كلها بمحاربة أصحاب  
الطرق الصوفية ، وقد سمعتم عن جماعته وهم جماعة نصر الإسلام الذين لهم مراكز في جميع  
ولايات نيجيريا - وهم الذين أدخلوا من يريد منهم مهادنة أصحاب الطرق بحجة جمع  
الكلمة - السَّجَنَ عن طريق البوليس ، وهو عربى وليس بنيجيرى .

وذلك أن أبا بكر قومي وهو عضو في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية ، وعضو في  
رابطة العالم الإسلامي - قد كتب مقدمة مقتضبة لهذا الكتاب . وقال عنه أى إبراهيم انياس  
أنه صاحب الفيضة ، استهزاء به لا مدحاً له وهو الذى دعانى لقراءة الكتاب كله من أوله إلى  
آخره ، وذلك لعلمى بمحاربة أبى بكر قومي لأصحاب الطرق حتى أن الحكومة عجزت  
عن المصالحة بينهما كما حدثنى بذلك الدكتور محمد ثانى زهر الدين رئيس قسم الدراسات  
الإسلامية بجامعة بايرو .

ولكن قلت في نفسي : إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف  
يشاء ، فلعل الرجل حدث له شىء .

ولكن حينما قرأت الكتاب وجدته بالعكس فإن الرجل مازال على منهجه فقد جاء في  
الكتاب نفسه ، في الباب الذى جمع فيه محمد طاهر ميغرى المعلومات الميدانية عن إبراهيم  
انياس مقابلته لأبى بكر قومي في منزله في ( كادونا ) مثبتاً تأريخ اليوم الذى جرت فيه المقابلة  
وهو السبت ٢٧ / مايو ١٩٧٨ م بمقره في كدونة حيث قال له :

ما رأيك في إبراهيم انياس وطريقته فأجابه بقوله : إن إبراهيم انياس جاء الى  
نيجيريا بكفر صريح مكشوف ينادى به علناً وعلى رؤوس الأشهاد ، وأنه أضل عوام  
النيجيريين بدجله ومكره .

قال - أى أبو بكر قومي - : وقد قابلته في المدينة أيام أن كان عضواً في الرابطة ، فأراد  
أن يتخذ من تلك المقابلة خدعة للناس بحجة أننا تصالحنا مع أصحاب الطرق ، فبينت  
للناس ذلك الكذب في حينه لأننا عندما تقابلنا تبين لى أنه كافر فترأت منه وابتعدت عنه ،  
وأما اتحاد حركتى مع حركة تلاميذى والتعاون معهم فلا أرى أننى أحتاج إلى ذلك . لأن

حركتى هى جماعة نصر الاسلام ، وهى ليست لى وإنما هى لجميع المسلمين وكل من يريد أن ينصر الاسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شىء (١) .

قال : ثم قلت له : ما رأيك فى قول الشيخ إبراهيم انياس : «إن الله قد ساق الوجود كله مساق الهلاك فى هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التيجانى» . فقال : «إنه يريد بذلك أن يقول : ومن يتبع غير التيجانية دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين» .

أما كتابته المقدمة للكتاب باختصار ولم يفصل القول فيها عن مخازى الطريقة التيجانية فقد سئل من شخصية تعمل بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [ الحجرات : ٦ ] .

فأجاب عن ذلك ، بأن المقصود منه أن يقرأ النيجيريون الكتاب وبالأخص أصحاب الطرق منهم حتى يعرفوا مخازى شيوخ طرقهم ، لأنهم اذا وجدوا منى التفصيل والنقد فى أول الكتاب قد ينصرفون عنه بحجة أن أبا بكر قومي عدو للتيجانية ولأصحاب الطرق جميعاً ، حدثنا بذلك هو بنفسه حين زرنائه فى منزله ( بكادونا ) ، وكان يحدثنا عن أصحاب الطرق ، وقد جاء ذكر محمد طاهر ميغرى فى ذلك المجلس ، ومما يؤكد أن أبا بكر قومي لازال على منهجه فى محاربة الطرق الصوفية الضالة المضلة وأنه بعيد كل البعد من أن يقدم لكتاب يمدح التيجانية - إنه فى هذه الزيارة التى كانت فى شهر ذى القعدة ١٤٠٢ هـ للشيخ أبى بكر قومي فى منزله فقد كان حديثه معناه عن خرافات أصحاب الطرق ، حيث قال : إن من ضلالهم ودجلهم على عوام الناس بالكذب والتضليل ، أن ولياً من أوليائهم قال لأتباعه ، إن ولياً طار من بغداد الى نيجيريا ، فلما وصل نزل على رأس شجرة ، والأشجار كثيرة فى نيجيريا كما تعرفون - فذهب اليه الولي النيجيرى وقال له : لماذا لا تنزل ؟ فرد عليه قائلاً إن الأرض ملوثة بالمعاصى والذنوب فلا يمكن أن أنزل عليها . ولذلك ذكر له حاجته ثم طار راجعاً الى بغداد - ولا ندرى هل أرض بغداد ملوثة بالمعاصى أو لا ؟ . قال ومثل هذا الكذب يصدقه العوام لأنه عندهم من كرامات الأولياء .

هذا وقد أخبرنى أمين الدين رئيس جماعة الدعوة ، أن لأصحاب الطرق رابطة فيما بينهم ولهم جماعة سمّوهم باسم شباب الإسلام - فى مقابلة اسم جماعة أبى بكر قومي « نصر

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس السنغالى ، حياته وأراؤه وتعاليمه ص ٢٣٧ - ٢٣٨ الدار العربية تأليف محمد طاهر ميغرى .  
تقديم أبى بكر قومي .

الإسلام» وأن هؤلاء تمكنوا من إصدار برنامج في الإذاعة يلقيه أحد رؤساء الطرق الصوفية (باللغة الهوسا) لمحاربة أبي بكر قومي والطعن عليه وعلى كتبه - في الوقت الحاضر - وذلك معارضة منهم لحديث أبي بكر قومي الذي يلقيه في الإذاعة من زمن لتوجيه الناس وارشادهم وتحذيرهم من الخرافات والبدع المهلكة .

أقول هذا عن الشيخ أبي بكر قومي رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقاً وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وعضو رابطة العالم الإسلامي ، وعن الشيخ محمد طاهر ميغري البرناوي المحاضر بجامعة بايرو - لأنهما من رجال الدعوة إلى الحق ومن ألد أعداء أصحاب الطرق وعلى رأسها الطريقة التيجانية لأنهم يعرفون ضلالها وفسادها وتدميرها لأخلاق الشباب المسلم أكثر منا ، وهما على ثغرة في الوقت الحاضر لا يسدها غيرهما ، ومعهما أمين الدين أبوبكر رئيس جماعة الدعوة وهو الذي يقاوم في الوقت الحاضر ضلال الراضة ويبين للناس زيف دعوتهم للإسلام وأنهم يدعون للضلال إذ كيف يدعو للإسلام من يكفر الذين نقلوا لنا القرآن والسنة وعلى رأسهم أبوبكر وعمر رضى الله عنهما .

يعلن ذلك على منبر الجامع يوم الجمعة للناس جميعاً ، بلا تحفظ ولا خوف من أحد .

فالذي يجب علينا ونحن ندعو إلى الحق أن نشد من أزر هؤلاء ونشجعهم ونساعدهم بما نستطيع تقديمه لهم ، ولو بالدعاء لهم ، وأن لا نندفع مع ملابسات لا أصل لها ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بشيء ونحن في غنى عنها .

وإني لأتمثل للشيخ أبي بكر قومي والشيخ محمد طاهر ميغري بأبيات من منظومة قالها الشيخ حافظ الحكمي للملابسات تشبه هذه من بعض الجوانب هي بعنوان : الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة .

قال فيها :

انى براء من الأهواء ما ولدت      وولديها الحيارى ساء ما ولدوا  
والله لست بجهمي أجا جدل      يقول في الله قولاً غير ما يرد

إلى أن قال :

وما أرسطو ولا الطومسي أئمتنا      ولا ابن سبعين ذلك الكاذب الفند

ولا ابن سيناء وفارآبيه قدوتنا  
مؤسس الزيغ والاحاد حيث يرى  
معبوده كل شىء فى الوجود بدا  
... الخ القصيدة .

ولا الذى لنصوص الشريستند  
كل الخلائق بالبارى قد اتحدوا  
الكلب والقرد والخنزير والأسد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،



### مركز إسلامى فى السويد

تم وضع حجر الأساس لبناء أول مركز إسلامى فى الدول الاسكندنافية  
بمدينة ( مالمو ) بجنوب السويد .  
ويحتوي المركز الإسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم ابناء  
المسلمين الدين الإسلامى الحنيف إلى جانب مكتبة تحتوي على العديد من  
الكتب الإسلامية المختارة .  
وقد اعرب رئيس المركز الإسلامى فى السويد ديفيد بيكروف عن سعادته  
البالغة لهذا الانجاز ودعا جميع الدول الإسلامية لدعم هذا المركز حتى يستطيع  
تأدية رسالته ..  
( الندوة )

# مِنْ مَنَهَجِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالنَّعْلِيمِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَجْزُوبِ  
كَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَسْوَالِ السُّلَّامِ

قال الله تبارك وتعالى في سورة لقمان :

( ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر لله .. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد (١٢) ) واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني ... لا تشرك بالله . إن الشرك لظلم عظيم (١٣) ووصينا الإنسان بوالديه .. حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين : ان اشكر لي ولوالديك ، إليّ المصير. (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا .. واتبع سبيل من أناب إليّ .. ثم إليّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يا بني .. انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله .. ان الله لطيف خبير (١٦) يا بني .. أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تُصعِّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩) .

المفردات : الوهن : الضعف ، والجنين ضعيف لا يدفع عن نفسه ضرراً ولا يجلب لها نفعاً والرحم الحامل له ضعيف لا يستطيع حماية نفسه ، والأم الحامل في ضعف مستمر حتى تضعه ، الفصال : الفطام ، أناب الى الله : وثق به واتكل عليه وفوض أمره اليه ، صعّر خده : أماله عن الناس استكباراً ، والمرح : الفخر والخيلاء ، القصد : الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، غض من صوته : خفضه تأدباً .

تلخيص المعاني : في هذه الآيات الكريمة تركيز عجيب لدستور كامل في أصول التربية والتعليم ، يذكر الله تبارك وتعالى معظمه عن لسان معلم صالح آتاه الحكمة فعمل بها ومن العسير استيفاء البحث في مضمون هذا الدستور الجامع المانع ، لذلك نكتفي بالإشارة إلى أصوله الكبرى .

الموضوع هنا يمكن اعتباره قسمين يؤلفان وحدة متكاملة ، أما أحدهما فخاص بالفرد من حيث هو كائن بشري لا بد له من التوجيه الى المبادئ الأساسية التي تنظم كيانه الشخصي . وأما الثاني فيتناول تنظيم العلاقة بين هذا الفرد السوي ومجتمعه البشري .

يبدأ القسم الأول من الوصية الحكيمة بالتحذير من الشرك ، لأن التوحيد هو المرتكز الأساسي الذي ينهض عليه البناء السليم للفرد والجماعة ، وليس الشرك إلا عارضاً من الخارج ، والحكمة تقتضي تحصين الفطرة من ذلك الواغل الوبيل ، الذي لا ظلم أظلم منه للنفس وللحق .

وكأن لقمان قد سكت عن ذكر الوصية بالوالدين لأنها تتعلق بحقه على ولده ، فأثر عليه حق الله وحق الآخرين ، ولأن التزامهما مؤد في الواقع الى توكيد شأن الوالدين باعتبارهما الأولى بكل برّ بعد الله ، ولكن الله جل شأنه لم يشأ أن يدع الأمر للاستنتاج ، فاستدرك على لقمان بتوكيد هذا الحق مباشرة بعد حقه ، كما عودنا سبحانه من الربط بين حقه وحق الوالدين في آيات أخر ، ثم قيد ذلك بحدود طاعته ، فللوالدين على الولد حق البر وخفض الجناح ، ولكن ليس لهما أن يفرضا عليه متابعتهما على المعصية ..

ولكى يصون الانسان نفسه من الانحراف عن هذا الخط لا بد له من قدوة عملية يلتزم سبيلها في سلوكه ، وقد حدد له هذه القدوة في اتباع النبيين اليه من الأنبياء والأصفياء السالكين على خطاهم . والبرّ بالوالدين ، ومتابعة الصالحين ، مع التوحيد الخالص ، أساس التربية القويمة التي تضبط مسيرة الفرد في الطريق الأمثل ، يضاف الى ذلك تذكرة الدائم للمصير الذي هو منتهى اليه بعد هذه الحياة الزائلة ، حيث يرى ما عمله من خير محضراً ، وما عمله من سوء يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً . وأولى ثمار هذه التربية تكوين المراقبة الداخلية لأعمال الفرد ، وهو ما نسميه بالضمير ، اذ يتجنب كل زيغ عن الجادة ، لأن كل حركاته وسكناته مُحصى عليه من قبل اللطيف الخبير ، الذي لا يفوته كبير ولا صغير .

وهنا يأتي القسم الثاني وفيه تتلاحق الأوامر والنواهي : أمراً بالصلاة التي هي معراج المؤمن الى الملأ الأعلى وكأنها مواقف حساب يومي ، يعرض فيها نفسه وعمله على ربه فيستغفره لما أصاب من الهفوات ، ويستمدده العون على ما وفق اليه من الحسنات . ثم أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وصبر على المصائب .. كل أولئك نتائج طبيعية لتلك المقدمات ، لأن الانسان الذي زود بكل هاتيك الفضائل بات مؤهلاً للاسهام في توجيه المجتمع بالدعوة الى كل خير ، والتحذير من كل شرّ ولا يطبق ذلك إلا بالصبر الذي يحجب اليه الثبات واجتياز العقبات . والصبر في حقيقته قوة لا تتاح إلا لأولى العزم ، فليكن اذا واحداً من أتباعهم وليتحمل ف سبيل الله ما تحمله الأولون من أتباع النبيين ، وما يتحملة حتى اليوم أتباعهم



باحسان في سجون الملاحدة والظالمين .. وانما تستمر سلامة المجتمع واستقراره في طريق الخير بهؤلاء الامرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الذين ما خلت منهم امة الا تؤدع منها .  
ومن ثم تتابع الآداب الاجتماعية ممثلة في نهيين وامرين . أما الأولان فالتحذير من الاستكبار والمرح . وأما الآخران فالحض على الاعتدال في المشي . والغض من الصوت عند مخاطبة الناس . ويعقب كلاً من القسمين تذييل مؤكد لمضمونه بصورة تقنع العقل السليم بالتزام المطلوب ( ان الله لا يحب كل مختال فخور ) و ( ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ) وحسب المؤمن أن يعلم كره الله للاختيال والتطاول حتى يهجر لوازهما من الصغر والمرح ، اللذين يسجلان على صاحبهما فراغ النفس من الفضائل ، وخلو القلب من التفكير بالتبعات الثقال ، التي لا يستطيع تجاهلها من كان يؤمن بأنه مسؤول عن حركاته وسكناته جميعاً ! وبحسبه كذلك أن يتصور نهيق الحمار ومزعجاته حتى تشمئز نفسه من مشابته . فيحاول جهده أن يلتزم أدب الاسلام في المشي وفي الكلام .

**أهمية هذه المعانى وأثرها في تكوين المجتمع الصالح :** بقليل من التدبر الواعي لهذه الوصايا نتبين اننا تلقاء مخطط عميق الغور ، لا أمل بانشاء الفرد الصالح خارج نطاقه فهو أشبه بالأعداد الأساسية في علم الحساب ، فكما أن عملية حسابية دقت أو جلت تقوم على الأرقام الواحد والتاسع وما بينهما . فكذلك تنبثق من جذور هذا المخطط جميع التفرعات ، التي تحدد مضمون المناهج وأهدافها في كل نظام للتربية والتعليم كما يريده الاسلام . وكما تتطلبه مصلحة الجنس الانساني .

وإذا كان لكل منهاج نماذجه التي تمثل مضمونه في صور مشهودة : فالنماذج التي يقدمها هذا المنهج تؤكد أنه الوحيد ، بين مناهج الدنيا ، الذي أعطى العالم أعظم رجال التاريخ اطلاقاً فأثبت بذلك أنه النظام الوحيد الذي يضمن انشاء الانسان الممتاز الذي يحلم به الفلاسفة دون أن يعرفوا الطريق اليه ... ومن يكون ذلك الانسان الممتاز الذي رباه الاسلام في مدرسة النبوة على ضوء هذا المنهج الرباني فكان أتقى الناس وأعدل الناس ، وأشجع الناس ، وأكرم الناس ، وأعف الناس ، وأشد الناس حين الشدة ، وألينهم عند اللين .. أبعد الخلق عن جهل ، وأرغبهم في علم ، حتى كان منهم أئمة البشر في علوم الدين والدنيا جميعاً !

فمن المخطط يتضح لنا أن غاية التربية والتعليم ، في مستواهما الأعلى ووفق الطريقة الاسلامية ، انما هي رعاية النفس الانسانية بتدريبها على تحقيق المنهاج الرباني ، في تربية الروح ضمن تعاليم الوحي التي تحرر النفس من كل خوف لغير الله ، وكل عبودية لسواه . وتجعلها مدركة لرسالتها في الحياة التي هي تكوين المجتمع الأفضل القائم على عبادة الله وابتغاء مرضاته ، ثم تربية العقل تربية صحيحة تمكنه من تحقيق مهمته في استجلاء مظاهر

عظمة الله في ملكوته . وتسهيل سبل الافادة مما سخر له الله في السماء والأرض من وسائل المتاع والانتفاع . دون ظلم ولا جحود ولا طغيان .. وهو هو السر الذي أدركه سلفنا الصالح لمفهوم التربية والتعليم على هدى من هذا المنهج الأمثل . فراحوا يؤكدون على وجوب العناية بالروح . حتى اعتبروها قوام الانسان كله كما يقول أحدهم : ( فأنت بالروح لا بالجسم انسان ) واعتبروا صلاحها صلاحا للكيان البشري كله كما يتضح من قول أحدهم :

هذب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي لكل بيت  
انما النفس كالزجاجة والعقد ل سراج وحكمة الله زيت  
فاذا أشرقفت فانك حي واذا أظلمت فانك ميّت

ولا يعنى هذا التركيز على الجانب الروحي من الانسان إغفال جانبه المادي . لأن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يقوم على التوازن المتكامل بين الروح والجسد . وانما جاء توكيد العناية بالروح لأن من طبيعة الانسان الاستجابة لنوازه المادية الى حد الإفراط . فكان من الحكمة إثارة اهتمامه بالجانب الآخر لتحقيق التوازن بين الحالين ..

وطبيعي أن أدب الجاهلية لم يقترب من هذه المعاني قط . فهي جديدة على العقل العربي . وهي بالتالى جديدة على العقل البشري في كل مكان قبل نزول القرآن العظيم ... ولا تزال جديدة عند أهل العلم . الذين يتولون تخطيط أسس التربية في أنحاء العالم المتمدنين في الشرق والغرب على السواء .. وانما تستمد قيمتها من عمق الادراك لخصائص الفطرة البشرية التي لا صلاح لها إلا بهذه الحقائق . وقد ثبت ذلك بشهادة الله الذي أودعها كتابه الحكيم توكيداً لأهميتها في هذا المضمار . وتقديراً لهذا النوع من الحكمة التي استحقت تكريمته وتخليده سبحانه .

**الأسلوب المعجز في الآيات :** عندما عجز علماء البلاغة عن الاحاطة بأسرار الاعجاز في كلام الله اضطروا الى القول بأنه كلام لا كالكلام . فاذا كان كلام البشر يدور بين الشعر والنثر فالقرآن ليس من الشعر . وان كان فيه الكثير من خصائصه في أكمل حالاتها كعدوبة الجرس . ورشاقة العبارة . والتصوير المجسم لأدق المعاني .. وليس من النثر . وان شاركه في أخص عناصره . كالإنطلاق . وتحديد المدلول . والتوافق بين الفكر واللفظ .. وسلوك الأساليب المختلفة من السجع إلى الارسال . إلى تقصير الفقرات أو تطويلها حسب المناسبة . وكاستخدام المثل والقصة والتمثيل وما الى ذلك من فنون القول ... واذن فهو قسم خاص من الكلام قائم بذاته وبخصائصه التي يسمو بها على كل ضروب الأدب . ومن هنا جاء قولهم : الكلام ثلاثة

أقسام نثر وشعر وقرآن . وأقرب تعبير عن هذا السر المعجز هو القول بأن طراز البلاغة في كل كلام إنما يمثل عبقرية منشئها وخصائصه الفكرية والنفسية والثقافية . وإنما يتفاوت البلغاء في نطاق هذه الخصائص قوة وضعفاً . وانخفاصاً وارتفاعاً . لأنهم بصيغتهم الفنية إنما يمثلون صفاتهم المنبثقة من هذه الخصائص . ونحن عندما نميز بين أسلوب انسان وأسلوب آخر إنما نميز في الحقيقة بين صفة هذا وصفة ذلك . تماماً كما قرر نقاد الغرب عندما زعموا : أن الأسلوب هو الانسان . يريدون أنه صفته المميزة له . وعلى هذا المقياس نستطيع القول إن امتياز كلام الرب تبارك وتعالى إنما جاء من كونه صفته المعبرة عن علمه وكمالاته اللاتئة بجلاله . فلا سبيل إلى المقارنة بين كلامه وكلام مخلوق مهما تبلغ بلاغته من الارتفاع . لأنه لا سبيل إلى المقارنة بين علم الرب المحيط بكل شيء . وعلم العبد الذي لا يري من الشيء إلا الجزء الذي يواجهه .. ومن طبيعة هذا الفرق أن الانسان يتراوح بين السمو والهبوط وفق قدرته المحدودة في تتبع الوقائع . واستنباط الأسرار . فيصيب ويخطيء . ويتعمق الشيء أنما فيقول ما يتفق مع حقيقته . ويغم عليه السر أنما فيتخبط في أحكامه . وبذلك يتعرض للإحسان والإساءة على حين يأتي كلام الخالق صورة الحق الخالص الثابت على مرّ الأحوال وتغير الأزمان . لكل حرف فيه مدلوله اليقيني الذي لا يقبل التبديل . كمثل العضو من الجسم الحي له مكانه ووظيفته . التي لا سبيل لتحقيقها إلا عن طريق ذلك الوضع المخصوص ..

واذن فالاعجاز في الكلام الإلهي قائم في المعنى والمبنى معا .. فمعاني الآيات كما رأيت تمثل أسمى ما يتصوره العقل البشري من كمال التنظيم التربوي . الذي عجز عن مثله مفكرو القديم والحديث . لأنه حقائق منسجمة مع الفطرة التي لا تبديل لها على الأحداث والبيئات .

والاعجاز متمثل كذلك في نظم الآيات من حيث الألفاظ والتعابير . وتساقق الفقرات في فواصلها ونهاياتها .. فتقسيم الكلام إلى آيات يوجه القاريء إلى التوقف على أواخرها . ويساعده على التغمي بها وهي بعض مميزات التنزيل التي لا تجد مثلها في كلام الجاهليين ولا الإسلاميين . حتى في أسلوب المقامات القائمة على تقسيم الكلام إلى فقرات مسجوعة كقوافي الشعر . تشعر عند مقارنتها بآيات القرآن العظيم أنها تكاد تفقد كل أثر للجمال . إذ تبدو سجعاتها متكلفة قد سخرت لها المعاني . واجتلبت لها الألفاظ بدافع الرغبة في الهندسة اللفظية فقط .. وهذا ما جعل بعض علماء البلاغة ينكرون وجود السجع في كلام الله . لأنهم لم يروا السجع قط إلا متكلفاً . بخلاف نهايات الآيات القرآنية التي لا تأتي أبداً إلا عفوية على أتم التساقق والانسجام مع المعنى . ولهذا رأوا أن تسمية هذه النهايات بالفواصل أحكم وأليق من تسميتها بالسجع .

والقارئ ذو الشعور المرهف يدرك بذوقه في هذه الفواصل التي تختتم بها الاي من الجمال والتأثير ما لا سبيل الى تحديده بالوصف الكلامي .. وسيكون أكثر ادراكا لأثرها اذا هو ترك قراءة تلك الخواتيم واكتفى بقراءة صدورها وحدها . اذ يحس أنه يفقد بذلك غير قليل من النعم . والجمال والتأثير .

**شخصية لقمان :** ولقد اعتدنا أن نقرأ الوصايا في الجاهلية فقراً متقطعة لا نظام لها في الغالب . حتى يمكن تغيير مواقعها دون أن يؤثر ذلك على مجموعها . لأن قائلها في الأصل لم يُعن فيها بوحدة الموضوع .. أما هنا في وصية لقمان فالأمر على الضد . اذ نرى التماسك بين الفقرات على أتمه . فكل فقرة ممسكة بأختها . لأن كل فكرة ممهدة لما يليها . ومنها جميعاً على هذا التماسك يتألف دستور التربية المتكامل .

لقد بدأت الآيات بخبر الحكمة التي هيأ الله لها لقمان . ثم تتابعت المعاني التي تنطوي تحتها . وأولها الشكر لله . ولم تذكر الايمان به سبحانه . لأن المناسبة تقتضي أن الايمان أصل في الفطرة الانسانية لا جدال فيه وانما البحث في متطلباته ومغذياته . ولاشك أن شكر المنعم في مقدمتها لأن الحس البشري لا يقع على شيء إلا وهو من فضله تعالى . فشكر المتفضل إنما هو تعهد للنفس بالاصلاح المستمر والضبط الواعي ضمن حدود الخير .. فاذا ما تمت للقمان هذه الخاصة العليا . خاصة التنبيه الدائم لنعم الله وشكرها . كان أهلاً لدعوة الآخرين الى هذا الخير . وأحق الناس به منه ولده . وأفضل ما يبدأ به تزويده التحذير من الانحراف بفطرة الايمان عن طريقها السديد . لأن الشرك ظلم عظيم .. وهكذا تتابع أجزاء الموعدة في ترابط عجيب لا يغفل شاردة ولا واردة . من الوصية بالوالدين . إلى القدوة الحسنة إلى مراقبة النفس والعمل . الى الجهاد العام للحفاظ على صلاح المجتمع . إلى حسن معاملة الناس وما يصلح للمؤمن العاقل من أدب المعاملة لمن يدعوهم إلى الصلاح ...

هذا من حيث وحدة الموضوع .. فاذا رحنا نتيين الخصائص النفسية لهذا الحكيم الصالح واجهتنا الحكمة ممثلة في طريقته نفسها . فهو يسوق مواعظه في أرق الأساليب وأبلغها وقعا . فيبدأ كل زمرة من تلك الفضائل بذلك الخطاب المؤثر المشحون بالاشفاق : ( يا بني ) .. ثم لا يكتفي بصيغة الأمر والنهي في عرضها . بل يعتمد الى دعمها بالتعليل المقنع فهو ينهاه عن الشرك لأنه ظلم عظيم . ويحذره من التهاون بصغائر الذنوب لأن الله لطيف خبير . وهو يحضه على الاستمسك بالصبر لأن تكاليف الايمان والدعوة من الأعباء التي تتطلب العزائم الضخمة . وهو ينفره من التصغير والمرح لأن الله لا يحب أهلها . وينصح له بالأناة والرصانة لأن الخروج منهما دخول في صفة الحيوان الذي لا يعرف الآداب ... ولكي ندرك روعة

التنسيق في أسلوب هذه الآيات نأخذ الآية السابعة عشرة كمثال من ذلك . انه يدعو ولده الى أربعة أشياء : الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر . وكان ممكنا أن يبدأ بأبي منها . ولكنه أثر البدء بالصلاة وقيدها بالاقامة لتكون أدل على كمالها . ومن ثم لتؤدي وظيفتها كاملة في رفع طاقاته النفسية . فاذا تم له ذلك حَبِبَ اليه الأمر بالمعروف . وقدم ذلك على النهي عن المنكر . لأن دعوة الناس الى مهجور الخير أوقع في قلوبهم من دعوتهم للاقلاع عن مألوف المنكر .. فاذا مرن على ذلك سهل عليه الانتقال الى ما بعده . ولكن هذه أعباء ثقال لا يطيقها إلا أولو العزم من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ... فلتكن الوصية بالصبر أخيرا . ثم ليأت بيان أهمية ذلك تذييلا شاملا لهذه الأحكام جميعا ( ان ذلك من عزم الأمور ) .

وهكذا نخلص من هذه الدراسة الوجيزة لوصايا لقمان . وقد تبينا ملامح من أهميتها وحاجة الانسان الى تحقيقها في كل زمان ومكان . واستبنا من خلالها شخصية ذلك الحكيم العظيم الذي تعلمنا منه الكثير من أصول الدعوة وطريقة عرض الحقائق بالأسلوب المبشر الذي لا ينفر .. وأخيرا تعرفنا أثناء ذلك بعض الخصائص التي ميز بها الخلاق العظيم أسلوب كتابه الحكيم . فكان بها المعجز الذي لا يبارى . والمعلم الذي لا يجارى . والنور الخالد الذي يهدي للتي هي أقوم .



# تَعَدُّ زَوَّجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ

للكنور ملك غلام مرتضى  
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

- ١ -

قبل أن نتحدث عن الحياة الأسرية للنبي ﷺ ، من الأجدر أن أمهد لهذا البحث فأقول : إن عصرنا الحاضر ، في الحقيقة ، يمثل الصحوة الاسلامية في العالم والبعث الاسلامي الجديد . لقد جرب أهل الغرب نظمهم وعقائدهم وحصلوا على ما حصلوا عليه من نتائج سيئة وخطيرة . والآن يسود العالم شعور عام وإحساس ملح لاختفاق الانسان في هذه النظم الوضعية ، وهو نفسه يشعر أنه قد سئم من هذه النتائج السيئة . لذا فهو يريد الآن أن يتوجه نحو نظام غير وضعي ، نظام ليس من صنع البشر ، نظام إلهي محكم شامل .

ولكن ثمة صعوبة كبيرة تصادف الانسان ، ألا وهي خلو الأديان كلها عدا الإسلام من تصور نظام شامل . والنصرانية تأتي بتصور مذهب شخصي . وهناك نفس المشكلة في اليهودية والأديان الأخرى . ولكن الإسلام يختلف اختلافا جذريا في هذا الشأن فهو يتميز بوجود نظام شامل متكامل للحياة .

وأقبل العلماء والمفكرون على مطالعة الإسلام والتعرف على مبادئه عن كثب ، الأمر الذي أدى إلى اليقظة العلمية والركون إلى الإسلام ، فاعتنق عدد كبير من أهل أوروبا وأمريكا الإسلام مما أزعج اليهود والتبشيريين وكل أعداء الإسلام ازعاجا شديداً .

وإذا أخفق أعداء الإسلام في مقاومته بأساليب علمية لجأوا الى الحملات المغرضة والمؤامرات الدنيئة ضد هذا الدين ، فمثلا يروجون أباطيلهم وشبهاتهم حول شخصية محمد ﷺ لاسيما بالنسبة لتعدد زوجاته .

ولا تكاد مكتبة من المكتبات المنتشرة في شتى أنحاء أوروبا التي زرتها ، إلا وتضم مؤلفات تتناول أموراً مزعجة في نفس الموضوع .

فقد هاجموا شخصيته ﷺ بأسلوب متصف بالوقاحة وعدم الموضوعية وبيعت مثل هذه الكتب بالملايين ووزع بعضها بأسعار مخفضة بل حتى بالمجان .

وهكذا الوضع في الهند . كان الهندوكيون يطبعون الكتب الدنيئة مثل كتاب « رنكيد رسول » ( الرسول الشهبانى ) الذى ظهر منذ زمن بعيد ومازالوا ينحون هذا المنحى ومع هذا فإن أعداداً كبيرة منهم يشرح الله صدرها للإسلام فيدخلونه أفواجاً .

ولو أننا ضربنا صفحاً عن هذه الكتب المليئة بالكذب والأباطيل فعلينا أن نحلل بأسلوب علمى منهجى يخاطب العقل والمنطق أسباب تعدد الزوجات فى حياة الأنبياء لاسيما أسباب الأحد عشر زيجة خلال حياة محمد ﷺ .

لقد وجه أعداء الإسلام التهمة تلو التهمة الى النبى ﷺ فزعموا أنه كان والعياذ بالله رجلاً شهبانياً وأانياً ومن أهل الدنيا وكان يفتقر الى النقاء الروحى فضلاً عن النبوة والرسالة .

والآن سأركز على أربعة أمور وهى :

١ - هل تعدد الزوجات مختص بالرسول العربى ﷺ أم أن هذه سنة أكثر الأنبياء ؟ وما الذى ورد فى التوراة والنجيل فى هذا الصدد . ؟ وما هو المذكور فى الكتب المقدسة للمذهب الهندوكى عن أكابريهم بالنسبة لتعدد الزوجات ؟

٢ - ما هى الأسباب وراء تعدد زوجات النبى ﷺ . وما هى الخلفية وراء كل زيجة من زيجاته الأحدى عشرة ؟

٣ - ما الذى يتوقع من شخص آخر غير النبى ﷺ لو كان فى محل الرسول ﷺ ؟ ماذا كان يمكن أن يكون أسلوب حياته فى نفس الظروف والملابسات ؟

٤ - ما هى المصالح العملية وراء تعدد زوجات النبى ﷺ والحكم التعليمية والتشريعية والاجتماعية والسياسية والشخصية ؟

سنة الأنبياء السابقين مما ورد فى التوراة والانجيل :

الذين يعترضون على تعدد زواج الرسول ﷺ أكثر من غيرهم هم المستشرقون من اليهود والنصارى . ومن ثم كان علينا أن ننظر فى أسفار التوراة والأنجيل الحالية لنرى ماذا ورد فى هذين الكتابين عن كبار الأنبياء من بنى اسرائيل فى هذا الصدد .

١ - تعدد زوجات سيدنا ابراهيم عليه السلام :

كان لسيدنا ابراهيم عليه السلام ثلاث زوجات حسبما ورد في التوراة والانجيل :  
أ - السيدة / هاجر ( كتاب الخلق : ١٦ / ٤ ) وهى أم سيدنا اسماعيل عليه السلام .

ب - السيدة / سارة ( الخلق : ١٨ / ١٥ ) وهى أم سيدنا اسحاق عليه السلام .  
ج - السيدة قثورة ( الخلق : ١٠ / ٢٥ ) وكان لها ستة بنين وهذه أسماؤهم :  
زمران ، يقان ، مدان ، مديان ، أسباق ، سنوخ .

٢ - تعدد زوجات سيدنا يعقوب عليه السلام :

كان له أربع زوجات ( الخلق : ٢٩ / ٢٣ - ٢٩ ) وأسمائهن كما يلى :  
أ - لياه ( الخلق : ٢٣ / ٢٩ ) وهى أم سمون ، لاوى ، يهوده ، أشكار وزبون .  
ب - زلفة : وهى أم ابنين وهما : جد وآثر .  
ج - راخيل : ولها ابنان : سيدنا يوسف عليه السلام وبنيامين .  
د - بلهمة : وهى أم دان « ونفتاى » .

٣ - تعدد زوجات سيدنا موسى عليه السلام :

تزوج سيدنا موسى عليه السلام بأربع نساء ( كتاب الخروج : ٣١ / ٢ ) وأسمائهن كما يلى :

أ - سفورة : وهى أم جيسون والعيزر .  
ب - جبشية .  
ج - بنت قينى ( قاضيون ١ / ١٦ ) .  
د - بنت حباب ( قاضيون ٤ / ١٦ ) .

٤ - تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام :

وقد ورد في كتاب صيموثيل ( ٢٣ / ٢٦ ) ذكر تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام ولا يسعنى أن أذكر أسماؤهن وأسماء أولادهن لضيق المقام .



## ٥ - ألفت امرأة لسيدنا سليمان عليه السلام :

وقد ورد في كتاب سلاطين ١١/٣ أنه كان لسيدنا سليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة أمة . ولم يذكر هذا الأمر في القرآن الكريم .

## ٦ - سنة سيدنا عيسى عليه السلام ومسلكه :

لم يتزوج سيدنا عيسى عليه السلام وكذا صار الزواج عملاً غير مستساغ عند النصرانيين واعتبروا العزوبة منتهى الروحانية .

ولكن مع كل ذلك فقد ورد قول سيدنا عيسى عليه السلام في انجيل متى باب ٢٥ حينما أخبر عن بعثته أنه عليه السلام أخبر عن عشر أبنكار . « تزوجت خمس منهن بعريس واحد وذهبن الى بيتهن ، أما الخمس الأخريات فتخلفن ولم يفتح لهن الباب » .

وهذه الجملة الواحدة تدل بكل وضوح على أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يميز تعدد الزوجات . فقد أول بعض القسيسين هذه الجملة قائلين أن المسيح قد تكلم بأسلوب تمثيلي . نعم : ولو كان كذلك : الحق أنه لا يمكن لنبي أن يقول شيئاً بأسلوب تمثيلي عن أمر ما إلا إذا كان ذلك الأمر مرغوباً لديه .

ولهذا السبب كان « ملتن » الشاعر الانجليزي الشهير يقول بتعدد الزوجات . وجدير بالذكر أن نابليون ملك فرنسا قد استدل على ذلك وتزوج ثانية في حضور البابا ولم يعترض البابا وصدقت أوروبا على صحة هذا الزواج . وهناك أحداث كثيرة مماثلة .

## تعدد الزوجات في المذهب الهندوكي :

والآن نتقدم الى ما ورد في المذهب الهندوكي . والمهم أن الهندوكيين لا يوجد لديهم نظام تعدد الزوجات في العصر الحاضر وقد اعترضوا على تعدد زواج الرسول ﷺ لنفس الأسباب السابقة .

وأهم شخصية في المذهب الهندوكي ، هو شري رام جندرجي . انهم يحلون محل الآلهة . ومن المعروف والمعلوم عند كل هندوكي أنه كانت لوالد شري رام جندرجي ( راجه وسرت ، ملك من ملوك الهند ) ثلاث زوجات في آن واحد وأساؤهن كما يلي :

- ١ - ملكة كوشليا وهي أم شري رام جندرجي .
- ٢ - ملكة سمترا وهي أم لجمن جي .
- ٣ - ملكة كيكني وهي أم برت جي .

وقصة المخاصمات بينهن معروفة جداً عند الهندوكيين وهم يمثلون وقائع هذه المخاصمات كل عام في صورة حفلات عظيمة .

وشرى رام جندرجى هو مؤسس المذهب الهندوكى ، وكان له ثمانى عشرة زوجة حسبها ذكر عالمهم الكبير « لاله لا جبت رائى » فى مؤلفه « كرشن جتر » .

وهناك شخصية هامة أخرى وهى الجد الأعلى للهندوكيين لاسيما الباندوكيين واسمه الملك باندو . ومن المعروف أنه كانت له زوجتان واسمها : « بنتى » و« مادرى » ، وكذلك هناك شخصية بارزة من بين مؤسسى الهندوكية وهى الملك شنتن الذى كانت له زوجتان واسمها : « جنجا » و« سيتاوتى » .

وهكذا كانت لسيد بجزايرج زوجتان وأمة .

ولا يسعنى لضيق المكان أن أعرض بالتفصيل تعدد الزوجات عند مؤسسى الهندوكية وكل شخصياتهم البارزة - ولكن أود أن ألتمس من الكتاب الهندوكيين أن يطالعوا كتبهم المقدسة قبل أن يكتبوا كتباً دنيئة مثل « الرسول الشهوانى » ان كان لديهم شىء من الحياء والحجل .

حكمة زواج النبى ﷺ بكل واحدة من أزواجه الطاهرات :

والآن أحاول أن أبين الحكمة وراء كل زيجة من زيجات النبى ﷺ وفقاً للترتيب الزمنى لزواجه ﷺ :

١ - السيدة خديجة رضى الله عنها :

السيدة خديجة هى أولى زوجاته ﷺ وهى أرملة وكان عمرها وقت الزواج أربعين سنة وعمر النبى ﷺ خمساً وعشرين سنة . فعاشا معاً خمس وعشرين سنة بعد زواجهما الى أن توفيت السيدة خديجة وهى فى الخامسة والستين من عمرها بينما كان النبى ﷺ فى الخمسين من عمره . وجدير بالذكر أن النبى ﷺ لم يتزوج أية امرأة أخرى فى حياته .

ومات أبوطالب عم النبى ﷺ فى نفس السنة وسمى هذا العام بعام الحزن . ذلك لأن النبى ﷺ فقد شخصيتين هامتين ألا وهما : السيدة خديجة وأبا طالب اللذين كانا يشدان من أزر النبى ﷺ ويحنون عليه .

وهكذا صار النبى ﷺ وحيداً لا ناصر له ولا معين من ناحية أسرته .

السيدة سودة رضی الله عنها :

وكانت هذه المرحلة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مرحلة الشدائد والابتلاء وهو في حاجة ماسة الى من يسكن اليها لذلك فهو يتزوج السيدة سودة البالغ عمرها وقتئذ خمس وخمسون سنة .

وعليكم أيها القراء أن تتبها الى عمر أزواج النبي ﷺ ، ولكي ندرك مدى بطلان الافتراءات التي يثيرها أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ واتهامهم له بالشهوانية والأنانية . علينا أن نتساءل : ماهي الخلفية وراء زيجاته : ما هو عمر أزواجه ؟ ولماذا يتزوجهن ؟

كانت السيدة سودة أرملة سكران بن عمرو وهي من المؤمنات المهاجرات . توفى عنها زوجها بعد الرجوع من الهجرة الثانية الى الحبشة فأصبحت وحيدة لا ناصر لها ولا معين . ولورجعت الى أهلها الكفار لعذبوها ولحاولوا ردها الى الشرك قسراً . وما كان هناك أى شخص يمكن أن يقوم بكفالتها والمحافظة على اسلامها .

فاختار النبي ﷺ كفالة هذه الأرملة الوحيدة الحزينة المسكينة المسنة فتزوجها وفي هذا تشريع الزواج بالأرامل اللاتي ينظر اليهن نظرة سوداء في الملل والأديان الأخرى كالهندوكية . فالرسول ﷺ أرسل للبشر كافة ولم يرسل لأمة بعينها كغيره من الأنبياء ، لذا فسنن زواجه لا يبطال كل ما في الأديان المحرفة والملل الأخرى من خرافات وامتهان للنساء وبخاصة المزدريات منهن في مجتمعاتهن كالأرامل والمطلقات وتشريفهن بزواجه منهن وهو أشرف البشر فيمثل به المؤمنون كافة .

٣ - السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنها :

وهي الوحيدة من بين أزواجه الطاهرات التي كانت بكرًا . وكان النبي ﷺ قد قضى على نظام التبنی بزواجه السيدة زينب بنت جحش ، فيمكننا القول أنه ﷺ قد قضى على نظام آخر بهذا الزواج وهو نظام التآخي الجاهلي إذ كانت العادة قد جرت عند بعض العرب أن يؤاخي بعضهم بعضاً وكانت هذه المؤاخاة تتساوى مع الأخوة الحقيقية القائمة على صلة الدم ، وكانوا يجرمون على أنفسهم الزواج بابنة أخيهم المزعوم .

فقضى النبي ﷺ على هذه العادة الجاهلية بزواجه بالسيدة عائشة رضی الله عنها وكان عمرها تسع سنوات وقت الزواج وبقيت على قيد الحياة ثمانيا وأربعين سنة بعد وفاة

النبي ﷺ ولعل هذا هو السر وراء هذا الزواج . وظلت تنشر الدين وتبلغه الى النساء والرجال .

ونرى أثر ذلك حتى اليوم كلما ذهبنا الى الروضة في المسجد النبوي الشريف فنجد هناك عموداً ( قائماً ) يسمى « اسطوانة عائشة » . وكان الصحابة يجلسون بقرب هذه الاسطوانة بعد وفاة النبي ﷺ ويستفتونها في الأمور الدينية وكانت السيدة عائشة تفتي وتدرس وتبلغ وهي جالسة في حجرتها التي فيها قبر النبي ﷺ .

وإذا استشكل أبوها سيدنا أبوبكر وغيره من الصحابة الكبار مثل سيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان بن عفان في أى أمر هام رجعوا الى السيدة عائشة لحل تلك المشكلة .

وقد ذكر العلماء المؤرخون أنه قد انتقل ربع الأحكام الشرعية الى الأمة المسلمة بعد وفاة النبي ﷺ من خلال توجيهات السيدة عائشة وجهودها التي استمرت ٤٨ سنة بعد وفاته ﷺ وظلت تسكن نفس الحجرية التي دفن فيها الرسول الى أن توفي سيدنا عمر ودفن بجوار قبر رسول الله ﷺ فانتقلت من تلك الحجرية قائلة « اننى أستحي الآن أن أبقى هنا » .

وظلت السيدة عائشة توجه الصحابة في كثير من الأمور العامة وتنبههم الى بعض أخطائهم الفقهية العلمية وهناك الصحابة الكبار أيضاً الذين تنبهوا الى بعض أخطائهم نتيجة لتوجيهاتها فقد ألف العلامة السيوطي رحمه الله رسالة مستقلة في هذا الموضوع وأوضح كيف صححت السيدة عائشة أخطاء الصحابة وذكر تلك الفتاوى في رسالته التي سماها « عين الاصابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة » .

وأذكر مثلاً لذلك هو أن سيدنا أبا هريرة أفتى ذات يوم أنه لا يجوز الصوم في حالة الجنابة فراجعته السيدة عائشة والسيدة أم سلمة وأخبراه أنه يجوز وكان النبي ﷺ يغتسل من الجنابة بعد تناول السحور أحيانا .

وقد روى عن أبي موسى الأشعري : « ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علماً »

( جامع الترمذى )

ويقول الامام الزهري التابعي :

« كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ » .  
( طبقات ابن سعد ج ٢ ، قسم ٢ ص ٢٦ )

ويقول عروة بن الزبير رضى الله عنهما : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بفقهِ ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة » .  
( سير الصحابيَّات للشيخ عبد السلام الندوى ص ٤٣ )

وقد روى عن موسى بن طلحة قوله : « ما رأيت أفصح من عائشة » .  
( مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٩١ )

والمعروف أنه قد روى عنها ٢٢١٠ حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ وقد اتفق الشيخان على ١٧٤ حديثاً منها وقد انفرد الامام البخارى بتخريج ٥٨ حديثاً كما انفرد الامام المسلم بتخريج ٦٨ حديثاً منها .

٤ - السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

وهى أرملة سيدنا خنيس بن حذافة الذى استشهد فى غزوة بدر وفى تلك الأثناء توفيت السيدة رقية زوج عثمان بن عفان وبنت رسول الله ﷺ فعرض سيدنا عمر ابنته على عثمان للزواج كما أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال فقال عثمان « سأنظر فى أمرى » فلبث ليالى ، ثم قال : « لقد بدا لى أن لا أتزوج » قال عمر لأبى بكر : ان شئت أنكحك حفصة ، فصمت ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبث ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحها إياه : فلقينى أبوبكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة . فلم أرجع اليك شيئاً ؟ قلت : نعم قال : انه لم يمنعنى أن أرجع اليك الا أننى علمت أن النبى ﷺ ذكرها ، فلم أكن لأفشى سره ، ولو تركها لقبلتها » .

ولا يفوتنا هذا الأمر الهام أن زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة له أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية لأنه كان سبب ربط قوى بينه وبين سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وهما اللذان قاما بخدمات جليلة للإسلام وضحيا بكل مرتخص وغال فى سبيل الله وحب رسوله .

## ٥ - السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها :

وهى أرملة عبيدة بن الحارث رضى الله عنه ، البطل الذى استشهد فى أول المباراة فى غزوة بدر وهى أيضاً من النساء المؤمنات اللاتى ضحين بالنفس والنفس فى سبيل الله ، وكانت حين استشهد زوجها تقوم بواجبها فى اسعاف الجرحى وصبرت على استشهاده زوجها ولم تتخل عن واجبها حتى بعد وفاة زوجها الى أن جاء النصر وهزم المشركون وكانت تناهز الستين من عمرها ، ولم يكن هناك من يعولها فكانت بحاجة ماسة إلى الرعاية .

فلما علم الرسول ﷺ بحالتها وصبرها وجهادها وإخلاصها خطبها لنفسه وكان عمره ﷺ آنذاك يناهز الخامسة والخمسين وظلت السيدة زينب بنت خزيمة على قيد الحياة بعد زواجها من النبي ﷺ عامين اثنين ثم انتقلت الى رحمة الله رضى الله عليها ورضت عنه تعالى .

فلما رأى هؤلاء الأفاكين المغرضين الذين يتقولون على الرسول (ﷺ) ويتهمونه بالشهوانية والأنانية فى هذا الزواج الشريف الذى لا يهدف إلا إلى غاية نبيلة كريمة والذى يعبر عن المروءة والشهامة التى كان يتحلى بها الرسول الكريم (ﷺ) .

## ٦ - السيدة أم سلمة هند المخزومية رضى الله عنها :

وهى أرملة عبد الله بن عبد الأسد من الأولين السابقين الى الإسلام . كان قد هاجر الى الحبشة ومعه زوجته السيدة أم سلمة التى خرجت فراراً بدينها . واستشهد زوجها البطل فى غزوة أحد مخلقاً لها أيتامها الأربعة : ابنان صغيران وبتتان صغيرتان وكانوا بلا كفيل ولا معين . وكان عمر السيدة أم سلمة حينئذ بين خمس وخمسين وستين سنة .

فقدّر النبي ﷺ ظروفها الصعبة وحاجة العائلة الى من يكفلها ويرعاها فخطبها ولكنها اعتذرت فى بداية الأمر وقالت : انى مسنة . وانى أم أيتام ، وانى شديدة الغيرة . فرد عليها النبي ﷺ وأرسل لها يقول بما معناه : أنا لأعبا بالسن ، أما الأيتام فأضمهم الى ، وانى أدعو الله سبحانه أن يذهب عن قلبك الغيرة .

واستجاب الله لدعاء النبي فذهبت عن قلبها الغيرة ووافقت على الزواج فتزوجها عليه السلام وتربى أيتامها تربية حسنة وأحبهم عليه الصلاة والسلام حباً أكثر مما أحبهم أبوهم .

هذه هى السيدة أم سلمة التى صححت خطأ أبى هريرة وأفتت مع السيدة عائشة أن الصوم يجوز فى حالة الجنابة .

## ٧ - السيدة زينب بنت جحش :

هى ابنة عم رسول الله ﷺ وأخت عبد الله بن جحش البطل الذى استشهد فى غزوة أحد .

كان قد زوجها الرسول ﷺ بزید بن حارثة متبناه وكان يعرف بزید بن محمد ولكنها رأت أنها أشرف من زید بسبب حسبها ونسبها وأن زیداً كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ . وهكذا ساءت العلاقات بينهما وكما ورد فى بعض الروايات أنها كانت تغلظ له فى القول . فشكا زید الى الرسول ﷺ وأراد أن يطلقها ولكن رسول الله ﷺ منعه من الطلاق ونصحه قائلاً : « أمسك عليك زوجك » ولكن ظل الخلاف بينهما يزداد حتى طلقها زید . فى تلك الآونة أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضى الرسول ﷺ على نظام التبني الذى كان سائداً منذ أيام الجاهلية . وتحت هذا النظام كان العربى يتبنى ولد غيره فيقول له : « أنت ابني ، أرثك وترثني » .

وكان يصبح هذا الولد بمثابة ابنه الحقيقى فى الأمور كلها حتى فيما يتصل بتحريم علاقة الزواج وما كان لله سبحانه أن يبيحهم ويقرهم على مثل تلك العادات التى كانت سائدة فى الجاهلية كنظام التبني . فأبطل الله سبحانه وتعالى هذا النظام كما ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :

« ان زید بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه الا زید بن محمد ، حتى نزل القرآن ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فقال النبى ﷺ : « أنت زید بن حارثة بن شرحبيل » .

وبعد أن طلق زید زينب ، أمر الله سبحانه رسوله أن يتزوجها لابطال نظام التبني ابطلاً كاملاً .

ويشهد القرآن الكريم أن النبى ﷺ كان يخشى من ألسنة الناس أن يقولوا : تزوج محمد امرأة ابنه فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زید منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً ﴾ [ سورة الأحزاب ] .

ومع هذا الحكم القطعى نزلت آية أخرى تبين بوضوح أنه لن يأتى نبى بعد محمد ﷺ

وهى :

﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾

وعلينا أن نتأمل الآن بهدوء :

أنه ليس هناك نبي بعد محمد ﷺ ومحمد ﷺ يخشى من ألسنة الناس إذا تزوج امرأة متبناه لأنه أمر خطير جداً ، فلا قدر الله ان لم يتمكن محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء من ابطال نظام التبني والقضاء عليه فمن ذا الذي يأتي بعده للقضاء على هذه البدعة؟ .

إذا خشى النبي ﷺ والعياذ بالله من ألسنة الناس وترك هذا الأمر وأخفق في القضاء على هذا النظام فكيف يتسنى لآخر أن يكون أجراً وأشجع من النبي ﷺ؟ هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية وعلينا أن نفهم هذا الوضع جيداً .

وقد ورد نص صريح في القرآن الكريم « زوجناكها » وهم يحتم عليه ﷺ أن يتزوج من مطلقة متبناه زيد والحكمة من وراء ذلك هو القضاء على هذه البدعة ، بدعة التبني وكان لابد للنبي ﷺ أن يرسم المنهاج أمام المؤمنين ، لأنه ان لم يفعل بنفسه فمن ذا الذي يستطيعه غيره؟ لاسيما أنه لن يجيء بعد الرسول الخاتم ، نبي آخر .

كانت هذه هي الظروف والملابسات وراء هذا الزواج وحكمته التشريعية الكبرى . أما ما يردده الأفاكون المغرضون فعلينا أن نقف عليه أيضاً قليلاً كي ندرك مدى افتراءهم وحقدهم على النبي ﷺ .

ان أعداء الإسلام قد استغلوا بعض الروايات المذكورة في بعض كتب التفسير وفي الحقيقة ، ليس هناك أى سند لهذه الروايات من ناحية العقل والرواية وهي مستحيلة من ناحية العقل والدراية .

انهم يزعمون أن النبي ﷺ مربييت زيد ذات يوم وهو غائب ، فرأى زينب فوقع في قلبه فأحبها ، فقال : « سبحان مقلب القلوب » سمعت زينب ذلك فأخبرت زوجها بما سمعت من الرسول ﷺ فلما علم زيد أن زينب وقعت في نفس رسول الله ﷺ أتاه يريد طلاقها فقال له الرسول ﷺ : « أمسك عليك زوجك » وفي قلبه غير ذلك ، فطلقها زيد كي يتزوج بها الرسول ﷺ .

وجدير بالذكر أن الذي يروج لهذا الافتراء لا يذكر عامداً متعمداً أمرين هامين في هذه القضية وهما :

١ - أن زينب بنت جحش رضى الله عنها هي ابنة عم رسول الله ﷺ وقد ظلت تسكن مع الرسول ﷺ منذ طفولتها حتى وقت زواجها بزيد ولم يكن هناك حينئذ حجاب .



٢ - أن النبي ﷺ زوجها يزيد على الرغم مما تتمتع به من حسب ونسب .

والآن لنسأل الضالين المضلين الذين يروجون لهذا البهتان : هل من الممكن لامرأة نشأت وترعرعت مع النبي ﷺ حتى بلغت مبلغ النساء ألا تقع في قلبه وهي بكر فإذا ما صارت ثيباً ومتزوجة بشاب آخر صادفت هوى في نفسه ؟  
ألم يكن من الممكن للنبي ﷺ أن يتزوجها وهي لم تنزل بعد في دار معه ؟ لماذا أجبرها على الزواج بمتبناه اذا كان يحبها ؟ هل كان ثمة ما يحول دون ذلك ؟ .

يفترض الأفاكون أن النبي ﷺ رآها أول مرة في بيت زيد فوقعت في قلبه - ان هذا هو الافتراء بعينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



إن من أهم مآثر الإسلام ، تلك المآثر التي تميزه عن سائر النظم المطلقة ، وهي التوفيق التام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الإنسانية ... وهذا سبب من الأسباب التي عملت على ظفر الإسلام اينما حل ، لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التي لا تجعل احتكار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة ... هذه الخاصية الظاهرة في الإسلام تجلوا الحقيقة الدالة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية ، في المظهر الروحي والمظهر المادى ...  
( ليوبولد فابس )

# الرَّسَائِلُ الحَرْبِيَّةُ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الأيوبيَّةِ للدكتور محمد نفس

٣ - أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

رسائل بشأن حصنى الكرك والشوبك في عهد الملك العزيز :  
وكما كتب القاضى الفاضل عن الكرك والشوبك في عهد السلطان صلاح الدين  
فكذلك نراه يكتب في عهد الملك العزيز ثلاث رسائل ، الأولى عن الكرك والثانية عن الشوبك  
، والثالثة يرسلها عن طريق أحد العاملين في الديوان .  
فأما الأولى فيستهلها بدعاء طويل يستغرق نصف الرسالة تقريبا ، ثم يذف إليه بشرى  
دنو النصر . وينتقل بعدها إلى الغرض من الرسالة ، وهو وصف المعركة الحربية .  
فالمنجنيقات تهدم الأبراج المشيدة ، وتدمر الأسوار الغليظة ، التى يشبهها بالسكارى في  
انهيارها ، فقد أعطتها المنجنيقات بكفها الخمر التى فيها هلاكها ، فلم تبق الحجارة الطائرة  
من هذه المنجنيقات حجارة قائمة في هذا الحصن ، فقد انهدمت قواعده وأركانها .  
ثم يصف السبب الذى من أجله فتح الحصن فيقول : ولولا الخندق الذى ... هو واد من  
الأودية واسع عميق ، لما تعذر الزحف إليهم والهجوم عليهم ، ونرجو من الله الكريم ، تسهيل  
هذا الحصن العظيم ، وفتحه إنه جواد كريم (١) .  
وأما رسالة الشوبك ، فالظاهر أنها قد تلت رسالة الكرك ، إذ أنها تعد مكملة لها ،  
ولذا لم تستهل بالدعاء كسالفها ، واستفتحت هكذا : « قد صدرت هذه المكاتبة إلى الحضرة ،  
دالة على ما نحن فيه من نعم الله تعالى مغتبطون ، وإنا بحمد الله مستظهرون ، وبنصره  
مستبشرون ، ولآلائه حامدون ، ولأعدائه مجاهدون ، فأعمالنا لله بنيات خالصة ، وعزائمنا في  
سبيله مقدمه غير ناكسة » (٢) .  
ثم يعود ثانية إلى وصف الحصن الذى يحاصرونه ، فقد هدموه وقتلوا الكثير ممن فيه ،  
إلا أنه يبقى أمامهم عملية ردم الخندق ، الذى كانوا يلجأون إليه وتسويته بالأرض ، حتى  
يمكن الأخذ من العدو بالمخنق .

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٤ .

(٢) ناكسة : محجمة . يقال نكص على عقبه أى رجع .

ويختتم الرسالة بتصوير نهائى للموقف من القتال ، فيقول : « فإن أبطأ العدو عن النجدة فالنصر سريع ، والحصن ومن فيه صريع ، والقلوب وارقة بحصول النجاح ، وقد علم كل منا أن متجره قد فاز بالربح ، فما يسمع منا بحمد الله ملل ولا ضجر ، ولا تسفر هذه النوبة إلا عن نجاح وظفر (١) .

يبداً القاضى الفاضل رسالته الثالثة بمقدمة قصيرة ، وهى : أدام الله أيام المجلس ، ولازالت مناقبه لزهرة السماء مخجلة ، ومكارمه فى درجات المحامد متوغلة ، وفواضله على أوليائه مفضلة ، وسطواته بأعدائه منكلة (٢) .

ثم يصف عمل المجانيق فى الحصن فى أسلوب من الجناس هكذا : « هدمت وهدت ، وشدخت وسدت ، ورضخت ورضت ، وقوضت وأفضت ، وقدحت وفدحت ، ومحقت ومحت (٣) .

ويضيف وصفاً تفصيلياً لما أصاب الأعداء فى أثناء تهمد الحصن ، إذ يقول : « قد جمعت الحجارة فى الإسقاط بين رؤوس الأبراج ، ورؤوس الأعلاج ، فرمت الشرار فى الواقفين عليها لحمايتها ، وأرت الفرنج باهتدائها إلى إرادتها غاية غوايتها ، فما أخرج أحد منهم رأساً إلا دخل فى عينه نصل ، وما هجر قراب الإسلام سيف إلا وله مع رقاب الكفر عند قطعها وصل ، وما على الحجر فى الإسراف والتبذير حجر ، والكل ليله من نفع الحوافر من سناء الأسنة فجر ، ولقد اخذنا من القوم بالمخنق ، وشرعنا فى طم الخندق (٤) .

والنصر أشهر من نار على علم والحرب أقوم من ساق على قدم والقلعة سماء تمطر بحجارتها ، وترمى شياطينها رجوم قوارير (٥) النفط بشرارها (٦) .

لم ترد الرسائل السالفة فى المصادر التاريخية التى بين أيدينا ، ولذا لم نستطع تحديد تاريخ حدوثها ، كما أن القاضى الفاضل لم يشر إلى تواريخها كما يفعل فى بعض رسائله من هذا النوع .

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ .

(٢-٣) نفس المرجع السابق .

(٤) طم الخندق : ردمه وتسويته بالأرض .

(٥) القوارير : الأوعية .

(٦) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ .

ونلاحظ أن مقدمات الرسائل تختلف من حيث الطول والقصر طبقاً للمناسبة التي ترد فيها ، فالقاضي الفاضل يطيل الدعاء في رسالته الأولى بينما لا يذكره في الثانية ، وفي الثالثة يأتي به كلمات مقتضبة .

والرسائل الثلاث تكمل بعضها حتى تكاد تكون رسالة واحدة ذات هدف واحد ، وتتسم رسائل التهئة في عهد الملك العزيز بقوة العبارة ، واستخدام المحسنات البديعية ، وعلى قمتها الجناس والاستعارة والسجع ، كما أن الألفاظ منتقاة ، فيها جزالة وفخامة تناسب موقف النصر وجو المعارك الحربية ، وهي لا تختلف عن الرسائل التي كتبت للتهئة في عهد السلطان صلاح الدين ، فالكاتب واحد والأسلوب لم يتغير .

كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين يغمور نائب الشام بعد هزيمة الفرنج لدي المنصور سنة ٦٨٤ هـ : ١٢٥١ م :

جاء في هذا الكتاب : « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » (١) « وما النصر إلا من عند الله » . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (٣) . « وأما بنعمة ربك فحدث » (٤) . « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٥) .  
نشر المجلس السامى الجمالى ، بل نبشر الإسلام كافة ، بما من الله به على المسلمين ، من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فنودوا : « لا تئسوا من روح الله ، إنه لا يبأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٦) .

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة ، تم الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بعيد سحيق .  
ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر ، فأبيناه ، ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم ، وقصدوا دمياط

(١) سورة فاطر : آية ٣٤

(٢) سورة الأنفال : آية ١٠

(٣) سورة الروم : آية ٤ ، ٥

(٤) سورة الضحى : آية ١١

(٥) سورة إبراهيم : آية ٣٤

(٦) سورة يوسف : آية ٨٧

هاربين ، فسرنا في آثارهم طالبين ، ومازال السيف يعمل فيهم عامة الليل ، ويدخل فيهم الخزي والعار .

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في اللجج . وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيين إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه ، وأخذناه ، وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعونه وقوته وجلاله وعظمته (١) .

هذا الكتاب هو آخر كتب التهئة التي بين أيدينا عن العصر الأيوبي، والظاهر أنه كتب بقلم الملك المعظم ، ولم يلتزم فيه السجع ولا المحسنات البديعية ، ولكنه اقتبس من القرآن الكريم في افتتاح كتابه ، حيث ذكر خمس آيات متتاليات ، وكذلك ذكر آية سادسة في ثنايا كتابه ، وتمتاز هذه الرسالة بأنها تسرد الوقائع في أسلوب تاريخي ، الغرض الأول منه هو إثبات الحقائق في سهولة ويسر .

كتب الاستغاثة :

كتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الموحدى بالمغرب :

أرسل السلطان صلاح الدين إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة الموحدى بالمغرب ، ثلاث رسائل المقصود منها جميعها ، إستنجاد صلاح الدين بجيوش الخليفة في الحرب ضد الصليبيين ، وفي أثناء قتاله معهم حول عكا .

إثنتان من هذه الرسائل بقلم القاضى الفاضل ، الأولى منها سنة ست وثمانين وخمسائة . ( ١١٩١ م ) ، ثم أرسل الرسالة الثالثة في نفس السنة ، ولكن هذه المرة لم تكن برأى القاضى الفاضل مما جعله يحرر رسالة إلى السلطان صلاح الدين بشأنها ، ويبين ما لا يرتضيه فيها .

ويعقب هذه الرسائل رسالة بقلم القاضى الفاضل ، مرسله من السلطان صلاح الدين إلى شمس الدولة بن منقذ ، سفيره إلى الخليفة الموحدى بالمغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا .

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٦ ، ٣٦٧ .

## الرسالة الأولى :

يبدأ القاضى الفاضل الرسالة بالدعاء للخليفة الموحدى ، وينعته بسيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين .

ثم يبين السلطان صلاح الدين غرضه منها ، وهو أن يشترك الخليفة الموحدى معه في الجهاد ، ويفتخر بأمجاده في تطهير الأرضين المصرية واليمنية من الضلالة وكذلك تطهيره بيت المقدس من الصليبيين الذين كانوا يحتلونه ، ويدنسون أرضه .  
فهناك غلب الشرك ، وانقلب صاغرا ، واستجاش كافر من أهله كافرا ، واستغضب أنفاره النافرة ، واستصرخ نصرانته المتناصرة (١) .

فهم يجودون بأنفسهم وأولادهم ، ويمدون الحملة الصليبية بأموالهم ، كل خرج متطوعا ، وأهطع مسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن يستدعى ، وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يبسا ، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا (٢) .

وهنا يهجم عليهم جيش السلطان صلاح الدين ويفتك بهم ، ويضطرهم إلى اللجوء إلى الخنادق ، وإلى نصب الستائر ، ولكنه كل ما قتل منهم مائة ، وصلت النجدة بألف .  
ثم يصف السلطان صلاح الدين خوفه من تكاثر الإمدادات لهم من البلاد الغربية ، فيقول : « لا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها ، ويفرغ لها ويتسلط عليها والله من ورائهم محيط .

وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم ، فربما أضر بالإسلام انقسامها ، وثلمه والعياذ بالله انثلامها » (٣) .

وهو يمجّد قوة المغرب البحرية ، فمن ذلك قوله : « فلو بزقت فيهم بازقة غربية لأغرقهم طوفانها ، ولو طلعت عليهم جارية بحرية ، لنعقت فيهم بالشتات غربانها (٤) .  
وفي نهاية هذه الرسالة يمجّد السلطان صلاح الدين الخليفة المغربى ، ويستثير العاطفة الدينية فيه ، ويعقد مقارنة بين أسطول المسلمين وأسطول الصليبيين ، وهو يخشى أن ينتصر الكفر على الإسلام ، ويدعو الله أن ينصر المسلمين بما يمددهم الخليفة المغربى من أسطوله البحرى ، ومدده العسكرى .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٢٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٢٧ .

(٣) انثلامها : انكسارها « القاموس المحيط » .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٢٦ ، ٥٣٠ .

## الرسالة الثانية :

يكرر القول فيها عن أمجاده السالفة الذكر ، ولكن ببعض الإسهاب من أول وصوله إلى مصر ، واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها ، وغزواته في مصر ، التي كانت مقدمة لملك الشام الإسلامى باجتماع الكلمة عليه ، ومقدمة لملك الشام الفرنجى باتقياد المسلمين له ، واتفاق الملوك المجاورين على طاعته ، وكذلك تفصيل غزواته ضد الفرنج وكسره الكسرة الكبرى في بيت المقدس ، إلى غير ذلك من أخذ الثغور ، وافتتاح البلاد ، واثخان القتل فيهم والأسر لهم . ثم يصف خروج النجدات الصليبية في كثرتها وقوتها ومنعتها ، وغناها ومسارعتها ومبادرتها ، وأنه لا يمضى يوم إلا مع قوة تتجدد ، وميرة تصل ، وأموال واسعة تخرج ، ومعونات كثيرة تحمل .

ويشير إلى أنهم حفروا خندقا حول معسكرهم من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم ومن وراء الخندق سورا مستورا بالستائر ، ورتبوا على أبواب هذا السور جماعات مزودة بأدوات الحصار التي أخرجوها من مراكبهم (١) .

وأنهم اغتنموا أوقاتا لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتادوا ساعات لم تكن الأهْب فيها مأخوذة (٢) ، فقد انتقل معظم الجيش الصلاحي إلى الخروبة في ٣ رمضان سنة ٥٨٥ هـ = ١٥ أكتوبر ١١٨٩ م بقصد إعادة ترتيب الجيش وتنظيمه وتقويته ، أو لحلول رمضان شهر الصيام ، أو لمجىء الشتاء بأمطاره وبرده ، أو لغيبة الملك العادل بعساكره المصرية ، أو للحمى التي أصابت السلطان صلاح الدين (٣) .

ثم يحكى للخليفة الموحدى أن أمر العدو قد تطاول ، وأن خطبه قد تمادى لوصول النجدات المستمرة إليه ، ومنها الحملة التي وفد على رأسها ملك الألمان في حشود كبيرة وأموال كثيرة .

وبعدها يبين له حاجته إليه في تطويق العدو والقضاء عليه فيقول : « إن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولا قويا مستعدا يقطع بحره ، ويمنع ملكه لأخذنا العدو إما بالجوع والحصر ، أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر » (٤) .

والسلطان صلاح الدين يطلب منه المساعدة إما بالرجال أو بالمال إذا تعذرت المساعدة بالأسطول فيقول : « وإن كانت دون الأسطول موانع : إما من قلة عدة ، أو من شغل هناك

(١) العماد الأصفهاني : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) العماد الأصفهاني : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٤) أبو شامة : الروضتين : ج ٢ ص ١٧١ .

بمهمة ، أو بمباشرة عدو ، ما تحصن منه العورة أو قد لاحت منه الفرصة ، فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها مسدودة ، ولا أنواعها ، محصورة تكون تارة بالرجال وتارة بالمال (١) .  
ويلى ذلك تمجيد للخليفة الموحدى ، ويستثير فيه حمية الإسلام ، ويعقد مقارنة بين الكفار في حربهم لنصرة الكفر ، والمسلمين في حربهم لنصرة الإسلام ، وأن أهل الجنة أولى بقتال أهل النار ، وأنه يطلب نجدة مغربية بحرية ، لما للمغاربة في البحر من قوة ضاربة .

وتختلف الرسالة الثانية عن الأولى في أن السلطان صلاح الدين يريد أن يزيل أسباب التوتر في العلاقات بين المغاربة والدولة الصلاحية ، وهو يوصى رسوله بأن يشرح للخليفة الموحدى براءة الدولة الصلاحية مما نسب إليها ، وقد سبق الإشارة إليه في الكلام عن الوصايا .

### الرسالة الثالثة :

جاء فيها بعد التحية التى زاد فيها السلطان صلاح الدين وأفاض ، تحديد ما فتحه من بلاد الشام ، كما حدد الباقي منها في يد الصليبيين وهى : ثغر طرابلس ، وصور ، ومدينة انطاكية ، وهو يرجو الله أن يفك أسرها .  
ثم يشير إلى النجدة التى لبت صرخة الصليبيين في الشام ، فأخرت فتح بقية البلاد التى في أيديهم ، ويذكر مجيء ملك الألمان اليهم في البر والبحر بأعداد مهولة .  
ويقول : إن عدة الأعداء مائة ألف أو يزيدون ، وأنه حاربهم بأصدق عزيمة ، حتى أصبحوا لا يستطيعون قتال الثغر ، لأنهم محصورون أشد الحصر ، غير أنهم خندقوا أو سوروا .  
وخرج ملك الألمان قاصدا الشام ، فبعث إليه صلاح الدين من يلقاه ، ويضطره إلى تغيير مساره ، سالكا مسلكا وعرا ، فأدركه الموت غرقا ، وبقي له ولد هو الآن المقدم والمؤخر ، وقائد الجمع المكسر ، فيعود إلى عكا في البحر تهيأ أن يسلك البر .  
وقبل أن ينهى صلاح الدين رسالته يقول : « كان المتوقع من تلك الدولة العالمية ، والعزيمة الفادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جوارى كالأعلام ، ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالى مقلعة بالأيام ، تطلع علينا معشر الإسلام آمالا ، وتطلع على الكفار آجالا .

(١) نفس المرجع السابق .



وكان سفير السلطان صلاح الدين ، أو الممثل الشخصي له على حد قولنا الآن إلى ملك المغرب ، هو الأمير أبو العزم عبد الرحمن بن منقذ ، وقد وردت في الرسالة كلمة تشيد بمكانته ، وعلو منزلته ، مما سبق الإشارة إليه في الوصايا ، وصحبت هذه الرسالة هدية ، وفصلت محتوياتها (١) .

وتختم هذه الرسالة بخاتمة طويلة لم نعهد مثلها فيما قبل سواء في المكاتبات المرسلة إلى الخليفة العباسي أو الخليفة المغربي ، ونصها : « والسلام الصادر عن القلب السليم ، والود الصميم ، والعهد الكريم ، على حضرة الكرم العلية ، وشدة السيادة الجليلة ، سلام مودة ما وفد الغرب قبلها مثلها ، ورسالة ما خطرت إلى أن نفذت وراءها المحبة رسلها ، وليصل السلام ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، إن شاء الله تعالى (٢) » .

### رسالة إلى سفير السلطان صلاح الدين في المغرب :

أرسل القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى شمس الدين ابن منقذ في المغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا .

فيخبره أن عدة من قتل على عكا من الفرنج تجاوز الخمسين ألفا ، وأن ملكي فرنسا وانجلترا وملوكا آخرين أسرعوا لنجدة الصليبيين في قوة هائلة ، فيها سفن الواحدة كأنها مدينة وفيها الخيول والخيالة .

ويصور له ثبات المقاتلين المسلمين أمام هذه الجيوش الكبيرة فيقول : « فما وهنَّا لما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ، ولا رجعنا وراءنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم ، ويخرجوا فنناجزهم ، وينشروا فنطويهم ، وينبثوا فنزويهم ، وأقمنا على طرفهم ، وخيمنا على مخنقهم ، وأخذنا بأطراف خندقهم (٣) » ولكنه يريد منه أن يبلغ المغاربة أن الجيوش العربية في المشرق العربي في حاجة إلى نجدتهم ، حتى يقفوا في مواجهة هذه الدول المجتمعة على حربهم ، الراغبة في الاستيلاء على بلادهم .

ثم يقول في نهاية رسالته : « والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الإسلام وخطوبه ، ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه » (٤) .

(١) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٧١ ، ١٧٣ .

(٢) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٧٣ .

(٣) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٨٨ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٨٩ .

وهذه العبارة تدل على أن الدولة الأيوبية كانت تتبع أسلوب الاذاعة لقضاياها ليس في داخل البلاد فحسب ، بل على المستوى الخارجى ، وذلك بغرض الحصول على تأييد مآدى ومعنوى من الشعوب الأخرى ، وعلى الصعيد الشعبى فى خطبة يوم الجمعة .

### رسالة إلى الخليفة العباسى بشأن ملك الألمان :

يبدأ القاضى الفاضل الرسالة بالدعاء كعادته ، وهو دعاء قصير ، جاء فى نهايته « ولا زالت رايته السوداء بىضاء الخبر ، محمرة المخبر فى العداة ، مسودة الأثر » (١) . والراية السوداء كما نعرف كانت شعار الخلافة العباسية ، وهو هنا يطابق بين هذه الكلمة وكلمة بىضاء ، ويكنى فى العبارة التالية عن الانتصار على الأعداء .

وينتقل إلى وصف كتاب الخليفة فىشبهه بالقرآن الكريم ، وأن السلطان يتقبله بالخشوع ، ويتلوه على أعوانه مسترهفا به لعزائمهم ، مستجزلا به لمغانمهم ، فهو بمثابة النور لهم يهديهم يوم نزال عدوهم ، ويشبه تأثيره بثلاث جمل مترادفة تؤدى معنى واحداً ، فأثر الكتاب فىهم ، كالاقتداح فى الزند ، وكالانجاس من الصلد ، وكالاستلال من الغمد (٢) . ويعود إلى التشبيه ثانية فىقول : « وكأنما أعطوا كتابا من الدهر بالأمان ، أو سمعوا مناديا ينادى للإيمان » (٣) . ثم يتبع ذلك بعدة استعارات وكنائيات مترادفة يبين فيها مدانة أتباع السلطان فى الجهاد فى سبيل الله ورسوله وخليفته العباسى وفى آخر هذا الوصف يقول : « وإذا رموا فأصابوا ، قالوا : ولكن الله رمى » (٤) . محللا بذلك لآية من القرآن الكريم .

ثم هو يشكو للخليفة على لسان السلطان صلاح الدين من طول المدة والكلف الثقيلة التى يتكبدونها فى قتالهم الشرس المرير ، ويكنى عن ذلك بهذه العبارات : « فالبرك قد أفضوه ، والسلاح قد أخفوه ، والدرهم قد أفنوه » (٥) . ويستنجد بالخليفة فىقول : « والخادم يناشد الله المناشدة النبوية فى الصيحة البدرية ، اللهم ان تهلك هذه العصاة ، ويخلص الدعاء ، ويرجو على يد أمير المؤمنين الإجابة » (٦) .

( ١ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ .

( ٢ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ .

( ٣ ) نفس المرجع السابق .

( ٤ ) نفس المرجع السابق .

( ٥ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٨ .

( ٦ ) نفس المرجع السابق .

ونرى القاضى الفاضل يحل حديثا نبويا ، ليزيد عبارته حسنا في الاداء ، وجمالا في تأدية المطلوب ، بعقد مقارنة لطيفة بين دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاء السلطان صلاح الدين .

ثم يصف الكاتب موقف المسلمين تجاه هذا الحشد الجامع فيقول : « هذا والساحل قد تماسك ، وما تهالك ، وتجلد ، وما تبدل ، وشجعتة مواعد النجدة الخارجية ، وأسلته عن مصارع العدة الدارجة ، فكيف به اذا خرج داعية الألمان ، وملوك الصليبان ، وجموع ما وراء البحر ، وحشود أجناس الكفر ؟ » وقد حرم باباهم - لعنة الله عليهم وعليه - كل مباح ، واستخرج منهم كل مذخور ، وأغلق دونهم الكنائس ، ولبس وألبسهم الحداد ، وحكم عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة ، ويعيدوا القمامة أو « وإذ زين الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم » (١) .

ويستمر القاضى الفاضل في استخدام الكناية عن ثبات أتباعه ، ثم يعرج على وصف خروج ملك الألمان وملوك الصليبان ومن تبعهم ، وجمعهم الأموال الجمة في مظاهرة صليبية ذات صبغة دينية ، وهنا يقتبس القاضى الفاضل آية من القرآن الكريم ينهى بها هذه الفقرة ، وهى تدل على حسن الاختيار .

ويعقب بالدعاء على ملك الألمان بأن يخذله الله ، وأن ينصر المسلمين وما النصر إلا من عند الله ، وأن لا يكشف عجزهم أمام عدوهم اللعين .

وازاء هذا الموقف يعود القاضى الفاضل ثانية ليسهب فيه ، فهذه الحملة الصليبية جاءت طامعة في حشود كثيرة ، مما يستفرغ عزائم المسلمين ، ويستنفذ خزائنتهم ، وأن من واجب الخليفة بصفته الدينية أن يحفظ على الأمة الإسلامية قبلتها ، وأن ينزل بالصليب الهزيمة وأنه لولا اتخاذ الخليفة الكلام على محمل التجريح لأفاض القاضى الفاضل فقال : « ما يبكى العيون ، وينكى القلوب ، وتنشق له المرائر ، وتنشق له الجيوب » (٢) . وهو يشير بذلك إلى الحالة السيئة التى آل إليها الأمر ، والتى تستوجب إثارة النزعة الدينية لدى الخليفة العباسى .

ثم يصف موقف السلطان صلاح الدين البطولى هو وأخيه وأولاده ، وأنه يفوض أمره إلى الله ، ثم يعود إلى طلب النجدة من الخليفة ، فيقول : « إن لم يشتك الدين إلى ناصره والحق إلى من قام بأوله وإلى اليوم الآخر يقوم بأخره ، فإلى من يشتكى البث ، وعند من

(١) سورة الانفال : آية ٤٨ ، والفقرة عن الفلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٨ .

(٢) الفلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٩ .

يتفرج بالنفث؟ . ومنفعة الغوث قبل العطب ، والنجاة قبل أن يصل الحزام ( الطبيين )  
والبلاغ يقبل أن يصل السيل الزبى « (١) . وفي نهاية هذه الفقرة يستخدم القاضى الفاضل  
مثلين معروفين لتوضيح كلامه .

وقبل أن يختم رسالته يخبر السلطان الخليفة أنه كان يود أن يأتى له ، ولكنه خاف  
أن يقول عنه عدو الله : أنه فر ، ولذا يريد من الخليفة أن يعده قد حضر بنفسه ، وكأنه قد  
وقف بباب الخليفة ضارعا ، وناجى بالقول صادعا .

والسلطان صلاح الدين على الرغم من عض الزمان له ، لا يزال قائما حتى ينصر أو  
يعذر ، وأنه لا يصل العدو إلى حرم ذرية أحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ذرية أيوب وأحد  
يذكر .

ويختم القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة هكذا : « أنجز الله . لأمير المؤمنين  
مواعد نصره : وتم مساعدة دهره : وأصفى موارد احسانه ! وأرسى قواعد سلطانه ! وحفظه  
وحفظ به . فهو خير حافظا ، ونصره ونصر على يديه . فهو أقوى ناصرا . إن شاء الله » (٢) .

### مكاتبات من القاضى الفاضل إلى الملك العادل بدمشق في الجهاد في سبيل الله :

في سنة ٥٩٣ هـ : ١١٩٧ م أرسل القاضى الفاضل رسالة إلى الملك العادل بدمشق يحثه  
على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصدده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الإسلام ، فمن  
ذلك قوله في بعض تلك الكتب : « هذه الأوقات التى أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات  
التى تجرى على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ،  
قتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذى ما كل من طلبه وصل اليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف  
بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف ، فما أسعد تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك  
الرجعات » .

وكتب أيضا في تلك السنة : « أدام الله ذلك الاسم تاجأعلى مفارق المنابر والطروس ،  
وحياة للدنيا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف الملوك من الأمر الذى اقتضته المشاهدة ،  
وجرت به المعاقبة في سرور » .

ولو كان فيها تدير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب  
بنعله نفعا ، ودفع عنه ضررا ، وتجشم المكروه ليس بضائر ، إذا كان ما جلبه سبباً إلى المحمود  
وآخر سنوه أول كل غزوة ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعالها وتجشم الكلف وعملها ، فهو إذا

( ١ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٩ .

( ٢ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٣٠ .

صرف وجهه إ وجه واحد ، وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » (١) (٢) .

صدرت المكاتبتان المذكورتان في عهد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين ، وهو يستنجد بالملك العادل الذى تولى حكم الشام سنة ٥٩٢ هـ : ١١٩٦ م ، والقاضى الفاضل يذكره بالثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، فالجهاد هو مهوور الحور في دار القرار ، وفي الدنيا نتيجته محمودة وخيره عميم ، فلمجاهد إذا قصد وجه الله الواحد ، فوجوه البرية تتجه إليه بأسرها . ويختم كتابه الثانى بأية من القرآن الكريم تناسب ما ورد في المكاتبتين ، بل إن هذه الآية وحدها ، فيها إشارة إلى كل ما جاء في الرسالتين .

## اندونيسيا في أرقام

- يبلغ عدد سكانها : ١٣٩ مليوناً ، منهم ٩٠٪ مسلمون ، ٦٪ نصارى ، ٤٪ هندوكية و بوزيون و وثنيون .
- مساحتها ٧٣٥.٠٠٠ ميلاً مربعاً ، وعدد جزرها ٥٧٧ ١٣ جزيرة منها ٦٠٠٠ جزيرة عامرة بالسكان .
- دخلها الإسلام في القرن الأول الهجرى على يد التجار ..
- عاشت في ظل الإسلام حوالي عشرة قرون ، ثم خضعت للاستعمار الهولندى (٣٥٠) عاماً ، وتحررت منه عام ١٩٤٥ م
- عاصمتها جاكرتا ، وأهم جزرها سومطرة ، جاوه ، كالينتان ، ولابوسي ، ايربان ، ونظام الحكم فيها جمهورى .
- في جاكرتا ١٣٥٤ مسجداً بالإضافة إلى ٤٠٠٠ مسجداً على ٢١٩٨ مجلساً تعليمياً و ٢٠٠ مكتبة إسلامية .
- يبلغ عدد المساجد في اندونيسيا ٩٢٠٠٧ مسجداً و ٣١٢٥٦٥ مسجداً .
- فيها ١٠٠٦٩ كنيسة ٢٧٤٢٤ مبشراً بالإضافة إلى مئات المدارس والمؤسسات التبشيرية .

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤ .

# مَذَابِحُ بَسْرِيَّةِ جَمَاعِيَّةِ لِحَمَّامِيَّةِ

لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

مَدْرَسِ بَكْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ

إن بشاعة المجزرة البشرية الرهيبة التي تعرض لها آلاف المسلمين في ولاية آسام شمال شرقي الهند من القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة من شهر فبراير من هذا العام تفوق كل قدرات العقل على التصور وكل قدرات اللغة على التصوير والتعبير . لأن حقائقها الفظيعة المروعة فوق التخيل والتصوير ، ولكنها في نفس الوقت - تضيف واحدة من عشرات بل مئات المآسي والمجازر البشرية التي تمرّض - ويتعرض لأمثالها جماعات كثيرة من المسلمين في كثير من بقاع الأرض .

إن وكالات الأنباء العالمية أخذت تتناقل أخبار هذه المذابح المروعة يوما بعد يوم خلال أكثر من ثلاثة أسابيع . وهي تقرر أن أعداد الضحايا المسلمين الذين سقطوا صرعى في موجة العنف الطائفي التي اجتاحت ولاية آسام الهندية لا يمكن حصرها . إذ ينقل شهود العيان من رجال الإعلام أنهم شاهدوا الجثث والأشلاء متناثرة عبر عشرات القرى في هذه الولاية .

ونقلت بعض التقارير الصحفية عن بعض المصادر أن عدد من تم إحصاؤهم من القتلى والمذبوحين قد بلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ . وعدد الجرحى يربو على عشرة آلاف جريح أكثرهم بين الحياة والموت . وأن أعداد الفارين من وجه هذا العنف تزيد على مائتي ألف مهاجر تكوّنت منهم مشكلة لاجئين ضخمة . وتنقل التقارير الصحفية أن المسؤولين في الولاية والحكومة المركزية يتكتمون على حقيقة التقديرات الصحيحة للضحايا . وإخفاء المسؤولين للتقديرات الصحيحة يخفي وراءه مأساة مروعة إذ تبرز حقيقة واضحة وهي أن ضحايا هذه المأساة يفوق عد العادين وتقدير الحاسبين ..

أنه شيء مروع رهيب .. أن يندفع رجال القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية في شكل عصابات جماعية مسلحة بالحرب وأسنة الغاب واللبه والأسلحة النارية والقنابل اليدوية إلى القرى التي يسكنها كثير من المسلمين الذين ينتمون إلى أصل بنغالي . ويندفعون نحو السكان المسلمين يقتلون ويذبحون ويحرقون .. لا يفرقون بين الشيوخ والرجال والنساء

والأطفال . لقد فرَّ الرجال هرباً من الموت وطلباً للنجاة في زعمهم تاركين النساء والأطفال والشيوخ ظناً منهم أن المقاتلين لا يمسونهم بسوء ، توهماً .

إن كل قوانين العالم قديمه وحديثه تحرم قتل العجزة من الصبية والنساء والكبار . ولكن أنى يتأتى للوحوش الضارية أن تفرق بين صغير وكبير ، وقوى وضعيف .

إن هؤلاء القتلة ليسوا مقاتلين شرفاء يقاتلون ويقتلون دفاعاً عن حق مسلوب أو انتصاراً لمبدأ أو واجب أو دفاعاً لمذلة وهوان . وإنما هم إلى وحوش الغاب أقرب ..

إنها لإحدى مهازل هذا العصر الذى ما يزال يتشوق فيه بعض الأعداء أنه عصر الحريات وعصر حماية حقوق الإنسان وأنه عصر العلم والتكنولوجيا التى ذلت سبل العيش .

ويسرت وسائل الحياة للإنسان وتبأ له من عصر أصبحت فيه القوة الطاغية الباغية هى القانون الذى يتحكم فى مصائر الملايين من البشر ، ويعترف بها ويخضع لها أولئك المغلوبون

المقهورون الذين يكادون ولا يكيدون ، وتنتقص أقدارهم وتسلب أعمارهم فلا يجزعون ولا يأبهون . ولا يمتعضون . لأنهم عن قوانين الأرض وقوانين السماء غافلون ساهون .

ولكن لا بد للمتتبع لأحداث العنف الطائفى فى ولاية آسام الهندية من أن يسجل

مجموعة من الحقائق المجردة عن عواطف الرحمة وأحاسيس الالم والإحباط .

### ومن هذه الحقائق :

أن هؤلاء المسلمين الذين تعرضوا للقتل والتشريد والتحريق والذبح ينتمون إلى أصل

بنغالى ولكنهم مستقرون فى هذه الولاية منذ عشرات السنين . فمنهم من استوطن هذه الولاية منذ ما يزيد على سبعين عاماً وبالتحديد من ١٩١١ م ، استوطنوا هذه الولاية إبان الفتن

الطائفية بين المسلمين والهندوس فى مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية . ومنهم من لجأ إلى هذه الولاية فراراً من المذابح الجماعية التى راح ضحيتها آلاف من المسلمين فى فترة انفصال

باكستان الشرقية التى أصبحت تسمى دولة بنجلاديش ، والتى ساعدت الهند على قيامها لما كان يمثلته اتحاد باكستان بشقيها من قوة للإسلام والمسلمين التى كانت الهند تخشى بأسها

وتخاف بقاءها .

وقد بقى هؤلاء المسلمون البنغاليون فى هذه الولاية وتكون منهم ما يمثل أغلبية سكان

الولاية ولكن الأقلية الهندوسية سكان البلاد الأصليين تنظر إلى هذه الأغلبية على أنهم مهاجرون أجنب يمارسون أعمالهم فى سهولة وإذعان لما يؤمرون به فيأتمرون ومع مرور الوقت نشط

أغلب هؤلاء المهاجرين ساعين إلى مراكز السلطة فى الولاية وفى الحكومة المركزية ..

وفى معركة الانتخابات المحلية التى بدأت يوم ٢ فبراير تفجرت أحداث هذا العنف

الطائفى الرهيب نتيجة للفشل فى الوفاق بين أحزاب المعارضة الهندية وحزب المؤتمر الحاكم

فقد وجد في قوائم الناخبين أكثر من خمسين ألفاً يعدهم السكان الأصليون أجنبياً مهاجرين وكانوا يرون أن تستبعدهم الحكومة القائمة من قوائم الناخبين ولكن الحكومة رفضت الاستجابة لمطالب المعارضة بحجة الصعوبة في التمييز بين السكان الأصليين والمهاجرين لأن كثيراً من هؤلاء المهاجرين استقروا في الولاية منذ أمد بعيد .

لقد كان من الممكن أن تحل هذه المشكلة بين الحكومة وأحزاب المعارضة عن طريق التفاهم في مخرج من هذا الخلاف ولكنه ترك بدون حل حتى تفاقمت الخلافات وتفجرت الأزمة الأمر الذي أدى إلى قيام المظاهرات الطلابية والشعبية من سكان آسام الهندوسية تطالب بطرد هؤلاء الأجنبى فلما لم تستجب الحكومة لهذه المطالب وألقت القبض على مجموعة من زعماء الآساميين بعد فشل المفاوضات بين الجانبين . تفجر العنف واندفعت العصابات المسلحة من الهندوس تقتل المسلمين المهاجرين الذين رفضت حكومة الحزب الحاكم استبعادهم من قوائم الانتخابات . ويظهر من هذه الحقائق أن هؤلاء المسلمين وقعوا ضحايا وفرائس للخلاف بين الهنادكة أنفسهم وبين المعارضة والحزب الحاكم وهو خلاف لا ناقة للمسلمين فيها ولا جملة ..

إن المشكلة لا تقف عند هذا الحد فقد عمت الفوضى كل أنحاء الولاية . الأمر الذي دفع بالحكومة المركزية إلى إنزال سبعين ألف جندي من الجيش للسيطرة على حوادث العنف التي تتكرر كل يوم وتشتمل على إحراق القرى والمنازل والقتل وتقطيع أوصال الأطفال والنساء . واندفعت الآلاف طلباً للنجاة . وهذا العنف يقع ضحيته المسلمون البنغاليون . وتنقل بعض وكالات الأنباء أن كثيراً من هذه المناطق ما يزال متوتراً . وتقع فيها حوادث متفرقة ويكتشف كل يوم الجديد من الضحايا .

وبعد . فهل كانت معركة الانتخابات هي الدافع الحقيقي وراء هذه المذابح ... ؟ إن استقراء العلاقات التاريخية بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية وبخاصة منذ مطلع هذا القرن وتحت ظل الاستعمار الإنجليزي . يجعلنا نرى وراء هذه الأحداث دافعاً واحداً حقيقياً هو الحقد الدفين في نفوس الهندوس ضد الإسلام والمسلمين مصداقاً لقوله تعالى « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » وهو دافع يفسر كل علاقة بين المسلمين وأعدائهم من الوثنيين والصليبيين واليهود والملحدون في كل زمان ومكان وفي كل حادثة يقع فيها التصادم بين جماعة من المسلمين وغيرهم من أعداء الإسلام .

وإن لمسلمى الهند - في كل ضقع من شبه القارة الهندية حقاً ودَيْناً في عنق كل مسلم في قلب العالم الإسلامي . وهم يتطلعون إلى إخوانهم المسلمين ويتابعون قضايا الإسلام



والمسلمين ويتفاعلون معها تفاعلاً ايجابياً قوياً له أثره في كل القضايا الإسلامية . وإن أحداث العنف التي وقعت في آسام ليست أول الأحداث ولا آخرها بل إنهم معرضون لأمثالها في كثير من مناطق شبه القارة الهندية . وللهند حكومة وشعباً مصالح حيوية مع العالم الإسلامي . ويستطيع العالم الإسلامي عمل الكثير لحماية إخوانهم المسلمين من خلال تهديد أو حماية مصالح الهند في العالم الإسلامي .. ولا تكفى صرخات الإنكار أو الاحتجاجات الشفوية أو المكتوبة .

إن السياسة في هذا العصر لا تخضع إلا لاعتبار حماية المصالح أو ضربها . فهل يقوم المسلمون في قلب هذا العالم بواجبهم نحو مسلمي الهند ؟ وهو الواجب الذي يمليه مبدأ الإخاء بين المسلم والمسلم لا يظلمه . ولا يخذله ولا يُسلمه ؟ وإن المسلمين يذُ على من سواهم ؟ أتراهم يقومون بما يوجب الإسلام أم تراهم يكتفون بالاحتجاجات التي لا يأبه بها أعداء الإسلام في هذا العصر ؟ وإننا لمنتظرون ...



### أغرب ولادة

لوس انجلوس - اغرب حادث ولادة تم في ولاية لوس انجلوس الامريكية في الولايات المتحدة هو ولادة طفل بعد وفاة امه بتسعة اسابيع فقد توقف عقل الأم عن العمل وان ظل قلبها ينبض عن طريق ضخ الدم والأكسجين صناعياً .. وقد اصر الأطباء على ان ينمو الجنين داخل رحم الأم اطول فترة ممكنة حتى ينمو طبيعياً وولد الطفل بعملية قيصرية وبعد الولادة مباشرة اوقف الأطباء الضخ الصناعي للقلب واعلنوا عن وفاة الأم . وأكد الأطباء ان هذه هي اطول فترة يعيشها جنين داخل رحم الأم بعد وفاتها اكلينيكيًا حيث كانت اطول فترة سجلت من قبل هي ثلاثة اسابيع .. ( الندوة )

# نصائح

لِلسَّيِّدِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ  
رئيس مجامع منطقة عسير

الحمد لله رب العالمين القائل ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الأمة فصلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة الى يوم الدين : أما بعد .

فقد أطلعنا الصحف على ما كتبه بعض الأدباء والمفكرين جزاهم الله خيرا في الوضع الذي ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينبغي لأحد ممن ينتسب إلى العلم أن يجهل أحواله ويجب على كل مسلم أن يعرف نسبه وسيرته وهديه لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو سيد ولد آدم وهو ( محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن سعد بن بن عدنان خيرة رب العالمين من خلقه وخاتم النبيين .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، حملت به في شعب أبي طالب وولد في مكة بدار تعرف بدار ابن يوسف في شعب بنى هاشم المعروف بوضعه حتى اليوم . ولا يخفى على أحد يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول بعد أن حملته تسعة أشهر وذلك عام الفيل بعد قدوم الفيل بخمسين يوماً على الصحيح . ولما ولد تركوا عليه جفنة فانفلقت فلقتين فكان ذلك من مبادئ أمارات النبوة ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال ليكون لابني هذا شأن ، وختنه جده يوم سابعه ، ومات أبوه وهو حمل في بطن أمه بين مكة والمدينة وأرضعته أمه سبعة أيام ثم أرضعته ثوية مولاة أبي لهب بلبن ابنها مروح ، وقد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ، ثم أرضعته حلينة بنت أبي ذؤيب بن عبد الله بن الحارث بن جابر بن سعد من هوزان السعدية بلبن زوجها الحارث ابن عبد العزي ، فأقام صلى الله عليه وسلم عند حلينة عند بكر بهوزان نحو أربع سنين ،

فشق فؤاده هناك وملىء حكمة وإيماناً ثم ردته حليلة إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، ثم خرجت به إلى المدينة تزور أحوالها فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ، وله ست سنين وثلاثة أشهر ، فكفله جده عبد المطلب وكان يري فيه ما يسره فيدينه ، حتى كان يدخل عليه إذا خلا ويجلس على فراشه وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه . ومات عبد المطلب وله من العمر ثمان سنين وأوصى به إلى ابنه أبي طالب وكان أخا عبد الله من أمه فكفله عمه أبو طالب .

وكان أكثر أيامه يأتي زمزم ليشرب منها ، وخرج إلى الشام في تجارة وهو ابن اثني عشرة سنة فرأى أبو طالب من آيات نبوته ما زاد في الوصايا والحرص عليه من تظليل الشجرة بظلها عليه ، وكان حكيم بن حزام قد رآه في سوق حباشة وشري منه بزاً من بز تهامة وطلبت منه خديجة أن يخرج في تجارة إلى سوق حباشة وبعثت معه غلامها ميسرة فخرج فابتاعاً بزاً ورجعاً إلى مكة فربحاً وربحاً حسناً وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة بقراريط كل شاه بقراريط شهد حرب الفجار وكان يناول عمه النبل وكان عمره يومئذ

عشرين سنة ثم أجر نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين ، وخرج ثانية إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة حتى أتى بصرى ، فرآه الراهب وبشر بنبوته فرغبت خديجة أن يتزوجها لما ربحت ، فتزوجها بعد شهرين ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة على الصحيح وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت أمية أخت يعلة بن أمية وكان الذي زوج خديجة من النبي عمها عمر بن أسد بن عبد عزي وشهد النبي مع أعمامه حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان ، وكان الله قد أعانه وبرأه وحماه من دنس الجاهلين حتى كان يسمى بين قومه ( بالأمين ) لما اشتهر بين قومه من صدق حديثه . ولما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها سنة ٣٥ من عمره ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه وأرادت كل قبيلة أن تضعه ، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت ومكثوا على ذلك أربع ليال ، فأشار عليهم أبو حذيفة بن المغيرة أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد .

فكان أول من دخل رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا ، وأخبروه ، فقال إلى بثوب ، فأتى بكساء من الشام كان له صلى الله عليه وسلم فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه وقال ليأخذ كل واحد بطرف من الثوب وليرفعه ، ففعلوا . فصلوات الله وسلامه عليه . هذا ما أحببت جمعه لإخواني وأرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وبضاعتي مزجاة ، ولست من فرسان هذا الميدان .... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا  
محمد خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه  
والتابعين : أما بعد ...

فلما من الله على عباده بإرسال بعثة محمد ، كان لا يري رؤية إلا جاءت مثل فلح  
الصبح وحبب إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء فيقيم به الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى  
أهله فيتزود لمثلها وبينما هو بغار حراء يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من رمضان وله من  
العمر أربعون سنة جاءه جبريل فقال له ، اقرأ فقال ، لست بقاريء فضمه حتى بلغ منه  
الجهد ثم أرسله فقال اقرأ قال لست بقاريء فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال ( اقرأ باسم  
ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان  
مالم يعلم ) فأخبر بذلك خديجة رضى الله عنها وقال قد خشيت على عقلى ، فثبتته وقالت  
أبشر كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين  
على نوائب الدهر ، فى أوصاف جميلة عددها من أخلاقه الكريمة تصديقا له فهى أول صديقة  
من النساء آمنت . ثم تبدي له الملك بين السماء والأرض على كرسى وثبته وبشره أنه رسول  
الله حقاً فلما رآه مرق منه وذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى دثرونى  
دثرونى فأنزل الله ( يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر ) .  
ثم أمره الله تعالى أن يندب قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل فشمى صلى الله عليه  
وسلم عن ساق الجد والاجتهاد وقام فى طاعة الله أتم قيام يدعو إلى الله تعالى الكبير والصغير  
والأبيض والأحمر . والنساء . والأسود .

وكان حائز قصب السبق : عبد الله أبو بكر بن قحافة فأزره وصدقته فيما جاء به  
ودعا معه إلى الله بصيره فاستجاب لأبى بكر جماعة منهم : عثمان بن عفان وطلحة بن  
عبيد الله وكان صلى الله عليه وسلم يأتى إلى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت  
صلاة لا تنكرها قريش ، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا فى  
الشعاب فرادى ومثنى لصلاة العصر ثم نزلت الصلوات الخمس .

فقد أسلم على بن أبى طالب وزيد بن حارثة بن شرحبيل والعشى وورقه بن نوفل  
وتمنى لو كان جذعا وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله راعهم ذلك وكبر عليهم  
فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة  
وصان الله رسوله بعمه أبى طالب لأنه كان شريفاً مطاعاً فى قومه لا يتجاسرون على

مفاجأته بشيء ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة ورسول الله يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً لا تأخذه في الله لومة لائم .  
 واشتد أذي قريش للذين آمنوا وكانوا يلقونهم في الحر ويضعون الصخرة الشديدة الحر على صدر أحدهم ، ومر أبو جهل الخبيث بسمية أم عمار بن ياسر بن مالك وهي تعذب في الله هي وزوجها ياسر وابنها عمار فطعنها بحربة في فرجها فقتلها . وكان أبو بكر إذا مر بأحد الموالى وهو يعذب في الله اشتراه وأعتقه منهم بلال وأم حمامة . وعامر بن فهيره وغيرهم .

وقد اشتد أذي قريش لرسول الله وهموا بقتله فحماه الله ، فهموا أن يقتلوه في الزحمة وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، فصاح أبو بكر ( اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ) هذا ما أحببت جمعه لإخواني من صفة مبعث محمد صلي الله عليه وسلم الذي كانت سببا لهداية البشرية وإنقاذها من ظلمات الجهل والظلم والطغيان والوثنية . وأرجو الله أن ينفع بها من قرأها وسمعها وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ...



والبيت لا يُبْتَنَى إلا على عُمَد	ولا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أُوتَادُ
فإن تَجَمَّعَ أُوتَادٌ وَأَعْمَدَةٌ	يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كَادُوا
لا يصلحُ النَّاسُ فَوْضَى لاسْرَاةٍ لَهُمْ	ولا سْرَاةٍ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت	وإن تولت فبالأشرار تنقأ

سمع الاذان في القاهرة :

## فقال سمعت هذا فوق القمر

رائد الفضاء الأمريكى ( نيل أرمسترونج ) أول من هبط على سطح القمر أشهر إسلامه . نشرت ذلك الجرائد الماليزية ونقلته عنها بعض الصحف التى تصدر في سيلان .

ذكرت هذه الصحف إن مصر وراء إسلام رائد الفضاء الأمريكى .  
وقصة هذا الخبر تعود بدايتها إلى عدة سنوات عندما كان في زيارة للقاهرة ضمن جولة له حول العالم . وبينما كان رائد الفضاء ( نيل أرمسترونج ) يتجول في احياء القاهرة الشعبية سمع أذان الظهر ينطلق من الجوامع ، فأصابه الدهول وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت ، فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله : إنه الأذان الذي ينبه المسلمين إلى الصلاة ولم يجب عليهم رائد الفضاء الأمريكى ، واستمر في ذهوله الشديد وسط دهشة المرافقين له . وبعد أيام قليلة ألقى بقبلة وأعلن لكل من حوله في صراحة ودون تردد أن كلمات الأذان التى رنت في أذانه دون أن يفهمها هى نفس الكلمات التى سمعها عند هبوط أقدامه لأول مرة على سطح القمر ...

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على دراسة الدين الإسلامى دراسة كاملة ، وعرف قواعد الدين بالتفصيل . وفي النهاية أعلن إسلامه . وكان من نتيجة هذا الموقف الذي أعلنه رائد الفضاء الأمريكى واعتناقه للإسلام أن تم فصله من عمله في مركز الفضاء ولكنه قال في قوة : فقدت وظيفتى ولكننى وجدت الله ...

( الاخبار المصرية )

مكتبة

شباب





# الْكَعْبَةُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ

وَتَطَبِيقَاتُ رَسُولِ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور عبد العظيم حماد فرطاب  
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ( آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ ) وقال : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات » ( البقرة : ١٢٥ - ١٢٦ ) وقال : « قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ( البقرة : ١٤٤ ) .

حَرَّمَ اللهُ بيته منذ خلق السموات والأرض . وجعله مثابة للناس وأمناً . ومن دخله كان آمناً وحفظه من الآفات . ووضع له الجلالة والقداسة في قلوب الناس . وجعلهم على مختلف العصور يهتمون بأمره ويعنون بشأنه . وفي حرمة ولد خاتم المرسلين . وصارت مكة مهبط الوحي الأمين لآخر الأنبياء . وصار هذا الحرم متجه المسلمين في صلاة آخر الأمم ، وخير البشر . وقد عرف نبي الإسلام لهذا البيت قدره فعظمه واعطاه حقه من الإجلال والخشوع . وطهره حق التطهير وهو آخر الانبياء الذي يعلن من فوqe توحيد الإله الخالق المستحق للعبادة لتكون مكة أخيراً دار الإسلام وقبلة آخر الأمم . كما سبق لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن أمرا بتطهير البيت والصلاة فيه . ليجمع الله لمصطفاه من البشر بين البداية والنهاية . فهو أول بيت لله . وآخر قبلة في الصلاة . أمرنا بالتوجه إليه إخلاصاً لعبادة الله . وإذا كنا نفخر أن الله هدانا إلى يوم الجمعة ليكون عيداً للمسلمين قبل أيام الأمم السابقة . فإن الله بوأ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة ليتخذها مصلى وقبلة للإسلام دون الأمم . فله الحمد أن جعلنا مسلمين . ومن هذه الصفوة التي تابعت هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

**الكعبة :** المسلمون مطالبون في الصلاة أن يتجهوا نحو جهة مكة . وأهل مكة مطالبون بالاتجاه صوب المسجد الحرام . ومن في داخل المسجد المتعين عليهم استقبال الكعبة ذاتها . يلتفون حولها حلقاً إحاطة السوار بالمعصم . وجعلت سنة دخول المسجد الحرام الطواف سبعة أشواط حول الكعبة .

والكعبة قديمة سابقه على أسفار العهد القديم والتوراة . وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام . والكعبة البيت المربع ، وجمعه كعاب . كما ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب وقيل سمي البيت كعبة لارتفاعه . وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة . قال ابن سيده : أراه لتربعها (١) وذكر الزبيدي في تاج العروس أن الكعبة البيت الحرام سمي كعبة لارتفاعه وتربعه . إذ الكعب كل مفصل للعظام ناشز فوق القدم (٢) وقيل كعبة لأنها مكعبة الاضلاع . وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة ، وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بن زهير بيتاً إما حياة وإما موتاً (٣) .

وذكر البتانوني في الرحلة الحجازية ، البيت هو الكعبة المكرمة على شكل مربع زواياه إلى الجهات الأربع حتى تتكسر عليها تيارات الهواء لكيلا يؤثر ضغط الرياح على كتلتها . وهذه بعينها القاعدة التي بنيت عليها اهرامات مصر ، وصارت محل اعجاب علماء العمارة إلى الآن (٤) وقالوا : « بكة » موضع البيت ومكة القرية أو الحرم كله . ومن أسماء مكة ، مكة وبكة وأم رحم . وأم القرى . والبلد الأمين . والباسة والبيت العتيق . والحاطمة والناسة (٥) .

**الجانب التاريخي للحرم :** أما بداية بناء الكعبة فغير معروف على التحقيق غير أن هناك روايات تبين أن الكعبة ترجع تاريخياً إلى آدم . أو ربما إلى ما قبل آدم أبو البشر . فقد ذكر الأزرقى رواية عن محمد بن علي بن الحسين يذكر فيها ، إن الله جعل تحت العرش البيت المعمور ، فطافت به الملائكة ، وبعث الله الملائكة . فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره . فأمر الله تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور (٦) فتكون الملائكة هي التي بنت البيت الحرام وأنها طافت به قبل آدم . فقد ذكر المسعودي المؤرخ أنه قيل لآدم آيت الكعبة فطف بها ، فمشى

(١) ابن منظور : لسان العرب ( المطبعة الأميرية ) ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢) الزبيدي ، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ج ١ ص ٤٥٧ .

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١ ص ٣١٣ ، محمود الألوسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٣١٣ .

(٤) البتانوني : الرحلة الحجازية ص ١٠٢ .

(٥) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١ ص ٣١٤ ، محمود الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٣٤ ( الطبعة الثالثة ) ، الألوسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٢٩ .

إليها فتلقته الملائكة بالابطح فقالوا له : حياك الله يا آدم ، لقد طفنا قبلك هذا البيت بالفى عام (١) وبعض الروايات الأخرى تذكر أن آدم أول من طاف بالبيت لأنه هو الذي بناه أولا بمعونة الملائكة . فقد ذكر الأزرقى في رواية عن ابن عباس : أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم . وأن آدم بناه من خمسة أجبل بمعونة الملائكة . وساق رواية أخرى عن ابن عباس أيضا أنه لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة ، كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فطأطأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين زراعاً . فقال : يارب . مالى لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم . قال : خطيئتك يا آدم . ولكن إذهب فابن لى بيتاً

فطف به واذكرنى حوله كنعوما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى . فأنتهى إلى مكة وبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فابرز عن أس ثابت في الأرض السفلى فقذفت الملائكة الصخر وما يطيق الصخرة ثلاثون رجلاً . وبهذا يكون من أسس البيت وصلى فيه آدم عليه السلام (٢) .

وإذا وضعنا في الاعتبار قول الله تعالى : « وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » فلا بد أن يكون لهم قبلة يتجهون إليها في عبادتهم لله وحده . من أول يوم على الأرض . ولا تتصور عبادة بلا اتجاه أو بيت معبود .

وذكر اليعقوبى في تاريخه أن آدم لما أهبط إلى الأرض تلقى من ربه كلمات فتاب عليه وهدي . واجتبه وأمره أن يبنى له بيتاً . فصار إلى مكة وبنى البيت (٣) وروي عبد الملك بن هشام عن وهب بن منبه : إن آدم عندما تاب الله عليه ، أنزل عليه صحيفة نزل بها جبريل يأمره بالمسير إلى البلد الحرام ، ويبنى البيت العتيق ، وأن جبريل دله على المكان فبنى آدم البيت وتعيينه حواء . وقال : هذا منسك لك ولولدك من بعدك ، فاول أثر على وجه الأرض مكة والبيت قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » ثم أمره بالمسير إلى البلد المقدس فأراه جبريل كيف يبنى بيت المقدس فعاونه أبناءه في بنائه (٤) .

ولم تزل العرب تعظم موضع البيت بعد أن ازاله الطوفان وصار موضعه أكمة حمراء (٥) .

(١) المسعودى : أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ٧٣ .

(٢) النویری : نهاية الأرب ج ١ ص ٣٠١ . الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٣٦ . ٣٧ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٦ .

(٤) ذهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير ص ٩ . ١٠ . ١٤ . ١٥٤ .

(٥) المسعودى : أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ١٠٥ .

وذكر الطبري في تفسيره عن قتادة قال : ذكر لنا أن البيت أهبط مع آدم حين هبط إذ قال الله له ، أهبط معك بيتي يُطاف حوله كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمان الطوفان حين اغرق الله قوم نوح رفعه وطهره ولم تصبه عقوبة أهل الأرض . فتنبع منه إبراهيم أثراً فبناه على أساس قديم كان قبله (١) كما ذكر الطبري أيضاً في تاريخه : ان البيت حين اغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه فبأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه (٢) .

أما الاختلاف في أول من بنى الكعبة فيوضحه البدر العيني فقال : أول من بناها الملائكة . وقيل آدم ذكره ابن اسحق وقيل أول من بناها شيث عليه السلام وكان في عهد آدم البيت المعمور فرفع . وقيل بل رفع وقت الطوفان (٥) ثم أورد العيني رواية البخاري عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : سمعت أباذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول . قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي . قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما . قال : أربعون سنة . ثم أينما ادركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه (٤) . قال ابن الجوزي : فيه إشكال لان إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من الف سنة . والجواب عنه ما قاله القرطبي : إن الآية الكريمة « إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت » والحديث السابق لا يدلان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام ابتداء وضعهما بل كان تجديداً لما أسس غيرهما . وقد روي : أول من بنى البيت آدم وعلى هذا فيجوز أن يكون غيره من ولده رفع بيت المقدس بعده بأربعين عاماً . ويوضحه ما ذكره ابن هشام في كتاب التيجان أن آدم لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه . قال ابن كثير : أول ما جعله مسجداً إسرائيل ( يعقوب ) وإنما أمر سليمان بتجديده واحكامه لأنه أول من بنى (٥) .

**إبراهيم وبناء البيت :** يشهد القرآن الكريم بأن إبراهيم حين اسكن ذريته في مكة قال : « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة » (سورة إبراهيم : ٣٧) وذلك قبل بناء الكعبة على يديه وإسماعيل عليهما السلام عندما بلغ إسماعيل الثلاثين . كما تذكر الروايات التاريخية . ويذكر الله تعال

(١) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . تحقيق محمود شاكر ج ٣ ص ٤٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٣٢ .

(٣) العيني : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ج ١٦ ص ٢٨٨ . الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٧ .

(٤) العيني : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ج ١٥ ص ٢٦١ .

(٥) العيني : عمدة القارىء ج ١٥ ص ٢٦٢ .

بناء إبراهيم للكعبة بقوله : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » والقواعد جمع قاعدة . وقواعد البيت أساسه .  
 وقد اختلف أهل التأويل في القواعد أهما أحدثا ذلك . أم هي قواعد كانت قبلهما ؟  
 وعن ابن عباس أنها كانت قواعد البيت قبل ذلك (١) والبعض يقول بانه بنى البيت ابتداء .  
 ويعلل لنا الازرقى هذا الاختلاف بأن مكان البيت القديم كان قد خفى واندرس من الفرق الذي جاء به الطوفان فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام . ولكن كان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول . غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك . ولكنهم لا يتثبتون موضعه (٢) وتأييداً لهذا ذكر المسعودي أنه كان في موضع البيت ربوة حمراء أمر إبراهيم عليه السلام هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون مسكناً لها (٣) ثم أمر الله إبراهيم أن يبني الكعبة . ويؤذن في الناس بالحج . ويريهم مناسكهم . فبنى إبراهيم حتى انتهى إلى موضع الحجر فنادي إبراهيم أبو قبيس : إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر الأسود فوضعه وأذن في الناس بالحج (٤) .

وكان إبراهيم عليه السلام منذ أسكن ذريته في هذا الموضع يزور ابنه إسماعيل . فلما شاهد اجتماع الناس بنى البيت بأمر الله له . ولما شهد قيام البلد الذي كان يرجو قيامه حول البيت واطمأن إلى أن عمله قد آتى ثماره قال : رب اجعل هذا البلد آمناً . واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ... (٥) .

وعامة كتب التاريخ والتفسير تشير إلى بناء إبراهيم للبيت وتفصيله فلا حاجة إلى إيراد مثل تلك التفصيلات ولكن لا بأس بإيراد رواية الطبري المختصرة فقد ذكر ان إبراهيم عليه السلام لما جاء المرة الثالثة لإسماعيل في مكة كان إسماعيل يصلح نبلاً له من وراء زمزم . فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن ربك قد امرني ان أبني له بيتاً . فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك . فقال إبراهيم : قد أمرك أن تعينني . فقال : إذا أفعل . فقام معه فجعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجر . ويقولان : ربنا تقبل منا إنك انت السميع

(١) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) الازرقى : أخبار مكة ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٣٥٧ ، أخبار الزمان ١٥٥ ، الطبري : جامع البيان ٣ / ٦٢ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٧ .

(٥) سورة ابراهيم آية ٣٥ .

العليم . فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم فجعل اسماعيل يناوله الحجر فلما فرغ ابراهيم أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج (١)

**قضية تحريم مكة :** كانت مكة محرمة منذ خلق الله السموات والأرض . ولكن قال بعض المفسرين : كان الحرم المحيط بمكة حلالاً . قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد . وانما صار حرماً بتحريم إبراهيم « رب اجعل هذا آمناً وارزق أهله من الثمرات » كما كانت مدينة الرسول حلالاً قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتحريم المدينة انما كان قبل توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بدر فقد صلى عند بيوت السقيا ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة واني محمد عبدك ونبيك ادعوك لأهل المدينة ان تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم . اللهم حبب الينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بؤساً . اللهم انى حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة (٢) .

قال ابن جرير الطبري : الصواب ان الله تعالى ذكره . جعل مكة حراماً حين خلقها وأنشأها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته عند فتح مكة كما سوف نفضله إن شاء الله . وأن مكة حرمتها الله يوم خلق السموات والأرض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسوله .. فلم تزل كذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله . وأسكن بها أهله وولده إسماعيل . فسأل حينئذ إبراهيم الله ايجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه أو لأن إبراهيم علم تحريمها (٣) وقد أورد ابن كثير قولاً في هذا الإتجاه أن أبا شريح الخزاعي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، سمعته اذناي ووعاه قلبي حين تكلم به انه حمد الله وأثنى عليه وقال : ان مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس ... (٤) .

فالبقعة حرام مافي ذلك شك . والتبرير الذي ساقه الطبري مقبول . فالمكان كان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض . ويدعو عنده المكروب . فقل من دعا هنالك الا استجيب له . وكان الناس يحجون موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه . فلم يزل المكان منذ أهبط الله آدم إلى الأرض معظماً محرماً (٥) .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٣٦ ، التويري : نهاية الارب ج ١ ص ٢٩٩ .

(٢) المقرئزي : امتاع الاسماع بما للرسول من الانبياء والاموال والحفدة والمتاع ج ١ ص ٦٣ .

(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٥٠ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٨ .

(٥) الأزرقى : اخبار مكة ص ٥٣ .

وقد ذكر النويري أن النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبد بها ومن معه من المؤمنين حتى يموت . فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر . وعن مجاهد : حج موسى النبي على جمل أحمر فمرّ بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متزر باحدهما مرتدياً بالأخري . فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقد سلك فجّ الروحاء سبعون نبياً حجاجاً عليهم لباس الصوف مخطمى ابلهم بحبال الصوف . ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً : وعنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لقد مر بهذا الفجّ ( فجّ الروحاء ) سبعون نبياً على نوق حمر خطمها الليف لبوسهم العباء وتلييتهم شتى (١) .

وروي الحافظ أبو يعلى عن ابن عباس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادى عسفان قال : يا أبابكر ، أى واد هذا . قال ، هذا وادى عسفان . قال ، لقد مر بهذا الوادى نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر ، خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق (٢) . ومعروف أن نوحاً وهوداً كانا قبل إبراهيم عليهم السلام . ويذكر ابن كثير أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وليس في كرك نوح بالشام كما يقال (٣) .

ومن هنا يمكن القول بأن البيت الحرام كان موجوداً قبل بنائه على يد إبراهيم خليل الرحمن . وأن هذا البيت كان قد جرت عليه أحداث غيرت من طبيعته . وأخفت مكانه فكان من رحمة الله بعباده أن أمر خليله ببناء البيت ورفع قواعده . وظلت قداسة البيت أمراً مسلماً به لا خلاف عليه من أهل مكة وأهل البادية . ورغم تفسى عبادة الأوثان في سواد القبائل العربية المحيطة بمكة . فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة . ولم يعبدوا الحجر الأسود رغم تسليمهم بقدسيته واحترامه ومكانته حتى كادوا يقتتلون على من هو أولى بوضعه في مكانه . حين تدخل الرسول قبل البعثة فأقترح وضعاً حقق برأيه هذا الدماء فأشرك القبائل في شرف حمله ووضعه صلى الله عليه وسلم في مكانه .

وكانت العرب لا تقسم بالكعبة أو بالحجر الأسود . وإنما تقسم برب الكعبة . وهكذا استجاب الله لخليله حين دعاه بقوله : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » لم يتخذ

(١) النويري : نهاية الارب في فنون الادب ج ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١١٩ .

(٣) ابن كثير ، المرجع السابق ج ١ ص ١٢٠ وكرك نوح قرية كبيرة قرب بعلبك . راجع : ياقوت : معجم البلدان .

البيت عمارة إبراهيم وإسماعيل صنما يعبدونه وظلت مكانته مرموقة فأعاد قصى بن كلاب في القرن الثاني قبل الهجرة بناءه وبنته قريش قبل المبعث واشترك الرسول في أمره (١) .

الرسول يراعى حرمة مكة : ظلت الدعوة في مكة . كان الرسول خلال ثلاثة عشر عاما يؤمر بالصبر . قال الله تعالى له : « فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » ( الاحقاف : ٣٥ ) ولم يشرع القتال في مكة لمقامها الذي يعرفه من حرمتها من أول يوم . حتى أن الرسول بعد بيعة العقبة الثانية أذّن به الشيطان ( هل لكم في مذمهم والصبأة معه قد إجتمعوا على حربكم ) قال الرسول لمن بايعوه تلك البيعة الأخيرة ( أرفضوا إلى رحالكم ) . قال العباس بن عباد بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق : ان شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا ؟ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بهذا ، ولكن إرجعوا إلى رحالكم (٢) .

ولما استقر الإسلام في المدينة وأذن الله بالقتال للمسلمين بقوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » وقوله : ( وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ( البقرة : ١٩٣ ) حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال قريش خارج الحرم فرسول الله أعلم بالله وبحدوده وبما أحل وما حرم . علم قدر مكة فلم يأتها غازياً . مكة التي شنت الحرب عليه ثلاث مرات بدر واحد والخندق والتي ألّبت عليه وعلى المسلمين فأصاب المسلمين خلال ذلك ما أصابهم فلم يورثه ذلك ثورة على مكة ولا ضغينة على حرمها . وإنما قدرها . نلمس ذلك من مواقف في سيرته صلى الله عليه وسلم . نذكر منها على سبيل الاختصار : -

١ - تعظيم أمر مكة في الحديبية : خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة بمن معه هلال ذى القعدة من السنة السادسة . وحرص أن لا يكون معه إلا سلاح المسافر السيوف في القرب (٣) وساق هديه . يقول ابن هشام : خرج معتمراً لا يريد حرباً وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وساق الهدى واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له (٤) .

(١) الألوسى : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام . ط الحلبي . ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٣) الوافدي : كتاب المغاري . تحقيق مارسون جونس ص ٥٧٢ ، النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٢١٨ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٨ .



وفي رواية عن عروة بن الزبير . عن مسور ابن مخزومة . ومروان بن الحكم . أنهما

حدثاه فقالا ، خرج رسول الله عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا (١) وكما ساق الهدى ساق أهل القوة الهدى ، أبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن عباد ساقوا جميعا هديا مع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان بعض الصحابة والعرب يخشون قريشا ويخافون أن يقاتلوا المسلمين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، اتخشى يارسول الله علينا من أبى سفيان بن حرب وأصحابه ولم نأخذ للحرب عدتها ؟ فقال الرسول ، ما أدري . ولست أحب حمل السلاح معتمراً . وقال سعد بن عباد ، يا رسول الله لو حملنا السلاح معنا ، فإن رابنا من القوم ريب كنا معدين لهم . فقال رسول الله ، لست أحمل السلاح إنما خرجت معتمراً (٢) .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بسر بن سفيان الكعبي الخزاعي . وقال له ، أن قريشا قد بلغها انى أريد العمرة . فخبّر لى خبرهم ثم القنى بما يكون منهم (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم يأمل أن تستجيب قريش للاتجاه السلمى فلا يعرضوا له بسوء أو بقتال رعاية لحرمة مكة ، التى لا يريد فيها قتالا بل سلاما وأمنا . وتقدم أمامهم بسر بن سفيان حتى دخل مكة فسمع من كلامهم ورأى ما رأى منهم ثم رجع فلقى رسول الله بغدير الاشطاط من وراء عسفان فلما رآه الرسول قال : ( يا بسر ما وراءك ) قال : يارسول الله تركت قومك ، كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد سمعوا بمسيرك ففزعوا ، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة . وقد استنفروا الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل (٤) . وقد لبسوا لك جلود النمر ليصدوك عن المسجد الحرام ، وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية وتركت عمادهم يطعمون الجزر أحابيشهم ومن ضوى اليهم في دورهم . وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد في مائتى فارس . وهذه خيلهم بالغميم وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الارصاد (٥) .

ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم تصلب قريش واصرارهم على حميتهم الجاهلية وتماديهم في باطلهم إلا أنه رأى أن يظهر السلم فيتحول عن طريق طليعة المشركين

(١) ابن هشام : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الوافدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، الجزء والصفحة .

(٤) كناية عن النساء والأطفال حتى لا يعودوا لأهلهم .

(٥) الوافدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٨٠ .

قائلا : يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب وماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب . ثم قال : فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أى صفحه عنقه صلى الله عليه وسلم (١) . كما قال أيضا : ( أنا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد أنهكتهم الحرب فاضرت بهم فإن شئت ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس (٢) .

ثم قال الرسول : هل من رجل يخرج بنا على غير طريقهم فسلك بهم رجل من أسلم طريقا وعرا أجرل بين شعاب (٣) إنتهى إلى أرض سهلة حتى إذا سلك ثنية المرار وقفت يدا راحلته صلى الله عليه وسلم على ثنية تهبط على غائط القوم فبركت ناقته (٤) فقال الناس : خلأت القصواء . قال الرسول : ( ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . والذي نفسى بيده لا تدعونى قريش إلى خطة يعظمون فيها حرمان الله وفيها صلة الرحم الآ أعطيتهم إياها ) (٥) وذكر ابن حجر أن من تعظيم الحرمة ترك القتال (٦) .

ولو أن بعض الآراء تذهب إلى أن هذا القول معناه أنى ان دخلت مكة على رغم قريش وقع قتال أفضى إلى سفك الدماء . إذ علم الله انه سيدخل في الإسلام منهم خلق ويستخرج من أصلابهم ناس يجاهدون في سبيل الله (٧) إلا أننا يمكن أن نضيف أمراً هاماً فإذا نظرنا إلى الربط بين حبس الفيل وحرمة البيت . ثم حبس الناقة لحرمة البيت انتهينا إلى أن هذا مقصوده . ثم إبداء هذه صراحة من الرسول بأنه يرضى بأى خطة فيها تعظيم أمر مكة وحرمتها وإجلال البيت وحفظ مهابته . ومنع القتال فيه . وقيل أن منع أصحاب الفيل ومنع أصحاب الناقة مع اختلاف مقاصدهما هدفه منع القتال مطلقاً (٨) ومن ثم يظهر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم إنما تعمد عدم حمل السلاح معه حتى لا يتمادى الامر ، رغبة في السلم وإيثاره . صحيح أن الرسول لما اشيع مقتل عثمان بن عفان الذي بعثه ليعلم لهم إحترام الرسول لمكة ومسالمته لها ، ومقتل من دخل مكة من المسلمين . أخذ البيعة على أصحابه بأن لا يفروا واعد نفسه للقتال الذي لا مناص منه إذا اضطرته قريش إلى ذلك بقتل هؤلاء . ولكن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٧ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) النويري : نهاية الأرب في فنون الادب ج ١٧ ص ٢١٩ .

(٥) الوافدى : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٨٧ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري ج ٥ ص ٣٣٦ .

(٧) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٦ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري ج ٥ ص ٣٣٦ .

سرعان ما تحول عن رغبته في المقاتله عند البيت لما علم بكذب هذه الاشاعة . فحفظ للبيت حرمة التي جعلها الله له .

ولدينا دليل آخر من حفظ الحرمة ورعاية مكة ، أنه أمر باطلاق من حاولوا الاعتداء على معسكر المسلمين . وكانت قريش قد بعثت نحواً من أربعين أو خمسين رجلاً ليطيّفوا بمعسكر المسلمين رجاء أن يصيبوا منهم أحداً ، أو يصيبوا منهم غزّة فأخذهم محمد بن مسلمة وأصحابه من حراس معسكر المسلمين . فجاء بهم إلى الرسول فعفا عنهم وخلي سبيلهم (١) .

وقد منّ الله على نبيه لهذه الحادثة فقال تعالى ، « وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ . وَلَتَكُونَ آيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » ثم قال « وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً » ( الفتح : ٢٠ ، ٢٤ ) . أى أن الله كف الأيدي عن القتال في الحرم . وصان الفريقين بأن أوجد صلحاً . ولذا قال الرسول حين أمر باطلاق المعتدين ، ارسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه (٢) . قال الشوكاني : كف أيدي الناس عنكم يعنى منع أهل مكة أن يستحلوا حرم الله أو يستحل بكم وانتم حُرْمٌ ولتكون آية للمؤمنين أى سنة لمن بعدكم (٣) أى لمراعاة حرمة مكة والبيت .

فلما قدم سهيل بن عمرو . واصطلىح مع رسول الله على صلح الحديبية مع ما فيه من شروط ظاهرها قاس على المسلمين : ومنه أن لا يعتمروا ذلك العام والحرم على مدّ البصر . ومن يأتى إلى المسلمين بغير اذن وليه أعادوه لقريش . ورفض سهيل أن يوافق على كتابة بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله . وانما كتب باسمك اللهم ومحمد بن عبد الله وثب عمر بن الخطاب . فقال : يارسول الله ألسنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله : بلى قال فعلام نعطى الدنيا في ديننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى . فلما سمع منه أبو بكر مقالته قال : ياعمر الزم غزّه - أى أتبع أمره - فانى أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله (٤) .

فرسول الله نظر إلى حرّمات الله وتعظيم مكة والكعبة ولم يرد أن يسفك دما وقبّل ما كان يعتبر في نظر المسلمين قاسياً شديداً . ولكن ظهر أن ذلك الصلح كان خيراً وبركة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣١٤ ، الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٠٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فنى الدراية والرواية في التفسير . ج ٥ ص ٥٢ .

(٤) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٦٠٦ .

على المسلمين وكان فتحا مبينا . وأن الأمر أمر تعظيم حرمان الله وأن النصر بيد الله فطابت نفوس المسلمين جميعا .

ب - في عمرة القضاء : كانت هذه العمرة قصاصاً لعمرة الحديبية التي حال المشركون دون إتمامها وتطبيقاً لشروط صلح الحديبية وهي أن لا يدخل مكة عامه هذا فإذا كان عام قابل دخل فيقيم بمكة ثلاثة أيام ليس معه إلا سلاح الراكب ، السيوف في القرب . وقد وفي صلى الله عليه وسلم بشرطه لهم فلم يدخل عليهم السلاح الذي أحضره معه تنبيهاً للسفهاء ومن ينقضون عهدهم فأبقاه ببطن يأجج مخافة الغدر (١) . ولكن قريشاً بلغها ضعف المسلمين أو هكذا تفشت قالة السوء بأن المسلمين أو هنتهم حمى يشرب . وبدأ فيهم الضعف . علم ذلك رسول الله فأراد أن يسد هذه الثغرة ، فلعل ضعاف النفوس ينتهزون فرصة للقتال داخل الحرم . فلما أقبل ودخل المسجد . وقفت قريش تنظر قوة المسلمين . فأضطجع الرسول بردائه . ثم قال لا يرى القوم فيكم غميمة (٢) . وذكر ابن هشام أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله إضطجع بردائه وأخرج عَضُدَهُ اليمنى ثم قال : رحم الله أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة . ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا آراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما . ثم مضت السنة على ذلك (٣) . وذكر ابن كثير عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين معه : ارملوا (٤) ليرى المشركون قوتكم .. كما قال : اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ... يقول ابن عباس : وكان يكأيدهم صلى الله عليه وسلم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة (٥) .

فكان اظهار القوة والجلد والحركة سبباً لعزة المسلمين ومنعتهم فلم يجروا أى قرشى أن يعرض لهم بسوء . وقالت قريش ما يرضون بالمشى أما أنهم لينفرون نَفَرُ الظباء (٦) . فكان الرسول أراد باظهار القوة سد الذريعة حتى تنفذ قريش شروط الامان في بلد الله الحرام . وحذرهم بما اعد من قوة وسلاح من التعرض له ودعاهم بلسان الحال إلى الكف عما ينتوونه من سوء الفعل وهو التعرض لحرمة البيت الآمن .

(١) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٢٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣١ والغميزة العيب والضعف في العمل : المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٦٨ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٧١ .

(٤) الرَّمَلُ : هو الاسراع في المشى وهز المنكبين : ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثرج ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٢ . وينفرون أى يسرعون ويشردون : الفيروزبادهى : القاموس المحيط ج ٢ ص ١٥١ .

وبقى الرسول بمكة فلما كان عند ظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من مجالس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب قد أنقضى أجلك فاخرج عنا . فقال النبي : وما عليكم لو تركتموني فاعرست بين أظهركم (١) . فصنعت لكم طعاما ؟ فقالوا ، لا حاجة لنا في طعامك أخرج عنا . ننشدك الله يا محمد والعهد الذى بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا فهذه الثلاث قد مضت . فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظة كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال لحويطب : كذبت لا أم لك ، ليست بارضك ولا أرض أهلك والله لا يبرح الا طائعا راضيا . فتبسم رسول الله . ثم قال : يأسعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا . وأسكت الرجلان عن سعد ثم أمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع بالرحيل قائلا : لا يمسين بها أحد من المسلمين (٢) . هكذا ضبط النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين والتزم بعهده وعقده شأنه دائما . وأقر الأمن والأمان بمكة ليكون دليلا آخر على معرفته ما لهذا الحرم من جليل القدر .

**جـ - في فتح مكة :** إذا أردنا أن نلخص مسلك النبي صلى الله عليه وسلم عندما رغب في فتح مكة لمعرفة مدى احترامه لحرمة هذا البلد وجدنا أنه ما جاء إليها إلا بعد أن نقضت عهدها ، بأن أعدت عدوانا غاشما من بنى بكر على بنى كعب من خزاعة . بتعصيد من كبار القرشيين . فلما استنصر صلى الله عليه وسلم وعد بالنصر وبدأ يستعد . ولكنه حرص على إخفاء وجهته . ثم وضع الحرس على انقاب المدينة حتى لا تشعر قريش باستعداده لها . فلما نزل بقرب مكة وأخذ أبو سفيان ورفقته . طلب أبو سفيان الأمان لأهل مكة فأعطاه الأمان العام . ونودى به في أنحاء مكة . كل ذلك حرصا على أن لا تكون هناك مجابهة ولا يقع قتال . وقد كان .

فاذا انتهينا من التلخيص إلى التفصيل وضح لنا حقيقة التعظيم لحرمة مكة فحين عزم على المسير لقريش دعا ربه فقال : ( اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبقتها في بلادها ) أو قال : ( اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يرونى الا بغتة ولا يسمعون بى الا فجأة ) (٣) ثم أمر أهله ان يجهزوه وان تخفى جهازه (٤) . فدخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة وهى تعمل قمحا سويقا ودقيقا وتعد تمرا . قال : أى بنية أمركم رسول الله أن

(١) كان الرسول قد خطب ميمونه بنت الحارث الهلالية فجعلت امرها الى العباس بن عبد المطلب فزوجها للرسول صلى الله عليه وسلم . وبنى بها في طريقه نحو المدينة عن سرف . ( الواقدي ، المغازي ج ٢ - ٧٣٨ - ٧٤١ ) . وسرف بعد التنعيم . انظر الأزرقى في اخبار مكة ج ١ ص ١٨٥ خانة ٦ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٤٠ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ . ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٤) ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٤ .

تجهزوه . قالت ، نعم فتجهز . قال ، فإين ترين يريد . قال ، لا والله ما أدري . فلما دخل صلى الله عليه وسلم قال له ، أين تريد يارسول الله . قال ، قريشا . وأخف ذلك ياأبا بكر . قال ، أو ليس بيننا وبينهم مدة (١) . قال ، أنهم غدروا وتقضوا العهد فأنا غازيهم . ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ ثم قال له ، واطوما ذكرت لك (٢) .

ثم ان الرسول أعلم الناس انه سائر إلى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ (٣) . وأخذ رسول الله بالانقلاب (٤) . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف على الانقلاب قِيَمًا لهم يقول ، لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه . وكانت الانقلاب مُسَلِّمَةً الأَمْنُ سلك إلى مكة أو ناحيتها فإنه يتحفظ به ويُسأل عنه (٥) . وعندما كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرها بأمر الرسول وأعطى كتابه لامرأة من مزينة قال لها اخفيه ما استطعت فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها . ثم قال لها لا تمرى على الطريق فان عليها حرسا فسلكت على غير نقب حتى لقيت الطريق بالعقيق (٦) . وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب فأمر على بن ابى طالب والزيير بن العوام ان يدركا المرأة فادركاها بروضة خاخ (٧) . فاستخرجها منها الكتاب وعادا به . ورغم أن الرسول قبل إعتذار حاطب فإن القرآن نزل ينبه على هذا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » (٨) . ومما يدل على شدة التحذير من إبلاغ قريش استئذان عمر بن الخطاب الرسول في قتل حاطب لمخالفته فلم يأذن له لأنه من أهل « بدر » وهم من غفر الله لهم (٩) .

والهدف من الدعاء والاختفاء أن لا يصل إلى قريش أبناء الاستعداد وقدم المسلمين إليهم فَيُعِدُوا للأمر عدته من الرجال والسلاح فيشتد الأمر وتقع ضحايا من الفريقين فتتأثر بذلك حرمة مكة . فكان الرسول يريد بذلك تقليل الخسائر إلى أدنى حد . وحتى تضطر قريش إلى التسليم فيحقق الرسول مراده .

(١) المدة : هي هدنة تضع الحرب بموجب شروط الحديبية عشر سنين .

(٢) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٣) الانقلاب : جمع نقب وهو الطريق بين جبلين : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والاثار ج ٥ ص ١٠٣ .

(٤) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ .

(٥) الواقدي كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦٢ .

(٦) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٩ .

(٧) روضة خاخ : موضع على اثني عشر ميلا من المدينة قرب حمراء الاسد : العباسي : احمد بن عبد الحميد : عمدة الأخبار ٣١٦ .

(٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٩٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٧ . والآية أول سورة الممتحنة .

(٩) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٩٩ ، ابن كثير : السيرة ج ٣ ص ٥٣٨ .

وقد حدثت المفاجأة باقتراب الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة من معه من الرجال والسلاح حتى بلغ مر الظهران (١) . ولم يكن قد وصل عن مسير رسول الله إلى قريش شيء . فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يوقدوا نارا فأوقدت عشرة آلاف نار لتحدث المفاجأة والمباغلة فيرهبهم ويخوفهم بالكثرة . وكان الرعب قد سيطر على قريش منذ خابت وساطة أبا سفيان ليشفع عند الرسول في منع الحرب فأجمعوا أن يبعثوا أبا سفيان نحو المدينة فلعله يلقاه . وقالوا له : أن لقيت محمداً فخذ لنا جوارا إلا أن ترى رقة في أصحابه فأذنه بالحرب ، وهم يظنون ان لديهم من الوقت ما يسمح بالاستعداد . وفيما كان أبو سفيان يسير بالقرب من مكة ومعه رفقته له اذا هم يرون عشرة آلاف نار في فحمة الليل وكثرة الابنية والعسكر . وسمعوا صهيل الخيل ورجاء الابل ففزعوا وبينما هم كذلك اذا بالعباس بن عبد المطلب ينادى أبا سفيان ، يا أبا حنظلة . فقال أبو سفيان ، لبيك أبا الفضل ما وراءك . قال العباس : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين . لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى أستأمنه لك (٢) . وأخذ رفيقيه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأنتهى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اسلامهم (٣) . فلما طلب العباس أن يجعل الرسول لأبي سفيان شيئا يفخر به على الناس بمكة . قال : من دخل دار أبا سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن (٤) . وعفا رسول الله عن أهل مكة وأعلن لهم الأمان الذي طلبوا بعد أن حاربوه وألبوا عليه فلما قدر عليهم أعلن امان الله في حرم الله . لما يعرف لهذا البلد من الحرمة . وود أن لا يقع قتال . فاراد قبل ان ينصرف أبو سفيان إلى أهل مكة ليبلغهم امان الله ليكون على ثقة بعدم جدوى المقاومة أو رفع السلاح . أراد الرسول أن يرى أبا سفيان خيل الله وعدة المسلمين وعددهم وراياتهم فأمر العباس أن يحبس أبا سفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الإسلام فيراها (٥) . فلما لحق به العباس وحبسه عن المسير في المضيق قال أبو سفيان ، أغدرا بنى هاشم . فقال العباس ، إن أهل النبوة لا يغدرون ولكن لى إليك حاجة . فقال ابو سفيان ، فهلا بدأت بها أولا ؟ قال العباس ، لم أكن أراك تذهب هذا المذهب حتى ترى جند الله (٦) .

(١) مر الظهران : يعرف الآن بوادي فاطمة بقرب مكة : الازرقى : اخبار مكة ج ١ ص ١٨٥ حاشيه ٦ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٤٧ .

(٣) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٨١٥ .

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٦) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٨١٨ .

ومرت القبائل المسلمة على راياتها ومر رسول الله في كتيبته الخضراء . فقال أبو سفيان : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ولا خَبَرَنِيهِ مُخَبِّرٌ . سبحان الله ما لأحد . بهذا طاقة ولا يدان . ثم قال للعباس : لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما . قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ليس بملك ولكنها نبوه . قال : نعم .. ثم قال العباس فادرك قومك قبل أن يدخل عليهم . فتقدم أبو سفيان الناس كلهم فدخل مكة فأعلن في أرجائها . هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد وقد جعل لي . من دخل دارى فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن طرح السلاح فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . وجعل يصرخ في مكة . يا معشر قريش إنه جاءكم بما لا قبِلَ لكم به . رأيت الرجال والكرع والسلاح فلا لأحد بهذا طاقة (١) .

ونظم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه ليدخل مكة من كل أقطارها ودخل هو من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة (٢) . لا فخرَ ولا زهوَ ولا خيلاء وقد أعلى الله كلمة الإسلام وصارت مكة بين يديه خاضعة لأمره . روى أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله ، لما رأى من اكرام الله به من الفتح . حتى أن رأسه لتكاد تمس رحله شكرا لله . وخضوعا لعظمته أن أحل الله له بلده . ولم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده (٣) . ومع ما أحل له ، رفض قوله سعد بن عبادة لأبى سفيان : اليوم يوم الملحمة اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرمة (٤) . فقال الرسول : اليوم يوم المرحمة اليوم يُعَزُّ الله قريشا (٥) . وفي رواية أخرى كذب سعد ، هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة (٦) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من يقاتلهم . غير أنه أهدر دم نفر سماهم (٧) . فلما دخل نظر صلى الله عليه وسلم إلى البارقة فقال : ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال . فقالوا : إن خالدًا قوتل وبُدِيَء بالقتال فلم يكن بُدًى من أن يقاتلهم . وبعد أن اطمأن الرسول قال لخالد : لِمَ قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟ فقال : هم بدؤنا بالقتال وقد كفت يدي ما استطعت . فقال الرسول : قضاء الله خير (٨) . وقال صلى

(١) الوافدى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٢٣ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٣) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٥) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥١ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩١ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٧ . السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٦٥ .

(٨) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٢ .



الله عليه وسلم مبينا حرمة مكة وحرمتها ، إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم . وقال أيضا يوم فتح مكة ، لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة (١) .

ثم طهر رسول الله بيت الله مما شابه من أوثان وأصنام إذ جعل يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول ، « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع . وعلا « بلال بن رباح » البيت فأذن بكلمة التوحيد وأعلن الإسلام (٢) .

فلما كان غداة يوم الفتح قام رسول الله خطيبا فقال ، « يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض . فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة . فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي . ولم تحلل لي إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ألا ثم رجعت كحرمتها بالأمس . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا ، إن الله قد أحلها لرسوله ولم يخللها لكم (٣) .

وهكذا عرف النبي صلى الله عليه وسلم للبيت حقه وحرمة معظمه وطهره من الصور والأصنام وأعلن الأمان لكل من دخله . وعفا عن مجاوريه من أهل مكة فقال لهم ، ( ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال إذهبوا فانتم الطلقاء ) وعادت حرمة مكة إلى الأبد وحتى يرث الله الأرض ومن عليها . والحمد لله رب العالمين .



(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، التسطلاني ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٥ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣

ص ٥٧٨ . وانظر أيضا ، البخارى ، صحيح البخارى ج ٢ ص ١٨ ( ط الحلبى ) .

# جَهْرُ الْمَسْلُومِينَ ضِدَّ الصَّلِيبِيِّينَ

للدكتور محمد أحمد رمضان  
كطبة الدعوة وأصول الدين

إن المسلمين اليوم في أشد الحاجة إلى اتحاد الكلمة ووحدة الصف لحماية بلادهم من أطماع الطامعين وكيد الكائدين والقذوة بأسلافهم الذين ردوا كيد أعدائهم وحموا بلادهم من أطماعهم .

ففى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) تدفقت على الشرق الإسلامى جموع من الأوربيين النصارى وشتت عليه حروباً عرفت فى التاريخ بالحروب الصليبية نسبة الى الصليب الذى اتخذته المحاربون شارة لهم .

والأسباب التى تذرع بها هؤلاء المعتدون هى تمكين الحجاج النصارى من الحج إلى بيت المقدس وحميتهم من مضايقة المسلمين لهم وهى أسباب غير صحيحة لأن تعاليم الإسلام كفلت لأهل الأديان الأخرى الحرية التامة فى مزاوله شعائر دينهم ونهت عن التعرض لهم بسوء ما داموا مسلمين ولا نظن أن مسلمى هذا العصر كانوا يجهلون ذلك .

وكان الذى أثار هذه الشائعات هو بطرس الناسك الذى حج الى بيت المقدس وعز عليه أن يراه ملكاً للمسلمين وهو المكان المقدس لدى النصارى وقد طاف بطرس الناسك جميع البلاد الأوربية وأخذ يجرى النصارى على تخليص بيت المقدس من يد المسلمين .

وفى أواخر سنة ٤٦٣ هـ انهزم البيزنطيون أمام المسلمين فى موقعة (ملاذ كرد) فاستنجد الأمبراطور البيزنطى بالبابا (إريان الثانى) بطريك الكنيسة الغربية وقد صادف هذا الاستنجد هوى من نفس البابا الذى كان يطمع فى ضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية فأقام أوربا وأقعدتها وأثار تلك الضجة العالمية التى تعتبر من أهم أحداث التاريخ .

وفى العام التالى لهذا الاستنجد ألقى البابا خطبة فى مدينة (كليرمنت) فى الجنوب الشرقى لفرنسا حث فيها النصارى على أن يسلكوا سبيلهم الى القبر المقدس ويأخذوه عنوة من ذلك الشعب الملعون ويخضعوه لأنفسهم (١) .

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ترجمة الأستاذ مبروك نافع ج٢ ص ٨٢٢ .

ولقد أشعلت هذه الخطبة جذوة الحماسة في نفوس الجماهير النصرانية شريفهم وضعيفهم على السواء فهبوا عن بكره أبيهم حتى بلغ عدد المتطوعين مائة وخمسين ألفاً من النورماندين والفرنج ولم يكن الحماس الديني وحده هو الذي دفع هذه الجماهير إلى شن الغارة على الشرق الإسلامي بل إن كثيراً من الأمراء ومن بينهم « بوهيمند » خرجوا استجابة لأطماعهم في تكوين إمارات لهم في الشرق الأوسط كما كانت المصالح الاقتصادية هدف تجار البندقية وبيزه وجنوة .

وكان من بين تلك الجماهير أرقاء الأرض الذين وجدوا في التطوع لهذه الحروب فرصة للتخلص من أمراء الإقطاع وكذلك الفقراء الذين ملوا في أن يجدوا لهم مصدر رزق في الشرق والمجرمون الذين وجدوا في الحروب من أجل تخلص بيت المقدس تكفيراً عن ذنوبهم (١) .

تلاحقت الجيوش التي تكونت منها الحملة الصليبية الأولى في القسطنطينية ثم عبرت منها إلى آسيا الصغرى سنة ٤٩٠ هـ واشتبكت بجيوش السلطان « قليج أرسلان » السلجوقي عند مدينة « قونية » فهزمتها واستولت على المدينة ثم واصلت سيرها إلى مدينة « أسكى شهر » وفتحتها (٢) .

ثم عبر الصليبيون جبال طوروس واتجهت فرقة منهم تحت قيادة « بلدوين » واستولت على « الرها » في أوائل سنة ٤٩١ هـ أما بقية الصليبيين فقد واصلوا سيرهم نحو الجنوب وضربوا الحصار على مدينة « أنطاكية » التي كان يحكمها أمير تركي منذ عهد « ملكشاه » يدعى « ياغى سيان » . وبعد تسعة أشهر تمكنوا من فتحها .

استراح الصليبيون فترة ثم اتجهوا إلى مدينة بيت المقدس التي كانت قد عادت إلى حكم الفاطميين منذ بضعة أشهر فقط وكان يحكمها من قبل الخليفة الفاطمي « المستعلى بالله » أمير يسمى « افتخار الدولة » تؤيده حامية لا تتجاوز ألف جندي . ومع ذلك صمد لحصار الصليبيين نحو أربعين يوماً تمكنوا بعدها من فتح المدينة سنة ٤٩٢ هـ وارتكبوا من ضروب الوحشية ما تقشعر منه الأبدان وتكره الشرائع وقتلوا من سكانها سبعين ألفاً بغير ذنب .

أنشأ حماة الصليب ثلاث إمارات في المشرق : إمارة الرها وأميرها « بلدوين » وإمارة أنطاكية وأميرها « بوهيمند » وإمارة بيت المقدس وأميرها « جودفري » . وقد تكونت من هذه الإمارات الثلاث المملكة اللاتينية في الشرق أختير « جودفري » ملكاً لها ولقب « بارون وحامي حامي القبر المقدس » .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢٣ .

(٢) ابن القلانئ : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٢ .

ولما كان لابد لتأييد مركز الصليبيين في الشام وتأمين طريقهم الى أوروبا من احتلال مدن الساحل شرع جودفرى في احتلالها بمساعدة السفن الايطالية التي بذل أصحابها المعونة ليجعلوا من هذه الثغور أسواقاً جديدة لتجارهم . وكان معظم تلك الثغور تابعاً للدولة الفاطمية . ومن بينها مدينة طرابلس فطمع الكونت « رايموند » في فتحها وحاصرها سنة ٤٩٤ هـ ولكنه لم يتمكن من فتحها ومات قبل أن تتحقق أمنيته ولكن ابنه « برتراند » حقق هذه الأمنية في أواخر سنة ٥٠٢ هـ حيث استولى على المدينة بمساعدة أسطول جنوى<sup>(١)</sup> . وبذلك تكونت امارة صليبية رابعة تبعت بيت المقدس .

وكانت امارة بيت المقدس وما يتبعها من الامارات الثلاث : الرها وأنطاكية وطرابلس هي الامارات اللاتينية الوحيدة التي قامت على أرض اسلامية لذلك كانت أملاك الصليبيين قاصرة على مساحة ضيقة من إقليم الجزيرة وبعض أجزاء الشام الشمالية والسهل الساحلى الضيق . أما المدن الداخلية كحلب وشيزر وحماه وحمص وبعلبك ودمشق فانها لم تدخل في حوزة الصليبيين .

من المسئول عن هذه المأساة :

إن المساحة التي اقتطعها الصليبيون من أرض المسلمين وأنشأوا عليها مملكتهم كان الجزء الشمالى منها تابعاً للدولة العباسية والجزء الجنوبى تابعاً للفاطميين . وكان مسرح نزاع على النفوذ والسيطرة بين الدولتين لعدة سنوات قبل مجيء الصليبيين اليها . أما العباسيون فإن دولتهم كان قد تجدد شبابها على يد سلاطين السلاجقة الثلاثة الأول : طغرل بك وألب أرسلان وملكشاة (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ) ولكن خلفاءها لم يكم لهم من الأمر شيء وكان النفوذ والسلطان للسلاجقة فلما توفى السلطان ملكشاه الذى جاء الصليبيون الى الشرق بعد موته بسنوات معدودة تنازع أبناءؤه على السلطنة فضعف أمرهم وانشغلوا بالنزاع فيما بينهم واستغل الخلفاء هذا النزاع ليستعيدوا سلطتهم وشغلوا بذلك عما يجرى في الشام من أحداث<sup>(٢)</sup> . وتركوا الصليبيين يبنون لهم ملكاً فى أحشاء العالم الإسلامى ويشيدونه ولم يفكروا فى دعوة المسلمين إلى الجهاد ويخرجوا بأنفسهم على رأس المجاهدين ليصدوا هؤلاء المغيرين عن بلاد الإسلام .

ولو أن هؤلاء الخلفاء أعلنوا النفير العام وحاولوا ايقاظ شعور العالم الإسلامى واشعال الحماس الدينى فى نفوس المسلمين - كما فعل البابوات فى أوروبا - لأحرزوا بعض النجاح إن لم يحرزوه كله واستطاعوا أن يعطلوا سير الصليبيين إن لم يستطيعوا أن يردوهم على أعقابهم الى أوروبا .

(١) ابن الفلانى : ديل تاريخ دمشق ص ١٩٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج-١ ص ٣١ .

ولم يهتم السلاجقة كذلك بجهاد الصليبيين بل كانوا في شغل شاغل بالتنافس على كرسى السلطنة فيما بينهم ومراقبة الخلفاء حتى لا يتمكنوا من استرداد سلطانتهم (١) وهكذا شغل هؤلاء وهؤلاء بمصلحتهم الشخصية عن الواجب الديني الذي فرضه الله على المسلمين .

وقد كان من الواجب على هؤلاء السلاطين الذين كانوا يحملون ألقاب « غياث الدنيا والدين وحامي حمى المسلمين » كان الواجب عليهم أن يعملوا بمقتضى ما منحوه من ألقاب وأن يوجهوا همتهم للدفاع عن بلاد الشام والجزيرة التي كانت موطن أقدام الغزاة الصليبيين وألا يتركوا عبء الدفاع عنها على كواهل أمرائها الضعاف الذين لم يكن لديهم من الجيوش والمعدات ما يمكنهم من صد هؤلاء المغيرين ويساعده على الاحتفاظ بما تحت أيديهم من الإمارات وحمايتها من أطماع الصليبيين .

ومما يثير الدهشة أن وفداً من سكان بيت المقدس ذهب الى بغداد بعد سقوط مدينتهم في يد الصليبيين يلتمس النجدة من أمير المؤمنين ( المستظهر بالله ٤٨٧ - ٥١٢ هـ ) فتأثر أهل بغداد لما حلّ باخوانهم تأثراً عميقاً وحزنوا لما أصابهم حزناً شديداً ولكنهم لم يهبوا لنصرتهم (٢) - أما الخليفة فإنه أحال الوفد على السلطان بركياروق بن ملكشاه ولكن السلطان لم يقدر المسؤولية ولم يحقق ما عقد عليه من أمل ويهب على رأس جيش لنجدهم (٣) .

وهكذا تقاعس الخلفاء العباسيون والسلاطين السلاجقة عن الجهاد وحماية بلاد الإسلام حتى وطد الصليبيون أقدامهم في جزء غال منها وتطلب إجلاؤهم عنه مجهوداً كبيراً ووقتاً طويلاً من أبطال الإسلام الذين كرسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله أمثال عماد الدين زنكى وابنه نورالدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب ومن جاء بعدهم من الأيوبيين والمماليك .

وكان الخلفاء الفاطميون قد ضعف شأنهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى وانتقلت السلطة من أيديهم الى أيدي وزراءهم وكان يتربع على كرسى الوزارة في الوقت الذي غزا فيه الصليبيون بلاد الشام الوزير القدير الأفضل بن بدر الجمالي وكانت الدولة في عهده تبسط يدها على كثير من مدن الشام الساحلية مثل صور وعكا وعسقلان ويافا وغزة وغيرها ، كما كانت تحتفظ بقوة برية وبحرية كبيرة ولكن هذا الوزير لم يتناس العداوة القديمة بين السلاجقة السنيين وبين الفاطميين الشيعة وظن أن فرسان الصليبيين

يمكن أن يناصروه على أعدائه السلاجقة ولم يدرك أنهم أعداء الطرفين إلا عندما استولوا على بيت المقدس واشتبكوا معه في معركة طاحنة على مقربة من مدينة عسقلان بعد أن سقطت بيت المقدس في أيديهم بأيام وهزموه هزيمة منكرة (١) .

ولقد تحمس الأفضل لجهاد الصليبيين وأرسل إلى ميادين القتال أبرع قواده ولم يبخل حتى بأولاده غير أنه لم يحرز نصراً ذا قيمة عليهم وسقط في أيديهم ما كان في حوزة الفاطميين من مدن الشام مدينة تلو الأخرى حتى طمعوا في غزو مصر نفسها .

وهكذا تقع مسئولية ما حل بأهل البلاد التي اغتصبها الصليبيون من كوارث وما نزل بأهل البلاد التي هاجموها من مصائب على عاتق الخلفاء العباسيين الذين عاصروا تلك الحوادث وسلطين السلاجقة الذين كانوا يديرون شئون دولتهم وعلى خلفاء الدولة الفاطمية الذين كانوا يجلسون على كرسى الخلافة في مصر في هذه الفترة والوزراء الذين حكموا بإسمهم .

### عصر المقاومة

بعد مضي ربع قرن على تأسيس مملكة الصليبيين في الشرق ظهر زعيم إسلامي قوى هو عماد الدين زنكى أمير الموصل الذى استولى على إمارة حلب وحمل لواء الجهاد ضد الصليبيين وتمكن من انتزاع إمارة الرها من أيديهم (٢) .

ولقد روع سقوط الرها في يد عماد الدين الصليبيين المقيمين في الشرق فأرسلوا إلى أوروبا يستدعون حماة الصليب للدفاع عنهم وجاءت الحملة الصليبية المعروفة « بالحملة الثانية » ولكنها لم تحقق الغرض الذى جاءت من أجله وهو تخليص الرها بل حاصرت دمشق فاستنجد أميرها بابنى عماد الدين : سيف الدين غازى أمير الموصل ونور الدين محمود أمير حلب ودافع الأمراء الثلاثة عن المدينة فلم يتمكن الصليبيون من فتحها ورجعت الحملة إلى أوروبا تجر أذيال الخيبة (٣) .

وكان عماد الدين زنكى قد توفى بعد استيلائه على الرها فحمل ابنه نور الدين محمود أمير حلب لواء الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ووحد بلاد الشام تحت حكمه وسبق معاصره الصليبي « عمورى الأول » الى فتح مصر .

(١) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ١٠٦ .

(٢) اسحاق ارملة : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ص ١٠٦ .

(٣) ميشو : تاريخ الحروب الصليبية ج٢ ص ١٢٧ - ١٢٩ .

وبعد موت نور الدين سنة ٥٦٩ هـ حمل صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد الاسلامي وفي السنة التي توفي فيها نور الدين مات عموري الأول وخلفه على بيت المقدس ابنه «بلدوين الرابع» وكان أبرص (١) . وبموت عموري فقد الصليبيون شخصية قوية كانت تسيطر على الإمارات الصليبية سيطرة قوية وتقرب في الكفاءة الحربية من شخصية نور الدين بطل المسلمين .

### صلاح الدين يخلف نور الدين في زعامة العالم الإسلامي :

في سنة ٥٦٩ هـ توفي السلطان نور الدين محمود ولم يترك من الذكور سوى الصالح اسماعيل وكان في الحادية عشرة من عمره فاتفق أمراء الدولة على مبايعته بالسلطنة على أن يتولى الأمير شمس الدين بن المقدم الوصاية عليه (٢) . ولقد خطب صلاح الدين في مصر للملك الصالح اسماعيل وسك النقود باسمه وأعلن طاعته له ولكن أمراء دولة الملك الصالح تنافسوا فيما بينهم على السيطرة على السلطان الصغير وأعلن ابن عمه سيف الدين غازي الثاني استقلاله ببلاد الموصل . ولما اشتد التنافس بين أمراء حلب وأمراء دمشق على السيطرة على السلطان الصغير أرسل شمس الدين بن المقدم الى صلاح الدين يدعو للقدوم من مصر الى دمشق ليسلمها اليه وانتهز صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى دمشق وتسلمها سنة ٥٧٠ هـ وأعلن أنه ليس خارجا على الملك الصالح وأنه انما جاء الى الشام ليحافظ على ملكه (٣) . وفي سنة ٥٧٧ هـ توفي الصالح اسماعيل ولم يترك وارثا للعرش وكان صلاح الدين بمصر فلما علم بوفاة إتحه الى الشام فدانت له حلب وخضع لسلطانه أكثر مدن الموصل . وبذلك انتهت دولة الأتابكة في الشام التي كان قد أسسها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٢ وشيد بنيانها ابنه نور الدين محمود بعد أن حملت لواء الجهاد ضد الصليبيين نحو نصف قرن حتى أنهكت قواهم وورثتها الدولة الأيوبية التي كانت ثمرة طيبة من ثمارها .

### موقعة حطين :

لم تخل الفترة التي قضها صلاح الدين في توحيد القوى الإسلامية (٥٧٢ - ٥٨٢ هـ) من حروب بينه وبين الصليبيين . وفي سنة ٥٧٦ هـ عقدت هدنة بين صلاح الدين وبين

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٣٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ص ٥٨ .

(٣) ابن الأثير : تاريخ الأتابكة ص ٢٢ .

«بلدوين الرابع» ملك بيت المقدس «ريموند» أمير طرابلس لمدة سنتين ولكن أرناط «ريجينالد» أمير حصن الكرك الذى يتبع بيت المقدس لم يحترم تلك الهدنة ودأب على مهاجمة القوافل السائرة بين دمشق والقاهرة وفى السنة التالية لعقد الهدنة عزم على توجيه حملة الى بلاد الحجاز ولكن عز الدين فرخشاہ ابن أخى صلاح الدين ونائبه على دمشق علم بذلك فأغار على حصن الكرك وشغل أرناط عن تنفيذ ما عزم عليه (١) .

وفى العام التالى لهذه الحادثة اتجه أرناط على رأس حملة بحرية إلى شواطئ الحجاز يريد غزومكة والمدينة . وكان صلاح الدين بالموصل وقتئذ ونائبه فى مصر أخوه العادل فأرسل العادلاً أسطولاً التقى بأسطول الصليبيين شمال ينبع وهزمه هزيمة ساحقة وأسر كثيراً من بحارته وفر أرناط بمن بقى معه (٢) .

وعلى الرغم من استنجاد «رايموند» الثالث أمير طرابلس بصلاح الدين ليساعده على تولى ملك بيت المقدس الذى تولاه «جاي دى لوزينيان» بمساعدة أرناط فان صلاح الدين لم يشأ أن يتدخل فى شئون الصليبيين الداخلية تمسكاً بالأخلاق الإسلامية التى تدعو الى الوفاء بالعهد .

وفى سنة ٥٨٢ هـ هاجم أرناط قافلة من الحجاج المسلمين كانت تعبر بلاده فى طريقها الى مكة ونهبها وأسر كثيراً من أفرادها فأرسل اليه صلاح الدين يطلب إطلاق سراح الأسرى فلم يفعل فغضب صلاح الدين واستعد للحرب ونذر أن يذبح أرناط بيده إن أظفره الله به (٣) .

ولما علم الصليبيون باستعداد صلاح الدين لحرهم اجتمعوا فى بلدة صفورية على مقربة من عكا ليدرسوا الموقف ويقرروا الخطة التى يسرون عليها إذا هاجمهم صلاح الدين فأشارت الأقلية - وعلى رأسها أرناط - بمهاجمة صلاح الدين ولكن الأكثرية - وعلى رأسها جان دى لوزينيان - رأت أن يقف الصليبيون موقف الدفاع . غير أن أرناط أثر على الملك فانحاز اليه وترجحت كفة الداعين للهجوم وتقدم الجيش الصليبي وعسكر على تل قريب من قرية ( حطين ) .

أما صلاح الدين فإنه فتح مدينة طبرية سنة ٥٨٣ و لكن قلعتها لم تسلم ففك الحصار عنها واتجه نحو معسكر الجيش الصليبي وهاجمه هجوماً عنيفاً وأنزل بالصليبيين هزيمة ساحقة وقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً من بينهم أرناط وجاي دى لوزينيان . وقتل السلطان أرناط بيده

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البر ج٣ ص ٦٣ .

(٢) المقرئى : كتاب السلوك ج١ ص ٧٦ - ٧٨ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ج٣ ص ٧١ .



وفاء بنذره . ولما رأى ملك بيت المقدس ما حل بأرناط ارتعدت فرائصه ولكن صلاح الدين آمنه على حياته (١) .

### أثر الموقعة :

أحرز صلاح الدين في موقعة ( حطين ) نصراً بيناً على الصليبيين فأصبح من السهل عليه أن يوالى انتصاراته عليهم بعد أن أباد معظم جيشهم في الموقعة فرجع الى طبرية وشدد الحصار على قلعتها حتى سلمت ثم رحل الى عكا وضرب الحصار عليها حتى فتحها واستنقذ منها أسرى المسلمين وكانوا زهاء أربعة آلاف . وخير أهلها من المسيحيين بين الرحيل عنها بأموالهم وما يستطيعون حمله من أمتعتهم وبين الإقامة بها على أن يدفعوا الجزية فاختر معظمهم الرحيل خوفاً من أن يغدر بهم صلاح الدين . وتسلم السلطان المدينة ثم أخضع معظم المدن الساحلية مثل قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وغيرها (٢) .

ثم حاصر السلطان مدينة عسقلان ووعده « جاي دى لوزينيان » باطلاق سراحه إن هو أقنع أهلها بالتسليم فسلموا على الشروط التي سلمت بها عكا من قبل وبر صلاح الدين بوعد ملك بيت المقدس فأطلق سراحه بعد سنة من تسليم عسقلان ويعد أن أخذ عليه عهداً ألا يشترك في حرب ضده ولكنه نقض العهد وحارب السلطان بعد ذلك (٣) .

وكان صلاح الدين قد قضى على زهرة الجيش الصليبي في موقعة حطين واحتل المدن الساحلية القريبة من بيت المقدس وسيطر على الطرق المؤدية إليها وبذلك تهيأت الفرصة لفتحها فتقدم إليها وحاصرها أسبوعاً فاستسلمت حاميتها وطلب أهلها الصلح فأجابهم صلاح الدين وأمهل من أراد الجلاء من أهلها أربعين يوماً وشرط عليهم أن يدفعوا قبل رحيلهم فدية مقدارها عشرة دنانير عن الرجل وخمسة عن المرأة وديناران عن الطفل ذكراً كان أو أنثى فمن دفع سمح له بالخروج ومن لم يدفع أخذ أسيراً وأعفى من الفدية الشيوخ والعجزة والفقراء .

وتم تسليم المدينة في أواخر رجب سنة ٥٨٣ هـ وخلص صلاح الدين من كان فيها من أسرى المسلمين وكانوا زهاء ثلاثة آلاف (٤) .

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج٣ ص ٧١-٧٢ .

(٣) المقرئ : كتاب السلوك ج١ ص ١٧٢ .

(٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٦ ، ٦٧ .

وكان سقوط مدينة بيت المقدس عاصمة المملكة الصليبية في يد صلاح الدين ايذاناً  
بجلائهم عن الشرق ورجوعهم من حيث أتوا وقد سر المسلمون سروراً عظيماً لهذا النصر  
المبين .

ولما دخل صلاح الدين المدينة حافظ على ما بها من آثار وعمر ما تخرب منها في أثناء  
الحصار ثم أرسل أخاه العادل لفتح حصن الكرك ففتحه سنة ٥٨٤ هـ وتوجه هو على  
رأس بقية الجيش الى مدينة صور وحاصرها وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من  
البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الامدادات كانت تأتيها عن طريق البحر  
ف فك عنها الحصار (١) .

### الحملة الصليبية المعروفة (بالثالثة) سنة ٥٨٧ هـ :

لقد أثار سقوط بيت المقدس في يد صلاح الدين أوروبا فتناسى ملوكها ما بينهم من  
عداوات وقاد الجيوشن للثأر من المسلمين كل من ( فردريك بربروس ) امبراطور ألمانيا  
ورثشارد الأول (قلب الأسد) ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا . وكان هؤلاء  
الملوك الثلاثة أقوى ملوك أوروبا الغربية وكانت حملتهم أكثر الحملات الصليبية عدداً .  
وكان فردريك أول من اتجه إلى الشرق سالكاً الطريق البرى عبر أوروبا الشرقية  
وآسيا الصغرى ولكنه غرق عندما كان يعبر أحد الأنهار في كيلىكيا فعاد معظم جيشه إلى  
ألمانيا (٢) .

أما ملكا فرنسا وانجلترا فانهما ركبا البحر من مرسليليا ووصلا بجيوشهما إلى جزيرة  
صقلية واستراحا بها فترة ثم غادراها دون أن يتفقا على خطة معينة فتوجه فيليب أغسطس  
نحو عكا مباشرة وعرج ورثشارد على جزيرة قبرص واحتلها ليتخذها قاعدة لأسطوله يهاجم  
منها فلسطين .

اتفق الصليبيون الذين كانوا بالشام مع ملك فرنسا ومن وصل اليهم من بقايا جيش  
امبراطور ألمانيا على حصار عكا ونقض جاي ذى لوزينان ملك بيت المقدس عهده لصلاح  
الدين عندما فك أسره وحاصر المدينة سنة ٥٨٦ هـ وفي اليوم التالى لحصارها وصل صلاح

(١) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٨٣٩ ، ٨٤٠ .

الدين لانقاذها وضرب خيامه في مواجهة العدو واشتدت المعارك براً وبحراً بين المهاجمين والمدافعين . وبعد فترة وصل رتشارد بجيشه ففرح الصليبيون بقدمه وقوى جانبهم وقد استبسلت حامية المدينة في الدفاع عنها وكانت أوامر صلاح الدين تصل الى الحامية بواسطة السباحين وحمام الزاجل (١) . وقد استمر الحصار الى سنة ٥٨٧ هـ وساعد الفرنج على مداومته سيطرتهم على البحر .

ولما اشتد الضيق بحامية المدينة وعجز صلاح الدين عن ارغام الفرنج على فك الحصار عنها سلمت على أن يفتدى أهلها أنفسهم بمائتي ألف دينار وألف وستمائة أسير من أسرى الفرنج من بينهم مائة شخص طلب فداؤهم بالذات وأن يرد المسلمون صليب الصلבות الذي كانوا قد أخذوه عندما فتحوا مدينة بيت المقدس (٢) .

أخذ صلاح الدين يجمع المال ليفتدى حامية عكا ولما انقضى شهر ولم يدفع الملك المبلغ المتفق عليه أمر رتشارد بقتل ألفين وسبعمائة من أسرى المسلمين ولم يكن كريماً في معاملته للأسرى المسلمين كما فعل صلاح الدين بعد فتحه لبيت المقدس مع الأسرى الفرنج حيث أطلق آلافاً منهم عجزوا عن افتداء أنفسهم (٣) .

وقد أصبحت عكا بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى . وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب ديب الشقاق بينهم ورجع ملك فرنسا الى بلاده وبقي (رتشارد) واستولى على مدينتي أرسوف ويافا وعزم على استرداد بيت المقدس فوجه صلاح الدين همته الى تحصين المدينة والدفاع عنها ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدين الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحري كبير يحمي به المدن الساحلية .

### صلح الرملة :

كان رتشارد شديد الرغبة في فتح بيت المقدس ولكنه لم يكن واثقاً من الظفر بأمنيته ففكر في حيلة تحقق له بعض ما يتمناه وأقترح أن يزوج أخته من العادل أخى صلاح الدين

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٠ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدين ج٢ ص ١٨٩ .

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج٢ ص ٨٤١ .

على أن يحكم الاثنان بيت المقدس ولكن هذا الاقتراح رفضه المسيحيون والمسلمون على السواء (١) .

ثم حدثت بعض المعارك بين جيش رتشارد وجيش المسلمين وكان رتشارد وصلاح الدين يتبادلان الهدايا والمكاتبات رغم الحرب الدائرة بينهما (٢) .

ولما سئم كل من الطرفين الحرب دخلا ثانية في مفاوضات انتهت بعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ على شروط أهمها ما يلي :

١ - أن تخرب مدينة عسقلانة التي كانت قد وقعت في أيدي الصليبيين وكان بقاء هذه المدينة محصنة خطراً على بيت المقدس لأنها مفتاحه .

٢ - أن يستولى الصليبيون على المدن الساحلية من صور شمالاً إلى يافا جنوباً وأن تبقى المدن الساحلية الواقعة جنوب يافا في أيدي المسلمين .

٣ - أن يمكن المسيحيون من الحج إلى بيت المقدس وألا يتعرض لهم المسلمون بأذى

هذا كل ما تمخضت عن الحملة الصليبية المعروفة (الثالثة) . يقول المؤرخ الانجليزي المعروف (فيشر) معلقاً على فشل هذه الحملة ومن هذه النتيجة الضئيلة تتضح شناعة الخاتمة التي حلت بما عقد على تلك الحملة من آمال كما تتضح فداحة الدليل على عجز أوروبا عن توحيد المسيحية الغربية وتوجيهها نحو هدف عام (٣) .

الأيوبيون والمماليك يواصلون جهاد الصليبيين : -

لم يعمر صلاح الدين طويلاً بعد صلح الرملة بل وافته منيته في صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن بدمشق وتوارثت أسرته حكم الأمبراطورية التي أنشأها وحملت لواء الجهاد ضد الصليبيين وصدت كل ما وجهوه إلى الشام ومصر من هجوم وكان آخر أبطالهم المعظم توران شاه بن السلطان الصالح أيوب الذي أظهر بطولة نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة (٤)

(١) أبو الفدا : المختصر : ج٢ ص ٨٠ .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٢٢٩ .

(٣) تليخ أوروبا في العصور الوسطى ج٢ ص ١٨٨ .

(٤) المقرئزي : كتاب السلوك ج١ ص ٣٥٦ .

وكان السلطان الصالح أيوب قد أكثر من شراء المماليك ورقاهم إلى أعلى رتب الجيش وكانوا أطوع له من بنائه وأكثر الناس ولاء له وقد أبلوا بلاء حسنا في محاربة الصليبيين وكانوا من أقوى العناصر التي ساعدت على هزيمتهم فقوى مركزهم وطمعوا في انتزاع الملك من الأيوبيين بعد موته فلما أراد ابنه توران شاه أن يفرض عليهم نفوذه وسيطرته قتلوه بعد بضعة عشر يوما من انتصاره على الصليبيين وهو ما يزال في أرض المعركة وقبل أن يعود إلى القاهرة (١) .

وبعد قتل السلطان توران شاه نادى المماليك بشجرة الدر أم ولد السلطان نجم الدين أيوب سلطانة على مصر وما يتبعها من بلاد الشام ويعدها أكثر المؤرخين آخر سلاطين الدولة الأيوبية لأنها زوجة الصالح أيوب .

ولما علم الخليفة العباسي المستعصم بالله بسلطنة شجرة الدر أنكر ذلك إنكارا شديداً (٢) ، فرأت أن بقاءها في السلطنة غير ممكن فتزوجت من معز الدين أيبك التركمانى

أحد أمراء المماليك وتنازلت له عن السلطنة وبذلك انتقل الملك من الأيوبيين إلى المماليك .

وقد واصل المماليك الجهاد ضد الصليبيين ففتح الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) كثيراً من مدنهم وأهمها قيسارية وأرسوف وصفد وطبرية ويافا وأنطاكية وفتح المنصور قلاوون (٦٧٩ - ٦٨٩ هـ) طرابلس وعزم على حصار عكا ولكن المنية عاجلته (٣) . وخلفه ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ) فحاصرها نحو شهر حتى فتحها سنة ٦٩٠ هـ . وكانت عكا آخر معقل للصليبيين في بلاد الشام فلما تم فتحها سلم ما بقى من أيديهم من المدن في ظرف شهرين دون مقاومة وقضى على دولتهم القضاء الأخير (٤) .

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج٢ ص ٤٥ .

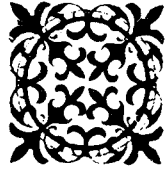
(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٦ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٣٢١ - ٣٢٥ .

(٤) أبو الفدا : المختصر ج٤ ص ٢٤ ولأبى الفدا أهمية خاصة في تدوين هذه الوقائع لأنه اشترك في المعارك التي دارت بين المسلمين وبين الصليبيين في أواخر عهد قلاوون وعهد ابنه الأشرف خليل .

وهكذا واصل المسلمون الجهاد حتى استردوا ما اغتصبه الصليبيون من بلادهم ولم  
يهنوا امتثالاً لقول الله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ (١)  
وواصلوا جهادهم واثقين بوعده الله للمجاهدين في سبيله بالنصر حيث يقول جل شأنه  
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴿ (٢)

فلعل المسلمين أن يقتدوا بأسلافهم ويوحدوا جهودهم ليخلصوا بلادهم من الصهاينة  
كما فعل أسلافهم من قبل مع الصليبيين ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء  
وهو العزيز الرحيم ﴾ (٣)



## الشهادة على سمكة

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربي . عند القزويني - أنه ركب بحر  
المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلى معه سنارة  
فألقاها في البحر فصاد بها سمكة نحو البشر فنظرنا . فاذا خلف أذنها اليمنى  
مكتوب لا إله إلا الله وفي قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله .

القزويني ص ١٧٧

(١) سورة الأعراف آية ١٣٩ .

(٢) سورة الحج آية ٤٠ .

(٣) سورة الروم آية ٥ .

# لماذا كانت الهجرة إلى الحبشة؟

للسيد عبد الكريم عبد السلام  
بالدراسات العليا بالجامعة

إن الهجرة في الإسلام ليست مجرد ترك الوطن أو الابتعاد عن الأهل والعشيرة ، أو الزهد في المال لأنها إذا كانت كذلك فلا ميزة لها ولا أهمية في الإسلام .  
فالهجرة في الإسلام تحتوى على معانٍ عظيمة وتهدف إلى تحقيق أهداف سامية ، فلها أهمية خاصة في نظر الإسلام ، ومعيار لقوة الإيمان وضعفه ، وفارقة بين الصادق المخلص والمدعى الخادع ، ووسيلة من وسائل نصرة العقيدة التي آمن بها المهاجر مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة مضحيا في سبيل ذلك بكل ما يملك .

ولعلنا نستطيع أن نستشف ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن شأن الهجرة لشديد » (١) . فلم تكن الهجرة إلى الحبشة والطائف وكذلك الهجرة إلى المدينة إلا لأجل تحقيق المبادئ التي دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم الناس إليها لتكون لهم عقيدة وسلوكاً . ولما انتهت دواعي ذلك ، أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » (٢) .

وسنرى فيما يأتي في ضوء هذه المقدمة ، ماهي الأهداف من الهجرة إلى الحبشة ؟  
وإلى أي مدى تحققت ؟ ...

قطعت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مرحلتها السرية ، وشوطا من طورها الجهرى ، بعد مضي نحو خمس سنوات من بدايتها ، وقد سعت قريش بجميع عروضها المغرية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم لتعطيل حركة الدعوة ، ووقف سيرها ، وهي تعلم أن ما تصبو إليه بعيد المنال ، فأكبت على المسلمين بضروب من العذاب وفنون من الأذى والنكال

(١) البخارى ، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل ( ويملك ) ج ١ ص ٥٥١ . رقم الحديث (٩١٦٥) ومسلم

الجامع الصحيح ، كتاب الامارة ، باب المبايعه بعد فتح مكة على الاسلام والجهاد والخير ج ١٣ ص ٩ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح كتاب الجهاد ، باب وجوب النفير ج ٦ ص ٢٧ . رقم الحديث (٢٨٢٥) ومسلم . المرجع السابق ص ٨ .

، مع قلة عددهم ، وضعف قوتهم المادية ، وأخذت تمارس الوانا من الايذاء الموجه ، والتعذيب المهلك ، ضد جماعة المؤمنين حتى بلغ أذاهم مبلغا يذيب الصخر ، ويفتت الجبال الراسيات ، فصبروا على هذا الابتلاء دون وهن ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه ، وحماية عمه أبى طالب ، لا يصل اليه شيء يكرهه مما ينال أصحابه ، ولم يكن يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء .

فأرى من حسن السياسة أن يبعد أصحابه عن مكة ليرتاحوا فترة من الزمن حتى يقضى الله بأمره ، ولم يكن ذلك الا بوحى من الله تعالى ، فالقرآن كان قد بدأ يهيبه نفوس المسلمين لتترك الوطن والأهل والمال في سبيل الله ، بحيث لا تكون هذه الأشياء عقبة في سبيل نشر الدعوة وإقامة شعائرها ، فقال الله تعالى : « قل يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، فإياى فاعبدون . كل نفس ذائقة الموت ، ثم اليانا ترجعون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفا ، تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، نعم أجر العالمين ، الذين صبروا ، وعلى ربهم يتوكلون ، وكأين من دابة لاتحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم ، وهو السميع العليم » (١) . وقال : « قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (٢) .

بعد هذه التوجيهات والتلميحات قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه (٣) . فخرجت (٤) عند ذلك جماعة من المسلمين في رجب من السنة الخامسة من البعثة الى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، إلا أنهم - بعد ثلاثة أشهر رجعوا إلى مكة لما بلغهم من إسلام أهلها ، حتى إذا دنوا منها ، عرفوا عدم صحة ما بلغهم من إسلام هؤلاء ، فلم يدخل فيها أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيا ، وعاد بعضهم الآخر إلى الحبشة ثانية (٥) .

(١) أنظر : الطبرى . جامع البيان ج ٢١ ص ٧٠٧ . والقرطبي . جامع أحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٥٧ . وابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤١٩ . والألوسى . روح المعانى ج ٢١ ص ٩ . والشوكانى . فتح القدير ج ٤ ص ٢١٠ . وصدیق حسن خان . فتح البيان ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) أنظر : الطبرى . جامع البيان ج ٢٣ ص ١٣٠ . وابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٧ . وسيد قطب . في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٠٤٣ . والمودودى . تفهيم القرآن ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٣) ابن اسحاق . السيرة ص ١٩٤ .

(٤) أنظر : ابن الأثير . الكامل ج ٢ ص ٧٧ . وابن سعد . الطبقات ج ١ ص ٢٠٤ . وابن كثير . السيرة ج ٢ ص ٣ . وشبلى النعمانى . السيرة ج ١ ص ٢٧٣ . والمودودى . السيرة ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٥) أنظر : ابن هشام . السيرة ج ١ ص ٢٨٢ . وابن سعد . الطبقات ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ . وابن الأثير . الكامل ج ٢ ص ٧٧ .



ثم إن هؤلاء العائدين الى مكة ، لم يلقوا من قريش إلا ما كانوا يواجهون من قبل من  
عنف وتعسف ، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج مرة ثانية الى أرض الحبشة ،  
فخرج (١) هذه المرة حوالى ثمانين رجلاً وبضع عشرة نسوة . بعد مقارنة الروايات في هذا  
العدد يبدو أن جميع المهاجرين الذين أقاموا في الحبشة ، يبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً ،  
وثمانى عشرة نسوة ، منهم احدى عشرة امرأة قرشية ، وسبع نسوة غير قرشية . ونزلوا جميعا في  
جوار النجاشى ، فكانوا في خير دار الى خير جار ، آمنين أحرارا على دينهم ، ولم يخشوا ظلما  
ولم يسمعوا مكروها ، بل كان لهم عنده منزلة ، وكان يرسل اليهم فيسألهم عما يريدون (٢) .

ولم تكن الهجرة الى الحبشة اعتباطا أو فرارا كما يظنه بعد الكتاب - مؤولا ذلك الى  
الفرار بالدين ، ولكنها كما يبدو بعد إمعان النظر - وقعت بعد دراسة عميقة دقيقة قام بها  
الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى . وقد دل تحقق النتائج التى توقعها النبي  
صلى الله عليه وسلم لهذه الهجرة على مدى عمق تفكيره ، وحسن تدييره ، وإداركه الأمور ،  
واتخاذة اسلوبا حكيما موافقا للظروف القائمة في نطاق وحي الله تعالى .

فالهجرة كانت ذات نتائج عظيمة ، ولم تكن مجرد فرار بالدين مخافة الفتنة ، أو  
طلبا للمأوى في الحبشة فحسب ، أو لم تكن أسبابها ما قاله المستشرقون كذبا واقتراء على  
الإسلام لاطهار ضعف أهله ، والتشكيك في نوايا دعائه . وخلاصة أقوالهم : أن تلك الهجرة  
كانت للأسباب التالية :

أولا : الهروب من الاضطهاد ...

ثانيا : البعد عن خطر الارتداد .

ثالثا : ممارسة النشاط التجارى .

رابعا : السعى للحصول على مساعدة عسكرية من الأحباش .

خامسا : نشوء اختلاف شديد بين المسلمين آنذاك .

ولم يكن كل من خرجوا في هذه الهجرة فقراء ، ليس لهم منعة ولا قوة ، بل كان  
أكثرهم ذوى شرف ومكانة في قومهم ، وأولى ثروة ومال ، وكان لهم من عصبتهم ما يدفع الأذى  
عنهم إلى حد كبير أمثال : عثمان بن عفان ، وابن عوف ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله  
عنهم ممن هم في الذروة من النسب ، ولهم مكانة وجاه بين قريش . أما الموالى المستضعفون  
الذين لاقوا التعذيب فلم يهاجر منهم إلا قليل ، وقد كانوا أحق بالهجرة والنجاة من غيرهم ،

(١) ذلك في بداية السنة السادسة من النبوة . أنظر : المودودى . السيرة ج ٢ ص ٥٨١ .

(٢) اليعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٢٩ .

فلماذا هاجر الأقوياء وبقي المستضعفون ، ان كان الفرار هو الهدف من الهجرة ؟ ... ولماذا هاجرت نساء من بين أشرف قريش كرقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأسماء بنت عميس رضی الله عنهن . ولم تتعرض احداهن لأذى أو فتنة ؟ (١) .

وعلى هذا يبدو أن إيذاء قريش للمسلمين لم يكن هو وحده السبب للهجرة ، بل كانت هناك عوامل أخرى سيأتى ذكرها .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هجرة المهاجرين إلى الحبشة مثل هجرة المهاجرين الى المدينة التي لا تخفى أهميتها على أحد ، حيث صرح بذلك حينما ذكرت له أسماء بنت عميس قال لها عمر : ( سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله عنكم ) . فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس بأحق بى منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أصحاب السفينة هجرتان » (٢) .

ولنوجز الأسباب الظاهرة التي من أجلها أذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة ، وخاصة إلى الحبشة ، وذلك فيما يلي :-

أولاً : اشتد تعذيب قريش على المسلمين ، وطفحت كأس صبرهم ، حتى جاءوا يسألون النبي عليه الصلاة والسلام : متى يأتى نصر الله ؟ فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة صونا لدينهم ، وحماية لهم من أذى قريش . وتلك سنة من الله شرعها لمن ضيق عليه إلى يوم القيامة ، عند عجزه عن الظهور بدينه ، إذا منعه أهل الباطل من العمل به ، أو الدعوة إليه (٣) .

ثانياً : أراد الرسول صلى الله عليه وسلم انقاذ الدعوة من اجهاضها في أيامها الأولى ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتزايدون كل يوم ، ولو بقوا كلهم بمكة ، لشعرت قريش بخطرهم عليها ، فتقوم بحرب استئصال لهم باسم الآلهة ، وربما أيدهم العرب في ذلك (٤) .

ثالثاً : يبدو أنه كان من الممكن أن يترتب على هجرتهم اثاره العاطفة الجياشة إزاء الأهل والأقرباء واستغلالها أحسن استغلال ، فتراود قريش نفسها في أمر هؤلاء المهاجرين الذين تربطهم بهم رابطة الرحم ، فقد تمتنع عن ايذائهم .

(١) أنظر : عبد الرؤوف شلبي . الدعوة الاسلامية في عهدها المكى ص ٣٢٧ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح ، كتاب المغازى . باب غزوة خيبر ، رقم الحديث (٤٢٣٠ - ٤٢٣١) ج ٧ ص ٤٨٥ . ومسلم الجامع

الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل جعفر وأسماء وأهل السفينة ج ١٦ ص ٦٥ .

(٣) أنظر : عبد العزيز بن راشد . أصول السيرة المحمدية ص ٤٤ ، وظافر القاسمى . نظام الحكم في الشريعة ص ٢٨ .

(٤) أنظر : محمد رواس قلعة جى . التفسير السياسى للسيرة ص ٦٦ .

والحق أنه كان لذلك أثر كبير في قلوب القرشيين ، فلم تبق دار أو أسرة إلا وتأثرت بهذا الحادث الأليم ، إلا أن هذا التأثير كان مختلفا من بيت إلى آخر ، فمن هؤلاء من ازداد غيظا على المسلمين فزاد في تعذيبهم ومنهم من شعر أنه من الظلم اجبار الناس على مفارقة الأهل والوطن ، فرقت قلوبهم للمهاجرين ، وأصبح ذلك سببا إلى اعتناقهم الإسلام (١) .

ألا ترى لما خاب أمل الوفد المبعوث من قبل قريش إلى نجاشى الحبشة في اليوم الأول ، قال عمرو بن العاص أحد العضوين للوفد : ( والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم ) . فقال صاحبه عبد الله بن أبي ربيعة : ( لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا ) (٢) . وان في خبر زوجة عامر بن ربيعة مع عمر بن الخطاب لأبلغ دليل على الأسف الذى داخل بعض قلوب الكفار من مغادرة ذوى أهلهم وهجرتهم الى الحبشة . وذلك انه مر عمر بن الخطاب بأمر عبد الله بن عامر وهى تستعد للرحيل الى الحبشة ، وكان زوجها قد خرج لقضاء بعض حاجاته ، فقال لها عمر : انه للانطلاق يأم عبد الله ، فردت عليه وذكرته بالأذى والبلاء والاهانات التى يتعرضون لها . وقالت : نعم والله لنخرجن في أرض الله ، أذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ومخرجا ، فقال : صحبتكم الله . فأحست رقة في نبرات عمر لم تكن تعهدها من قبل وقد عرفت عنه قسوته على المسلمين ، فلما عاد زوجها أخبرته بما بدا على عمر ، وقالت : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ، قالت : نعم . قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

رابعا : ان في خروجهم إلى الحبشة إشارة إلى حقيقة كبرى ، وهى أن الدعوة الاسلامية لم تكن لتتحصر في مكة أو الجزيرة العربية أو أى بقعة خاصة في الأرض ، بل إنها موجهة إلى جميع العالم ، ولهذا لما وصل المهاجرون الى أرض الحبشة لم يكونوا صامتين ، أو قائلين بالشعائر في مجالسهم فقط ، أو عاكفين في بيوتهم فحسب ، بل أظهروا مظاهر الإسلام . ومن نتائج واقعهم هذا قدوم وفد النصارى إلى النبی صلى الله عليه وسلم في مكة ، واسلام النجاشى حتى أصبح داعيا الى الإسلام ، فكان عمرو بن العاص من الذين أسلموا على يديه ، كل ذلك من نتائج جهود المسلمين المهاجرين وأثارها (٣) .

(١) أنظر : جلال مظهر ، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص ٦٤ . المودودى ، السيرة ج ٢ ص ٥٨٦ . وأمين أحسن

الاصلاحي ، الدعوة الى دين الله وأساليبها ص ٢١٥ . والدكتور على حسنى الخريطلى ، الرسول في المدينة ص ٨١ .

(٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٣٤٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) أنظر : يحيى بن أبى بكر العامرى ، بهجة المحافل ج ١ ص ٣٢٦ . ومحمد اسماعيل ابراهيم ، سيرة الرسول صلى الله عليه

وسلم ص ٨٠ ، وعطية محمد سالم ، معالم على طريق الهجرة ص ١٨ .

**خامسا :** ومن عواملها : أخذ التجربة لنشر الدعوة في موطن جديد ، مع الابقاء على ضعفه المسلمين ويؤيد هذا القول أن الهجرة جاءت بعد أن لم يستجب للدعوة الا قليل ، ويشهد لهذا - أيضا - ما سبقت الإشارة اليه من أنه لم يهاجر كل الضعفة المعذبين ، اذ ما كل مستضعف كان يلوذ بالفرار والهجرة بما يدل عليه ما جرى لعثمان بن مظعون الذي كان في جوار من الوليد بن المغيرة .

وذلك أنه لما رأى ما فيه أصحابه صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد ، فقال : هذا نقص كبير في نفسى ، فرد اليه جواره . ( أنظر : ابن هشام ، السيرة ج ١ ص ٣٨٦ ) .

**سادسا :** وشيء آخر ذو بال يلمح من الهجرة الى الحبشة ، الأ وهو الجانب الاعلامى لأمر الدعوة الإسلامية بحيث ينتشر عند العرب وغيرهم أمر هؤلاء القوم الذين أتوا النجاشى وظفروا بحمايته ، من هم ؟ ولماذا جاءوا ؟ وبماذا جاءوا ؟ . وتتناقل الألسنة هذا الخبر من مكان الى آخر ، فيصبح ذلك بمثابة الاعلام الناجح عن وجود هذه الدعوة الاسلامية ، فيترتب على ذلك انتشارها في اماكن مختلفة ، وهذا كسب عظيم .

وهذا الأمر زاد من قلق قريش ، فقد أشاعت هذه الهجرة في أهل مكة جوا من الخوف ، وزلزلة في القلوب ، حتى ترك رجال قريش حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ؟ .

لقد أحس الملأ من قريش أن الزمام أخذ يفلت منهم ، وأن هؤلاء الذين احتموا بأرض الحبشة من المسلمين سيكونون - بلا ريب - دعاية حسنة لدعوة الاسلام ، فليس يبعد أن يتأثر الأحباش بدعوتهم فيسلموا ، وينتشر الإسلام ، فيصير المسلمون قوة وكثرة ، وتصبح لهم قاعدة اسلامية هناك ، ولقد أسقط في يد قريش عندما رجع رسولاها من عند النجاشى بدون جدوى ففى هذا الجو الغاضب الحائر قرروا أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب بالصحيفة الظالمة .

**يقول أمين دويدار :** ( كانت هواجس الخوف من هجرة المسلمين الى الحبشة تقلق بال قريش ، وتزعج أمنها واستقرارها ، حتى تركتها في اضطراب دائم ، وبلبله مستمرة ، وأغلقت منافذ التفكير على ذوى الرأى فيها ، وحرمتهم التوفيق في كل ما كانوا ياتون ، ويدعون من الأمر ، فكانوا يقدمون على شىء يظنون أن فيه النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله ، فينقلب عملهم خيرا له وشرا عليهم ) ( ١ ) .

( ١ ) صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٦٢ .

والحقيقة أن هذه الصحيفة كانت دعاية لصالح المسلمين بين الوافدين الى مكة ، وتبين الناس ظلم قريش وعدوانها ، حتى أدى ذلك الى شعورها بالخزى .

وها أذكر الآن بعض الأسباب التي من أجلها اختار النبي صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة لتكون هي المهجر الأول للمسلمين فيما يلي : -

**أولاً :** اختارها لعدم وجود قبائل عربية مستقرة فيها ، فتمتكن قريش عن طريقها من النيل من المسلمين وتكون الهجرة سببا في إثارة المتاعب في وجوه المهاجرين ، أما الجزيرة العربية - إذ ذاك - فلم تكن مهياة للهجرة إليها ، بل ربما كان من المحقق أن تجامل قريشا لمكاتها وعظمتها لديهم ، بسبب سداتها البيت وسيادتها الدينية وكونها من ولد اسماعيل . أما العراق والشام فكان يعوزهما الاستقرار السياسي ، إذ كانت الحروب والاضطرابات مشتعلة فيها ، فالهجرة إليهما لا تحقق الغرض المقصود ، بل إنها تكون أشد خطراً من الإقامة في مكة نفسها ، فضلا عن أنه كانت هناك بينها وبين قريش علاقات تجارية قديمة وغير تجارية مما يجعل العراق والشام تبادران إلى إجابة مطالب قريش . كذلك كانت دولة الفرس قائمة وما كانت تدين بدين سماوى . فما كانت الهجرة كذلك تصلح لديهم . كل ذلك يدل على أن الهجرة إلى هذه الجهات كانت أمراً غير مأمون العواقب ، ثم إن المهاجرين لا يمكنهم اختراق شبه جزيرة العرب إلى هذه الجهات النائية دون التعرض للقرشيين وحلفائهم (١) .

**ثانياً :** كان ملك الحبشة أصحمة النجاشي عالماً بالتوراة والانجيل ، ومعروفاً بحب العدل وتحري الحق ، ولم يكن يخشى لديه ظلم أحد - كما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا يظلم عنده أحد ) . وقد كان أهل مكة يعرفونه لصلاتهم التجارية بالحبشة .

**ثالثاً :** أنهم كانوا على شيء من دين المسيح عليه السلام ، وهم أقرب مودة وأقل عداوة من اليهود والمشركين وغيرهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الود فقال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٢) .

(١) أنظر : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، السيرة المحمدية الخالدة ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، وعلى حسنى الخرطلى ، الرسول في

المدنية ص ١٩ .

(٢) قد ذهب أهل التفسير أنها نزلت في حق النجاشي . أنظر : الطبرى ، جامع البيان ج ٧ ص ٢ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام

القرآن ج ٦ ص ٢٥٥ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٨٥ .

رابعاً : لجوء المسلمين المهاجرين إلى أرض آمنة ، يجدون فيها الراحة والحماية - الأمر الذى يشجع أهل مكة الخائفين من اعتناق الدين الاسلامى أن يعتنقوه ويلحقوا بهؤلاء المهاجرين .

وبعد هذه الدراسة يبدو - في الحقيقة - أن هجرة المسلمين الى الحبشة لم تكن لغرض دنيوى ولا اقتصادى ولا عسكرى ، ولم تكن لجوء سياسيا بحتا ، بل أنها كانت بمثابة أسلوب من أساليب الدعوة التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث كانت لها فوائد جمة وكانت نقلة كبرى ، وإنقلابا خطيرا في محيط المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون في مكة المكرمة .



### هكذا كان حكام المسلمين

يروى التاريخ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كان يجتاز الطريق يوما ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة تناديه وتقول : رويدك عمر حتى اكلمك كلمات قليلة ، ويلتفت عمر وراءه ثم يقف حتى تبلغه المرأة . فتقول له وهو مصغ مبتسم : يا عمر عهدى بك وانت تسمى عميرا تصارع الفتيان في سوق عكاظ فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية واعلم ان من خاف الموت خشى الفوت . فقال لها الجارود العبدى : لقد اجترأت على امير المؤمنين . فجذبه عمر من يده وهو يقول : دعها فانك لا تعرفها هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات وهى تجادل رسول الله في زوجها وتشتكى الى الله . فعمر والله حرى ان يسمع كلامها .

# مُوجَزٌ لِتَارِيخِ الْقُدْسِ حَتَّى بَفَتْحِ الْإِسْلَامِ

لِلدُّكْتُورِ نَفِيسِ هَمَامِ الرَّاحِمِيِّ  
أَسَازِيسَاعِدِ بَكَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَسْوَلِ الدِّينِ

بنى اليبوسيون - وهم عرب كنعانيون - مدينة القدس قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف سنة ، وأحاطوها بالأسوار مما زاد في منعها<sup>(١)</sup> . وقد كانت القدس في ذلك العهد على طريق تربط مصر ببلاد الشام ، تبدأ من بحيرة التمساح ، مارة بسيناء ، وبئر السبع ، والخليل ، وبيت لحم ، والقدس ، والجيب ، وبيتين ، ونابلس ، وتعنك ، حيث تلتقى في مجدومع الطريق الرئيسية الساحلية ، التى تصل بين مصر وبلاد الشام ، وكانت تتصل مع ساحل البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجيب ، بيت عور التحتا ، يالو ، أبو شوشة ، عاقر ، وتتصل بالغور عن طريق مخماس ، أريحا .

والقدس من أقدم مدن الأرض ، وهى أقدم من بابل ونيوى ، وليس أقدم منها إلا «اون» أو «ايوتو»<sup>(٢)</sup> أولى عواصم مصر في فجر التاريخ و«منف» أو «مفيس» ثانى عواصم مصر التى أنشئت حوالى سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد<sup>(٣)</sup> .

لقد بنيت منازل القدس من الحجارة ، وكانت منازل صغيرة ، يتألف المنزل منها من طبقة واحدة ، له في وسطه باحة ، وحوها الغرف . والمدخل في صدر الباحة ، وأحيانا يكون في وسطها بئر تتجمع فيه مياه الأمطار .

وكانوا يأخذون حجارة البناء من الأحجار الكلسية البيضاء لليونتها ، وسهولة نحتها . ولوجود هذه الأحجار في أعماق الصخور<sup>(٤)</sup> ، تمكن اليبوسيون من حفر الأحواض والأنفاق الكثيرة ، مما كان له شأن في تاريخ المدينة . وقد قدرت مساحة المدينة آنذاك ما بين ستة عشر إلى ثمانية عشر فدانا<sup>(٥)</sup> .

كان أهل القدس في البداية يكتفون بمياه الأمطار ، ولما كثر عددهم استفادوا من مياه عين أم الدرج . ولذلك بنوا حوالى عام ألفين قبل الميلاد نفقا<sup>(٦)</sup> يصل بين المدينة وهذه العين ، يسهل وصول السقاة للعين ، ويفيدهم أثناء الحصار . والنفق المذكور هو أقدم ما عثر عليه من ذكر لطريقة الحصول على المياه من العيون والآبار المجاورة للمدينة .

وكان ملكى صادق<sup>(٧)</sup> ملك اليبوسيين ورئيسهم الدينى من الموحدين ، لذلك تكون مدينة القدس أقدم بقعة فى الأرض آمنت بالله الواحد ، ونبتت فيها فكرة التوحيد كما نسب إليه أنه مؤسس القدس<sup>(٨)</sup> التى كانت قبل ذلك صحراء بين أودية وجمال ، فنزل ملكى صادق بكهف من جبالها للعبادة ، واشتهر أمره ، فجاءه ملوك الأرض الذين كانوا بالقرب من القدس ، وكانوا اثنى عشر ملكاً ، فسمعوا منه ، وساعدوه بالأموال على إقامة مدينة القدس ، ثم عينوه ملكاً عليهم وسموه « أبا الملوك »<sup>(٩)</sup> .

وقال مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس « والظاهر أنه أى - ملكى صادق - كان محافظا على سنة الله بين شعب وثنى ، ولذلك كانت له الأسبقية على ابراهيم وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه »<sup>(١٠)</sup> .

وقد كان ملكى صادق قد اتخذ بقعة الحرم الشريف معبداً له يقدم ذبائحه على موضع الصخرة المشرفة<sup>(١١)</sup> . وبذلك يكون العرب الكنعانيون أقدم من قدس هذه البقعة وتعبد فيها ، وذلك قبل أن يقوم سليمان بن داود ببناء هيكله بما يقرب من ألف سنة<sup>(١٢)</sup> .

وهذا يفسر لنا ما أثبتته الحفريات وذكره المحدثون من أن بناء سليمان كان على أساس قديم ، فقال صاحب الأنس : « وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان اياه إنما كان على أساس قديم ، لا أنها المؤسسة له بل مجددان »<sup>(١٣)</sup> . كما ذكر كعب الأحبار - الذى كان من علماء اليهود ثم أسلم - « إن سليمان بنى هيكل بيت المقدس على أساس قديم »<sup>(١٤)</sup>

هذا وقد خضعت القدس للمصريين فى النصف الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عندما طردوا الهكسوس من بلادهم . وفى عهد امنحتب الثالث سنة ١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م تعرضت المدن الفلسطينية الى غارات البدو « الخابيرى » . وفى عهد امنحتب الرابع « أخناتون » ١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م ، تمكن الخابير ومن بسط نفوذهم على معظم مدن فلسطين مما اضطر عبدي خييا الوالى المصرى على القدس أن يناشد أخناتون المساعدة على صدهم ، ولكنه لم يتمكن ، فزال الحكم المصرى عنها ، ولم يعد إلا فى عهد سيسى الأول سنة ١٣١٧ - ١٣٠١ ق.م<sup>(١٥)</sup> .

لقد هاجم بنو اسرائيل فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وأطلقوا اسم « ييوس » على مدينة القدس ، نسبة لاسم زعيم القبيلة الكنعانية العربية التى كانت بها



منذ القدم . وكان أصحابها اليبوسيون قد سموها أوروسالم أى مدينة إله السلام ، وحرف  
المصريون اسمها إلى يوشامام . وقد دخل سيدنا داود مدينة القدس سنة ٩٩٧ ق.م ، وقيل  
سنة ١٠٠٠ ق.م وحاول ازالة طابعها اليبوسى ، وسمى المدينة باسمه « مدينة داود » ،  
وبنى بها قصراً وحصوناً ، وقد بقى بها بعض سكانها الكنعانيون ولم يغادروها . ثم خلفه ابنه  
سليمان بن داود ، الذى ولد ونشأ فيها ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة من سنة ٩٦٣ - ٩٢٣  
ق.م . وبنى فيها هيكله على المكان الذى كان يتعبد فيه ملكي صادق . ولكن هذا المعبد لم  
يكن لجميع بنى اسرائيل إلا فى عهد سليمان ، ثم أصبح بعده معبداً لأقلية منهم فى عهد ولده  
وخليفته رحيعام ، حيث انقسمت الدولة فى عهده إلى مملكة يهوذا فى الجنوب ومملكة اسرائيل  
فى الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس) وقد عاشت قرنين حتى قضى عليها سرجون الثانى  
الأشورى وسبى ٢٥ ألفاً من سكانها وهدم السامرة (شكيم ، نابلس) وأحل السحرة الذين  
أتى بهم من العراق أحلهم محل سكانها ، وهذا يؤكد على أن القدس لم تكن عاصمة للدولة  
الموحدة إلا لمدة ثلاثة وسبعين سنة فقط .

وفى عهد رحيعام أطلق اسم أورشليم على القدس ، بدلا من « مدينة داود » وذكرت  
بهذا الاسم لأول مرة فى سفر يشوع<sup>(١٦)</sup> فى الاصحاح العاشر . وأصبحت القدس عاصمة  
للمملكة اليهودية التى حكمها عشرون ملكاً فى ٣٣٧ سنة ، عم حكمهم الشروالثورات  
والحروب ومات أكثر من نصفهم قتلاً بأيدي قومهم أو كان ألعبوبة بأيدي المصريين  
والعراقيين . وكانت هذه المملكة صغيرة المساحة حتى أن المسافر يستطيع أن يجتاز أى طرف  
منها فى يوم واحد<sup>(١٧)</sup> .

وفى نهاية عهدهم ، فى زمن « صدقيا بن يوشيا » ٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م تمرد صدقيا على  
سيده بختنصر ، فحاصر بختنصر القدس واحتلها واخذ صدقيا أسيراً وأحرق الهيكل وأسر  
آلاف السكان ، وقد جعل القدس اكواما من الانقراض وانتهت اسرة داود . ولكن كورشى  
الفارسى تمكن من الاستيلاء على بابل سنة ٥٣٩ ق.م ثم فتح بلاد الشام ، وأعاد بعض  
اليهود إلى القدس ، بتأثير من زوجته استزالتى كانت من أصل يهودى ، فعاد بعضهم  
بقيادة زربابل<sup>(١٩)</sup> سنة ٥٣٨ ، وأخذ اليهود فى تعمير القدس وبناء هيكل جديد باسم هيكل  
زربابل سنة ٥١٥ ق.م وقد بقى هذا الهيكل حتى سنة ٢٠ ق.م عندما بدأ هيرودوس  
الكبير فى بناء الهيكل الجديد . وقد بقيت القدس تحت الحكم الفارسى حتى احتلها  
الاسكندر المكدونى<sup>(٢٠)</sup> سنة ٣٣٢ ق.م .

القدس في العهد اليونانى ٣٣٢-٦٣ ق . م والرومانى ٦٣ ق . م - ٦٣٨ م :

استولى الاسكندر المكدونى على القدس سنة ٣٣٢ ق . م . فاستقبله اليهود بالترحاب وتناسوا فضل الفرس عليهم كعادتهم فى نكران الجميل . لذلك لم يصب الاسكندر المدينة بسوء ، وبعد موته سنة ٣٣٢ ق . م خضعت القدس للبطالسة فى مصر ثم للسليوقيين فى سوريا سنة ١٩٨ ق . م . وقد عمتها خلال حكم اليونان فتن وقلاقل حتى احتلها الرومان سنة ٦٣ ق . م على يد بومبى ، وأصبحت جزءا من الامبراطورية الرومانية . وفى عام ٤٠ ق . م إستولى الفرس على القدس مرة أخرى ، ولكن الرومان استردوها عام ٣٨ ق . م وعينوا هير ودوس الأدمى ملكا عليها سنة ٣٧ ق . م ، ثم رجم هذا الهيكل فى زمن اغريباس الثانى سنة ٦٤ م . ثم هدم على يدس تبطس الرومانى سنة ٧٠ م . الذى بنى القصر الملكى المعروف اليوم بالقلعة ، كما بنى سوراً حول القدس ، وفى أواخر ايامه أى هير ودس ولد السيد المسيح . ومن أشهر الولاة الرومان على القدس بيلاطس البنطى ٢٦ - ٣٦ م . الذى حدثت فى عهده حوادث السيد المسيح .

#### موقف اليهود من المسيحية :

عندما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره ، أخذ يتجول فى فلسطين مبشراً برسالته ، وأخذت تعاليمه بالانتشار ، فأغاظ ذلك زعماء اليهود ، وكانت أن صب السيد المسيح غضبه على كهنة الهيكل . فقد جاء فى إنجيل لوقا ١٩ / ٤٥ - ٤٧ « ولما دخل الهيكل ابتداءً يخرج الذين يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم : مكتوب أى بيتى للصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوف » . لذلك قاومه الكهنة وسادة اليهود ، وحرصوا عليه السلطة الرومانية وقررت مجالس اليهود الدينية الحكم عليه بالموت ، وطالبوا الرومان بتنفيذ هذا الحكم . وجاءوا به إلى بيلاطس لمحاكمته ، وبعد المحاكمة اعترف بيلاطس ببراءته ، فقامت قيامة اليهود ، ونادوا : « اصلبه ، اصلبه ، دمه علينا وعلى أولادنا » فاضطر بيلاطس للاستجابة لطلبهم .

وفى زمن بيلاطس عبدت الطرق بين القدس وقيسارية وأريحا ، وسحبت اليها مياه العروب . وفى سنة ٦٦ م ، حدث فى القدس عصيان وشغب ، فقام فاسبيانوس وابنه تيطس فى محاربة اليهود ، ودخل تيطس القدس عام ٧٠ م ، واعمل النهب والحرق والقتل ، وأحرق المعبد الذى بناه هير ودوس ، حتى لم يبق حجر على حجر ، وبيع كثير من الأسرى عبداً . وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة ، التى ينادى بها عند

احراز نصر<sup>(٢٢)</sup>، «هب : هب : هورا» . وهي مختصر عبارة «هير وسوليا است برديتا» أى سقطت أورشليم ، «الآن سقطت أورشليم»<sup>(٢٣)</sup> .

لقد جاء تدمير القدس على يد تيطس وفقاً لتحذير المسيح : «ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه لكى يروه ابنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : ما تنتظرون ! الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض»<sup>(٢٤)</sup> .

وقد بقيت القدس خراباً مدة طويلة ، ليس بها إلا حامية رومانية ولكن بقايا اليهود ثاروا سنة ١١٥ م ثم ثاروا سنة ١٣٢ م . وتمكنوا من استرداد القدس ، إلا أن الامبراطور هيدريان تمكن سنة ١٣٥ م من إخماد ثورتهم ، ونكل بهم ، ودمر القدس ، وحرق موقعها ، وقتل وسبى عدداً كبيراً من اليهود ، ومنعهم من السكن فيها والدنومنها . وسمح للمسيحيين - ممن ليسوا من أصل يهودى - بالاقامة بها . وسمى المدينة «ايليا كابيتولينا»<sup>(٢٥)</sup> وهي مشتقة من اسم أسرة هديان المدعوة «ايليا» .

وقد ذكر ابن البطريق<sup>(٢٦)</sup> تدمير هيدريان للقدس ، وأشار إلى أنه كان اخر خراب للقدس ، فهرب اليهود إلى مصر ، وإلى الجبال والغور ، وتشتتوا فى أنحاء العالم . وأمر هيدريان ألا يسكن القدس يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصل جنسهم ، وأن يسكنها اليونانيون فقط .

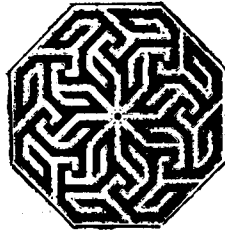
بهذا يكون الرومان قد دمروا القدس مرتين : الأولى سنة ٧٠ م على يد تيطس ، والثانية على يد هديران سنة ١٣٥ م ، وبعد ذلك انقطع تواجد اليهود فى القدس لمدة ألف سنة ، لم يسكنها يهودى واحد . وخلال خمسة قرون أخرى تلتها لم يكن بالقدس أكثر من خمسين يهودياً<sup>(٢٧)</sup> .

هذا وقد بنى هيدريان هيكلًا للمشترى على أنقاض هيكل هير ودوس ، كما بنى سوراً للقدس<sup>(٢٨)</sup> ، ولما اعتنق الامبراطور قسطنطين ٣٠٦ - ٣٣٧ م المسيحية ، جعلها الديانة الرسمية للدولة . وجاءت والدته هيلانة إلى القدس للبحث عن مواقع الحوادث المهمة التى حدثت للمسيحيين ، ولبناء كنائس تذكارية لهذه الحوادث . فأمرت بهدم تمثال المشترى ، وقامت ببناء كنيسة القيامة سنة ٣٣٥ م<sup>(٢٩)</sup> . ومنذ ذلك التاريخ أخذ الحجاج المسيحيون يزورون القبر المقدس داخل كنيسة القيامة . وسمح قسطنطين لليهود بزيارة القدس مرة واحدة فى السنة ، واعاد إليها اسم أورشليم سنة ٣٣٢ ، إلا أن اسم ايليا بقى معروفاً .





- المراجع :
- ١- ابن البطريق : اوئيشوس الاسكندري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٤ م .
  - ٢- ابن العبري غريغورس ، أبو الفرج بن هارون المولود سنة ٦٢٣ هـ : تاريخ مختصر الدول . بيروت ١٩٥٨ م .
  - ٣- جورج يوسف : قاموس الكتاب المقدس . بيروت ١٨٩٤ م .
  - ٤- حتى ، فيليب : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، بيروت ١٩٥٧ م .
  - ٥- خليل طوطح ورفيقه : تاريخ القدس ودليلها ، القدس ، بدون تاريخ .
  - ٦- الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ . بيروت ١٩٧٥ م .
  - ٧- العابدی ، محمود : مأساة بيت المقدس ، القاهرة ١٩٧٢ م .
  - ٨- عارف العارف : اوراق عارف العارف ، المجموعة التاسعة .
  - ٩- فؤاد حسن على : الأدب العبري ، القاهرة ١٩٦٣ .
  - ١٠- قاموس الكتاب المقدس ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى . بيروت ١٩٧١ م .
  - ١١- الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٦٣ .
  - ١٢- مجير الدين الحنبلي ، عبدالرحمن بن محمد عبدالرحمن بن محمد العليمي المقدسي (٨١٠-٩٢٧ هـ) ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٧ م .
  - ١٣- الأب مرمجي الدومنيكاني : بلدانية فلسطين ، القدس ، بدون تاريخ .



# يوسف بن تاشفين

## في الأندلس

للشيخ إبراهيم محمد حسن المحجل  
المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية

أطلق العرب اسم «الأندلس» على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة «أيبيريا» الواقعة في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، والتي تسمى الآن «أسبانيا» . وكانت الأندلس تمتد الى الشمال من الوادى الكبير، والى الجنوب والشرق منه حتى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) تجاه بلاد المغرب الأقصى حيث يفصلها عن قارة افريقيه بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) .

واطلاق العرب اسم الأندلس مأخوذ عن قبائل الفندال الذين طردوا الرومان ، وأسسوا على نهر الوادى الكبير مملكة سموها باسمهم (الفندال) ومنها جاءت كلمة فندلس التي نطق بها العرب «اندلس» واطلقوها على هذه البلاد .

.....

كان العرب يتطلعون الى فتح بلاد الأندلس منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان الى أن ولى عقبة بن نافع بلاد البربر (شمال افريقيه) وأسس مدينة القيروان، واخذ يتوغل في الفتح حتى وصل الى بحر الظلمات (المحيط) .

ولم يستسلم البربر بسهولة فقد ظل المسلمون يقاتلون مايقرب من نصف قرن ولم يخضعوا الا بعد أن فهموا مبادئ الدين الاسلامى ، وعرفوا أن المسلمين ليسوا قوما مستعمرين ، وانما هم أصحاب عقيدة ومبادئ ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام ، واطمأنوا الى العرب ، وأصبحوا أمة واحدة .

وفي عام ٩١ هـ أمر الوالى موسى بن نصير قائده طارق بن زياد أن يكون جيشا من العرب والبربر، وأن يتجه بهم الى الأندلس ، فاستعد هو ومن معه ، واخترقوا بحر الزقاق ، ونزلوا على صخرة هناك سميت بعد ذلك بجبل طارق ، وما زال بسكان البلاد (القوط) حتى هزمهم ، وقتل ملكهم لذريق . ومنذ ذلك الحين دانت البلاد للمسلمين ، واستولوا عليها شيئا فشيئا ، والمسلمون يتقدمون في فتوحاتهم حتى اخترقوا جبال البرانس من الشرق إلى بلاد الغال (فرنسا الجنوبية) ووصلوا إلى مدينة بردو ونهر الرُون .

وما أن استقر المسلمون في هذه البلاد حتى نزح العرب من كل قبيلة، وهاجر إليها كثير من أهل المدن في شرق البلاد وغربها، واتصل كل هؤلاء بسكان البلاد الأصليين من قوط وغيرهم، وقد أسلم كثير منهم من مسيحيين ويهود، فصاروا مجتمعاً واحداً، تفرغوا عليه المحبة والصدقة والأخوة، فاندمج بعضهم في بعض بالتزاوج والمصاهرة، فنشأ جيل جديد يجرى في عروقه الدم العربي، ويتصف بصفات العرب من غيرة وكرامة وصفاء في القريحة فامتازوا بدقة الإدراك، وسعة الخيال، وقوة الفكر، فكان شعباً جديداً، ألبسه الإسلام ثوباً جديداً .

ولقد حكم هذه البلاد بعد الفتح أكثر من عشرين أميراً من الأمويين، فتوغلوا في البلاد، وامتد سلطانهم عليها، ولم يدخروا وسعهم في أسعادها، ومحاوله أن يجعلوا منها جنة الله في أرضه .

ثم أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من الشرق، واستولى على البلاد، واستتب له الأمر عام ١٤١ هـ ، وجعل عاصمة ملكة قرطبة، وأسس بها دولة بنى أمية التي زالت من المشرق بعد أن قوضها العباسيون .

كانت أعظم دول العرب هناك، وعصرها أزهى عصور الحضارة الإسلامية بالأندلس وقد حكمها في هذه المدة من بنى أمية تسع عشرة خليفة، وكان من أعظم الخلفاء عبد الرحمن الثالث الذي حكم الأندلس من عام ٣٠٠ إلى ٣٥٠ هـ .

وهكذا فقد تولى حكمها خلفاء أمويون امتازوا بكل ما يمتاز به القادة من ذكاء وعلم وخبرة ومعرفة وبطولة، وكانوا دائماً في جهاد وعلى أهبة واستعداد للقاء الأعداء في خارج البلاد ودخلها، فكانوا موضع إعجاب وتكريم واحترام غير المسلمين .

.....

كان المسلمون يعيشون في سعادة وهناء، فالخير لا ينقطع، ولا يقل بل يكثر ويزيد على مر السنين والأيام، ثم انقطع الناس عن تعاليم الدين، وانشغلوا باللهو والشهوات والنساء، فابتعدوا بما عملوا عن الدين الحنيف، وانصرفوا عن الجهاد، ودبَّ فيهم الخلاف، وما كاد القرن الرابع ينتهي حتى كانوا قد انهكوا، وزاد الشقاق، وأصبح المسلمون ينظر بعضهم إلى بعض، وكأنهم هم الأعداء فهذا عربى وهذا بربرى وهذا مضرى وهذا قحطانى، وبرزت العصبية الجاهلية، وتكونت جماعة من الأفاقين والانتهازيين، فتطلعت إلى الحكم والرياسة، وانتهزوا فرصة ضعف الخليفة الأموى، فعملوا على التخلص منه حتى يقسموا البلاد بينهم .



ولكى يتخلصوا من آخر الخلفاء الأمويين، حتى يسقطوا حق بنى أمية في المطالبة بالملك، اجتمع المتآمرون في مجلس يدعى مجلس الكبراء في أواخر القرن الرابع الهجرى بدعوة من ابن جهور، وأخذوا يتناقشون، واستقر رأيهم على الغاء الخلافة .

ركبوا الخيل يحيط بهم الحراس والموالي، والكل مسلحون إلى قصر الخلافة، ونادوا آخر خلفاء بنى أمية هشاما الثالث، وطلبوا منه النزول من البرج، ثم حبسوه هو ونسأؤه في قبو مظلم، يرتعد من البرد الشديد، وقد اشتد الجوع بالجميع، وكان الخليفة يحتضن ابنته الصغيرة، وهى تصرخ من شدة الجوع، ولم يقدم لها أحد شيئا، فلما تكلموا في التنازل عن الخلافة، قاطعهم الخليفة قائلا :

نعم نعم !! إنى سأخضع إلى حكمكم كيفما كان، ولكنى أسألكم بالله تعالى أن ترسلوا لى شيئا من الخبز. . . . . إن هذه الطفلة ستموت بين يدي من الجوع، فأمروا بإحضار الخبز .

ثم قالوا :

يامولانا إن المجلس قرر أن تؤخذ عند الفجر لتسجن في قلعة كذا فأجاب الخليفة : فليكن . . . وليس لى الآن إلا رجاء واحد، وهو أن تأمروا لنا بمصباح لأن ظلمة هذا المكان الموحش تزعجنا وتخيفنا .

وهكذا سمع الصليبيون في أوروبا ما يفعله المسلمون بخليفة المسلمين بالأندلس، خليفة يستجدى خبزا وشمعة تضيء له ولأهله وأطفاله السجن .

.....

هكذا تخلصوا من الخليفة، وقسموا البلاد التى كانت دولة واحدة الى إمارات صغيرة، يحكمها انتهازيون مخادعون أفاقون، استولوا على البلاد ليوزعوها بينهم، وتغلب كل على جهة منها، وضبط كل متغلب منهم على ما استولى عليه بكل القوة والقسوة والظلم، ولم تمر أيام حتى اعتبر كل واحد منهم انه صاحب ملك حر التصرف فيه، واحاطوا أنفسهم بكل أنواع الملهذات من الحياة، وجعلوا ولاية العهد فى أعقابهم، وتسموا بأسماء مختلفة فبعضهم تسمى بالمأمون والآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل .

مما يزهدى فى أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتصم ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهريكى انتفاخا صورة الأسد ثم توارثها الأبناء عن الآباء، بعيدين عن تعاليم الإسلام، غارقين فى الشهوات والفساد .

يسمى المؤرخون هؤلاء الحكام ملوك الطوائف واستمر هذا العصر البغيض أكثر من سبعين عاما، كانت كل ولاية مستقلة عن الأخرى، بل إن القوى كان يلتهم الضعيف، وما فعله المعتضد زمن حكمه ولاية أشبيلية وابنه المعتمد من بعده يدعو إلى الأسى والحزن العميق . وكان الحاكم منهم لا يرى بأسا في أن يستعين بأعداء المسلمين على إخوانه بلا وازع ولا خوف .

وهكذا مهد هؤلاء القوم لظهور اتحاد الصليبيين من ايطاليا وفرنسا وأسبانيا مهمته التخلص من المسلمين المتناحرين، ورد البلاد إلى دينها الأول .

.....

بدأوا يلعبون بالحكام المسلمين، يستولون على أطراف البلاد، ويضمونها إليهم، والحكام يميلون إلى المسالمة، ومحسوبون من جهلهم أنها نوع من بعد النظر، ثم يطلبون منهم الأموال فيسرعون إلى تلبيتهم، فيعطونهم أكثر مما يطلبون، ويعدون ذلك مأمنا لهم، ووثوقا بهم، وفجأة وجدوا أنفسهم دخلوا في دائرة الحكام النصارى، يطلب منهم ترك ثغر من الثغور فيستجيبون مسرعين، وكان آخرهم الفونسو السادس الذى أذاق حكام المسلمين الويل والذى قال عنه المؤرخون :

«كانت شخصيته بغيضة منفرة، شديدة الجشع، مطبوعة على الإجرام نزاعة إلى القسوة والغدر والخيانة» .

هذا الفونسو أخبر مجالس الكنائس أن بلاد المسلمين في قبضته، وأنها ستسقط بين لحظة وأخرى .

بدأها بالاستيلاء على طليطلة بمساعدة المعتمد بن عباد سنة ٤٧٨ هـ ، وخرجت من قبضة المسلمين بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من أربعائة سنة .

كان لسقوطها دوى في العالم الاسلامى مشرقه ومغربه بعامة وفي الأندلس بخاصة . راح يلعب بالحكام، وكأنهم على لوحه شطرنج، حتى أدرك المسلمون أن الحياة فى الأندلس مستحيلة، وأن أيام المسلمين فيها معدودة، وأن النصارى لن يتراجعوا حتى يستولوا على البلاد .

راح الشعراء يتباكون، ويحثون الناس على الفرار بدينهم متخذين مما حل بطليطلة حجة ودليلا .

يا أهل أندلس حثوا مطيكم  
فما المقام بها إلا من الغلط  
الثوب ينسل من أطرافه وأرى  
ثوب الجزيرة منسول من الوسط  
ونحن بين عدو لا يفارقنا  
كيف الحياة مع الحيات فى سفظ

هذا ما جرى بالعدوة الأندلسية، أما ما كان يجري بالعدوة في المغرب، فقد كان فيها حركة اسلامية سلفية رائدها إقامة الشعائر الاسلامية والجهاد، وكان هو الطريق الوحيد لتخليص البلاد من كل ما يبعدها عن الإسلام الصحيح وكان المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين قد قاموا بمجهود عظيم استطاعوا به أن يخلصوا المغرب من الفرقة والجهل بأمور الدين وأن يوحدوا صفوفه ويجعلوه تحت حكم واحد وقيادة واحدة بعد أن كان ولايات مختلفة متخاذلة، وكان يوسف قد علا صيته، وانتشرت أخباره في أوروبا والأندلس، وأصبح قوة يرهبه الجميع عندئذ فكر الفقهاء والعلماء في دعوة المرابطين لنجدتهم، إذ هم الورقة الأخيرة التي في يد المسلمين بالأندلس واتجهوا إلى الله أن يجعل النصر على أيدي تلك الفئة المؤمنة بالله القوية به والتي تستمد النصر بالتقرب إليه وتنفيذ أحكامه .

كتبوا إلى يوسف، يرجونه أن يأتي إليهم ليخلصهم مما أوقعهم فيه ملوك الطوائف، وحثوا الأمراء والحكام على أن يتصلوا بيوسف، وذهبت الوفود إلى المغرب باكية، لتذكر ما حصل وحل ببلاد الأندلس، وكان في مقدمة الداعين أبو الوليد الباجي الذي طاف بالممالك المختلفة يدعو الملوك إلى جمع الكلمة والاستعداد للانخراط في صفوف المجاهدين .  
علا الصوت الذي ظل زمنا طويلا لا يجد المجال لإعلان رأيه، واتصل فقهاء الأندلس باخوانهم فقهاء المغرب، وراحوا يمهدون للقاء الجيوش المرابطة التي ستحل بالجزيرة لإيقاد البلاد .

.....

استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة الأندلسيين، ورأى أن فريضة الجهاد توجب عليه أن يسرع لتلبية إخوانه المسلمين، لا في الأندلس وحدها بل في أي مكان، فقد عرف حق الجهاد، وهو بما تعلمه من الإسلام، ومعرفته للجهاد لا يفكر إلا فيه، وكانت كلمة الجهاد لا تفارق لسانه فحينما عبر البحر، وسار إلى الجزيرة الخضراء، طلب منه ابن عباد أن يستريح في عاصمة ملكة أشبيلية فقال له :

«إنما أتينا للجهاد» .

وحينما تقدم ملوك الطوائف إلى يوسف يشكو كل واحد الآخر قال لهم :

« لم نأت لهذا، والسلطين أعلم بما يصنعون في بلادهم !! » .

وهكذا لم يكن الدافع ليوسف إلا الجهاد، والجهاد وحده منفذاً لتعاليم الإمام والمربي

عبد الله بن ياسين»<sup>(١)</sup> .

(١) راجع إن شئت كتابينا يوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين .



وبدأ الاستعداد العلمى السريع بحذر وحيطة وذكاء، فلقد انتقل من مراکش عاصمة ملكه فى قلب الصحراء إلى شاطئ البحر، وأشرف على السفن المعدة للإبحار إلى الجزيرة الخضراء مفتاح الأندلس، وتكلم مع قائده ابن عائشة، ووصاه بأن ينزل إلى الجزيرة، فيستولى عليها ويحصنها، ويراقب البحر والجبال والوديان حتى لا يؤخذ على غرة .  
كان المعتمد بن عباد يعتقد - وقد استولى من قبل على الجزيرة عنوة من حاكمها المسلم - أنه سيشارك مع المرابطين فى التنظيم والإعداد إن لم يجعلوه قائدا على الجيوش، ولكنه وجد أن القوم مستقلون بأنفسهم وبأعمالهم، لا يرغبون أن يدخل بينهم إلا من هو من المرابطين .

توالى السفن تحمل العدة والعتاد والرجال من مدينة سبتة المغربية - أعادها الله هى ومليبية إلى المسلمين<sup>(١)</sup> - وكان آخر جندى يركب السفينة القائد العبرى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كان ذلك ضحى يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة من الهجرة بعد أن اطمأن على عبور جيشه المبارك، وما كادت سفينة القائد العظيم تخرع باب مضيق جبل طارق لتتجه إلى الجزيرة حتى اضطرب البحر، وتعالى الأمواج، فنهض الأمير واقفا وسط السفينة يستصرخ البارى سبحانه وتعالى وقد بسط يديه بالدعاء نحو السماء قائلا :

« اللهم إن كنت تعلم أن فى جوازنا هذا خيرا للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك، فصعبه حتى لا أجوزه » .  
فاستجاب الله الدعاء، فما كاد يتم كلامه - كما يقول ابن تاشفين - حتى سهل الله المركب، ووصل الطلب، وعبرت السفينة المضيق فى ريح طيبة وبحر هادىء، ووصل القائد إلى أرض الجزيرة بسلام .

.....

وما أن رأى الناس يوسف حتى دوت الأصوات بالتكبير والحمد لله، وتقدم إليه المعتمد بن عباد، ونزل عن فرسه، وأراد تقبيل يد يوسف، فمنعه من ذلك، وبادر إلى معانقته، وسأله عن حاله، وأطال معه الحديث .  
وأراد المعتمد أن يأخذه إلى عاصمة ملكه ليستريح، فقال رحمه الله :  
« إنما جئت ناويا للجهاد، فحيثما كان العدو توجهت » .

(١) سبتة ومليبية مدينتان عظيمتان بأرض المغرب لا يزالان تحت السيطرة الأسبانية .

وكان يوسف قد كتب إلى سائر حكام الأندلس، فتوافدوا إليه سريعا، وكان معهم ابن بلقين حاكم غرناطة، وأخوه تميم حاكم مالقة، وعمر المتوكل صاحب بطليوس وغيرهم .

.....

وصل الجميع إلى أرض المعركة في مكان يسمى «الزلاقة» يقع على مقربة من حدود البرتغال غرب الأندلس، والذي استقر رأى أمير المسلمين على أن يعسكر فيه بعد أن أتته الأخبار بأن الفونسو يتجه بجيوشه إلى جهة الغرب من الأندلس .

فرق يوسف بين جيوش المرابطين، وجيوش الأندلس، وجعل الأولى مستقلة تماما عن غيرها بقيادته وقيادة أبي داود سليمان بن عائشة، ومعه فرسان البربر، والقائد البطل أبو بكر بن سير ومعه جيش للطوارىء ولما يستجد من أمور، وذلك حسب تخطيط بارع دل فيما بعد على عبقرية يوسف الحربية .

وكانت جيوش الأندلس تحت قيادة المعتمد بن عباد وابن الأفطس وأخذت مكانها في المقدمة، بينما كانت جيوش المرابطين في المؤخرة .

.....

كانت الأخبار قد وصلت إلى الفونسو ملك قشتاله، وكان محاصراً لسرقسطة المسلمة يريد الاستيلاء عليها، ففك الحصار، وأرسل إلى جلاقة وليون وقشتاله، لترسل له الجيوش، وقد اتخذ من طليطلة مكانا للتجمع، وكذلك أرسل إلى فرنسا وإيطاليا وغيرهما، وتحولت إلى حرب صليبية، رفع فيها القساوسة والرهبان والأساقفة الصلبان، ونشروا الأناجيل، ودعوا لقتال المسلمين .

وكتب الفونسو إلى المعتمد يقول :

« إن صاحبكم قد تعنى من بلاده، وخاض البحار، وأنا أكفيه العناء فيما بقى، ولا أكلفكم تعباً، أمضى إليكم، وألقاكم في بلادكم رفقا، وتوفيراً عليكم . »

استعد الفونسو للمعركة، وقدرت جيوشه بثمانين ألف مقاتل، لأنه اعتقد أن هذه هي الضربة الأخيرة في الأندلس، وبعدها سينتهى أمر المسلمين إلى الأبد. أرسل جواسيسه ليأتوه بالأخبار، فعرف أن جنوده أضعاف عدد المسلمين، فنظر إلى جموعه قائلاً: « بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء . »

ونادى على كاتبه الذي يجيد العربية فأمره أن يكتب كتاباً مطولاً إلى يوسف يتوعد ويهدد وينذر .

فلما وصل الكتاب إلى أمير المسلمين أجب مبتسما، واثقا من نصر الله قائلا : هذا كتاب مطول، اكتبوا على ظهره :  
« الذى يكون ستره » .

وأرسل إليه رسالة أخرى يخيره فيها بين الإسلام أو الجزية أو القتال . فلما وصل الكتاب إلى الفونسو، قال للرسول :  
« قل لسيدك أنتم الذين تدفعون الجزية لى » .

مشيرا بذلك إلى أن معظم ملوك الطوائف كانوا يدفعون الأموال الطائلة للفونسو زيادة على ما يقتطع من الأرض والبلاد، وفي مقدمة هؤلاء الملوك المعتمد بن عباد الذى يعتبر أقوى هؤلاء الملوك .

.....

أما من جهة القتال، قال الفونسو :  
إن الجمعة للمسلمين، والسبت لليهود، والأحد للنصارى، وسنلتقى يوم الاثنين .  
وكان المعتمد يعرف غدر الفونسو، فأخبر يوسف بما ينطوى عليه الميعاد من غدر .  
فقال يوسف :

« سنكون مستعدين لكل شىء » .

جاءت عيون جيش المسلمين تخبر ليلة الجمعة بالجلبة والحركة والضوضاء فى معسكر النصارى، فأخذ المسلمون أهبتهم متحفزين .  
وما كاد يظهر ضوء صبح الجمعة الثانى عشر من رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة من الهجرة حتى زحف النصارى، وبدأ القتال، وهجمت مقدمة القشتاليين والأرجوانيين بقيادة البارهانيس على القوات الأندلسية التى يقودها المعتمد بن عباد، وما كاد العدو يوجه ضربته إليهم حتى خارت قواهم ، وفروا ليعتصموا بأسوار بطليوس القريبة تاركين المرابطين وحدهم .

.....

لعل خطة الفونسو هى ضرب القوات الأندلسية، ثم القضاء على المرابطين وبهذا يتم له النصر، والاستيلاء على البلاد، وطرد المسلمين منها .  
ولكن الله كان له بالمرصاد، والمولى سبحانه وتعالى هو الذى أعد يوسف لهذه الساعة، لتكون نذيرا للمسلمين كى يرجعوا إلى دينهم الحنيف .

.....

كان يوسف يراقب تحركات العدو، ويأتيه المراقبون بالأخبار، ولقد ثبتت شرذمة قليلة كانت تحارب مع المعتمد بن عباد، الذي صمد أمام ضربات الأعداء، فاصدر يوسف أمره سريعا إلى قائده ابن عائشه بالاسراع إلى نجدة ابن عباد، ولكن هذه الفرقة لم تؤد الغرض الذى من أجله أرسلت، فقوات العدو الكثيرة تتقدم بسرعة، فأرسل إليهم قائده سير بن أبى بكر، ووقعت بين قوة العدو وبين القوتين معارك ضارية، وانشغل النصارى بقتال الفرقتين، ووجهوا كل اهتمامهم إلى هؤلاء، وهذا ما كان يهدف إليه القائد العبقري، وهو ما عمد إليه يوسف، حتى يُظهر المفاجآت، والمفاجأة لها دخل كبير فى كسب الانتصار، وهذا ما عمد إليه يوسف، فقد نزل بنفسه إلى قلب المعركة بقوة لمتونية<sup>(١)</sup>، وبخطة لم تخطر على بال، فكانت المفاجأة الأولى، لقد انقض على جيوشهم من الخلف، وهجم على معسكراتهم، وكانت الحراسة ضعيفة، فاضرم فيها النيران التى قضت على كل ما فيها، ووثب على مؤخرة العدو، وأدار فيهم القتل .

وكانت المفاجأة الثانية وهى تحطيم الروح المعنوية فى جيش الأعداء فأمر فرق الطبول أن تضرب، فكان صوتها يشق عنان السماء، ووقع الرعب فى قلوبهم، فلم يتعودوا مثل هذا فى الحروب، وأصيبوا بزعر شديد حينما شاهدوا النيران تلتهم معسكراتهم .

ولما علم الفونسوبما حصل لمحل قيادته، إرتد على عقبه، فاصطدم بمؤخرة المرابطين، ودارت معارك رهيبية، والقائد العبقري العظيم فوق فرسه يتلو القرآن، ويحث جنوده على الثبات، ويرغبهم فى الاستشهاد، وصوت الطبول ما يزال يدوى فى الفضاء فيهرب الأعداء، فيولون منه الأدبار .

لقد تحكم المرابطون فى جبهة القتال، فأرسل القائد البطل أمره إلى الجنود بتغيير الخطة، وكانت المفاجأة الثالثة، فقد بدأ القتال فى صفوف متراسة متناسقة ثابتة، وهى خطة مبتكرة فى القتال لم يعهدها النصارى من قبل، أذهلت العدو، وأصبح ميدان الحرب وكأنه صالة عرض يلعب فيها المرابطون بالسيوف والرماح .

وكانت المفاجأة الرابعة، وهى الضربة الأخيرة، فقد أشار القائد المسلم العبقري إلى القوات السودانية<sup>(٢)</sup> بالنزول إلى قلب المعركة، وكان قوامها أربعة آلاف مقاتل بمزاريق الزان وسيوف الهند، فانقضوا على النصارى كالصاعقة واستطاع أحدهم أن يرسل إلى الفونسو طعنة بخنجر فى فخذه، إلا أنها لم تكن القاضية، ففر بجرحه .

(١) هي القبيلة البربرية التى ينتمى إليها يوسف وكانت معروفة بالشجاعة الفائقة فى القتال .

(٢) يطلقون كلمة السودانى على كل من هو من وسط أفريقية .



يقول امير المسلمين يوسف في رسالته إلى مراكش العاصمة :  
« وتسلسل الفونسو تحت الظلام ، فاراً لا يهدى ولا ينام ، ومات من الخمسمائة فارس  
الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل اللعين طليطلة إلا في مائة فارس » .

\*\*\*\*\*

لقد كان نصراً مبيناً ، أيده الله ورعاه ، وكان يوسف ومن معه أشداء على الكفار ، فقد  
وفقههم الله ، ليكونوا عظة وعبرة ، ودليلاً على أن من استمسك بحبل الله فالله معاونه  
وناصره .

كانت الزلافة كيوم القادسية واليرموك ، عمت بها الفرحة في المشرق والمغرب ،  
ووصلت وفود المهنيين إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأرسل الإمام الغزالي إلى  
يوسف يهنئه بنصر الله ويعده باللقاء ، فلقد اعتبره الأمير المثالي ، ورجا الله ودعاه أن ينصر  
الإسلام والمسلمين بآب تاشفين .

\*\*\*\*\*

هدد الفونسو أهل الصليب بترك الأندلس للمسلمين إذا لم يساعده بكل ما  
يستطيعون فأرسلوا إليه آلاف المقاتلين ، فأخذ يستعد لقتال المسلمين ، وابتنى قرب مرسية  
حصناً ضخماً ليكون قاعدة للإغارة على تلك المناطق ، في مكان اسمه لبيط شحنه بالمقاتلة  
حتى بلغ حاميته ثلاثة عشر ألف مقاتل ، فيهم ألف فارس .

وبدل أن يتحد ملوك الطوائف ، ويواجهوا قوة الفونسو ومن معه ، أصبحوا يتواكلون  
على يوسف ، فنجد ابن عباد الذي اعتبر نفسه قائد الأندلس وحاميها ، يستعين بيوسف مرة  
ثانية ، فقد عبر بنفسه إلى المغرب ، والتقى بأمر المسلمين ، وعرض عليه الأمر ، فوعده  
يوسف خيراً ، واستعد للجواز الثاني وذلك في عام ٤٨١ هـ .

وتوجه ومن معه من المرابطين إلى حصن لبيط ، ولحق به عدد من ملوك الطوائف  
ومعهم قواتهم وضربوا حصاراً حول الحصن دام أربعة أشهر ، والقوات من داخل الحصن  
تتساقط من الجوع والإعياء ، ورغم ذلك فقد كان من أهل الحصن ينقضون على المسلمين  
فينزلون بهم الخسران ، ثم يرجعون إلى الحصن .

ما الذي شجع أهل الحصن على ذلك؟ وهل يوجد خونة في صفوف المسلمين؟ أو

تخاذل البعض؟ الذي لا نشك فيه أن المسلمين لم يكونوا يدا واحدة !

لقد جمع يوسف كل ما يحتاج إليه من معلومات ، فقد رأى ملوك الطوائف وكيف يكيل  
بعضهم لبعض الاتهامات ، ويتهم بعضهم بالخيانة ، والتواطؤ مع الأعداء ، بل لقد علم أن

بعض الملوك كان على صلة بمن في الحصن، وأنهم قدموا إليهم مساعدات أدت إلى مناعة الحصن، وأن بعضهم بدأ يخاف من قوة المرابطين المتسمة بالجد والعمل، وأن الناس في الممالك لا حديث لهم إلا عن المرابطين، وضعف الملوك .

لقد خرج يوسف بنهاية مؤسفة من مخالطته لهؤلاء القوم وهي أنه ليس في ملوك الطوائف من يستطيع أن يتحمل مسئولية الحكم والدفاع عن البلاد، وأنهم لا يرجى منهم نفع لا لأنفسهم ولا للمسلمين، وأنهم يتخبطون في حياتهم ولا هم لهم إلا شيء واحد هو المحافظة على الكرسي الذي يجلسون عليه .

.....

لما أراد يوسف الرجوع إلى بلاده، اجتمع حوله الملوك، وكلموه في أن يترك لهم جيشا يحميهم من هجوم الفونسوقال لهم :  
«أصلحوا نياتكم تكفوا عدوكم» .

أثار هذا التصريح خوفهم ، فرجع بعضهم إلى دفع الإتاوة إلى الفونسو، ورجع البعض إلى التعاون معه، وقطع بعضهم المدد عن الحامية التي تركها لهم يوسف، فأهاج هذا وغيره مسلمي الأندلس، ف عقدوا الاجتماعات، وأعلنوا العصيان، وأفتى الفقهاء بخلع الملوك، واتهموهم بالخيانة والكفر، وعبر عن ذلك أحد الشعراء إذ قال :

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم  
أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم  
وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قمتم  
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم

كانت الأدلة توجب على يوسف أن يتدخل لإنقاذ الأندلس من فوضى ملوك الطوائف، لكنه أراد أن يجمع كل الأدلة حتى لا يتهم فيما يقبل عليه من أمر. لكن الكتب والفتاوى والوفود تصل إليه تطلب منه أن يسرع إلى انقاذ البلاد لا من الصليبيين وحدهم بل انقاذها من ملوك الطوائف أيضا، وكان مما ورد إلى أمير المسلمين فتوى من الإمام الغزالي وأبى بكر الطرطوشي، فاستجاب يوسف، وجهز جيشا وعبر به إلى الأندلس في أوائل سنة ٤٨٣ هـ .

إنجيه يوسف إلى طليطلة حيث أصبحت عاصمة القشتاليين، لكنها كانت من المناعة بحيث تركها يوسف لوقت آخر، ومال إلى جنوب الأندلس صوب غرناطة، فاستسلم أميرها

عبد الله بن بلقين، ولم يستطع الفونسو أن يأتي إليه لينفذ معاهدته الدفاعية معه عام ٤٨٣ هـ وفرح الناس فرحاً عظيماً باستيلاء المرابطين عليها .

ثم إن القائد العظيم أرسل إلى المعتمد بن عباد لكي يتكلم معه في شأن البلاد، ولكن بن عباد لم يستجب لأمر المسلمين، فاجتمع بقواده، ورسم لهم خطة الاستيلاء على بلاد الأندلس، وتخليصها من أيدي الملوك والأمراء، ثم غادر البلاد صائماً في رمضان عام ٤٨٣ هـ بعد أن طلب من قائده سير بن أبي بكر أن يتوجه إلى اشبيلية. واتجه هو إلى مدينة سبته في عدوة المغرب يرقب الأحوال وتأتيه العيون بالأخبار ويجهز الجيوش، ويرسل الامدادات والتوجيهات مترقبا النتائج التي سينتهي إليها مصير الخارجين على تعاليم الإسلام وقواعده .

.....

سار جيش المرابطين بقيادة أبو عبد الله محمد بن الحاج إلى قرطبة، وكان المعتمد بن عباد أخذها عنوة، وكان يتولى أمرها ابنه المأمون، وكانت المدينة تعرف الطريقة غير المشرفة، التي أخذت بها قرطبة، فتخلى عنه الناس، واستطاع المرابطون أن يتسلقوا أسوار المدينة وأن يقتلوا المأمون هو ووزيره، وأن يخضعوها لحكمهم. ثم اتجهوا إلى اشبيلية بقيادة سير بن أبي بكر، فحاصرها أربعة شهور، وفي أثناء ذلك أرسل الفونسو حملة إلى اشبيلية بقيادة البار هانس مؤلفة من عدة آلاف، واشتبكت مع المرابطين في أحواز اشبيلية، انتهت بانتصار المرابطين، بعد معركة جرح فيها قائد الفونسو جرحاً أدى به إلى الموت فيما بعد، ثم استطاع المرابطون أن يحدثوا ثلماً في السور عند باب الفرج قرب باب النصر، واستولوا على القصور وما بها، ولم يقتلوا المعتمد تنفيذاً لأمر أمير المسلمين .

وأصدر القائد المسلم العظيم سير بن أبي بكر أمناً للمعتمد في النفس والأهل والولد، وأرسل أسيراً إلى أغمات حتى لا يتصل بأعداء الإسلام وكان مع عائلته. ثم أخذ المرية من حاكمها معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح، وكذلك رنده وكان يحكمها الراضى بن المعتمد، ومير تله وكان يتولى أمرها المعتد بن المعتمد، وبطليوس وكان صاحبها ابن الأفطس قد تعاون وتحالف مع النصارى ضد أبناء جلدته فانتصروا عليه وعلى من عاونوه، وقتل هو وأولاده جزاء خيانتهم، عام ٤٨٨ هـ .

وكان آخر ما استولى عليه المرابطون «بلنسية» فقد أنفقوا جهوداً كبيرة لإنقاذها من القمبيطور وعصابته من القشتاليين في حرب مثيرة<sup>(١)</sup> عام ٤٩٥ هـ .

.....

(١) راجع «بلنسية الشهيدة» ص ١٦٥ من كتابنا يوسف بن تاشفين .

وبرجوع بُلنْسِيَّة خلصت البلاد الأندلسية ماعدا ولاية سرقسطة وكان يحكمها المستعين فأرسل إلى أمير المسلمين مظهرها المسألة قائلا :  
«نحن بينكم وبين العدو سد لا يصلحكم منه ضرر» وأبدى استعداداه لتحصين البلاد،  
وضبط أمورهما فوافق الأمير على ذلك .  
وبهذا استقر الحكم للمسلمين ، وأصبحت الأندلس دولة مسلمة موحدة .

\*\*\*\*\*

في عام ٤٩٤ أو قريبا من ذلك عبر يوسف عبوره الأخير ، وكان قد عهد إلى القائد سير بن أبي بكر بأمور الأندلس ، ولما كان من عادة يوسف إذا خرج من عاصمة البلاد أن يكون ناويا للجهاد ، فقد وجه جيشا بقيادة محمد بن الحاج إلى جهة طليطلة ، وكانت لا تزال عاصمة قشتالة فالتقى بالفونسو وجيشه قريبا منها ، فانهمز جيش الفونسو متكبداً خسائر كبيرة .

ثم توجه يوسف إلى قرطبة عام ٤٩٥ هـ ، وأخذ البيعة لابنه علي بن يوسف بن تاشفين لما يتمتع به من النباهة والحزم والتقوى ، فقد كان مقتفيا سيرة والده . فووفق علي ما طلب ، وأشار علي على أن ينشئ في الأندلس جيشا مرابطيا ثابتا ، وأن يحسن السياسة والرفق والعناية بالأندلس ورجع إلى عاصمة ملكه «مراكش» وفي عام ٤٩٩ هـ تزايدت العلة بأمير المسلمين وهو معظم مهوب لا يخلد إلى راتبه ولا يسكن إلى دعه .  
وما زالت حالته تسوء ، ويذبل جسمه شيئا فشيئا حتى وافه الأجل المحتوم ، فتوفي رحمه الله سنة ٥٠٠ هجرية بمراكش عن مائة عام كاملة ، فكان لوفاته وقع عظيم في المغرب والأندلس والمشرق العربي . وراثه العلماء والفقهاء والشعراء ومما قاله أبو بكر بن سوار الأشبونى :

اسمع أمير المسلمين وناصر الس  
جوزيت خيرا من رعيته التي  
تصل الجهاد إلى الجهاد موقفا  
متواضعا لله تظهر دينه  
دين الذي بنفوسنا نفديه  
لم ترض فيها غير ما يرضيه  
حتم القضاء بكل ما تقضيه  
في كل ما تبديه أو تخفيه  
رحمه الله ورضى عنه .

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي

لَهُ السُّلْطَانُ



# تحقيق جزأ الضعفاء والمتروكين

للإمام الدارقطني

لشيخ عبد الرصم محمد القسري

مماضيكلية الحديث الشريف بالجامعة

الإمام الدارقطني :

هو الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب السنن . ولد سنة ست وثلاث مائة .

سمع البغوي وابن صاعد وابن دريد .

ومن تلامذته أبو بكر البرقاني وحمزة بن محمد بن طاهر والأزهري . وخلق .

قال الذهبي : - سمع ببغداد والبصرة والكوفة وواسط وارتحل في كهولته إلى مصر والشام وصنف التصانيف الفائقة .

قال الخطيب البغدادي : - كان فريد عصره وإمام وقته وانتهى علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدقة والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم كالقراءات فإن له فيها مصنفاً سبق فيه إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف وتأسى القراء بعده .

قلت : - وكتابه العلل الكبير يشهد له بالعلم وسعة الاطلاع في أقوال المتقدمين وأهل عصره .

وقد نسب إلى التشيع لسبب حفظه ديوان السيد الحميري . وهي تهمة ردها الإمام الذهبي رحمه الله .

وهناك مواقف تدل على عظيم شأنه ودقة انتباهه لما يملئ في المجالس فمن تلك ما نقله الخطيب البغدادي عن الأزهري حيث قال : بلغني أن الدارقطني حضر في حديثه مجلس إسماعيل الصفار وقعد ينسخ جزءاً والصفار يملئ . فقال رجل - للدارقطني - : لا يصح سماعك وانت تنسخ . فقال : فهمي للإملاء خلاف فهمك . اتحفظ كم أملى الشيخ . قال : لا أدري . قال : أملى ثمانية عشر حديثاً . الحديث الأول عن فلان عن فلان ومثنته كذا وكذا . والحديث الثاني عن فلان عن فلان . ومثنته كذا وكذا . ومر في ذلك حتى أتى على الأحاديث فتعجب الناس منه .

مات رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (١) .

(١) لاستيفاء ترجمته انظر تاريخ بغداد ٣٤١٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٩١٣ .

## كتاب الضعفاء :

يعتبر كتاب الإمام الدارقطني من أمهات الكتب التي اعتمد عليها المصنفون في علم الجرح والتعديل . كميزان الاعتدال - ولسان الميزان - وتهذيب الكمال وغيرها من الكتب التي أصبحت فيما بعد من المراجع المهمة للباحثين .

وأن كلام الدارقطني في الضعفاء ليس مقصوداً على كتابه الذي بين أيدينا بل تكلم عنهم في كتابه السنن وكتابه العلل وهذا ما يفسر لنا اختلاف لفظ التضعيف في راو ما في المراجع المختلفة التي وقفت عليها .

ومن الغريب حقاً ان نرى ثبوت المصنف على قوله في التصنيف بعكس الإمام ابن حبان البستي مثلاً حيث يذكر - أحياناً - بعض الرواة في كتابه المجروحين ثم يعيد ذكرهم في كتاب الثقات . مما يدل على أن الدارقطني لم يصدره حكمه في ذلك الراوي إلا بعد دراسة لحاله ورواياته ومن أجل هذا جاء كلامه ثابتاً عنه .

وعند مقابلي لأقواله مع أقوال غيره لم أجد من الغير تردداً في أي راو تكلم عنه الدارقطني بل هناك بعض علماء الجرح تكلموا في الراوي كلاماً أشد من كلام الدارقطني مما يرجح تأدب الدارقطني في هذه الناحية طالما انه استطاع ان يبين حال الرواة .

وفي الحقيقة لم أتمكن من التعليق على جميع الذين تكلم عنهم لان الغرض هو احياء هذا الجزء ليكون في متناول الباحثين الذين يفتقدون هذا الكتاب إن لم يكن كلهم فجلهم . ولعل نشره في مجلة جامعية يعفيني من المطالبة بتكثير الحواش لأن الغرض هو الكتاب وليس الحاشية .

وأرجو أن أكون ممن ساهم ولو بجهد قليل في إحياء هذا التراث النادر . وانني أمل أن أقدم موضوعاً منفصلاً عن الدارقطني ومؤلفاته وجهوده في إحياء السنة النبوية .

## جزء فيه الضعفاء والمتروكون :

لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني .  
رواية ، أبي محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري عنه .  
رواية ، أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون عنه اجازة .  
رواية ، الشيخة أم عبد الكريم فاطمة بنت أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري .

رواية ، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن أحمد المقدسي عنها سماع منه لعبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي الكوري .



قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني : طالت محاورتي مع أبي منصور ابراهيم بن الحسين بن حمکان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني - عفا الله عني وعنهما - في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبتته على حروف المعجم في هذه الورقات .

### أبواب الألف : باب إبراهيم

١ - إبراهيم بن الفضل المدني المخزومي عن المقبري روى عنه إسرائيل وكناه أبا اسحاق (١) .

٢ - ابراهيم بن الحكم بن أبان العدني .

قال أحمد بن حنبل : في سبيل الله دراهم انفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم (٢) .

٣ - إبراهيم بن علي الرافي . يروى عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« صلى على النجاشي فكبر عليه خمسا » .

روى عنه أيوب بن حسن بن علي بن أبي رافع عن أبيه (٣) .

٤ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي (٤) .

يحدث عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تجعلوني كقدح الراكب (٥) .

لا يتابع عليه . روى عنه موسى بن عبيدة .

٥ - إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري مدني يروى عن أبيه (٦) .

٦ - إبراهيم بن خثيم بن عراق بن مالك . بغدادي (٧) .

٧ - إبراهيم بن عثمان . أبو شيبه قاضي واسط .

( ١ ) قال الذهبي تركه غير واحد - ت ق - ( ديوان ١١ ) .

( ٢ ) قال الذهبي متروك - ق - .

ونقل قول الإمام أحمد في الميزان - ولم أجد هذه العبارة في كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد - انظر ( ديوان ٩ ، ميزان الاعتدال ٢٧٨ ) .

( ٣ ) قال البخاري فيه نظر التاريخ الكبير ٣١٠/٨ .

( ٤ ) قال البخاري : لم يثبت حديثه روى عنه موسى بن عبيدة . ضعف لذلك .

وقال ابن حبان : من أهل المدينة منكر الحديث ولا أعلم له راويا الا موسى بن عبيدة الربذي . وموسى ليس بشيء في الحديث ولا أدري البلية في أحاديثه والتخليط في روايته منه أو من موسى . انظر ( التاريخ الكبير ٣٢٠/٨ ، المجروحين ١٠٨٨ ) .

( ٥ ) العقيلي .

( ٦ ) قال الذهبي تركوه ( ديوان ١٢ ) .

( ٧ ) قال النسائي متروك الحديث بغدادي ( الضعفاء والمتروكين ١٣ ) .

حدثني أبو شيبه عن الحكم بن إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفى واسطى . ذكر  
عنه هشيم عن مغيرة عن إبراهيم .

( النظر في مرآة الحجام دناة ) ( ١ ) .

٨ - إبراهيم بن عمر بن أبان بصري سمع أباه يحدث عن عمر وعثمان بن عفان .  
روى عنه أبو معبد البراد روى عن الزهري حديثا لم يتابع عليه ( ٢ ) .

٩ - إبراهيم بن عمر بن سفينه يقال له برية . حدث عنه أبو معشر البراء . لا  
يعرف أبوه إلا به .

روى عنه ابن أبي فديك وإبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي والبصريون ( ٣ ) .  
١٠ - إبراهيم بن هراسة الكوفي أبو اسحاق الشيباني يروي عن الثوري ما لا يتابع

عليه ( ٤ ) .

١١ - إبراهيم بن هدبه بصري . عن أنس ( ٥ ) .

١٢ - إبراهيم بن يزيد الخوزي . أبو إسماعيل سكن شعب الخوز ( ٦ ) .

١٣ - إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المديني ( ٧ ) .

١٤ - إبراهيم بن حيان بن حكيم ويقال ابن البراء من ولد أنس عن شعبة ومالك

وحمام بن زيد وشريك ( ٨ ) .

١٥ - إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر التميمي حجازي عن ربيعة بن أبي عبد

الرحمن ( ٩ ) .

١٦ - إبراهيم بن أبي حية وإسم أبي حية اليسع - روى عنه قتيبة وداود بن حماد بن

فراصة ( ١٠ ) .

١٧ - إبراهيم بن زيد الاسملى عن مالك ( ١١ ) .

( ١ ) قال النسائي متروك الحديث ( الضعفاء والمتروكين ١٣ ) .

( ٢ ) قال ابن حبان ليس ممن يحتج بخبره اذا انفرد . ( المجروحين ١١٠٨ ) .

( ٣ ) ترجم له الذهبي في موضعين : الأول في باب إبراهيم - والثاني في باب برية . انظر ( ميزان الاعتدال ٣٠٦/٥٠٨ ) .

( ٤ ) قال فيه مسلم : ذاهب الحديث ( الكنى والأسماء ٦٨ ) .

( ٥ ) قال الذهبي : كذاب ( ديوان ١٣ ) .

( ٦ ) قال الذهبي : متروك ( ديوان ١٤ ) .

( ٧ ) قال الذهبي : متروك عند الجمهور . وقال أبو داود : كان قدريا رافضيا ( ديوان ١٣ ) .

( ٨ ) قال الذهبي : كأنه ابن البراء واه ( ديوان ٩ ) .

( ٩ ) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف ( ميزان الاعتدال ٢٤٨ ) .

( ١٠ ) قال ابن عراق : ابن أبي حية بالثناة التحتية المشددة ( تنزيه الشريعة ٢١٨ ) .

( ١١ ) قال ابن حبان : منكر الحديث جدا ( المجروحين ١١٣٨ ) .

- ١٨ - إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي رملبي متروك يروى عن جعفر بن محمد وعن ابن جريج وإسماعيل بن أمية . وروى عن هشام بن عروة حديثاً مسنداً (١) .
- ١٩ - إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني (٢) . والكوفي هو جابر يعتبر به .
- ٢٠ - إبراهيم بن عبيد الله بن همام بن أخي عبد الرزاق عن عمه كذاب يضع الحديث (٣) .
- ٢١ - إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيبي عن الحارث بن عطية ووكيع (٤) .
- ٢٢ - إبراهيم بن زكريا العبدساني يروى عن خالد الواسطي (٥) .
- ٢٣ - إبراهيم بن علي الغزي سكن الكوفة عن مالك ويزيد بن عبد العزيز بن سياه (٦) .
- ٢٤ - إبراهيم بن محمد بن صدقة العامري كوفي يروى عن مروان الفزاري وسعيد بن عبد العزيز (٧) .
- ٢٥ - إبراهيم بن صالح بن درهم الباهلي بصري مقل يروي عن أبيه (٨) . أبوه صالح ثقة (٩) .
- ٢٦ - إبراهيم بن صرمة بن أبي صرمة الأنصاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري (١٠) .
- ٢٧ - إبراهيم بن حماد بن أبي حازم الزهري الضرير سكن مصر عن مالك والحجازي (١١) .
- ٢٨ - إبراهيم بن بشير مكّي عن مالك وابن عيينه ومعاوية الضال وحباب بن فضالة (١٢) .
- ٢٩ - إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع سمعته يقول متروك (١٣) .

(١) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك ( ديوان ١١ ) .  
(٢) قال النسائي : ضعيف مدني ( الضعفاء والمتروكين ١٣ ) .  
(٣) انظر ( تنزيه الشريعة ٢٢١ ) .  
(٤) قال ابن حبان : يسوي الحديث ويسرقه ( المجروحين ١١٦٨ ) .  
(٥) قال الذهبي : هو العبدسي وعبدسي من قرى وسط ( ميزان الاعتدال ٣٧٨ ) .  
(٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني روى عن سويد بن عبد العزيز بن سياه ( لسان الميزان ٨٤٨ ) .  
(٧) قال الذهبي : ضعيف ( ديوان ١٣ ) .  
(٨) قال الذهبي : ضعفه الدارقطني ( ديوان ١٠ ) .  
(٩) وثقه ابن معين من الرابعة - د - ( التقریب والتهديب ١٤٩ ) .  
(١٠) قال ابن معين : كذاب خبيث ( لسان الميزان ٥٠٨ ) .  
(١١) قال ابن حجر : ضعفه الدارقطني ( لسان الميزان ٥٠٨ ) .  
(١٢) قال ابن حجر : قال الدارقطني ضعيف ( لسان الميزان ٤٠٨ ) .  
(١٣) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة - خت ق - .

- ٣٠ - إبراهيم بن إسماعيل الصيني سمعته يقول متروك (١) .  
 ٣١ - إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة سمعته يقول متروك (٢) .

==X==X==X==X==X==X==X==X==X==X

### باب أحمد

- ٣٢ - أحمد بن عطاء الهجيمي بصري يروي عن خالد العبد (٣) .  
 ٣٣ - أحمد بن أخت عبد الرزاق كذاب (٤) .  
 ٣٤ - أحمد بن الحسن المضرى متأخر كذاب (٥) .  
 ٣٥ - أحمد بن عبد الله الفريابي مروزي حدثونا عنه يروي عن أبي عاصم النبيل (٦) .  
 ٣٦ - أحمد بن عبد الله الجويباري هروى كذاب (٧) .  
 ٣٧ - أحمد بن معدان العبدي عن ثور بن يزيد روي عنه محمد ابن وزير الواسطي متروك (٨) .  
 ٣٨ - أحمد بن علي بن أخت عبد القدوس عن مالك . مقل متروك .  
 ٣٩ - أحمد بن محمد الأنصاري أبو عقبة بصري سكن الجزيرة عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدث عنه هلال بن العلا (٩) .  
 ٤٠ - أحمد بن محمد بن مالك بن أنس عن ابن أبي أويس عن أبيه عن جده (١٠) .  
 ٤١ - أحمد بن عاصم الموصلي عن مالك (١١) .

(١) انظر (ديوان ٨) .

(٢) قال الذهبي ونفسه أحمد وضعفه غيره (ديوان ٨) .

(٣) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٢١٨) .

(٤) قال ابن عراق : متهم (تنزيه الشريعة ٣٠٨) .

(٥) قال ابن عراق : المضرى بضم الميم وبالضاد المعجمة . كذبه الدارقطني (تنزيه الشريعة ٢٦٨) .

(٦) قال أبو نعيم : كان وضاعا (تنزيه الشريعة ٢٨٨) .

(٧) قال ابن عراق : دجال وضع حديثا كثيرا (تنزيه الشريعة ٢٨٨) .

(٨) (ديوان ٦) .

(٩) قال الذهبي : ضعيف واه (ديوان ٦) .

(١٠) قال ابن حبان : منكر الحديث (لسان الميزان ٢٩٢٨) .

(١١) (ديوان ٥) .

- ٤٢ - أحمد بن دهثم الأسدي عن مالك متروك (١) .
- ٤٣ - أحمد بن سليمان القرشي الخفثاني عن مالك متروك (٢) .
- ٤٤ - أحمد بن الحكم العبدي كوفي عن شريك والكوفيين (٣) .
- ٤٥ - أحمد بن يحيى الأحول الكوفي عن مالك وشريك (٤) .
- ٤٦ - أحمد بن عمار بن نصر عن مالك مقل (٥) .
- ٤٧ - أحمد بن محمد صاحب بيت الحكمة له حديث واحد عن متروك (٦) .
- ٤٨ - أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم يمانى عن جده وعبد الرزاق (٧) .
- ٤٩ - أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي سكن مصر - يعرف برسول نفسه عن ابن عيينه ووكيح متروك (٨) .
- ٥٠ - أحمد بن عبد الله بن ميسرة النهاوندي أبو ميسرة عن أبي معاوية والكوفيين (٩) .
- ٥١ - أحمد بن داود بن عبد الغفار الحراني عن أبي مصعب متروك كذاب (١٠) -  
وجده عبد الغفار بن داود من الثقات (١١) .
- ٥٢ - أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد أبو طاهر عن ابن أبي فديك وابنه وأبوه عيسى يعرف بمبارك وجده عبد الله بن صالح حدث عنه أبو أسامة كذاب (١٢) .
- ٥٣ - أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحيى التجيبي مصري يكذب (١٣) .
- ٥٤ - أحمد بن محمد بن عيسى السكوني بغدادى عن أبي يوسف القاضي وأبي بكر بن عياش (١٤) .

- 
- (١) (ديوان ٣) .
- (٢) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك كذاب (ديوان ٣) .
- (٣) انظر (ديوان ٣) .
- (٤) انظر (ديوان ٧) .
- (٥) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٣٤٨) .
- (٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني حدث عن مالك . متروك (لسان الميزان ٢٩٦٨) .
- (٧) قال الحاكم : له افراد وعجائب (ميزان الاعتدال ١٤٧٨) .
- (٨) انظر (ميزان الاعتدال ٩٠٨) .
- (٩) قال ابن حبان : يسرق أحاديث الثقات ويلزقها بأقوم اثبات لا يحل الاحتجاج به (المجروحين ١٤٤٨) .
- (١٠) انظر (ديوان ٣) .
- (١١) قال ابن حجر : ثقة فقيه من العاشرة - خ د س ق - (تقريب التهذيب ٢١٦) .
- (١٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٣٦٨) .
- (١٣) انظر (ديوان ٤) .
- (١٤) انظر (ديوان ٥) .

- ٥٥ - أحمد بن ميثم بن أبي نعيم الفضل بن دكين كوفي عن جده وعلي بن قادم (١) .
- ٥٦ - أحمد بن صالح المكي السمومي أبو جعفر يحدث عنه شيوخنا (٢) .
- ٥٧ - أحمد بن محمد بن خالد بن مرداس غلام خليل متروك (٣) .
- ٥٨ - أحمد بن محمد بن مفلس بن الصلت الحمانى أبو العباس ابن أخى جبارة بن المفلس البغدادي عن مالك الزاهد واسماعيل بن أبي أويس وأبي عبيد ومن بعدهم يضع الحديث (٤) .
- ٥٩ - أحمد بن محمد بن عمرو بن مصعب بن بشر أبو بشر المروزي يضع الحديث عن أبيه عن جده (٥) .
- ٦٠ - أحمد بن العباس الهاشمي أبو بكر البصري زوج أم موسى عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني متروك (٦) .
- ٦١ - أحمد بن محمد بن حرب أبو الحسن الملحمي حدث عنه شيخنا الأنبدوني (٧) .
- ٦٢ - أحمد بن محمد بن الفضل المقدسي الأيلي عن نصر بن علي وغيره (٨) .
- ٦٣ - أحمد بن محمد بن الأزهر بن حريث السجستاني حدثونا عنه أبو العباس الأزهري وبلغني أن ابن خزيمة حسن الرأى فيه (٩) .
- ٦٤ - أحمد بن علي بن سلمان المروزي عن إبراهيم بن المنذر والمدنيين (١٠) .
- ٦٥ - أحمد بن أبي سليمان القواريري بغدادي أبو جعفر عن حماد بن سلمة روى عنه ابن مخلد ونهشل من باب الشعير (١١) .

- (١) انظر (ديوان ٦) .
- (٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٠٤٨) .
- (٣) قال ابن عراق : معروف بالوضع (تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٤) انظر (لسان الميزان ٢٦٩٨ . تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٥) قال ابن عراق : كذاب وضع شيئاً كثيراً (تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٦) قال الذهبي : ساقط (ديوان ٤) .
- (٧) قال ابن عدى : يعتمد الكذب ويضع (ميزان الاعتدال ١٣٤٨) .
- (٨) قال الذهبي : دجال (ديوان ٦) .
- (٩) قال السلمى : سألت الدارقطني عن الأزهري فقال منكر الحديث لكن بلغني أن ابن خزيمة حسن الرأى فيه ويكفي بهذا فخرا (ميزان الاعتدال ١٣٧٨) .
- (١٠) (ديوان ٥) .
- (١١) قال ابن حجر : قال الدارقطني روى عن حماد بن سلمة مقلوبات كان مغفلاً يترك ولا يحتج به . وقال في العلل ضعيف (انظر لسان الميزان ٨٣٨) .

- ٦٦ - أحمد بن حمك النيسابوري أبو حفص عن ابن ماسرجس ونظرائه (١) .
- ٦٧ - أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب أبو جعفر يعرف بالهشيمي عن عبد الرزاق (٢) .
- ٦٨ - أحمد بن الخليل بن مالك بن ميمون أبو العباس بغدادى يعرف بجور عن أبي بكر بن عياش والأصمعي وزينب بنت سليمان (٣) .
- ٦٩ - أحمد بن خالد الشيباني عن عيسى بن يونس (٤) .
- ٧٠ - أحمد بن يحيى بن أبي العباس الخوارزمي عن ابن فهزاد وغيره متروك (٥) .
- ٧١ - أحمد بن الخليل القومسي ضعفه أبو زرعة الرازي (٦) .
- ٧٢ - أحمد بن عيسى بن زيد التنيسى عن أبي حفص وعبد الله بن يوسف مصري ليس بالقوي (٧) .

### باب إسماعيل

- ٧٣ - إسماعيل بن أبي إسحاق أبو اسرائيل الملائى (٨) .
- ٧٤ - إسماعيل بن أبان الفنوي كوفي أبو اسحاق القيسي الكوفي عن الحكم وعطية وفضيل بن عمرو الخياط عن هشام بن عروة (٩) .
- ٧٥ - إسماعيل بن سلمان الكوفي الأزرق عن أبيه والشعبي وابن عمر (١٠) .
- ٧٦ - إسماعيل بن مسلم المكي أصله بصري عن الحسن وابن سيرين وقتادة والحكم والأعمش والزهرى (١١) .

(١) ميزان الاعتدال ٩٥٨ .

(٢) قال ابن عدى : كان بسامراء يضع الحديث . ميزان الاعتدال ١٠٩٨ .

(٣) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف لا يحتج به . ميزان الاعتدال ٩٦٨ .

(٤) قال الذهبي : جرحه الدارقطني ديوان ٣ .

(٥) لسان الميزان ٣٢١٨ .

(٦) وقال أبو حاتم : كذاب . الجرح والتعديل ٥٠٨٨ ، لسان الميزان ١٦٧٨ .

(٧) قال أبو حاتم : تكلم الناس فيه . الجرح والتعديل ٦٤٨٨ .

(٨) قال ابن حجر : سيء الحفظ - ت ق - من السابعة . تقريب التهذيب ٣٣ .

(٩) متروك رمى بالوضع - تميز - من التاسعة . تقريب التهذيب ٣١ .

(١٠) قال الذهبي : ضعفه - ق - ديوان ٢١ .

(١١) متفق على ضعفه . ديوان ٢٣ .

- ٧٧ - إسماعيل بن يعلي أبو أمية الثقفي بصري متروك (١) .
- ٧٨ - إسماعيل بن رافع هو أبو رافع مدني عن أنس وابن أبي مليكة والمقبري والزهري . شيخ العطاف بن خالد والوليد بن مسلم وغيرهما - روى عن أنس حديثا طويلا في الطهارة والحج (٢) .
- ٧٩ - إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي حوال عن ابن جريج والثوري حدث عنه هلال بن العلاء متروك كذاب (٣) .
- ٨٠ - إسماعيل بن عباد بصري عن ابن أبي عروبه عن قتادة متروك (٤) .
- ٨١ - إسماعيل بن محمد بن يوسف الجبريني أبو هارون عن أبي عبيد وعن حبيب كاتب مالك وغيره (٥) .
- ٨٢ - إسماعيل بن رجاء الحصني جزري عن موسى بن أعين (٦) .
- ٨٣ - إسماعيل بن أبي زياد وهو إسماعيل بن مسلم السلولي ويقال الشعيري كوفي عن داود بن أبي هند وابن عون يضع كذاب متروك (٧) .
- ٨٤ - إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل سمعته يقول متروك (٨) .
- ٨٥ - إسماعيل بن عمرو البجلي الأصبهاني ضعيف (٩) .
- ٨٦ - إسماعيل بن محمد المزني كوفي حدثونا عنه كذاب .
- ٨٧ - إسماعيل بن هود الواسطي ليس بالقوي يكنى أبا إبراهيم (١٠) .

- (١) ميزان الاعتدال ٢٥٥/٨ .
- (٢) قال ابن حجر ضعيف الحفظ من السابعة . تقريب التهذيب ٣٣ .
- (٣) قال صالح جزره : كان يضع الحديث . تنزيه الشريعة ٤٠/٨ .
- (٤) ديوان ٢١ .
- (٥) قال ابن طاهر : كذاب . تنزيه الشريعة ٣٩/٨ .
- (٦) اتهمه ابن عدى . تنزيه الشريعة ٣٨/٨ .
- (٧) لسان الميزان ٤٠٦/٨ .
- (٨) ميزان الاعتدال ٢٥٤/٨ .
- (٩) قال الذهبي : ضعفه غير واحد . ديوان ٢٢ .
- (١٠) ميزان الاعتدال ٢٤٦/٨ .



## باب إسحاق

- ٨٨ - إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي كوفي متروك (١) .
- ٨٩ - إسحاق بن إدريس الأسواري بصري عن همام وأبان منكر الحديث (٢) .
- ٩٠ - إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري كذاب متروك (٣) .
- ٩١ - إسحاق بن نجيح الملقب عن عطاء الخراساني وابن جريج وهشام بن حسان متروك (٤) .
- ٩٢ - إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك (٥) . له ثلاثة أخوة ثقات - وابن عمهم أبو علقمة ثقة .
- ٩٣ - إسحاق بن الصباح الأشعبي من ولد الأشعث بن قيس الكندي عن عبد الملك ابن عمير روى عنه الخريبي . لجدته صحبه (٦) .
- ٩٤ - إسحاق بن أبي يحيى الكعبي عن ابن جريج روى عنه علي بن معبد المصري منكر الحديث (٧) .
- ٩٥ - إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس مدني . أبو يعقوب مولى آل كثير بن الصلت عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجره (٨) .
- ٩٦ - إسحاق بن إبراهيم الطبري يمانى منكر الحديث (٩) .
- ٩٧ - إسحاق بن سعيد ( بن أبي كعب ) (١٠) شامي منكر الحديث .
- ٩٨ - إسحاق بن محمد بن عبيد الله العرزمي أخو عبد الرحمن وأخوه متروك رأساً (١١) .

- (١) قال الذهبي : كذاب . ديوان ١٧ .
- (٢) قال الذهبي : كذاب . ديوان ١٧ .
- (٣) قال الذهبي : متروك متهم . ديوان ١٧ .
- (٤) قال ابن حجر : كذبوه من التاسعة - تميز - تقريب التهذيب ٣٠ .
- (٥) قال ابن حجر : متروك من الرابعة - د ت ق - تقريب التهذيب ٢٩ .
- (٦) قال الذهبي : ضعفه يحيى والدارقطني . وقل ما روى . ميزان الاعتدال ١٩٢٨ .
- (٧) قال الذهبي : هالك يأتي بالناكير عن الاثبات . ميزان الاعتدال ٢٠٥٨ .
- (٨) قال البخاري : فيه نظر . التاريخ الكبير ٣٨٠/٨ .
- (٩) ميزان الاعتدال ١٧٧٨ .
- (١٠) في الحاشية ابن اركون وهو الصواب لموافقته لكتب الرجال . انظر ميزان الاعتدال ١٩٢٨ .
- (١١) قال الذهبي : عن اسحاق تكلم فيه . وقال عن أخيه : ضعفه الدارقطني . انظر ميزان الاعتدال ١٩٩٨ . ديوان ١٩٠ .

٩٩ - إسحاق بن وهب الطهرمسي من قرى مصر كذاب متروك يحدث بالأباطيل  
عن عبد الله بن وهب وغيره (١) .

١٠٠ - إسحاق بن عمر عن عائشة مجهول يترك (٢) .

### باب أبان

١٠١ - أبان بن أبي عياش بصري وهو ابن فيروز يحدث عن أنس متروك (٣) .

١٠٢ - أبان والد يزيد بن أبان الرقاشي مجهول لا يعرف الا بابنه له حديث

واحد (٤) .

١٠٣ - أبان بن سفيان جزري متروك (٥) .

١٠٤ - أبان بن المجد روى عنه مروان الفزاري مقل متروك (٦) .

١٠٥ - أبان بن جبلة كوفي (٧) .

### باب يجمع جماعة

١٠٦ - أيوب بن خوط بصري متروك (٨) .

١٠٧ - أيوب بن سيار مدني نزل فيد يعرف بالفيدي منكر الحديث (٩) .

١٠٨ - أيوب بن مدرك الحنفي شامي متروك (١٠) .

١٠٩ - أيوب بن واقد نزل البصرة مقل كوفي (١١) .

١١٠ - أصله عن عثمان بن حكيم وهشام بن عروة منكر الحديث .

١١١ - أشعث بن بزار بصري مقل منكر الحديث .

١١٢ - أشعث بن سعيد أبو الربيع السمان بصري متروك .

(١) ميزان الاعتدال ٢٠٣/٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ١٩٥/٨ .

(٣) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه . العلل ومعرفة الرجال ١٣٥ .

(٤) انظر ديوان ٧ .

(٥) قال الذهبي : وقيل انه ابي . متهم ديوان ٧ .

(٦) ميزان الاعتدال ١٥/٨ .

(٧) ميزان الاعتدال ٦٨ .

(٨) قال الذهبي : تركوه . ديوان ٢٦ .

(٩) قال النسائي : متروك . ميزان الاعتدال ٢٢٨/٨ .

(١٠) الضعفاء والمتروكين للنسائي ١٥ .

(١١) قال النسائي : بصري ضعيف . الضعفاء والمتروكين ١٦ .

- ١١٣ - أسيد بن زيد الحمالي (١)
- أشعث بن سوار كوفي ضعيف
- كوفي أبو محمد متروك سمع شريكا وليث بن سعد وهشيم
- ١١٤ - أصرم بن حوشب الهمداني أبو هشام منكر الحديث
- ١١٥ - أصرم بن غياث الخراساني منكر الحديث (٢)
- ١١٦ - أصنع بن نباته كوفي منكر الحديث (٣)
- ١١٧ - أزور بن غالب منكر الحديث (٤)
- ١١٨ - أبيض بن أبان عن عطاء بن السائب يروى عنه أحمد بن يونس (٥)
- ١١٩ - أوس بن عبد الله بن بريدة مروزي متروك (٦)
- ١٢٠ - الأحوص بن حكيم الحمصي منكر الحديث (٧)
- ١٢١ - إدريس بن سنان عن وهب بن منبه روى عنه إبنه عبد المنعم (٨)

### حرف الباء

- ١٢٢ - بشر بن رافع النجراني من اليمن الحارثي أبو الأسباط كناه حاتم بن اسماعيل منكر الحديث (٩)
- ١٢٣ - بشر بن نمير القشيري بصري متروك (١٠)
- ١٢٤ - بشر بن حسيب حسين أصبهاني عن الزبير بن عدى وله عنه نسخة موضوعة
- قال والزبير ثقة (١١)

- 
- (١) انظر الكامل ٢٨٢/٨
  - (٢) قال الإمام أحمد والبخاري والرازي : منكر الحديث . التاريخ الكبير ٥٦/٧٢ ، الجرح والتعديل ٣٣٦/٨ ، لسان الميزان ٤٦٢/٨
  - (٣) قال النسائي : متروك الحديث . الضعفاء والمتروكين ٢٢
  - (٤) قال الذهبي منكر الحديث مجهول ديوان ١٦
  - (٥) لسان الميزان ١٢٨/٨
  - (٦) لسان الميزان ٤٧٠/٨
  - (٧) قال ابن حجر ، ضعيف الحفظ من الخامسة - ق - تقريب التهذيب ٢٥
  - (٨) ديوان ١٥
  - (٩) قال ابن حجر . ضعيف الحديث من السابعة - يخ د ت ق - تقريب التهذيب ٤٤
  - (١٠) قال الذهبي متروك عندهم - ق - ديوان ٣٢
  - (١١) ديوان ٣١

- ١٢٥ - بشر بن عمارة الخثعمي . قال لي متروك (١) .  
 ١٢٦ - بكر بن خنيس القاضي كان ببغداد (٢) .  
 ١٢٧ - بشر بن ميمون الوصفي واسطي عن مجاهد (٣) .  
 ١٢٨ - بحر بن كنيذ السقا بصري ويكنى أبا الفضل متروك عن الحسن  
 والزهرري (٤) .  
 ١٢٩ - بكر بن الشروذ صنعاني عن الثوري ومالك ومعمر (٥) .  
 ١٣٠ - بزيع بن حسان أبو الخليل متروك (٦) .  
 كوفي عن الأعمش وهشام بن عروة بواصل .  
 ١٣١ - بكر بن الأسود أبو عبيدة الناجي بصري عن الحسن وابن سيرين مواعظ (٧) .  
 ١٣٢ - بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي روى عنه محمد بن إسحاق وافلح بن  
 سعيد المدني متروك (٨) .  
 ١٣٣ - باب بن عمير عنه الأوزاعي ويحيى بن أبي كثير مجهول (٩) .  
 ١٣٤ - برکه بن يعلى عن أبي سويد العبدي عن ابن عمر مجهولان (١٠) .

### حرف التاء والثاء

- ١٣٥ - تمام بن بزيع أبو سهل بصري متروك عن محمد بن كعب والحسن والعامر  
 ابن عمر الطفاوي (١١) .  
 ١٣٦ - ثابت بن زهير أبو زهير بصري عن نافع وهشام بن عروة منكر  
 الحديث (١٢) .

(١) قال النسائي ضعيف الضعفاء والمتروكين ٢٤ .

(٢) ديوان ٣٤ .

(٣) ديوان ٣٣ .

(٤) قال الذهبي متفق على تركه ديوان ٢٨ .

(٥) لسان الميزان ٥٢/٢ .

(٦) قال ابن حجر . قال البرقاني عن الدارقطني متروك - لسان الميزان ١٢/٢ .

(٧) قال الذهبي متروك ديوان ٣٤ .

(٨) ديوان ٣٠ .

(٩) قال الذهبي تابعي مجهول - د - ديوان ٢٨ .

(١٠) لسان الميزان ٩/٢ .

(١١) لسان الميزان ٧١/٢ .

(١٢) لسان الميزان ٧٦/٢ .

- ١٣٧ - ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الشمالي كوفي عن زاذان وعكرمة وأبي جعفر (١) .
- ١٣٨ - ثوير بن أبي فاخته ضعيف . مولى بني هاشم (٢) - واسم أبيه سعيد بن علاقة كوفي ثقة (٣) .

### حرف الجيم

- ١٣٩ - جلد بن أيوب كوفي عن معاوية بن فروة متروك (٤) .
- ١٤٠ - جابر بن زيد الجعفي ان اعتبر له بحديث بعد حديث صالح اذا كان عن الأئمة (٥) .
- ١٤١ - جعفر بن الزبير الشامي عن القاسم عن أبي امامة متروك (٦) .
- ١٤٢ - جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ولى قضاء الثغر يضع (٧) .
- ١٤٣ - جعفر بن أبي الحسن الخواري يحدث عنه أبو غنام (٨) .
- ١٤٤ - جسر بن فرقد بصري عن ثابت والحسن .
- ١٤٥ - جويبر بن سعيد خراساني متروك (٩) .
- ١٤٦ - جميع بن ثوب حمصي عن خالد بن معدان مقل ويقال جميع منكر الحديث (١٠) .

- (١) قال الذهبي متفق على ضعفه - د - ديوان ٣٨ .
- (٢) قال الذهبي - تابعى واه كذبه الثوري - ت - ديوان ٤٠ .
- (٣) قال ابن حجر - مشهور بكنيته ثقة من الثالثة - ت ق - تقريب التهذيب ١٢٥ .
- (٤) ديوان ٤٥ .
- (٥) قال يحيى بن أبي بكير عن شعبة : كان جابر اذا قال أخبرنا وحدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس . ميزان الاعتدال ٣٧٩/٢ .
- (٦) قال الذهبي : كذبه شعبة وتركه أحمد - ديوان ٤٤ .
- (٧) تنزيه الشريعة ٤٥٨ .
- (٨) ميزان الاعتدال ٤٥٨ .
- (٩) ديوان ٤٧ .
- (١٠) قال الذهبي : منكر الحديث واه - ديوان ٤٦ .

١٤٧ - جارية بن هرم الفقيمي أبو شيخ بصري متروك عن يعقوب بن عطاء وإسماعيل بن مسلم وابن عون وابن جريج روى عنه محمد بن اسحاق ويقلب اسمه لا يقال فيه (١) .

١٤٨ - جراح بن منهال أبو العطاف عن الزهري وأبي الزبير والحكم بن عتبة جزري روى عنه يزيد بن هارون والمعافا بن عمران ويحيى بن صالح فيه خلاعة متروك (٢) .

١٤٩ - جارود بن يزيد أبو الضحاك نيسابوري متروك يروى عن بهز بن حكيم وعمرو بن ذر (٣) .

١٥٠ - جميل بن زيد الطائفي كوفي عن ابن عمر روى عنه الثوري وعباد بن العوام مقل متروك . وقال مرة يعتبر به (٤) .



(١) قال الذهبي : بصري هالك . ميزان الاعتدال ٣٨٥/٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٩٠/٨ .

(٣) ديوان ٤١ .

(٤) لسان الميزان ١٣٦/٢ .







# ظَاهِرَةُ التَّقَارُضِ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ

لِلدُّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
أَسَازِ مَسَاعِدَ بَكَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

٢

تكلّمنا في العدد السابق عن اهمية «التقارض» كظاهرة التوسع اللغوي، وحددنا لغة واصطلاحاً، ثم فصلنا الحديث في نوعين :-

الأول :- التقارض بين اللفظين في الأحكام الإعرابية، كالتقارض بين «إلا» و«غير» وكالتقارض بين «وما» . . . الخ  
:- التقارض بين اللفظين في الهيئة والشكل، كالتقارض بين الحال والتمييز في الاشتقاق والجمود . . . الخ

والحديث الآن في النوع الثالث :

النوع الثالث : التقارض بين اللفظين في المعاني :

يذكر النحاة أن كل حرف من حروف المعاني يفيد - بطريق الأصالة - معنى أو عدة معان، تعد من لوازم هذا الحرف غالباً، غير أنه في بعض الأحيان قد يفيد الحرف معنى من المعاني ليس أصلاً في إفادته، وإفادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد عند بعض العلماء من باب التقارض بينهما، فكأن الحرف الآخر أقرضه هذا المعنى، وربما عدّه بعضهم من باب نيابة الحرف مكان الحرف الآخر، وهذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون «أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم محمول على ما يلي :

١ - إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما قيل في قوله تعالى ﴿وَأَصْلِبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه : ٢٠) «إن» في «ليست بمعنى على، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء» .

٢ - وإمّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمّن بعضهم «شربن» في قول أبي ذؤيب الهذلي:

شربن بهاء البحر ثم ترفعت متى لحج خضرهّن نثيح (١)  
معنى «روين» وأحسن في قوله تعالى ﴿وقد أحسن بي﴾ (يوسف: ١٠٠) معنى «لطف».

٣ - وإمّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى:

وقد ذهب الكوفيون إلى جواز نيابة الحرف عن الحرف أى أن يقترض الحرف من الحرف الآخر معناه.

أما المالمقى فقد وقف بين الفريقين موقفا وسطا حيث قال:

إن نيابة الحرف مكان الحرف الآخر موقوفة على السماع؛ لأن الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسا إلا إذا كان معناهما واحدا ومعنى الكلام الذى لا يدخلان عليه واحدا (٢).

وغير خاف أن مذهب الكوفيين بعيد عن التكلف والتعسف ومن ثم فهو جدير بالاتباع لذا سوف نسوق أمثلة متنوعة لبعض الحروف التى تفيد معانى أصيلة ومعانى أخرى غير أصيلة اقترضتها من الحروف الأخرى.

إلى - اللام :

أ - «إلى» تدل من خلال الأسلوب على انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، ذلك أوضح معانيها نحو قوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الاسراء: ١) وقوله تعالى ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقد تخرج عن معناها الأصلية المتقدم فتأتى فى بعض أحوالها بمعنى اللام نحو قوله تعالى ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ (النمل: ٣٣) أى الأمر لك ونحو قوله تعالى

(١) ديوان الهذليين: ١: ٥١.

(٢) رصف المباني: ٢٢١. وراجع الخلاف بين البصريين والكوفيين فى هذه المسألة: مغنى اللبيب: ١٥٠-١٥١.

والخصائص: ٢: ٣٠٦. والجنى الدانى فى حروف المعانى: ٥. والأزهية: ٢٧٧-٣٠٠. والأمالى الشجرية: ٢: ٢٦٧.

﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (النساء: ٥) أى ادفعوا لهم فقد اقترضت «إلى» من اللام معنى شبه الملك فى الآية الأولى والاستحقاق فى الآية الثانية(١).

ب - أما «اللام» فتفيد غالباً المعانى التالية :

الاستحقاق نحو قوله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ (المطففين: ١) والاختصاص نحو قوله تعالى ﴿فإن كان له إخوة﴾ (النساء: ٦) والملك نحو قوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ (البقرة: ٢٥٥) والتمليك نحو «وهبت لزيد ديناراً» وشبه الملك نحو قوله تعالى ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ (النحل: ٧٢) والتعليل نحو قوله تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل: ٤٤) وقد تخرج اللام عن كل هذه المعانى فتأتى بمعنى «إلى» ويتمثل ذلك فى نحو قوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ (الزلزلة: ٤، ٥) أى أوحى إليها ونحو ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾ (الرعد: ٢) أى إلى أجل مسمى ونحو ﴿ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ (الأنعام: ٢٨) أى إلى ما نهوا عنه، فدلالة اللام فى الآيات المتقدمة هى انتهاء الغاية وذلك المعنى مقترض من «إلى».

قال الزجاجى فى باب اللام التى بمعنى إلى :

وذلك نحو قوله تعالى ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان﴾ (آل عمران: ١٩٣) قال بعضهم معناه ينادى إلى الإيمان فأما قوله تعالى ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ (الأعراف: ٤٣) فلا خلاف فى أن تقديره: هدانا إلى هذا، فهذه لام إلى .

وفى قوله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ (الاسراء: ٩) أى إلى التى هى أقوم، فأما قوله تعالى ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت﴾ (الأعراف: ٥٧) فجائز أن تكون اللام لبيان المفعول من أجله فىكون المعنى: سقناه من أجل بلد ميت، وجائز أن تكون بمعنى «إلى» فىكون التقدير: سقناه إلى بلد ميت. (٢).

وهكذا اقترضت «إلى» معنى اللام كما اقترضت «اللام» معنى «إلى».

(١) راجع الأشمونى: ٢: ٢١٣. والهمع: ٢: ٢٠.

(٢) اللامات للزجاجى: ١٥٧. وراجع رصف المباني: ٢٢٢. ومعانى القرآن للفراء: ١: ٢٥٠. وشرح التصريح على التوضيح: ٢: ١٧. ومغنى اللبيب: ١٠٤-٢٨٠.

إلى - فى :

أ - «إلى» التى تفيد بطريق الأصالة معنى انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، قد تخرج عن هذا فتأتى بمعنى «فى» فى الأسلوب على سبيل المقارضة، ذكر ذلك جماعة من النحاة، وعليه فقد ذهبوا إلى أن «إلى» بمعنى «فى» فى قول النابغة الذبياني:  
فلا تتركنى بالوعيد كأننى  
إلى الناس مطلى به القار أجرب  
أى كأننى فى الناس مطلى به القار.

وفى قول طرفة :

وإن تلتق الحىّ الجميع تلاقنى  
إلى ذروة البيت الكريم المصمّد  
أى فى ذروة البيت الذى يصمد ويعضد.

ويقال : جلست إلى القوم أى فيهم، قال ابن مالك :  
ويمكن أن يكون إلى بمعنى «فى» فى قوله تعالى ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ (النساء : ٨٧).

وخالف فى مجىء «إلى» بمعنى «فى» ابن عصفور حيث قال :  
ولو صح مجىء «إلى» بمعنى «فى» لجاز : زيد إلى الكوفة<sup>(١)</sup>.

ب - «فى» معلوم أن أوضح معانيها هو الظرفية المكانية أو الزمانية، وقد اجتمعنا فى قوله تعالى ﴿لم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين﴾ (الروم : ١، ٢)  
قال الملقى :

اعلم أن «فى» حرف جار لما بعده ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازاً، فالحقيقة نحو:  
جعلت المتاع فى الوعاء، ومنه قوله تعالى ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة : ٣٩٥). والمجاز نحو: دخلت فى الأمر وتكلمت فى شأن حاجتك ومنه قوله تعالى ﴿ادخلوا فى السلم كافة﴾ (البقرة : ٢٠٨). ونحو ﴿ولتنازعتم فى الأمر﴾ (الانفال : ٥).  
غير أنها فى بعض الأحيان قد ترادف «إلى» فتقتضى معنى انتهاء الغاية منها نحو قوله تعالى ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ (ابراهيم : ٦). أى إلى أفواههم<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع المغنى : ١٠٤، ١٠٥. والأزهية : ٢٨٣، ٢٨٤. ومعانى الحروف للرماني : ١١٥. ورفص المبانى : ٨٣.

(٢) المغنى : ٢٢٣، ٢٢٥. والمطالع السعيدة فى شرح الفريدة للسيوطى : ٢ : ٥٢ ط أولى بغداد. وراجع رفص المبانى : ٣٨٨. والأشمونى : ٢ : ٢١٩.

## الباء - في :

أ - «الباء» الأصل فيها أن تفيد معنى القسم بل هي أصل أحرفه، ولذا خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو: أقسم بالله لتفعلن ودخولها على الضمير نحو: بك لأفعلن غير أن «الباء» قد تقتض من «في» معنى الظرفية يدل على ذلك الشواهد الكثيرة منها قوله تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ (الصفات: ٣٧، ٣٨). أي وفي الليل ونحو ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ (آل عمران: ١٢٣). أي في بدر ونحو ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ (القمر: ٣٦). أي في سحر ونحو ﴿وماكنت بجانب الغربي﴾ (القصص: ٤٤). أي في جانب الغربي، ونحو: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾ (يونس: ٨٧). أي في مصر، ونحو قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم  
وقال ذي الرمة :

أذو زوجة بالمصر أو ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويًا  
أي فيها العين والآرام وأذو زوجة في المصر<sup>(١)</sup>.

ب - وقد تقتض «في» معنى «الباء» وذلك نحو قول زيد الخير بن مهلهل :

ويركب يوم الروع مناً فوارسٌ بصيرون في طعن الأباهر والكلبي  
أي بصيرون بطعن الأباهر، وقال بعضهم إن «في» بمعنى «الباء» في قوله تعالى ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه﴾ (الشورى: ١١). وقد جعلها ابن هشام للتعليل موافقا للزخشي في ذلك<sup>(٢)</sup>.

## الباء - عن :

أ - «الباء» تفيد القسم في أظهر معانيها كما تقدم ولكنها في بعض أحوالها قد تأتي في الأسلوب مفيدة معنى «المجاوزة» مقترضة هذا المعنى من «عن» نحو قوله تعالى ﴿سأل

(١) راجع معاني الحروف للروماني: ٣٦. والمقرب: ٢٠٤: ١. وشرح التصريح: ١٤: ٢.

(٢) المعنى: ١٤١-٢٢٤.

سائل بعذاب واقع ﴿ (المعارج: ١) أى عن عذاب واقع، ونحو: ﴿فاسأل به خيرا﴾  
(الفرقان: ٥٦) أى فاسأل عنه خيرا، ونحو: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيانهم﴾  
(الحديد: ١٢) أى بين أيديهم وعن أيانهم، ونحو: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ (الفرقان: ٢٥)  
أى يوم تشقق السماء عن الغمام. غير أن الزمخشري جعل «الباء» فى هذه الآية بمنزلتها  
فى شققت السنام بالشفرة. على أن الغمام جعل كالآلة التى يشق بها، قال: ونظيره قوله  
تعالى ﴿السماء منفطر به﴾ (المزمل: ١٨).

ومن محىء «الباء» بمعنى «عن» نظما قول علقمة بن عبده:

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طبيب  
أى فإن تسألونى عن النساء.  
وقول عنتره:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى  
أراد: عما لم تعلمى.  
وقول النابغة الجعدى:

سألتنى بأناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل  
أى سألتنى عن أناس.  
وقول النابغة الذبياني:

كأن رحلى وقد زال النهار بنا بنى الجليل على مستأنس وحَد  
أى وقد زال النهار عنا.  
فالباء فى كل ما تقدم تفيد معنى المجاوزة على سبيل الاقتراض من «عن»<sup>(١)</sup>.

ب - أما «عن» فهى حرف يفيد معنى المجاوزة ولم يذكر البصريون سواه. نحو:  
سافرت عن البلد، ورغبت عن كذا، ورميت السهم عن القوس<sup>(٢)</sup>، وغير البصريين

(١) راجع معنى اللبيب: ١٤١-١٤٢. وابن عقيل: ٢: ٢٢. والأزهية: ٢٩٥. وورصف المبانى: ١٤٤. والتسهيل: ١٤٥.

(٢) معنى اللبيب: ١٩٦.

يذهبون إلى أنها تفيد معاني آخر منها قد تجيء بمعنى الباء أى تقتض معناه يدل على ذلك الأمثلة الآتية :

قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ (النجم : ٣) . أى وما ينطق بالهوى . غير أن بعضهم ذهب إلى أن الباء فى هذه الآية على حقيقتها أى ما يصدر قوله عن الهوى<sup>(١)</sup> .  
وتقول العرب : رميت عن القوس أى رميت بالقوس ، وقال امرؤ القيس :

تصدُّ وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحشى وحره مطفل  
أى تصد وتبدي بأسيل ، فعن فى البيت بمعنى الباء<sup>(٢)</sup>

الباء - على :

أ - وأيضاً فالباء المتقدمة قد تأتى فى بعض الأحيان مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «على» نحو قوله تعالى ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾ (آل عمران : ٧٥) أى تأمنه على قنطار ، بدليل قوله تعالى ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ (يوسف : ٦٤) ونحو قوله تعالى ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ (المطففين : ٣٠) أى إذا مروا عليهم يتغامزون بدليل قوله تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ (الصفات : ١٣٧) .

ومن مجىء الباء بمعنى الاستعلاء أيضاً قول الشاعر :

أربُّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب  
أى يبول الثعلبان على رأسه ، ويؤكد ذلك الشطر الثانى من البيت<sup>(٣)</sup> .

ب - ومعلوم أن «على» تفيد معنى الاستعلاء كما سيأتى الكلام على ذلك لكنها قد تأتى مفيدة معنى الباء نحو قوله تعالى ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ (الأعراف : ١٠٥) أى حقيق بأن لا أقول ، وقد قرأ أبى بن كعب المتوفى سنة ٢١هـ الآية المتقدمة بالباء ، وقد سمع : اركب على اسم الله أى اركب باسم الله<sup>(٤)</sup> .

(١) معنى اللبيب : ١٩٨ .

(٢) راجع معانى الحروف للرماني : ٩٥ . والأزهية : ٢٩٥ . والخزانة : ٤ : ٢٤٤ . والهمع : ٢ : ٢٩ ، ٣٠ . ومعنى الأسيل فى البيت : اخذ الناعم .

(٣) معنى اللبيب : ١٤٢ .

(٤) معنى اللبيب : ١٩٢ .

وقال امرؤ القيس :

بأى علاقتنا ترغبون عن دم عمرو على مرتد<sup>(١)</sup>

أراد: ترغبون عن دم عمرو بدم مرتد وليس بدونه .

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فكأنهن رباة وكأنه يسرّيفيظ على القداح ويصدع<sup>(٢)</sup>

أى يفيض بالقداح أى يضرب بها .

فيلاحظ أن «على» قد تأتي بمعنى «الباء» كما يشهد لذلك الأمثلة المتقدمة<sup>(٣)</sup> .

الباء - من :

قد ترد «الباء» المتقدمة فى الأساليب مفيدة معنى التبويض مقترضة هذا المعنى من

«من» قال بهذا الأصمعى والفارسى والقنبى وابن مالك والكوفيون<sup>(٤)</sup>، وجعلوا من ذلك

قوله تعالى ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ (الانسان : ٦) أى يشرب منها عباد الله ، ومن ذلك

قول أبى ذؤيب<sup>(٥)</sup> الهذلى :

شربن بما البحر ثم ترفعت متى لحج خضر هن نئيج

أى شربن من ماء البحر .

وقول جميل<sup>(٦)</sup> :

فلثمت فها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أى شرب النزيف من برد ماء الحشرج ، فقد جاءت «الباء» بمعنى «من» فيما تقدم .

(١) الديوان : ٣٩ . والأزهية : ٢٨٧ .

(٢) المفضليات : ٢٠٢ . ولسان العرب : رب . وديوان الهذليين : ٦ : ١ .

(٣) راجع المطالع السعيدة : ٥٦ : ٢ . وشرح التصريح : ١٣ : ٢ . والأشمونى : ٢٢٢ : ٢ .

(٤) معنى اللبيب : ١٤٢ .

(٥) ديوان الهذليين .

(٦) الديوان : ٤٢ . والنزيف : العطشان . والحشرج : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء .



ب - ومن المعلوم أن «من» تفيد ابتداء الغاية حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه<sup>(١)</sup> لكن الأرجح ان ابتداء الغاية مطلقا هو أشهر معانيها قال السيوطي في المطالع السعيدة<sup>(٢)</sup>.

«من» لا ابتداء الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما نحو قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الاسراء: ١) ونحو الحديث الشريف: «فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة»<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (النمل: ٣٠).

وقد تأتي «من» مفيدة معنى الاستعانة مقترضة هذا المعنى من «الباء» قال بهذا يونس بن حبيب ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ (الشورى: ٤٥) أى ينظرون بطرف خفى، وعلى هذا النحو أورد الهروي<sup>(٤)</sup> عدة آيات قرآنية ظهر فيها أن «من» بمعنى الباء نحو قوله تعالى ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ (الرعد: ١١) أى بأمر الله ونحو ﴿يلقى الروح من أمره﴾ (غافر: ٥) أى بأمره ونحو ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ (القدر: ٤، ٥) أى بكل أمر سلام، «فمن» فى كل ما تقدم بمعنى الباء.

على - عن :

أ - سبق القول أن «معنى الاستعلاء» فى «على» هو أظهر معانيها، سواء كان الاستعلاء حقيقيا نحو قوله تعالى ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ (المؤمنون: ٢٢) أم مجازيا نحو قوله تعالى ﴿ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (الشعراء: ١٤) ونحو ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ (البقرة: ٢٥٢) ونحو ﴿وللرجال عليهم درجة﴾ (البقرة: ٢٢٨) غير أنها فى بعض الأحيان قد تقتضى «معنى المجاوزة» من «عن» نحو قول القحيف بن سليم العقيلي:

إذا رضيت على بنو قشير لعمر والله أعجبنى رضاها  
أى إذا رضيت عنى بنو قشير، ويحتمل ان يكون «رضى» ضمن معنى «عطف» من

(١) معنى اللبيب: ٤٢٩.

(٢) المطالع السعيدة: ٢: ٧٠.

(٣) البخارى: باب الاستسقاء.

(٤) الأزهية: ٢٩٣.

باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في معناه، ولهذا تعدت رضى بعلى في البيت المتقدم لما كان «رضى عنه» بمعنى أقبل عليه بوجه ودّه، وقال الكسائي: إنها جاز هذا حملا على نقيضه وهو سخط<sup>(١)</sup>.

ومن مجيء «على» بمعنى «عن» قول عدى بن زيد:  
في ليلة لا نرى بها أحدا يحكى علينا إلا كواكبها  
أى يحكى عنا إلا كواكبها، وقال بعضهم أن «يحكى» ضمن معنى ينم ولذلك عداه  
بعلى فهو من باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في المعنى.

ب - «عن» تفيد «معنى المجاوزة» ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا  
المعنى فتفيد «معنى الاستعلاء» مقترضة إياه من «على» وذلك على رأى غير البصريين.  
يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ (محمد: ٣٨) أى يبخل على  
نفسه. وقول ذى الأصبع العدواني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عنى ولا أنت ديانى فتخزوني  
وقد فسر البيت ابن هشام بقوله: أى لله درّ ابن عمك لا أفضلت في حسب على ولا  
أنت مالكى فتسوسنى، وذلك لأن المعروف أن يقال: أفضلت عليه<sup>(٢)</sup>، ونحو قوله تعالى  
﴿إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ (ص: ٣٢) أى قدمت الخير على ذكر ربي.

على - اللام :

أ - وإذا كان الاستعلاء في «على» هو أظهر معانيها فإنها أحيانا قد تأتى مفيدة معنى  
التعليل مقترضة هذا المعنى من «اللام» نحو قوله تعالى ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾  
(البقرة: ١٨٥) أى هدايته إياكم، ومن ذلك قول عمرو بن معديكرب:  
علام تقول الرمح يثقل عاتقى إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت  
أى لم تقول الرمح يثقل عاتقى، «فعلى» في البيت بمعنى «اللام»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع معنى اللبيب: ١٩١-٨٨٧.

(٢) المغنى: ١٩٦. وراجع الايضاح العضدى: ٢٥٩. والهمع: ٢: ٢٩. وابن عقيل: ٢: ٢٣. وشرح التصريح: ٢: ١٥.

(٣) معنى اللبيب: ١٩١. والمقرب لابن عصفور: ١: ٢٠١. والمطالع السعيدة: ٢: ٦٢.

ب - وقد تأتي «اللام» مفيدة معنى الاستعلاء الحقيقي والمجازي، مقترضة هذا المعنى من «على» فالاستعلاء الحقيقي نحو قوله تعالى ﴿ويخرون للأذقان سجدا﴾ (الاسراء: ١٠٩) أى ويخرون على الأذقان، ونحو قوله تعالى ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه﴾ (يونس: ١٢) أى دعانا على جنبه، وقوله تعالى ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ (الصفات: ١٠٣) أى وتله على الجبين، ونحو قول الأشعث الكندي:  
تناولت بالرمح الطويل ثيابه فخر صريعا لليدين والضم  
أى فخر صريعا على اليدين والضم.

والاستعلاء المجازي نحو قوله تعالى ﴿إن أحستتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الاسراء: ٧) أى وإن أسأتم فعليها ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها: «اشترطى لهم الولاء»<sup>(١)</sup> أى اشترطى عليهم الولاء. وقد أنكر النحاس أن يكون لهم فى الحديث بمعنى عليهم، وذهب إلى أن المعنى من أجلهم، فاللام قد جاءت على أصلها فى رأيه<sup>(٢)</sup>.

على - فى :

أ - وقد تأتي «على» مفيدة «معنى الظرفية» مقترضة هذا المعنى من «فى» نحو قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ (القصص: ١٥) أى فى حين غفلة من أهلها. وقوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (البقرة: ١٠٢) أى ما تتلوا الشياطين فى زمن ملكه، ويحتمل أن تكون «على» فى الآية حقيقتها إذا ضمن «تتلوا» معنى تقول، فىكون بمنزلة ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ (الحاقة: ٤٤) من مجيء على بمعنى «فى» أى مفيدة معنى الظرفية قول الأعشى:

فضل على حين العشيات والضحي ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا  
أى: فصل فى حين العشيات.

ويقال: أتيت على عهد فلان. أى أتيت فى عهد فلان<sup>(٣)</sup>.

ب - وقد تأتي «فى» مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «على» قال بذلك الكوفيون وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿ولأصلبكم فى جذوع النخل﴾ (طه: ١٧)

(١) صحيح البخارى: كتاب العتق.

(٢) معنى اللبيب: ٢٨٠. وورصف المباني: ٢٢١. والأشمونى: ٢: ٢١٧.

(٣) الأزهية: ٢٨٥. وشرح التصريح: ٢: ١٤. وابن يعيش: ٩: ٣٩.

أى على جذوع النخل غير أن البصريين قالوا إن «فى» فى الآية الكريمة على بابها أى مفيدة معنى الظرفية والمعنى : أن النخلة مشتملة على المصلوب ، لأنه إنما يصلب فى عراضها لا عليها ، فكأنها صارت له وعاء أو اشتملت عليه (١) .

ومن مجيء «فى» بمعنى «على» قول سويد بن كاهل أو غيره :

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا  
أى هم صلبوا العبدى على جذع نخلة .  
وقول عنتر بن شداد :

بَطْلُ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سِرْحَةٍ يَحْدَى نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْعَمٍ  
وَالسِرْحَةُ : الشجرة العظيمة أى ثيابه على شجرة . ونحو قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ  
يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ (الطور : ٣٨) أى يستمعون عليه (٢) .

على - من :

وقد تأتى «على» مفيدة معنى ابتداء الغاية مقترضة هذا من «من» نحو قوله تعالى  
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطففين : ١ ، ٢) أى إذا اکتالوا  
من الناس . وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ (المؤمنون :  
٦ ، ٥) أى إلا من أزواجهم بدليل : «أحفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك» .  
وقوله تعالى ﴿مَنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانُ﴾ (المائدة : ١٠٧) أى استحق منهم  
الأوليان . وقول أبى المثلث الهذلى يصف كتيبة : (٣) .  
متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث  
أى من أقطارها ، والعلق : الدم الجامد . ونفيث : منفوخ .

ب - وقد تأتى «من» بمعنى «على» أى مفيدة معنى الاستعلاء نحو قوله تعالى  
﴿وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى ونصرناه على القوم الذين كذبوا ، وقيل :  
ضمن «نصرناه» معنى منعناه أى منعناهم بالنصر .

(١) معانى الحروف للرماني : ٩٦ .

(٢) منار السالك : ١ : ٣٩٣ . والمغنى : ٢٢٤ .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين : ٢ : ٢٢٤ . والمخصص : ٦ : ٩٥ .

وهكذا جاءت «على» في الأساليب بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية، وجاءت «من» بمعنى «على» أى مفيدة معنى الاستعلاء وكل ذلك على سبيل التقارض بينهما فى المعانى (١).

### عن - اللام :

وقد ترك «عن» معنى المجاوزة إلى إفادة «التعليل» على سبيل الاقتراض من «اللام» نحو قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ (التوبة : ١١٤) أى إلا الموعدة وعدها إياه، وقوله تعالى ﴿وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك﴾ (هود : ٥) أى ما نحن بتاركى آلهتنا لقولك، وقد ذهب الزمخشري إلى غير هذا فجوز أن يكون «عن قولك» حالا من ضمير تاركى أى ما تركها صادرين عن قولك، فليست عن بمنزلة اللام على رأيه (٢).

ب - وقد تأتى «اللام» بمعنى «عن» أى مفيدة «معنى المجاوزة» نحو قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (الأحقاف : ١١) أى قال الذين كفروا عن الذين آمنوا قال بهذا ابن الحاجب، وذهب ابن مالك وغيره إلى أن اللام فى الآية لام التعليل، وقيل هى لام التبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة، أو يكون اسم المفعول لهم محذوفاً أى قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا إسلام طائفة أخرى، وحيث دخلت اللام على غير المقول له فالتأويل على بعض ما ذكر (٣)

### عن - من :

أ - وقد تأتى «عن» بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية. نحو قوله تعالى ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ (الشورى : ٢٥) أى يقبل التوبة من عباده، وقوله تعالى ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ (الأحقاف : ١٦) أى يتقبل منهم أحسن ما عملوا بدليل قوله تعالى ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ (المائدة : ٢٧) وبدليل قوله تعالى ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة : ١٢٧).

(١) الأزهية : ٢٩٣. والمغنى : ٤٢٤، ١٩١. والأشمونى : ٢١٣ : ٢. والهمع : ٢٨ : ٢، ٣٤.

(٢) معنى اللبيب : ١٩٧.

(٣) معنى اللبيب : ٢٨٢. والأشمونى : ٢٢٤ : ٢.

ب - وقد تأتي «من» مرادفة «لعن» فتفيد معنى المجاوزة على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ (الزمر: ٢٢) أى عن ذكر الله، وقوله تعالى ﴿ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ (الأنبياء: ٩٧) أى في غفلة عن هذا، وذكر الهروى: «أنه قيل: حدثنى فلان من فلان» أى حدثنى فلان عن فلان.  
قال ابن هشام:

وزعم ابن مالك أن «من» في نحو: زيد أفضل من عمرو للمجازة، وكأنه قيل: جاوز زيد عمرا في الفضل قال: وهو أولى من قول سيبويه وغيره أنها لا ابتداء الارتفاع في نحو: أفضل منه، وابتداء الانحطاط في نحو: شرمه إذ لا يقع بعدها إلى، وقد رد على ابن مالك أنها لو كانت للمجازة في المثال المتقدم لصح في موضعها عن (١).

### في - اللام :

أ - «في» تفيد معنى الظرفية. قال أبو على الفارسي: «وفي معناها الوعاء وذلك نحو: المال في الكيس واللص في الحبس ويتسع فيها فيقال: زيد ينظر في العلم وأنا في حاجتك» وقد تخرج عن هذا المعنى إلى مرادفة «اللام» فتفيد معنى التعليل أو السببية نحو قوله تعالى ﴿فذلكن الذى لمتننى فيه﴾ (يوسف: ٣٢) أى لمتننى لأجله. وقوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه﴾ (النور: ١٤) أى لأجل إفاضتكم فيه، ومن ذلك حديث الرسول ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها» (٢) أى لأجل هرة فالهرة هى العلة والسبب فى دخول المرأة النار.

ب - «واللام» التى تفيد معنى «التعليل» قد تخرج عنه إلى إفادة معنى الظرفية على سبيل الاقتراض من «في» نحو قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ (الأنبياء: ١١) أى ونضع الموازين فى يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿يسألونك عن الساعة أيا نمرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ (الاعراف: ١٨٧) أى لا يجليها فى وقتها إلا هو، قيل: ومنه قوله تعالى ﴿ياليتنى قدمت لحياتى﴾ (الفجر: ٢٤) أى فى حياتى. وقولهم: مضى لسبيله أى مضى فى سبيله (٣).

(١) الأزمية: ٢٨٩.

(٢) الحديث فى مسند أحمد والبخارى ومسلم.

(٣) الايضاح العضدى: ٢٥١. والمعنى: ٢٢٤، ٢٨١.

في - من :

أ - وقد تأتي «في» بمعنى «من» أى تأتي مقترضة معنى ابتداء الغاية أو التبعض من «من» نحو قول امرئ القيس: (١)

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان في العصر الخالى  
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال  
أى من كان من العصر الخالى وثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال.

ب - وقد تأتي «من» بمعنى «في» أى تفيد معنى الظرفية على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ (فاطر: ٤٠) أى ماذا خلقوا في الأرض، وقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ (الجمعة: ٩) أى نودى للصلاة في يوم الجمعة.  
وقد ذهب ابن هشام إلى أن «من» في الآية الكريمة لبيان الجنس وليست بمعنى «في» (٢).

اللام - من :

أ - وقد تخرج «اللام» عن معنى التعليل فتأتى بمعنى «من» أى تفيد معنى ابتداء الغاية نحو قولهم: «سمعت له صراخاً» أى سمعت منه صراخاً. ونحو قول جرير: (٣)  
لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل  
أى ونحن أفضل منكم يوم القيامة (٤).

ب - وقد تخرج «من» عن إفادة ابتداء الغاية فتأتى بمعنى «اللام» أى تفيد معنى التعليل نحو قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ (نوح: ٢٥) أى لأجل خطيئاتهم أغرقوا. ونحو قول امرئ القيس: (٥)  
وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الأسود

(١) الديوان: ١٣٨ .

(٢) مغنى اللبيب: ٤٢٤، ٢٢٥ . والمطلع السعيدة: ٢: ٦٤ . وأوضح المسالك: ١: ٣٨٩ . ووصف المباني: ٣٩١ .

(٣) الديوان: ٤٥٧ .

(٤) مغنى اللبيب: ٢٨١ . والأشمونى: ٢: ٢١٨ .

(٥) الديوان: ٧٦ .

أى وذلك لأجل نبأ جاءنى .

ونحو قول الفرزدق: (١)

يُغْضَى حِيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ      فَمَا يَكْلِمُ إِلَّا حِينَ يَبْسُمُ  
أى ويغضى لأجل مهابته (٢).

أو - الواو :

أ - «أو» حرف عطف يفيد معنى الشك أو الابهام أو التخيير أو الاباحة ، وفي بعض الأحيان قد يأتى هذا الحرف مفيدا معنى «الواو» أى يفيد معنى الجمع المطلق قال بذلك الكوفيون والأخفش والجرمى واحتجوا بقول توبه بن الحُمير:

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر      لنفسى تقاها أو عليها فجورها  
أى لنفسى تقاها وعليها فجورها «فأو» بمعنى «الواو» . قال المالمقى : وهو قليل لا يقاس عليه (٣) . وقيل «أو» فى البيت للابهام أى جاءت على بابها .

واحتجوا أيضا بقول جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز: (٤)

جاء الخليفة أو كانت له قدرا      كما أتى موسى ربه على قدر  
«فأو» فى الشطر الأول لمطلق الجمع كالواو .

ويقول النابغة الذبياني: (٥)

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا      إلى حمامتنا أو نصفه فقد  
«فأو» فى البيت لمطلق الجمع كالواو .

ويقول حميد بن ثور: (٦)

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم      ما بين ملجم مهره أو سافع  
فأو فى الشطر الثانى لمطلق الجمع كالواو . والسافع: هو الأخذ بناصية الفرس من غير

لجام .

(١) الديوان: ٨٤٨ .

(٢) معنى اللبيب: ٤٢١ . ومنار السالك: ١ : ٣٨٩ .

(٣) رصف المياني: ١٣١ .

(٤) الديوان: ٢٧٥ .

(٥) الديوان: ٤٥ .

(٦) الديوان: ١١١ .



وقال الرماني: (١) ذهب قوم من الكوفيين إلى أن «أو» بمعنى «الواو» وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ (المرسلات: ٦) ومثله ﴿عذرا أو نذرا﴾ (طه: ٤٤). وفي قوله تعالى ﴿إنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾ (الواقعة: ٤٧، ٤٨) ذهب المالقي إلى أن «أو» في الآية بمعنى «الواو» على قراءة من سكن الواو (٢) وفي قوله تعالى ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ (الصفافات: ١٤٧) «أو» بمعنى الواو أى مائة ألف ويزيدون. وفي قوله تعالى ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم﴾ (النور: ٦١) ذكر ابن مالك أن «أو» في الآية بمعنى «ولا». قال ابن هشام: إن «أو» في الآية بمعنى «الواو» وإنما جاءت «لا» في الآية توكيدا للنفي السابق وممانعة من توهم تعليق النفي بالمجموع لا بكل واحد، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الاجماع (٣).

ب - وقد تخرج «الواو» عن إفادة «مطلق الجمع» فتأتى بمعنى «أو» أى تفيد الاباحة أو التخيير وقالوا إن مجيء «الواو» بمعنى «أو» على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون بمعنى «أو» في التقسيم نحو قولك: الكلمة اسم وفعل وحرف أى الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ونحو قول عمرو بن بركة: وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم «فالواو» في الشطر الثاني بمعنى «أو» وذهب ابن هشام: إلى أن الواو جاءت على أصلها لمطلق الجمع.

الثاني: أن تكون «الواو» بمعنى «أو» في إفادة الاباحة وعلى ذلك الزمخشري، وزعم أنه يقال: جالس الحسن وابن سيرين أى جالس أحدهما، وأنه لهذا قيل: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة: ١٩٢) يعد ذكر ثلاثة وسبعة لثلاث يتوهم إرادة الاباحة وقد رد ابن هشام ما ذهب إليه الزمخشري (٤).

الثالث: أن تكون «الواو» بمعنى «أو» في إفادة التخيير، واستدلوا بقول كثير عزة: (٥) وقالوا نأت فاختر لها الصبر والبكا فقلت: البكا أشفى اذن لغليلي أى فاختر لها الصبر أو البكاء أى أحدهما، إذ لا يجتمع البكاء مع الصبر.

(١) معاني الحروف: ٧٧، ٧٨.

(٢) رصف المبانى: ٤٢٦.

(٣) معنى اللبيب: ٩٠. وراجع الانصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٧ ط رابعة مصر.

(٤) معنى اللبيب: ٤٦٨.

(٥) الديوان: ٢: ٢٥١.

مع - بعد :

أ - «مع» اسم يدل على الظرفية ويستعمل مضافا ومفردا فيستعمل مفردا نحو قول جندل بن عمرو:

أفيقوا بنى حرب وأهواؤنا معا وأرماحنا موصولة لم تقضب  
وحين يستعمل مضافا فإنه يفيد ثلاثة معان :

أحدها: موضع الاجتماع ولهذا يخبر به عن الذوات نحو: الكتاب معك .  
والثاني: زمان الاجتماع نحو: جئتك مع الظهر .

والثالث: بمعنى «عند» كقراءة بعضهم ﴿ هذا ذكر من معي ﴾ (الأنبياء: ٢٤) وكما تأتي في الأسلوب موافقة لعند فقد ذكر الهروي أنها قد تأتي بمعنى «بعد» واستدل بقول الله عز وجل ﴿ فان مع العسر يسرا ﴾ (الانشراح: ٥) معناه: فإن بعد العسر يسر . ولما ذكر العسر بالألف واللام ثم أعاد ذكره، وجب أن العسر الثاني هو الأول وصار المعنى: ان مع العسر يسرين، ومنه الحديث: « لا يغلب عسر واحد يسرين »<sup>(١)</sup>.

ب - «بعد» هو أحد الظروف الذي لا يلزم البناء، فهو يبنى في بعض الأحوال ويعرب في بعضها الآخر كقيل ودون وأول والجهات الست، ويأتي هذا الظرف أى «بعد» في مقابل «قبل» نحو قوله تعالى ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ (الروم: ٤) وقد يخرج عن معنى مقابلة قبل فيأتي بمعنى «مع» نحو قول الله سبحانه وتعالى ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ (القلم: ١٣) أى عتل مع ذلك زنيم .

وهكذا يلاحظ أن مع وبعد تقارضا المعانى فيما بينهما<sup>(٢)</sup>.

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

وبعد فلعللى أكون قد ألمت بما يجب أن يقال في «ظاهرة التقارض في النحو العربي»، وربما فاتني منها القليل أو الكثير أرجو الله أن يهديني إليها في قابل الزمان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) الحديث أخرجه الحاكم بسند ضعيف مرسلا .  
(٢) راجع الأزهية: ٢٩٢ . والمغنى: ٤٣٩ . وجامع الدروس العربية: ٢: ٢١٤ .

# مَلامِحُ النِّقْدِ الأدْبِيِّ وَمَقَائِيْسُهُ

## فِي العَصْرِ الجَاهِلِيِّ

د. محمد عارف محمود صبيح  
مدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

النقد الأدبي ملكة وذوق وفطرة، قبل أن يكون علما وأصولا وقواعد، وكما وجد الأديب المنشئ الذي وهب ملكة الإنشاء والإبداع الأدبي، الذي يستطيع أن يصور في أسلوب مثير ما يجيش به خاطره، وما يعتمل في فؤاده من أفكار وخواطر وأحاسيس. . . كما وجد الأديب المنشئ المبدع، فقد وجد - كذلك - الانسان الذواقه، المرهف الاحساس، النافذ النظر، الذي يستطيع أن يكشف عما في العمل الأدبي من جمال أو قبح، وأن يصل إلى ما خفى من سماته وشاراته، التي تكسبه المكانة العالية إن كانت سماته وشاراته جميلة، أو التي تنزل به إلى الدرك الأسفل في باب الفن الأدبي، إن كانت قبيحة.

ونخلص من هذا إلى القول بأنه إذا كان العرب قد وهبوا ملكة الإنشاء والإبداع الأدبي، وجادت ملكتهم بروائع الشعر والنثر، فقد وهبوا - كذلك - ملكة النقد والتذوق الأدبي، لما أنشأه المنشئون من شعرائهم، ونخلص - أيضا - إلى القول بأن النقد الأدبي نشأ مع النتاج الأدبي جنبا إلى جنب، وأن الناقد الأدبي وجد في الوقت الذي وجد فيه الأديب المنتج.

وهذا يعني أن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبي وزاولوه، عرفوه فطرة وطبيعة، وزاولوه ذوقا وإحساسا، وطبقوه على نتاجهم الشعري، ولكنهم لم يعرفوه علما وفنا، له أصوله وقواعده؛ إذ لم يسموا عملهم هذا نقدا، ولم يصفوه هذا الوصف، لأن كلمة «نقد» - مقصودا بها تمييز جيد الكلام من رديئه - لم تستعمل إلا في القرن الثالث الهجري؛ حيث أضيفت إلى الشعر مرة، وإلى التراثية، وإلى الكلام مرة ثالثة، وأخذ الناس يقولون: نقد الكلام، وهو من نقدة الشعر ونقاده، وانتقد الشعر على قائله<sup>(١)</sup>، واستعمل الشعراء النقد بهذا المعنى

(١) أساس البلاغة.

كذلك ، فقال بعضهم :

إن نقد الدينار إلا على الصيـ ف صعب فكيف نقد الكلام<sup>(١)</sup>

واستخدم المؤلفون هذا التعبير ، وأول من استعمله «قدامة<sup>(٢)</sup> بن جعفر» وذلك حين أطلق على كتابه «نقد الشعر» ثم مضى الناس على إثره ، فوجدنا كتاب «نقد النثر» فالأرجح أنه لغيره وليس له ، ووجدنا «ابن رشيق<sup>(٣)</sup>» يعنون كتابه بـ«العمدة في صناعة الشعر ونقده» .

## ملاح النقد الجاهلي :

والنقد الأدبي يعنى النظر الدائب الفاحص فى النتاج الأدبى ، للكشف عما فيه من جوانب الجمال ، أو مواضع القبح ؛ ولذا كان أول شىء مارسه العرب القدامى من شئون النقد الأدبى ، هو نظر الشعراء منهم إلى فتاجهم ، فكان أغلبهم يتناول شعره بالنظر والتأمل ، فلا يزيده النظر والتأمل إلا احتفاء به وحباً له ، ورغبة فى تثقيفه ، ومحاولة دائبة لصقله ، حتى يصل به إلى درجة يشعر معها أنه راض كل الرضا .

وقد اشتهر من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بأشعارهم ، ووقفوا بأبواب قوافيه ، بل باتوا بها - كما كانوا يقولون - اشتهر من هؤلاء زهير<sup>(٤)</sup> بن أبى سلمى ، وكعب<sup>(٥)</sup> بن زهير ، والحطيئة<sup>(٦)</sup> . . فكان الواحد منهم يمضى عاما كاملا ينقح قصيدة واحدة ، حتى يصل بها إلى درجة يظن معها أن قصيدته نالت رضاه واستحسانه ، وقد سميت هذه القصائد - لذلك - بالحوليات والمنقحات والمحككات .

(١) دلائل الإعجاز: ١٩٦ .

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان أدبياً ومؤلفاً ، ألف كتباً كثيرة ، لم يصلنا منها سوى كتابي : «نقد الشعر» و«الخراج» توفى سنة ٣١٠هـ .

(٣) هو أبو علي الحسن بن علي بن رشيق الأزدي القيرواني ، ناقد وأديب وشاعر ، ومن مؤلفاته : «قراصة الذهب في نقد أشعار العرب» و«الغرائب والشذوذ في اللغة» بالإضافة إلى كتابه الشهير «العمدة» توفى عام ٤٥٦هـ .

(٤) هو زهير بن أبى سلمة - ربيعة - بن رباح المزني ، أحد الشعراء الثلاثة المشهورين والمقدمين فى الجاهلية ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابعة . مات قبل الإسلام بزمن طويل .

(٥) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ، شاعر مخضرم ، كان من أكثر الشعراء هجوا للنبي ﷺ ، ثم جاء وأسلم ، ومدحه بقصيدته الشهيرة «بانث سعاد» توفى سنة ٢٤هـ .

(٦) الحطيئة : هو جرول بن أوس من بنى قطيعة بن عيسى ، يكنى أبا مليكة ، وكان راوية كعب بن زهير ، وهو جاهلي إسلامي ، من فحول الشعراء وفصحائهم ، متين الشعر ، متصرف فى جميع الفنون ، ولكنه اشتهر بفن الهجاء ، توفى سنة ٣٠هـ .

فها هو ذا كعب بن زهير، يذكر الشعر وحاجته إلى التقويم والتثقيف، ويذكر فضله  
وفضل الحطيئة في هذا الشأن فيقول:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جرول<sup>(١)</sup>  
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنيا كل ما يتمثل<sup>(٢)</sup>

والحطيئة يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر، وحاجة الشاعر إزاءه إلى الجهد  
والخبرة؛ إذ يقول: <sup>(٣)</sup>

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه<sup>(٤)</sup>  
وهو الذي يقول: «خير الشعر الحولى المنقح المحكك»<sup>(٥)</sup>.

وعناية الشاعر الجاهلي بشعره: بالنظر فيه وتقويمه وتثقيفه منحى نقدي جاهلي، سار  
على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور.

ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا في طلق الشعراء الجاهليين عدى<sup>(٦)</sup> بن الرقاع،  
وسويد<sup>(٧)</sup> بن كراع، ومروان<sup>(٨)</sup> بن أبي حفصة، فها هو ذا عدى بن الرقاع يتحدث عن  
تقويمه لشعره وتثقيفه له فيقول:

---

(١) القوافي: الأشعار. شأنها من يحوكها: ألحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها. ثوى، فوز: مات. جرول:  
الحطيئة.

(٢) يقومها: يهذبها ويقوم معوجها. المتون: جمع متن، وهو الظهر، أى تستقيم كما يريد. ما يتمثل: ما يشتهر كالمثل.

(٣) الأغاني: ١٩٦/٢.

(٤) يعجمه: يجعله كالأعجمي، غير مفصح ولا مبين. ويعجمه معطوف على يريد.

(٥) البيان والتبيين: ٢٠٤/١ (تحقيق عبد السلام هارون). والمحكك: الذى فحص واختبر وعولج.

(٦) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصراً لجرير، مهاجياً له،  
مقدماً عند بنى أمية، مداحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك، لقبه ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» بشاعر أهل الشام توفى نحو  
٩٥هـ.

(٧) هو سويد بن كراع العكلى، من بنى الحارث بن عوف: شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموى صاحب الرأى والتقدم  
توفى نحو ١٠٥هـ.

(٨) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة: شاعر مجيد، عاصر الدولتين: الأموية والعباسية، ظهر نجمه في الأخيرة  
خاصة عند المهدي والهادي والرشيد، وكان شاعرهم الأول، اشتهر بالمدح طلباً للنوال. توفى سنة ١٨٢هـ.

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتى أقوم سيلها وسنادها(١)  
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها(٢)

وهذا سويد بن كراع يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا في وجه البداة والارتجال إذ  
يقول: (٣)

أبيت بأبواب القوافي كأنها أصادى بها سربا من الوحش نزعا(٤)  
أكالها حتى أعرس بعد ما يكون سحيرا أو بعدا فأهجعا(٥)

ثم يقول:

وجشمنى خوف ابن عفان ردها فثقتها حولا حريدا ومربعا(٦)  
وقد كان في نفسى عليها زيادة فلم أر إلا أطيع وأسمعا

وأما مروان بن أبى حفصة فيتحدث عن صناعته لشعره، ومعاودة النظر فيه وتقديمه،  
فيقول: «كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر، وأحككها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة  
أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس، فقليل له: فهذا هو الحولي المنقح»(٧).

\*\*\*\*\*

ولم يقف الأمر بالشعراء الجاهليين عند حد شعرهم بالتأمل فيه والنظر إليه، ومحاولة  
تنقيحه وتهذيبه... بل تعدوا ذلك؛ فكان منهم من يتجاوز النظر في شعره إلى النظر في شعر  
غيره، فيتناوله بالفحص والتدقيق وإنعام النظر فيه مرة بعد مرة، ثم يعقب على ذلك، بما  
يرى من استحسان أو استهجان.

(١) السناد - هنا -: العيب في الشعر.

(٢) المناد: المعوج.

(٣) البيان والتبيين: ١٢/٢، ١٣.

(٤) أصادى: أراجى وأختال. النزع: جمع نازع، وهو الغريب.

(٥) أكالها: أراقبها. التعريس: النزول في وجه السحر.

(٦) الحريد: التام الكامل.

(٧) الخصائص: ٣٢٥، ٣٢٤/١ (تحقيق: محمد على النجان ط دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت).

ومن الأمثلة التي روتها كتب الأدب لحكم بعض الشعراء على بعض، ما روى أن  
النابغة<sup>(١)</sup> الذبياني فقد حسان<sup>(٢)</sup> بن ثابت، حين أنشده قوله:

لنا الجففات الغريلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

نقده بقوله: أقللت جفانك وسيوفك (لأن الجففات هي الجمع لأدنى العدد، أما  
الكثرة فتجمع على جفان، وكذلك الأسياف لأدنى العدد، والكثرة سيوف) وقلت:  
«يلمعن في الضحى» ولو قلت: يبرقن في الدجى لكان أبلغ؛ لأن الضيف في الليل أكثر،  
وقلت: «يقطرن من نجدة دما» فدلت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر  
لانصباب الدم.

ومنها ما روى أن أهل المدينة نقدوا شعر النابغة الذي وقع فيه «الإقواء»<sup>(٣)</sup> وهو قوله:  
من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود<sup>(٤)</sup>  
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود<sup>(٥)</sup>  
وقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد<sup>(٦)</sup>  
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد<sup>(٧)</sup>

ويروى أبو عمرو<sup>(٨)</sup> بن العلاء أن الذبياني، لما قدم يثرب على الأوس والخزرج  
- وكان أهل الحجاز من المعجبين بشعره، وكانوا قد عرفوا الإقواء في شعره - دسوا له قينه

---

(١) هوزياد بن معاوية من ذبيان من قيس، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء في العصر الجاهلي، توفي سنة ٦٠٤ م.  
(٢) هوحسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، شاعر جاهلي إسلامي، وقد عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام مثلها،  
ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ. اشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان والحيرة، واختص بعد الإسلام بمدح النبي ﷺ والدفاع  
عنه.

(٣) الإقواء: اختلاف حركة الروى عما بنيت عليه القصيدة من حركة.

(٤) راح: جاء أو ذهب في الرواح، وهو العشى. المغتدى: المبكر.

(٥) البوارح: جمع بارح. وهو الطير يمر عن يمينك إلى شمالك، وكانوا يتشاءمون به.

(٦) النصيف: كل ما غطت الرأس.

(٧) المخضب: المصبوغ بالخضاب، وهي الحناء. الرخص: اللين الناعم. البنان: طرف الإصبع. العنم: شجر بالحجاز. له

ثمر مستطيل أحمر، يشبه به البنان المخضب.

(٨) أبو عمرو بن العلاء، هوزبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن التميمي المازني، أحد القراء السبعة، كان من

الشيخوخ العلاء بالرواية واللغة والأدب، ظل طول حياته يجمع أشعار العرب القدماء، ولاسيما أشعار الجاهلية، توفي سنة ١٤٥ هـ.

(جاريه) تغنيه به، فغنته ومدت صوتها بالقوافي، فظهر الاختلاف في حركتها، وتنبه النابغه لما جاء منها مضموما، وهي مكسورة كلها، فأصلحه على الوجه الآتي:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود  
بمخضب رخص كأن بنانه عنم على أعضائه لم يعقد

وقال: «قدمت الحجاز وفي شعري هنة، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس»<sup>(١)</sup>.

ومنها نقد طرفة<sup>(٢)</sup> بن العبد لقول المتلمس: <sup>(٣)</sup>

وقد أتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم<sup>(٤)</sup>

نقده بقوله: «استنوق الجمل»<sup>(٥)</sup> يعني طرفة أن الشاعر قد وصف الجمل بما توصف به

الناقة؛ لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا الجمل.

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد - أيضا - ما روى أن الحطيئة سئل: من أشعر

العرب؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم<sup>(٦)</sup>

يقصد بهذا زهيرا، وسئل: ثم من؟ قال الذي يقول:

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يخيب

يقصد عبيد بن الأبرص<sup>(٧)</sup>.

\*\*\* \*\*

وليس ما تقدم من نظرات جاهلية نقدية - من نظر الشاعر في شعره، ومحاولته تهذيبه وتثقيفه، ومن نظره - أحيانا - إلى شعر غيره والحكم عليه - ليس ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلي من دور في تقويم الشعر العربي الجاهلي، والوصول به إلى درجة من الكمال

(١) المرشح: ٣٨ (المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣هـ).

(٢) هو أبو عمرو وطرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة، ابن أخي المرتس الأصغر، وابن أخت المتلمس، وقد نبغ في الشعر من حدثه، حتى صار يعد من الطبقة الأولى، وهو من أصحاب المعلقات، وتوفي صغير السن سنة ٥٥٠م.

(٣) هو جرير بن عبد المسبح - وقيل ابن عبد العزى - الضبعي، ولعله ولد وثنيا فتنصر، وهو خال طرفة بن العبد.

(٤) الناجي: الجمل السريع. المكدم: الصلب.

(٥) الموشح: ٧٦، ٧٧.

(٦) يفره: يحفظه وافرا.

(٧) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير، ينتهي نسبه إلى بني أسد من مضر، وكان عبيد شاعرا

جاهليا قديما، من شعراء الطبقة الأولى، قديم الذكر، عظيم الشهرة، توفي سنة ٥٥٥م.



الفنى . . . بل إن النقد الجاهلى قد ساهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى ، هذا اللون هو المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء .

وتروى كتب الأدب أن النابغة الذبياني ، كانت تضرب له قبة فى سوق عكاظ ، حيث يقد إليه الشعراء يعرضون عليه نتائجهم ، فإذا به يستمع إليهم جميعا ، ثم يحكم فى النهاية لمن نالت قصيدته الرضا والاستحسان .

وقد ساعد على هذا اللون من النقد ، وعمل على وجوده دواع كثيرة ، ومواقف متعددة ، منها «تلك المواسم والأسواق ، والمجامع الجامعة ، والمحافل الحافلة ، التى كان العرب يحضرونها بما لديهم من المفاخر ، يتبادلون عندها المنافع ، ويتناشدون الأشعار ، متباهين بجلودتها ، وقد جلس للحكم بينهم وتفضيل بعضهم على بعض فيها سادة مقدمون ، ولسن معاول<sup>(١)</sup>» ومنها تلك المواقف التى كثيرا ما «يلتقى فيها شاعران على بساط المنافسة الأدبية ، أو يجربها اللجاج حول بعض الأمور إلى التماس الفوز عن طريق الحكم لأحدهما بالأصالة والمنزلة الشعرية»<sup>(٢)</sup> .

وتروى لنا كتب الأدب مشهداً من تلك المشاهد التى كانت بين النابغة والشعراء فى عكاظ ، أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم الخنساء أنشدته قصيدتها فى رثاء أخيها صخر التى منها : -  
وإن صخرأ لتأتى الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدنى لقلت : إنك أشعر الجن والإنس . فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة ، والخنساء تليه منزلة وجوده شعر<sup>(٣)</sup> .

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد الذى يقوم على المفاضلة بين الشعراء ما روى أن رهطاً من شعراء تميم اجتمعوا فى مجلس شراب ، وهم : الزبرقان<sup>(٤)</sup> بن بدر ، والمخيل<sup>(٥)</sup>

(١) ، (٢) فى النقد الأدبى عند العرب : ٦٨ للدكتور : محمد طاهر درويش (دار المعارف) .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ١٢ للأستاذ : طه أحمد إبراهيم (دار الحكمة - بيروت) .

(٤) هو حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن زيدمناة . كان خطيباً وشاعراً ، استعمله النبي على صدقات قومه .

(٥) هوربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة ، ينتهى نسبه إلى زيدمناة بن تميم ، شاعر مشهور ، عمر فى الجاهلية

وإسلام عمراً طويلاً ، ومات فى خلافة عمر أو عثمان - رضى الله عنهما - وهو شيخ كبير .

السعدى، وعبد (١) بن الطيب، وعمرو (٢) بن الأهم، اجتمعوا قبل أن يسلموا، وبعد مبعث النبي ﷺ، وتذاكروا أشعارهم، وقال بعضهم: لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرنا، فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم؛ فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدى أو غيره فى رواية، وقالوا له: أخبرنا أينما أشعر؟ فقال: أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت، فأخذ من أطايبها، وخلطه بغير ذلك، أو قال له: شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولا ترك نيشا فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من الله يليقها على من يشاء من عباده؛ وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شىء (٣) وفى رواية أخرى أنه قال لعمرو: وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلأأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وقال للمخبل: وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وقال لعبدة: وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر (٤).

ومن الأمثلة على هذا اللون - أيضا - ما روى أن امرأ القيس (٥) كان جالسا بخبائه، وعنده زوجه «أم جندب» الطائية، فجاءه علقمة (٦) بن عبدة التميمى، وتذاكرا أمر الشعر، وادعى كل منهما لنفسه فيه ما ليس عند صاحبه، فاتفقا على أن ينشدا، وتحكم بينهما «أم جندب» فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها:

خليلى مرا بى على أم جندب      نقضى لبات الفؤاد المعذب  
ومنها فى وصف جواده:

فللسوط ألحوب ولساق درة      وللزجر منه وقع أفرج منعب (٧)

(١) هو عبدة بن الطيب - يزيد - بن عمرو بن وعله بن أنس، وينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم، شاعر مجيد، ليس بالكثير، وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم.

(٢) هو عمرو بن سنان - الأهم - بن سمي بن سنان، وينتهى نسبه إلى زيد مناة، كان خطيبا بليغا وشاعرا.

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٤.

(٤) الموشح: ٧٥.

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور - كندة - يعده الرواة شيخ الشعراء فى الجاهلية ويعدونه مبتدعا لكثير من المعانى التى سطا عليها الشعراء من بعده، توفى نحو سنة ٥٦٠ م.

(٦) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس، ينتهى نسبه إلى زيد مناة، شاعر جاهلى مجيد، وكان من صدور الجاهلية وفحوها، توفى سنة ٥٦١ م.

(٧) الدرّة - هنا - : العدو الشديد. الأفرج: واسع ما بين الرجلين. المنعب: الفرس الجواد يمد عنقه فى العدو كالغراب، والذى يسطو برأسه.

وقال علقمة يعارضه :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب  
ووصف فيها جواده فقال :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب<sup>(١)</sup>

فلما فرغا قضت «أم جندب» لعلقمة على امرىء القيس، فسألها: بم فضلته على؟  
فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، فأنت زجرت وحركت ساقيك، وضربت  
بسوطك، أما علقمة فأدرك بفرسه غرضه، ثانيا من عنانه، لم يضربه بسوط ولم يجهده.

### مقاييسه:

ولسائل أن يسأل ويقول: على أى نحو كان هذا النقد الجاهلي؟ أكانت له أصول  
وأسس يتم على أساسها تقويم الشعر الجاهلي، أم كان مجرد نقداً فطرية، ونظرات  
ذوقية؟

نستطيع أن نقول: إن النقد الذى مارسه قدامى النقاد العرب - فى بدايات النقد وأوليائه - لم  
تكن له أصول معروفة، ولا مقاييس مقررة، بل كان مجرد لمحات ذوقية، ونظرات شخصية،  
تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية، وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم  
اللغوى الدقيق بلغتهم، وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات  
وإيحاءات فى شتى صورها، بالإضافة إلى ما تزودهم به الطبيعة العربية الجاهلية من معارف  
وتقاليد، تساعدهم كثيرا فى لمحاتهم النقدية، ونظراتهم الشعرية.

وحيثما نحاول تطبيق هذه المقاييس الذوقية الفطرية التى على أساسها كان الناقد  
الجاهلي يستلهم أحكامه، ويبنى نقده... - حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من  
لمحات نقدية، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح.

فنقد النابغة الذبياني لشعر حسان بن ثابت - الذى أوردناه من قبل - كان مستمدا  
من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ، وما توحى به أبنية  
الكلمات من معان وإيحاءات.

(١) المتحلب: السائل. كأنه لسرعته لا يجرى، بل يسيل سيلانا.

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة، لما فيه من إقواء، كان نابعا من فهم العربي لطبيعة الشعر العربي، ولما ينبغى أن يكون عليه من انسجام في الوزن، واتساق في النغم، الأمر الذى يتطلب - ضمن ما تتطلبه قواعد الشعر العربي - وحدة حركة الروى، التى تكسب الشعر اتساقا وانسجاما؛ ولذا كان اختلاف حركة الروى - الإقواء - فى شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن، واتساقه، بل محدثا لنوع من التنافر فى النغم، مما جعله غير متسق ولا منسجم.

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفه الجمل بصفة الناقة، كان مبنيا على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسماط والصفات، التى تتميز بها الحيوانات العربية، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربي، وكان العربي مرتبطا بها.

\*\*\* \*\*

وعلى الرغم من وضوح تلك الحقيقة - وهى أن العربي الجاهلى كان خيرا بلغته، عالما بأسرارها ولطائفها - على الرغم من ذلك نلاحظ بعض نقادنا المعاصرين، يحاولون التشكيك فى صحة ما نسب إلى بعض نقاد العرب القدامى من أحكام نقدية، خاصة تلك التى نسبت إلى النابغة الذبياني فى نقده لحسان بن ثابت بدعوى أن ما فيه ينضح بالروح العلمية، والنظرة الدقيقة، التى تتسم بدقة التحليل والقدرة على الاستنباط، وتلك أمور تأبأها طبيعة العصر الجاهلى، الذى يعتمد نقده على الذوق وحده.

يقول المرحوم الأستاذ/ طه أحمد ابراهيم: «ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفنى المحض، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط، فذلك شئ غير موجود عندهم. وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلى، وعن طبيعة العصر الجاهلى ما يضيفه بعض الرواة إلى قصة النابغة مع حسان فى عكاظ...»

عيب على حسان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار، وأن يؤلف بيته من كلمات غيرها أضخم معنى منها، وأوسع مفهوما: ترك الجفان، والبيض، والإشراق، والجريان، واستعمل الجففات، والغر، واللمعان، والقطر، وهى دون سابقاتها فخرا، وعيب عليه غير ذلك، وتختلف القصة طولا وقصرا، وتختلف فيها وجوه النقد، وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء، وكل ذلك يرفض رفضا علميا من عدة وجوه<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٨، ١٩.

ومن هذه الوجوه التي ذكرها قوله: «فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير، وجموع القلة والكثرة، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرف الفروق البعيدة بين دلالات الألفاظ، وألم بشيء من المنطق»<sup>(١)</sup>.

ومنها - أيضا - قوله: «ولو أن هذه الروح - يقصد روح النقد التي اتسم بها نقد النابغة - جاهلية؛ لوجدنا أثرها في عصر البعثة، يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما، فلقد لجأوا إلى الطعن عليه طعنا عاما، فقالوا: سحر مفترى، وقالوا: أساطير الأولين، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية، لكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها، وأن يفزعوا إليها في تلك الخصومة العنيفة التي ظلت نيفا وعشرين عاما»<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة للوجه الأول فنقول: إن هذه الدعوى التي أطلقها هذا الناقد - وهي أن العربى الجاهلى لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير . . . - إن هذه الدعوى، فيها تجن على مقدرة العقل العربى الذى كان يعرف - بلاشك - دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها، وذلك بمنطق الفطرة والطبيعة، التي فطر عليها، لا بمنطق العلم ومصطلحاته، والعربى الجاهلى لم يكن - فى استعماله لكلمات لغته - بحاجة إلى هذه المصطلحات التي وضعها من بعد علماء اللغة والنحو، بدليل أنه كان يرفع الفاعل، وينصب المفعول، ويجر المضاف إليه بفطرته وسليقته، دون أن يدرك هذه المصطلحات: الفاعل، المفعول، المضاف إليه، الرفع، النصب، الجر. إذن فالعربى الجاهلى لم يكن بحاجة فى استعماله للغته لهذه المصطلحات: جموع القلة والكثرة، والتصحيح والتكسير وما إليها، ولم يكن استعماله لها متوقفا على معرفته بها؛ كى يدرك دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها.

وأما بالنسبة للوجه الثانى فنقول: إن هذه - أيضا - دعوى، تحمل بين طياتها إنكار كون العرب قد أوتوا حظا من الفصاحة والبلاغة والبيان، ولو كان الأمر كذلك لما تحداهم الله بالقرآن، وهو المعجزة البيانية الرائعة، إذ كيف يتحدى الله بالبلاغة قوما لا حظ لهم منها؟! وإذ تحداهم الله بالبيان فى قرآنه العظيم، فهذا دليل على مبلغ بلاغتهم، وطول باعهم فى صناعتها.

(١) المرجع نفسه: ١٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٩، ٢٠.

أما عدم ردهم على القرآن بنحو بلاغته وفصاحته، فهذا دليل واضح، وسلطان بين على مبلغ إدراكهم لبلاغة القرآن، وأنهم لن يستطيعوا أن يجاروه فيها، ولذا لم يكن أمام عجزهم الواضح عن ملاحقة بلاغة القرآن، والرد عليها بنحوها أو مثلها إلا قولهم العاجز: سحر مفترى، أساطير الأولين. ولعل قصة الوليد بن المغيرة، حينما تلا عليه الرسول ﷺ صدرا من سورة «فصلت» وكيف سجد لفصاحة القرآن. وقال فيه قوله الشهيرة: «والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما، ما هو بكلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه»<sup>(١)</sup> - لعل هذه القصة خير دليل على مدى فهمهم للبلاغة، وقوة بيانهم، وإلا فكيف أدرك الوليد هذه البلاغة القرآنية، لو لم تكن لديهم هذه الروح البيانية، التي ينكرها عليهم ويسلبها منهم هذا الناقد!!

إن هذه دعوى تنقصها الحجة الواضحة، وتنقضها مخالفة الواقع، بل فيها ممارسة مكشوفة، وظلم للعقل العربي الجاهلي!

## طبيعة أحكامه:

لعلنا نستطيع - من خلال ما تقدم من حديث عن ملامح النقد الجاهلي ومقاييسه - أن نستشف طبيعة الأحكام النقدية في هذا العصر، وأن نقف على سماتها وملاحظها.

وأول سمة لهذه الأحكام: هي سمة العموم: ونعني بها أن يطلق الناقد - في أحيان كثيرة - أحكامه، ويرسل آراءه، دون أن يذكر سببا، أو يردف علة، وخير مثل لذلك قول الحطيئة - وقد سئل عن أشعر العرب -: أشعر العرب الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم  
يقصد زهيرا. وسئل: ثم من؟ قال الذي يقول:

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يخيب

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٦/٣ للأستاذ: محمد على الصابوني (دار القرآن الكريم - بيروت).

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالموازنة بغيرها،  
كقولهم في قصيدة سويد<sup>(١)</sup> بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها:  
بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع  
قولهم عنها انها من خير القصائد، ودعوها اليتيمة<sup>(٢)</sup>.

وكقولهم عن قصيدة حسان اللامية التي مدح بها أبناء (جفنة)، والتي قال فيها:  
لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول  
قولهم عنها إنها من أحسن ما قيل في المدح، وتسميتها لها بالبتارة، لأنها بترت  
المدائح<sup>(٣)</sup>.

وقولهم عن قصيدة علقمة بن عبدة التي يقول فيها:  
هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟

قولهم عنها: إنها سمط الدهر. فلما أنشد قصيدته التي مطلعها:  
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصرحان مشيب  
قالوا: هاتان سمطا الدهر<sup>(٤)</sup>. إلى غير ذلك من الأحكام العامة، التي لا توضح  
علة، ولا تذكر سببا.

السمة الثانية: الإيجاز: ونعني بها أن الناقد كثيرا ما يغلف حكمه النقدي بعبارة  
موجزة، يفهم منها ما يراد، ولكن دون شرح أو تفصيل، وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر  
المتلمس السابق، حينما قال: «استنوق الجمل» فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا، عيب  
به شعر المتلمس الذي وصف الجمل بسمة الناقة.

السمة الثالثة: الجزئية: ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية  
للقصيدة، كجانب الألفاظ أو جانب المعاني، أو جانب الوزن، مثلا، دون تناوله للقصيدة  
كلها تناولاً متكاملًا كما يتجه إلى ذلك النقد الحديث. فيتناول الناقد الجاهلي لفظة، أو

---

(١) هوسويد بن أبي كاهل - غطيف أو شبيب - بن حارثة الذبياني اليشكري، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، أشهر  
شعره هذه العينية التي كانت تسمى في الجاهلية «اليتيمة» توفي بعد سنة ٦٠ هـ.

(٢) المفضليات (هامش): ١٩ (تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون - ط ثانية. دار المعارف).

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٤.

(٤) المرجع نفسه: ١٣.

ألفاظا، فيصفها - مثلا - بالسلاسة أو الجزالة، أو يتناول معنى أو معانى وردت في القصيدة، فيسمها بالصحة أو الخطأ، أو بالوضوح أو الغموض، وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة: نقد طرفة لشعر المتلمس، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى، ونظر فيه فوجده خطأ.

ومنه - أيضا - نقد أهل المدينة لشعر النابغة، فهو نقد استهدف جانب الوزن - أو الشكل الموسيقي - ورأى فيه نشازا في الوزن؛ حيث اختلفت حركة الروى في الأبيات، فأحدثت هذا النشاز في الوزن، والتنافر في النغم، مما أذى السمع، وأذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن.

وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر، كله منصرف إلى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل.

وذلك لأن «الشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وفكرة، كان نظما محكما أو غير محكم، ومعنى مقبولا أو غير مقبول، فمعنى المتلمس فاسد، لأنه أسند صفة لغير ما تسند إليه، ومعانى المهلهل التى غالى فيها فاسدة؛ لأنها فوق المعقول، وشعر الزبرقان يجمع بين الطيب والردىء، أو هو ألفاظ مرصوفة، لا قوة فى معانيها، ولا روح تؤلف بينها، وشعر عبدة بن الطبيب قوى الأسر، متين النظم، متماسك متلاحم، فالصياغة والمعانى، هى ما ينتقد فى الشعر الجاهلى . . . فإن لم يتعرض الجاهلى فى النقد للشعر تعرض للشاعر، فأثره على غيره، أو وازنه بغيره من الشعراء . . . هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد حولات خفيفة فى العصر الجاهلى: الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر، أو مذهبه الأدبى، أو صلة شعره بالحياة الاجتماعية، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلى، وغاية نقدهم أن يأخذوا الكلام منقطعا عن كل مؤثر، بل منقطعا عن بقية شعر الشاعر، ويتذوقونه وفاقا لسليقتهم، ثم يفصحون عن رأيهم . . .»<sup>(١)</sup>.

السمة الرابعة: التأثرية والذاتية: ونعنى بها أن الأحكام النقدية كثيرا ما تكون قائمة على إحساس الناقد بأثر الشعر فى نفسه، وعلى مقدار وقع الكلام عنده، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا، وإحساس العربى بأثر الشعر إحساس فطرى، وتذوقه له طبيعة

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٦، ١٧.



وجبلة؛ ومن هنا يكون حكمه - في كثير من الأحيان - قائما على ذوقه وفطرته، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول، وإلى المبرز من الشعراء. وهذا يعنى أنه ليست لديه مقاييس مقررة، ولا أصول معروفة للحكم على الجيد من الكلام، أو المبرز من الشعراء، ليس لديه غير طبعه وذوقه، وإلا فعلى أى أساس كانت قريش تقبل من الأشعار ما تقبل، وترد ما ترد؟ وما الخصائص الفنية في قصيدتي علقمة حتى تكونا نفيستين؟ وما الذى كان رائعاً في قصيدة الخنساء حتى فضلت على حسان؟ وماذا حوت قصيدة حسان في أبناء (جفنة) حتى بترت جميع المدائح؟ تلك أحكام لا تقوم على تفسير أو تعليل، ولا تستند على قواعد مقررة، وليس لها من دعامة إلا الذوق العربى المحض<sup>(١)</sup>.

\*\*\* \*\*

وبعد: فمهما يكن من شىء فإن هذه اللمحات النقدية الأولية، التى مارسها النقد فى العصر الجاهلى، قد لعبت دوراً لا بأس به فى تقويم الشعر العربى القديم وهدايته ومعاونته على الوصول إلى الكمال، أو على الأقل إلى أولى درجات الكمال، وأنها أشارت - أيضاً - إلى أن كلا من الشاعر العربى والناقد العربى الجاهليين، كان يعرف الأسرار الدقيقة لهذا الفن الأدبى، فأهل يشرب (المدينة) يعرفون الإقواء، والنابغة الذبيانى يلحظ - فى دقة - الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة، وإن كانوا جميعاً يعرفون ذلك ذوقاً وفطرة لا علماً وفناً. ولا شك فى أن هذا التحليل الدقيق، إنما هولون من ألوان النقد الأدبى الصحيح، الذى يقرب النص الأدبى، إلى الملتقى ويقدمه إليه، وإلى صاحبه نفسه - كذلك - بعد شرحه وتفسيره.

وليس كل ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلى، من دور فى تقويم الشعر العربى والوصول به إلى درجة عالية من الكمال الفنى - بل إن هذا النقد، قد أسهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى، هذا اللون هو المفاضلة، أو الموازنة بين الشعراء.

---

(١) المرجع نفسه: ١٨ (مع بعض التصرف)

وكان من ثمرة هذا اللون الذى ولد فى العصر الجاهلى أن سرى تيار المفاضلة بين الشعراء والموازنة بينهم، وهيمن على نتاج أدباء القرن الرابع، وزخرت المكتبة العربية - بفضله - بروائع الموازنات بين الشعراء، من أمثال: «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» للآمدى<sup>(١)</sup>، و«الوساطة بين المتنبى وخصومه» للجرجاني<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى كتب «نقد الشعر» لقدامة، و«العمدة» لابن رشيق وغيرها من الكتب التى حوت كثيرا من هذه الموازنات.



---

(١) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى، كان كاتباً لأبى جعفر هارون بن محمد الضبي، وكان شاعراً أيضاً، وجه عنايته إلى دراسة أشعار المتقدمين ونقدها، ومن تصانيفه: «المؤتلف والمختلف» و«معجم الشعراء» و«الأمالي» توفى سنة ٣٧١هـ.

(٢) هو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني، كان أديباً ممتازاً، له عدة تصانيف، منها كتابه المشهور: «الوساطة بين المتنبى وخصومه» توفى سنة ٣٦٦هـ.

# قُلْ.. وَلَا تَقُلْ

للسَّيِّدِ ضِيَاءِ الرَّيِّسِ الصَّابِقِي

المركز التربوي للغة العربية بالجامعة الإسلامية

ولا، تقل : سفلة

قل : السفلة

السَّفِلة : بكسر الفاء : السُّقَاط من الناس ، يقال : هو من السَّفِلة . ولا تقل : هو سفلة لأنها جمع . وفي الأساس : ( هو من السَّفِلة ) استعير من سفلة الدابة : اه والعامّة تقول : رجل سفلة من قوم سفيل .  
وبعض العرب يخفف فيقول : فلان من سفلة الناس ، فينقل كسرة الفاء إلى السين جاء في لسان العرب في مادة سفل ما يلي :  
«سَفِلة الناس وسَفِلتهم : أسافلهم وغوغاؤهم .  
قال ابن السكيت : هم السفلة الأردال من الناس .  
وقال الجوهري : السفلة : السُّقَاط من الناس ، يعنى هو من السفلة وسأل رجل الترمذي فقال له : قالت لى امرأتى يا سفلة ! فقلت لها : إن كنت سفلة فأنت طالق ، فقال له ما صنعتك ؟ قال : سمّك ، أعزك الله ! قال : سفلة ، والله . قال : فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سفلة . ( جزء ٢ ص ١٥٩ )

ولا تقل : شغاف

٢ - قل : شغاف

الشَّغَاف : بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب ، وسويداؤه يقال : شغفه الحبُّ : أي بلغ شغافه .  
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : ( قد شَغَفَهَا حباً ) وقال : دخل حبُّه تحت الشَّغَاف ، وقيل : غشى الحب قلبها ، وقيل : أصاب شغافها . وأنشد أبو عبيدة :

يعلمُ الله أن حَبَّكَ مني      في سَوَادِ الفؤَادِ وَسَطِ الشَّعَافِ  
وقال ابن السكيت : الشَّعَافُ هو الخِلبُ ، وهي جليدة لاصقة بالقلب ، ومنه قيل :  
خَلَبَهُ إذا بلغ شَغَافَ قلبه .  
وقال الشاعر :

حَبُّهَا مالِكُ شَغَافِ فؤَادِي      كيف أسلو والحب هاج اضطرأماً

### ٣ - قل : نكات      ولا تقل : نكات

نِكاتٌ : بالكسر ، جمع نَكْتة ، بضم النون بوزن نُقطة ، وجمعها نَكْت ونِكات ،  
وقولهم : نِكاتٌ : بضم النون لحن . وجاء في مختار الصحاح ما يلي : وقولهم ( نِكات )  
عامية ، وفي الصحاح النكته كالنقطة « جزء ١ ص ٢٦٩ » وفي المعجم الوسيط « جزء ١ ص  
٩٥٩ » .

### ٤ - قل : موضوعات      ولا تقل : مواضيع

يخطيء بعض الكتاب في استعمال جموع لا صحة لها ، منها كلمات ( مشروع ،  
موضوع ، مكتوب ) فيجمعها على ( مشاريع ، مواضيع ، مكاتيب ) على وزن مفاعيل ، جمع  
تكسير . والصحيح أن تجمع على مفعولات ( أي جمع مؤنث سالما ) فتقول : ( مشروعات ،  
موضوعات ، مكتوبات ) .  
قال العلامة الصَّبَّان في حاشيته على شرح الأشموني لألفية ابن مالك في أعقاب باب  
جمع التكسير ، عند قوله :

وبفعال وشبهه انطقا      في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى

فائدة ( لا يجمع جمع تكسير نحو مضروب ( أي ما كان على وزن مفعول ) وشذَّ  
( ملاعين ) جمع ملعون .

ذكره ابن هشام في شرح ( بانث سعاد ) :

وإليك ما كتبه ابن هشام في شرحه لبيت :

أمتست سعاد بأرض ما يبلغها      إلا العتاق النجيبات المراسيل

وإنما تمنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسألتين : إحداهما : أن تكون على  
وزن مفعول كمضروب ، وشذَّ نحو ( ملاعين ومشائيم ) .

والثانى : أن تكون الميم مضمومة (مُختار، مُنقاد) فتجمع جمع مذكر سالماً (مختارون، مُنقادون) ، وقد أشار العلامة الصبّان إلى جموع الكلمات : (مكتوب، مشروع، موضوع، مفهوم، وأمثالها) بأنها تجمع جمع تصحيح لا جمع تكسير . ومثال ذلك يقال في جمع مثل (مضروب ومكتوب) فتجمع على (مضروبون، مكتوبون) .

قال تعالى في سورة الشعراء (لئن اتخذن آلهة غيري لأجعلنك من المسجونين) (جمع مسجون) . وقال أيضاً في نفس السورة : (قالوا : لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) آية ١١٦ (جمع مرجوم) . فنحن نجتمعها جمع مؤنث سالماً فنقول : (مكتوبات، مشروعات، موضوعات، مفهومات) . جمع تصحيح لمؤنث ... والله أعلم .



## ●●●●●●●●●● احذروا الانبهار الغربي ●●●●●●●●●●

سألت الدكتور جيري مور عن رأيه بالطلبة العرب هناك ودراستهم في أمريكا فقال :

● هناك الكثير من الطلبة العرب وأنا شخصياً أتعامل معهم وهم نوعيات فهناك الطلبة المجدون وهناك عكسهم ممن لا يحترم العلم ولا يهتم بالجهود والأموال التي تصرفها دولته عليه - وللأسف فهناك من ينبهر بالمجتمع الأمريكي انبهارا كبيرا فيتأثر به رغبة بالتطور والتقدم فيفقد نجاحه ويفشل فشلا ذريعا وهنا أرجو من الأخوة الطلبة المبتعثين ملاحظة ذلك والانتباه من الانحراف نحو المجتمع الأمريكي - الذى أنا منه - والذى وللأسف أصبح مجتمعا سيئا - لأن الانحلال الأخلاقي وصل إلى درجة مزعجة .

وهناك مشكلة المجتمع الأمريكي نفسه والذى يجهل المجتمعات الخارجية ولا يحسن التعامل معها فتحدث بعض المشاكل .

استاذ جامعى

# وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

للشيخ يوسف الرزازي

مدرس بالمعهد الثانوي

يطيب به العيش ما رُددا  
وتهدى النفوس ترى المقصدا  
وتلقى العوالم فيه الهدى  
ونبض القلوب فكيف اهتدى  
فلم يفتروا ركعا سجدا  
أفاض البيان وعى واقتدى  
يردهه صادحا منشدا  
فما أعجب الصوت والموعدا  
على الفضل والنوركم أشهدا  
وحب الحصيد وقطر الندى  
ولولا الحجاب سمعنا الصدى  
لكل قبيل ترى منتدى  
كما أعجز العين أن تشهدا  
يسبحه ما أتى أو غدا

نشيد على الدهر لن ينفدا  
يفيض به الخير تحيا القلوب  
حذاء تسير به الكائنات  
خطا الكون تمضى بإيقاعه  
لدى الملاء الغر ذاع النشيد  
وجاوبهم ناطق مفصح  
وأعجم سار به لا يمل  
يزف به الديك بشرى الصباح  
أذان يجلجل في العالمين  
تغنى به الطير في أيكه  
وتشدو الجبال على صمتها  
وشاركت الكون ذراته  
ويعجز آذاننا سمعها  
فلا شيء إلا شدا باسمه

.....

وكيف نلقى ولا نحمدا  
ولله سوف نعود غدا  
من العمر فيه المنى والهدى  
ولست بمحص بها ما بدا  
ورمت العلاج لعز الفدا  
وهل يبلغ الصنع بعض المدى  
من الشكر فضلا له مفردا  
ولكن يمن علينا الهدى

نشيد المحامد للذاكرين  
من الله جئنا ولم نك شيئا  
وما بين ذلك شوط طويل  
ترى أنعم الله لا تنقضى  
ولو حجب الله عنك اليسير  
فلا يتعظمك ما قد صنعت  
فلن توفي الله مهما بذلت  
ولسنا نمن عليه الصلاح

فأعرف قصدى لكى أرشدا  
إلى أمد ينقضى حُدا  
لكى أستقل وكى أفردا  
ومهما نُحَفَّت فلن تُفقدَا  
وهذى العجائب لن تنفدا  
ر ما يستحيل وما جُدا  
ولا معمل أو خبير بدا  
أمورك تقضى ولن تشهدا  
أخذنا المنى أفننسى الهدى  
وقد رفعت هل ترى أعمدا  
من الذر أعجب مما عدا  
وفيها الشموس نأت مرصدا  
بأفلاكها أين تلقى المدى  
ينادى به خالقا أوحدَا  
ويرضى له غيره مقصدَا!  
وأطمعه الفضل فاستبعدا  
ويدعو الدعوى فخابت يدا  
غ مهما استطال ومهما عدا  
وقيل الحساب حَمَدنا الهدى  
خداع التمنى جزاه الردى

أليس من الحزم ضبط الأمور  
ولا أتلهى بأنى تركت  
أجهل أن ليس لى أى أمر  
وخلف البوادي توارت غيوب  
فهذى الحياة وهذا الممات  
وكيف بجسمك تجرى المقادير  
تحاليل قد حيرت دقة  
وما كنت حتى لتدرى بها  
هل الروح نعرف ما سرها  
وهذى النجوم بأفق السماء  
ومثل النجوم ترى عالما  
تناهى بها صغر فانطوت  
تدور كواكبها دَائِبَاتِ  
ففى كل شىء ترى أمره  
فهل ينزل العبد فى ملكه  
ولكنه اللؤم عز اللئيم  
بها لا تنال يداه  
ألا خسىء اللؤم ماذا سيبد  
إذا ما أتت ساعة الإقتضاء  
ولا تنقضى حسرات اللئيم

\*\*\*\*\*

# تَحِيَّةٌ وَبَدَاءٌ

د. محمود عبد المحسن  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

مثل النسيم رقيقة ونديه  
والله نعم الأسوة المرضية  
كالشمس في كبد السماء عليه  
بين الخلائق أمة وسطية  
مثل النجوم الطالعات جليه  
قولاً وفعلاً بكرة وعشيه

لأئمة الإسلام خير تحية  
حدث عن السلف الكريم فإنهم  
كانوا هداة مهتدين أعزة  
كانوا دعاة فاتحين أئمة  
طلعوا على الدنيا بهدى نبيهم  
ورثوا النبي عقيدة وشريعة

أنتم مصابيح الأنام بهية  
الناسكون عبادة شرعية  
بدلائل الحق الصريح زهيه  
المرتضون شائلا خلقيه  
الطالبون رضى الإله عطيه  
وسيوفهم فى الحق جد فتيه  
نهجا لمحو مساوىء البدعيه  
حفظا ومن شر الغلاة نقيه  
لعبادتى وعقيدتى القلبيه  
صدقا وعدلا مخلصا للنيه  
بالمهج السلفى جد حريه  
أكرم بها من سيد البشره

يا أيها السلف الرضى هداية  
الأعلمون الأسلمون عقيدة  
المرشدون الراشدون حقيقة  
الخالصون المخلصون لدينهم  
الصادعون بكل حق حسبة  
يجلّون ليل العضلات بحقهم  
تخذوا الكتاب ونور هدى نبيهم  
حفظوا العقيدة من أباطيل العدى  
فأجبتهم ورضيت نهج سلوكهم  
أنا لا أحميد دقيقة عن نهجهم  
إن السعادة والسلامة والهدى  
شهد الرسول بفضلهم ونجاتهم



خير القرون دليل كل مزيه  
للنص لا رأى ولا عصبيه  
واستسلمت لمدارس عقليه  
وتفننوا فى جلب كل دنيه  
أمم وربى كالغشاء شقيه

يا أيها السلف الرضى عقيدة  
سعد الذى بكم اقتدى مستسلما  
شقيت شعوب الأرض حين تخاذلت  
واستوردوا السم الخبيث ضلالة  
فتخرجت أمم تدين بجهلهم

.....

وتجهموا للسنة النبويه  
وعبادة الأهواء شر غويه  
للطامعين الكافرين شهيه

قد عطلو القرآن سر ظهورهم  
نبذوا الهدى المهدي واتبعوا الهوى  
وتفرقوا شيعاً فصاروا أكلة

.....

بشراذم الحمقى بكل أذيه  
حلت بكل المعتدين عتية  
للحق ييغون الحياة أبيه

ديست كرامتهم وريع حماهمو  
أدب من الله العلى ونقمة  
فعساهمو يوماً تفىء قلوبهم

.....

لهدى الكتاب وسنة مرضيه  
من يعتصم يحيى الحياة هنيه  
من يعتصم ينصر على الهمجيه  
قد أخرجت للناس جد زكيه  
بين العباد عدالة وسويه  
سبل العلى وقيادة البشريه

يا أمة الإسلام هل من أوبة  
فهما الصراط المستقيم حقيقة  
وهما الحضارة والسيادة عزة  
صنعا من الصحراء أكرم أمة  
سارت كسير الشمس فى عليائها  
عودوا إلى الدين الحنيف تعد لكم

.....



## أنشودة الأرواح حول الكعبة المشرفة

شعر / محمد المجذوب

فيه من الأبحر الأمواج والزبد  
إذا مضى مدد منه أتى مدد  
فكل شيء به نشوان يرتعد  
يحيلها الشوق أنوارا فتتقد  
هنا القلوب . . فيا لله ما تجد !  
يكفّ جريته الحرّى ولا جلد  
سيقت إلى العرض لا عون ولا سند  
ولا ألم بها مال ولا ولد

بحرٌ من الخلق لا يُحصى له عددُ  
يطوف بالبيت سيلاً لا نفاذ له  
تسري ضراعتة في الأفق لاهبةً  
تكاد في غمرها الأجساد من لهفٍ  
(يارب . .) انشوة الأرواح تعزفها  
والدمع من لذعها هام، فلا خجل  
تذكرت شأنها يوم الحساب، وقد  
تود لو أنها في الأرض ما وجدت

سوى النجاة وقد أودى بها الكمد  
تكاد تبصر غير الهول يجتشد  
فتستقر بُعَيْدَ اللوعة الكبد  
من أسرها فغدت روحاً ولا جسد  
- سوى المليك الذي قد صاغها - أحد  
تعيابلمح سناها الأعين الرمّد  
وافته تبغى رضاه - الواحد الصمد

فاستصرخت: رب نفسي، غير سائلةٍ  
يذكي لواعجها طيفُ الذنوب فما  
وتنجلي نفحات العفوعن كذب  
والنفس في غمرة النجوى قد انطلقت  
شفت فما يترأى في بصيرتها  
فيها لها جلواتٍ من فيوض هدىٍ  
بها تجلّى على تلك الوفود - وقد





# المسافر الغائب

الشيخ عبد الله بن أحمد قاورى

«الحلقة الخامسة»

إلى سورابايا :

ودعنا الأخوة بعد زيارة معهد المسلمين متجهين إلى مدينة سورابايا التى تبعد عن معهد كونتور مائتى كيلومتر وكانت طريقنا - كالعادة - فى وسط الغابات والمزارع والقرى منتشرة بين المدن وكأننا نسير فى مدينة واحدة لكثرتها وكان الشارع مزدحماً بالسيارات على اختلاف أشكالها كأننا فى شارع داخل مدينة والفلاحون يعملون : هذا يحرث وهذا يحصد وهذا يغرس وهذا يزرع وهذا يحمل .

والفواكه على جانبى الطريق لا تلتفت يمناً ويسرة إلا وترى أشجاراً موقرة بأنواع منها المعروف ومنها غيره والأشجار الجارية منها الكبير ومنها الصغير . وكنا مع كثرة التعب تارة نتمتع بتلك المناظر الطيبة وتارة نتمتع بالنوم . وقد استغرقت هذه الرحلة ساعتين وخمسة عشرة دقيقة وكان وصولنا فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً . ونزلنا فى فندق ( . . . ) وكان بقية يومنا هذا يوم راحة لحاجتنا إليها .

لا بأس بتبادل المنافع :

١٢ / ٩ / ١٤٠٠ هـ .

فى الساعة التاسعة صباحاً تجولنا فى أسواق سورابايا، ثم انقسمنا إلى قسمين : قسم فشل فى الرجوع إلى الفندق هو أنا والشيخ عبد القوى . وقسم فضل زيارة حديقة الحيوان ، وهو الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز والابن عبد البر ، وجاءنا عبد الله بالنكتة التالية قال : كان عبد البر يتفرج على القروود وكانت القروود تتفرج على عبد البر قلت كيف كانت الثانية؟

قال كانت ملابس الناس كلهم عادية عند القروود أما لباس عبد البر : الثوب الطويل والطاقي والغتر فكانت غريبة ولذلك كانت القروود لا تلتفت إلى الناس بل صوبت أبصارها إلى عبد البر . قلت : لا بأس بتبادل المنافع .

## خواطر ومقترحات :

- ١ - ينبغي أن تقوم بعض المؤسسات الإسلامية كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتأليف كتب في تعليم اللغة العربية لغير العرب وتسجيلها في أشرطة «كاسيت» أو أسطوانات أو أشرطة فيديو . واهدائها للمؤسسات الإسلامية المهتمة بتعليم اللغة العربية .
- ٢ - القيام ببرنامج مستمر لتعليم اللغة العربية في اذاعة تخصصها المملكة العربية السعودية يستفيد منها العالم الإسلامي في كل مكان ، وكذلك في التلفزيون وتهدى افلامه إلى تلك المؤسسات الإسلامية .
- ٣ - اهداء كتب إسلامية باللغة العربية وغيرها للجامعات الإسلامية والمعاهد والمدارس الإسلامية .
- ٤ - تسجيل أناشيد إسلامية تتضمن شرح مبادئ الإسلام أو تثير الحماس في نفوس أبناء المسلمين ، وشراء الكتب والدواوين التي تشتمل على أمثال تلك الأناشيد أو طبعها وتوزيعها كذلك على المؤسسات الإسلامية لتكون مادة حفظ النصوص الشعرية لأن الشباب يرغب في ذلك وفيه صرف له عن سماع ما لا يليق كالموسيقى والأغاني التي وجدنا الشعب الأندونيسي مغرماً بها وعن طريقها يستميل أعداء الإسلام الشباب لإغوائه .
- ٥ - توزيع المصاحف المسجلة للمؤسسات الإسلامية والمساجد .
- ٦ - بناء قاعات محاضرات عامة ملحقا بها مرافق نشاطات مختلفة ومساجد ومدارس ووقفها على المسلمين للاستفادة منها . وقطع الطريق على النصارى الذين يغرون الشباب بأمثالها من مرافق النشاط عندهم .
- ٧ - فتح مراكز لتعليم اللغة العربية في المدن الكبرى على غرار المركز العربى السعودى لتعليم اللغة العربية في جاكرتا التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٨ - تخصيص مدرسين لبعض الجامعات الإسلامية حكومية كانت أو أهلية باسم مدرس اللغة العربية ممن يكونون مؤهلين في اللغة العربية والمواد الإسلامية للنهوض بتلك الجامعات والمعاهد في هذا المجال .
- ٩ - إقامة دورات تدريبية لمدرسى اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بلدانهم .
- ١٠ - إستضافة بعض المدرسين من الجامعات الإسلامية والمعاهد ولا سيما مدرسى اللغة العربية والمواد الإسلامية للاحتكاك بمدرسى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

ومثيلاتها والوقوف على مواد الكليات والمعاهد هنا وحضور الدروس في الفصول واقامة ندوات خاصة بهم للاستفادة منها .

١١ - بعث اعداد كبيرة من المصحف الكريم لتوزيعه على القراء أو طبع تلك الاعداد في البلد الذي يراد توزيعه على أهله لأنه أقل تكلفة وأضمن توزيعاً .

١٢ - البحث عن الكتب المترجمة إلى اللغات المحلية من الكتب الإسلامية النافعة وطبعها في داخل البلد وتوزيعه .

١٣ - الاستعانة ببعض طلبة الجامعات في ترجمة بعض الكتب العربية إلى لغاتهم لطبعها وتوزيعها .

١٤ - منح بعض المؤسسات الإسلامية حافلات لنقل طلابها إلى المدارس والمعاهد والجامعات وفي الرحلات . . .

١٥ - بناء مساكن وفصول دراسية للمعاهد الإسلامية لايواء الطلاب ودراستهم .

١٦ - توزيع فتاوى ابن تيمية على الجامعات والمكتبات .

### في مسجد الفلاح :

في الساعة الخامسة جاءنا الاستاذ مصرى واصطحبنا إلى مسجد الفلاح واستقبلنا مدير المسجد الشيخ عبد الكريم فتناولنا الافطار وصلينا المغرب ثم ذهبنا إلى منزل الحاج عبد الكريم لتناول طعام العشاء ، وقد أخبرنا بعض العلماء هناك ان منزل الحاج عبد الكريم يعتبر مأوى للعلماء والزوار لسورابايا من داخل أندونيسيا وخارجها وكان الرجل من كبار تجار أندونيسيا وعضوا في مجلس الشعب وهو الآن مرتاح لأنه كبير وقد أصيب بكسور في حادث في المملكة العربية السعودية في إحدى حجاته .

وأخبرنا أن ابن أخيه طيب وهو الآن في سجن جاكرتا - ويرقد في المستشفى - وكان سبب سجنه غيرته على دينه وعدم صبره على انتهاك حرمت هذا الدين .

وبعد أن تناولنا طعام العشاء ذهبنا إلى المسجد فصلى بنا امام المسجد العشاء وصلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح . ثم طلب مني أن ألقى محاضرة فكان عنوانها : كيف ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه (وكان المقصود بها الشباب) .

١ - رباهم على العبودية الكاملة لله ومحبة الله ورسوله وطاعتها المطلقة .

٢ - التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ، وضربت لذلك أمثلة :

أ - مصعب بن عمير مدرسا وحاملا لراية الجهاد وشهيدا .

ب - أسامة قائد الجيش فيه أبو بكر وعمر .

ج - أبنا عفراء اللذان قتلا أبا جهل .

د - الفدائيون الذين قتلوا رؤس الكفر ابن أبي الحقيق ، وعبد الله بن عتيك وكعب

بن الأشرف .

هـ - محمد بن القاسم فاتح السند .

ثم ذكرت الشباب (وأغلب المصلين وهم يملؤون المسجد شبابا) بواجبهم في تحمل المسؤولية والاقترداء بهؤلاء الفتية في رفع كلمة الله ، وانه لا يجوز أن يقتدى بالشباب الفاسد الذى رباه الغرب على عداوة الله ورسوله وأصحابه ودين الإسلام الذين يستحون أن يذكر الإسلام عندهم وأن المسلم عكس ذلك يفتخر أن يكون مسلما كما قال تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ .

وكان من بين الحاضرين معنا فى منزل الحاج عبد الكريم وفى المسجد الحاج باى عارفين وهو من العلماء المشهورين فى أندونيسيا ذوحماس وغيره على الإسلام وذو تأثير فى نفوس الشباب كما حكى لنا غير واحد وله ما يزيد على ثلاثين مؤلفا إسلاميا فى موضوعات مختلفة تهتم بتوعية الشباب وثقيفهم ، وقد أهدى لنا بعض تلك المؤلفات ومنها ترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وطلب منا الحاج عبد الكريم أن نتناول طعام السحور فى منزله أيضا وأن ألقى محاضرة بعد صلاة الفجر فى نفس المسجد فلبينا طلبه .

### مفهوم العبادة فى الإسلام .

١٣ / ٩ / ١٤٠٠ هـ

تناولنا طعام السحور فى منزل الشيخ عبد الكريم وُصلينا الفجر فى مسجد الفلاح صلى بنا الشيخ عبد القوى ثم طلب أن يقرأ على المنبر بعد صلاة الفجر ، ثم ألقى محاضرة تتضمن مفهوم العبادة الشامل الذى جاء به القرآن والسنة وفهمه الصحابة والسلف الصالح بعدهم وأنه يترتب على هذا المفهوم الاستكثار من الطاعة وعظيم ثواب الله وأن هذا المفهوم الشامل قد ضاق عند كثير من الناس فترتب عليه أن حرموا أنفسهم من الاستكثار من طاعة الله ومن عظيم الثواب .



وماذا أفعل إذا كان البحر نزل؟ .

كنت في كل مدينة يقع البحر بجوارها - أو هي تقع على شاطئه - أحاول ألا أغادر تلك المدينة الا بعد الخروج إلى البحر لأرسم لها وله صورة في ذهني فاتفقنا على أن نذهب إلى شاطئ البحر في الساعة الثالثة والنصف وكان هذا الوقت وقت خروج الفترة الثانية من طلبة المدارس لأن كثرة الأندونيسيين تضطربهم لذلك : فوج يدرس في الصباح وآخر في المساء فكانت الشوارع مزدحمة أزدحاما جعل سيارتنا كأنها غاصت في رمال خبت البقر (وهي صحراء ذات رمال مثل الجبال في جنوب المملكة العربية السعودية الغربية مشهورة من قديم الزمان بالخطر على المسافرين مشاة وركابا لقلة مياهها وسكانها وطول مسافتها نسيبا حتى قال أحد المسافرين بعد أن نجا من الموت لشدة العطش والجوع : إذا أعدتلك - أى إذا عدت إليك - يا خبت البقر سمنى الثور) . كانت السيارات كثيرة والدراجات العادية والنارية والعربات التى تجرها الخيول وعندما وصلنا إلى البوابة التى يدخل الناس منها إلى الشاطئ استقبلتنا فتاة قبض الضرائب فأخذت مالها، فلم نجد إلا سبخة جافة لا يرى ماء البحر على مدى البصر، فقلت لعبد الله باهرمز : أهكذا تتعبنا في هذا الزحام وتدفع ضريبة ثم نأتى فلا نجد البحر؟ قال : وماذا أفعل إذا كان البحر نزل - فرجعنا نتذكر المثل : أحشفا وسوء كيله . وكان عبد القوى يضحك مرتاحا، لأنى أنا السبب في هذا السفر الطويل إلى بحر لم نجده .

زيارة مسجد المجاهدين :

أسس هذا المسجد سنة (١٩٥٣ م) وتتبعه مدارس تبدأ بالروضة «روضة الأطفال» ثم الثانوية العامة والثانوية الدينية والعالية الدينية .

وبعد صلاة العشاء القيت محاضرة (بعنوان : المجلس الصالح وجليس السوء) ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى صلاة التراويح واجتمعنا مع المسئولين في هذا المسجد وذكر لنا أن ثلاث مقاطعات في أندونيسيا يستبسل أهلها في نصره الإسلام والدفاع عنه أكثر من المقاطعات الأخرى وهى :

١ - اتشه في سومطرة الشمالية .

٢ - بوقس في سولا ديس (ومنها الحاج عبد الكريم) .

٣ - مادورات في جاوة الشرقية .

ثم زرنا الحاج عبد الكريم وودعناه لانا عزمنا على السفر غدا صباحا .

## وارتاح المؤتمر :

نشر في إحدى الجرائد المسيحية أن الرئيس سوهارتو افتتح المؤتمر المسيحي البروتستانتي الدولي الذي بلغ عدد وفوده ستة آلاف وفد وأنه صرح في كلمته بأن لكل صاحب دين الحق أن يدعو إلى دينه بكامل الحرية أهل الأديان الأخرى وأن المؤتمر ارتاحوا لهذا التصريح وصفقوا كثيرا له وأنه بذلك ألغى قرارا لوزير الشؤون الدينية أصدره قبل سنة يمنع فيه أن يدعو صاحب دين آخر إلى دينه أو تغيير صاحب دينه إلى دين آخر وكان المسيحيون آنذاك قد صرحوا بأنهم لا يستطيعون الالتزام بقرار وزير الشؤون الدينية لأنهم مكلفون بهداية القطعان الضالة .

## خاطرتان :

- ١ - العرب يتحملون مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى في التمسك بالإسلام والقُدوة الحسنة للآخرين ، لأن أبناء الشعوب الإسلامية من غير العرب يحسنون الظن بهم كثيرا ، ولذلك رأيناهم يرغبون رغبة شديدة في قراءة أى كتاب يصدر ويجدونه باللغة العربية وكذلك الجرائد والمجلات التى ينتشر فى كثير منها السم الفكرى والمبادئ الهدامة وهى صادرة من بلدان غربية منحرفة نظمها عن عقيدة الإسلام ومبادئه .
- ٢ - زيارة علماء المملكة العربية السعودية للمسلمين فى البلدان الإسلامية أو غيرها ترفع معنوياتهم ، ولذلك ينبغى تكرار هذه الزيارات ، وينبغى أن يصحبها مساعدات مادية ، لأن أهل الأديان الأخرى يقدمون إعانات ملموسة .

## إلى بالى :

أقلعت بنا الطائرة من مطار سورابايا إلى جزيرة بالى (مطار مدينة دباسار) فى الساعة العاشرة صباحا - بدلا من التاسعة - وكان الجو صحوا يتخلله قزع من السحاب والأرض كلها خضراء مليئة بالقرى التى تتناثر مساكن أهلها بين المزارع والغابات . وبدت جبال مرتفعة تغطيها الغابات كنا نقعد فى مقدمة الطائرة . وكان الباب المؤدى إلى غرفة القيادة مفتوحا ، فجعلت أنظر إلى القائد وهو يمد يده اليمنى ويسرة حتى استوت الطائرة فاذا هو ينفك رباطه ، وأخذ يكتب وكأنه على مكتبة فى الأرض وكنت أود أن استمر فى النظر إلى الغرفة بما فيها من أدوات وما يصنع القائد فى بعض الأحيان ، ولكن المضيفة قفلت الباب بعد أن قدمت له طعام الإفطار ، فلما أقفل الباب رجعت أطل من النافذة كعادتى لأرى عجائب صنع الله ، فكنت أرى الجبال والبحار والجزر والغابات والقرى وكانت مدة الطيران من

سورابايا إلى مطار (دمباسار) في جنوب جزيرة بالي ثلاثين دقيقة . وصلنا المطار في الساعة العاشرة والنصف .

واستقبلنا في المطار أبو عبد الله : سعيد بن عبد الرحمن باهرمز، وهو حضرمي الأصل من مواليد أندونيسيا ذكر لنا أن أباه هاجر إلى هذه البلاد ثم ذهب إلى بلاده «حضرموت» وتوفي هناك . والشيخ سعيد يتكلم اللغة العربية بطلاقة قال : كان أبي عالما وداعية وقال أنى قليل العلم ولى أمل في أن يخلف عبد الله جده واشكركم على العناية به وبتعليمه وتربيته واني سأبعث اليكم أخاه ليتلقى العلم والتربية في المدينة المنورة كأخيه .

ولما كنا في طريقنا للفندق كان هو وأبنة عبد الله يشيران لنا إلى معابد الهندوك حيث يوجد في كل بيت معبود من دون الله وسألناه عن حالة هؤلاء الوثنيين فقال : انهم متعصبون لدينهم ولكنهم يظهرون تسامحا مع المسلمين ويأخذون ببعض العادات الإسلامية وانهم نشطون جدا في العمل ، فهم يزرعون السهول والجبال وأن مثقفهم بدأوا يشكون في صحة دينهم ولو وجد الدعاة المسلمون الأكفاء لدخل كثير منهم في دين الإسلام وقال : ان المحافظ أصبح الان منهم (أى من الهندوك) بعد أن كان من قبل من المسلمين ويبلغ عدد المسلمين في هذه الجزيرة ستة في المائة (٦٪) فقط والنصارى (١٪) واحد في المائة والأكثرية هم الهندوك . ورأينا في شوارع المدينة السائحين الأجانب (وهم من أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان والصين وغيرها) . بكثرة رجالا ونساء ويمشون شبه عرايا لا يلبسون الا السراويل القصيرة . وكانت الفنادق كذلك مزحومة ، فقد أختير لنا النزول بأحد الفنادق فلم نجد فيه مكانا وأتصل الأخ عبد الله بعدد من الفنادق فلم نجد الا في فندق القصر فنزلنا فيه .

وكنا نرى الصور المجسمة تنتشر في كل مكان : على الشوارع العامة والشوارع الفرعية ، وأمام المنازل والفنادق وفي داخل القاعات بأشكال مختلفة ، وبعض الأوثان المعبودة يلبسونها بالأقمشة بازار وخمار .

واتصل الأخ عبد الله باهرمز ببعض المسلمين وأخبرهم أنا موجودون وأننا نحب زيارتهم فاتصل أحد الأشخاص هاتفيا فأجابه الشيخ عبد القوي فقال له : ان خطاب عبد الله قادري سيكون الليلة في مسجد النور .

وبعد أن أفطرنا زكى عبد الله باهرمز أحد المطاعم فقال : انه مطعم إسلامي وزكاه كذلك بان طعامه لا يكثر فيه الفلفل .

فذهبنا إلى هذا المطعم فوجدنا التزكية الأولى صحيحة بدليل أن المطعم لا يرتاده إلا عدد قليل جداً ، أما التزكية الثانية فقد استعجل عبد الله هداه الله ، وبعد تناول طعام

العشاء في هذا المطعم رجعنا إلى الفندق فجاءنا بعض الشباب من المسلمين بسيارتهم لنقلنا إلى مسجد النور وكان قائد السيارة وصاحبها هو الشاب موسى حسين سر ويعمل في تجارة النظارات وكنا متفقين مع الأخوة أن فضيلة الشيخ عبد القوي يصلى التراويح (وكان هدفنا من صلاة الشيخ بالناس هو تعليمهم كيفية الصلاة والقراءة، لأن كثيرا من الناس يسرعون في صلاتهم ويقرأون سورا قصيرة) وكان أئمة المساجد التي نزرها يقدمونه بأنفسهم عندما يعلمون أنه حافظ لكتاب الله ومجوده ويفرحون بذلك ولكن امام هذا المسجد رفض التنازل للشيخ عبد القوي - وله الحق في ذلك لانه امام المسجد ونحن ما كنا نطلب من الناس التنازل ولكنهم كانوا هم يرغبون وقد يئبه بعض الناس الامام فيلبى - ولكن عندما تقدم الامام يصلى بالناس التراويح بدا لى السبب في رفضه، فقد كان سريعا في صلاته يتكلف أن يقرأ قراءة جيدة وأخطاؤه كثيرة وكان يقرأ بعد الفاتحة سورة قصيرة في الركعة الأولى وكذلك في الثانية إلا أنها غير مرتبة فيقرأ مثلا سورة الماعون في الركعة الأولى وفي الثانية سورة النصر وفي الثالثة سورة الهمزة وفي الرابعة سورة الكوثر وهكذا . وبعد أن صلى بالناس أخذ الميكرفون وجعل يتحدث مرحبا بالضيوف مرة باللغة العربية وأخرى بالأندونيسية ويكرر نفس الكلام لمدة لا يقل عن نصف ساعة ثم طلب منى أن أتقدم لالقاء الخطاب كما قال وأراد أن يترجم ولكنى رفضت لان لغته العربية ركيكة جدا وأسلوبه ثقيل على النفس فقلت له : ان الأخ عبد الله باهرمز هو المترجم فوافق وكنت محرجا في إلقاء هذه الكلمة لانه قد أطل على الناس وهم ينتظرون بعد القاء كلمتى صلاة التراويح .

وكان الحديث متضمنا بيان دعوة الرسل وأنها لتثبت عقيدة التوحيد وعبادة الله وحده ونفى الشرك عنه وأن الذى منحه الله هذه العقيدة عليه مسئولية عظيمة في انقاذ غيره من ظلمات الكفر، إقتداءً بالرسل عليهم السلام الذين كان الصراع بينهم وبين أممهم سببه هذه الدعوة وأن محمدا ﷺ كان خاتمهم ولذلك فقد أصبحنا نحن المسئولين عن البشرية كلها لاجراجها من الظلمات الى النور وأن على المسلمين في هذه البلاد أن يقووا ايمانهم وایمان أبنائهم بالله وبرسوله وأن يحصنوه من الشرك بالله والمعاصى وأن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله ويبينوا للوثنيين فساد الاديان الاخرى غير دين الإسلام .

وبعد صلاة التراويح قال الامام الان يتقدم عبد القوي ليقرأ آيتين - وسكت قليلا ثم قال - فأكثر فهمتا أن الرجل ما كان يريد أن يسمع الناس غير قراءته لأنه يخشى أن تقل مرتبته عندهم وكان هذا فهما خطأ منه هداه الله .

## مذهب الشيخ في التبرك بآثار الصالحين :

أخذ الناس يتزاحمون علينا لمصافحتنا ، وأراد أحدهم أن يتبرك ببعض آثار الشيخ عبد القوى (وهى الحقيبة التى فى يده وكان بها الجوزات والتذاكر وجميع سشيكاتنا ونقود نفقاتنا) فأخذ هذا الرجل يجر الحقيبة وأخذ الشيخ جزاه الله خيرا يتمسك بهذه الحقيبة فلم ينجح ذلك المخرف فى تخريفه ولو نجح فى تبركه لعطل حركتنا كلها فالحمد لله رب العالمين .

## من أساليب الدعوة :

ثم خرجنا مع الأخوة فتجول فى السوق بالسيارة وما كان عندهم شىء يشير ون اليه الا معابد الهندوك فسألناهم هل عندكم خطة لدعوة هؤلاء إلى الإسلام؟ فقالوا : نعمل جهدنا ومن خططنا أن نزوج بعض شباننا من بناتهم بصدد دخولهن فى الإسلام . فاذا أسلمت الفتاة وتزوجها الشاب المسلم أثر ذلك على أقاربها فيسلم بعضهم . وكذلك نذهب إلى القرى فنُدعوهم إلى الإسلام فيدخل بعضهم فى الإسلام ولكن ذلك قليل والجهود غير كافية .

وسألناهم كيف يكون حال من دخل فى الإسلام؟ قالوا : أن كثيرا منهم يكونون أكثر تعصبا للإسلام بعد اسلامه من بعض المسلمين . وكنت قلت للشيخ عبد القوى أن هذه البلاد فى حاجة إلى وقت أطول ولو كان عندنا فسحة من الوقت لكان البقاء أفضل فقال : نعم ولكن مهما كان هذا الوقت الذى نقضيه لا يؤدى واجب الدعوة إلا إذا كان لمدة سنتين فأكثر يعلم فيها الشباب الإسلام ويدرب على كيفية الدعوة حتى يطمأن على تمسكهم ونجاحهم فى ذلك ثم يتركون وينتقل الداعية إلى مكان آخر وهكذا . وهذا ما يفعله المسيحيون إذ يصل القسيس إلى المنطقة التى يكون أهلها شبه عرايا متوحشين كما فى جنوب السودان ، فيلبس مثلهم ويشاركهم فى عاداتهم ثم يأخذ فى بث افكاره فيهم بالتدرج حتى يقنعهم بالتخلى عنها شيئا فشيئا ولا يخرج حتى يفتح مدرسة لأبنائهم ويستمر تعليمهم فيها ثم ينتقل إلى مكان آخر فيعمل فيه ما عمله فى المكان الأول وهكذا . . . أما نحن وأمثالنا ممن يكون نزولهم فى الفنادق وزياراتهم عابرة فان فائدتهم فى الدعوة قليلة جدا وهذا الذى قاله الشيخ عبد القوى حق وهذا يحمل المؤسسات الإسلامية مسئولياتها تجاه تدريب الدعاة وأعدادهم لتحمل المتاعب والمصاعب فى سبيل الله ، وفى الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية عدد كبير من أبناء العالم الإسلامي والبلدان كلها يمكن أن يقوموا بهذه المهمة فى بلدانهم وبلغات أقوامهم . إذا أعدوا إعدادا صالحا وربوا تربية صحيحة .

من أحق بذلك نحن أم هم ؟ .

وذكر لنا الأخوة أن الزلازل تكثف في هذه البلاد وأنها تحدث خسائر في الأرواح والممتلكات وتهدم البيوت وقد تذهب بعض القرى وإذا حدث شيء من ذلك يأتي المسيحيون من استراليا وأمريكا وأوروبا فيقدمون المساعدات لإخوانهم المسيحيين وقد يساعدون أيضا بعض المسلمين ولكن المسلمين لا يرون أحدا يأتي لمواساتهم ومساعدتهم ، قال بعض الأخوة: الا أن المملكة العربية السعودية عندما حدث زلزال ١٩٧٦ م في بالي ساعدت كل مسجد من المساجد المتضررة بالفى ريال تقريبا .

قلت: من أحق بالبر والبذل والمواساة نحن المسلمين أم أولئك الكفار الذين يمدون يد العون حتى لإخواننا المسلمين ؟ .

ومن أجدد بالدعوة العملية في المواساة أهل الدين الحق أم أهل الأديان المنحرفة ؟ .

### إلى سنجاراجا

١٥ / ٩ / ١٤٠٠ هـ .

في الساعة العاشرة من صباح اليوم غادرنا مدينة دمباسار في جنوب جزيرة بالي إلى مدينة سنجاراجا في شمال الجزيرة في سيارة يقودها شاب كان شيعيا ولكنه تاب من مذهب الشيعة وانضم إلى السنة وأسمه محمد، وكنا نرى في شوارع مدينة دمباسار قبل خروجنا منها الأوثان التي يأتي إليها الهندوك بالفواكه والزهور يضعونها على رفوف عمد قريبة من الوثن تقربا اليه ويومئون برؤسهم وأيديهم وبعد الخروج من المدينة دخلنا في المزارع التي لا يرى الرائي الشمس الا نادرا منها لكثرة الاشجار (وأغلبها ثمرة) على جانبي الطريق وينتشر باعة الفواكه بجانب الطريق وهي أنواع كثيرة لا نعرف الا القليل منها

فوقفنا عند أحد الباعة وقد مد طاولته الخشبية بجانب الطريق أمام منزله ووضع على الطاولة عينات من الفواكه الموجودة عنده والأشجار المثمرة بجانبه تتدلى بها الفواكه ويخير المشتري ان أراد أن يأخذ من الفواكه المقطوعة التي على الطاولة وان شاء أن يختار من الفواكه التي لازالت معلقة في أشجارها وكان من الفواكه الموجودة شجر الباباي ذى النكهة اللذيذة المفضلة عندي وكانت احدى شجراته تحمل ما يزيد عن خمسة وعشرين حبة وسألت كم تحمل الشجرة من هذه الحبات؟ . . . فقالوا : منها ما يحمل عشرين ومنها ما يحمل ثلاثين وبعضها قد تحمل خمسين حبة . والحبة تختلف في الصغر والكبر قد ترزن الحبة الواحدة عشرة كيلو جرام . وأخذنا منه ما نريد ثم واصلنا السير .

ثم دخلنا بعد ذلك في غابات كثيفة وجبال شاهقة تكسوها تلك الغابات وكانت السحب تغازل تلك الغابات وتعانقها في قمم الجبال ، وتلتف حولها في الأسفل وكأنها تطمئن تلك الغابات وتبشرها بالخير والمطر المdrار في وقته الذي يأذن الله به وكان قائد السيارة يشير إلى بعض الاشجار التي يعرف أسماءها ونحن نعرف قليلا وأكثرها لا نعرفه ومما عرفناه البن والقرنفل . ثم قربنا السائق في طريق جانبي على اليمين إلى ساحة كبيرة بين الجبال مملوءة بالماء فقلنا ما هذا؟ . . . قالوا : هذا حوض . قلت : هل تتجمع هذه المياه من سيول هذه الجبال؟ قالوا : بل ينبع الماء من القعر ويتبقى هكذا طول الوقت وفيه قوارب صغيرة يستعملها السائحون ورجب الابن عبد البر في الركوب ولكنى قلت له أنى أكره الوقوف في هذا المكان لان الاجانب يرتادونه بكثرة وبملايس غير لائقة وقال عبد الله في داخل هذا الماء أشجار شبيهة بالحيوان إذا لمست جسم أحد انطوت عليه وأنزلته إلى القعر فيكون قبره وكنت أظن ذلك خرافة ولكنهم أيدوا ذلك كلهم . وكانت الطريق تتلوى بنا مثل الثعبان حتى كنا في دقائق نسير إلى الجهات الأربع حيث نمشى إلى جهة ثم نكرراجعين إلى الجهة المقابلة وهكذا كانت الطريق : -

نمشى حتى نكاد نلتقى بالنقطة التي كنا فيها ثم نرجع حتى نكاد نلتقى بالنقطة الأخيرة وهكذا . وكانت خطيرة بسبب ذلك وبسبب ضيق الطريق إلا أن السيارات كانت قليلة فيها وليست مزدحمة كما هي العادة في مناطق أخرى من أندونيسيا وفي رأس الجبل وجدنا سوقا تباع فيه الفواكه والزهور المختلفة بأسعار رخيصة جدا وقفنا قليلا ثم واصلنا السير وكان الطقس باردا كأنه مكيف .

ألا تصدقونى : ؟

مررنا بمكان تنتشر فيه القردة بجانبى الطريق كبارا وصغارا ولا تفر من السيارات ولا من الناس ، بل تبقى في مكانها تأكل الثمار، والناس يتفرجون عليها، فقال الابن عبد البر : أبويه - أى يا أبى - أريد أخذ قردة فقلت : ماذا تريد به؟ قال : آخذه إلى المملكة أرييه هناك . فقلت لا داعى لذلك . فقال عبد الله بن سعيد باهرمز . لا تأخذ فأنها ستبعتها إلى سنجاراجا ، قلت له كيف ونحن في السيارة وهى تسير بسرعة يصعب على القروء متابعتها وكنا في منتصف الطريق تقريبا بيننا وبين سنجاراجا ما يقرب من أربعين كيلومترا قال : تجرى حتى تلحق بنا . فقلت : ما أظن . فقال منفعلا منكرا : أما تصدقونى؟ قلنا : صدقناك .

## لا أبالي :

كان قائد السيارة يتحدث تارة باللغة العربية قلت له : أين تعلمت اللغة العربية ؟ .  
قال : في معهد كونتور ولكن لم أكمل الدراسة . قلت له : من أى طوائف الشيعة أنت .  
قال : من بوهرة ولكنى لا أتبع مذهبهم بل ارتضيت مذهب أهل السنة قلت : وأهلك .  
قال لا يرغبون منى ذلك ولكن بعضهم أيضا ارتضى مذهب أهل السنة وترك مذهب الشيعة  
وأنا لا أبالي إنى لا أعتقد أنهم على حق .

ثم أخذنا فى الانحدار من الجبل إلى الاسفل وبدأت الحرارة ترتفع وكان وصولنا إلى  
سنجاراجا فى الساعة الواحدة ونزلنا فى فندق «جارودا» وهوبناء شعبي عادى، يكثر به  
البعوض الذى أقل راحتنا على الرغم من حاجتنا إليها .

## على شاطئ البحر :

وبعد صلاة العصر جاء الينا الأخ عبد الله باهرمز الذى أعطى فرصة لزيارة أهله لمدة  
ثلاث ساعات تقريبا لأن هذه المدينة مسقط رأسه وبها منزله وأسرته، وخرجنا إلى شاطئ  
البحر وهو قريب جدا من الفندق، وأقرب إلى منزل عبد الله فمكثنا هناك إلى غروب  
الشمس ثم رجعنا لتناول طعام الافطار فى منزل عبد الله وفى طريقنا إلى البحر رأينا  
الهندوكيين وهم يحملون قرايينهم على رؤسهم الى أحد أصنامهم يقدمونها له ويعبدونه من  
دون الله، وهذا ما دفعنا لمذكرة أمر دعوتهم ثم زيارة زعيمهم فى المدينة كما سيأتى ان شاء الله  
الحديث عنه .

## فى منزل الشيخ سعيد باهرمز :

وبعد أن صلينا المغرب جاء إلينا بعض الطلبة الأندونيسيين الذين يقومون بالدعوة  
إلى الله فى هذه الجزيرة الوثنية بين إخوانهم الشباب من المسلمين فتحدثنا معهم وشرحوا لنا  
ما قاموا به ولا زالوا مستمرين فيه وإقبال أبناء المسلمين على الدعوة واستجابتهم لها . وأن  
الجهل يسيطر عليهم ولكن عواطفهم تدفعهم للاستفادة العاجلة .

وإن من أساليب دعوتهم أنهم يجمعون الشباب فى المساجد ويتحدثون معهم ويلقون  
فيهم محاضرات ويقرأونهم القرآن ويعلمونهم الصلاة وبعض الاذكار باللغة العربية ويختارون  
من يروونه أسرع استيعاباً ويجتهدون فى تعليمه أكثر من غيره ليقوم هو بتعليم أهله وزملائه



وأنتهم وزعوا بعض الكتب الإسلامية، وشكا الأخوة من عدم وجود ما يساعدون به أهل البلدة من شراء بعض الأخشاب وبناء مساجد صغيرة أو ترميم مساجد متهدمة فقلنا لهم عليكم أن تجتهدوا في التعليم وإثارة الحماس في نفوس الناس لدينهم وسيوفقهم الله لمساعدتكم في البناء بأنفسهم وكانت هذه تسليية للأخوة الذين يشاهدون آثار مساعدة المسيحيين لقومهم القلة في هذه البلدة .

وكان من الحاضرين معنا في هذه الجلسة المدعو عبد الله بن أحمد معاشر وهو حضرمي الأصل - وغيره من أهل المدينة الذين هم من أصل عربي - وتذاكرنا موضوع الحفاظ على أبناء المسلمين من الذويان في هذا المجتمع الوثني فذكر الأخ عبد الله معاشر - وهو على علم بمبادئ الدين طيب ويرغب في المذاكرة والقراءة قال : ان المحاولة حاصلة ولكنها ليست على المستوى المطلوب وأملنا - بعد الله - في خريجي الجامعة الإسلامية كبير بأن يقوموا بالدعوة والتعليم ونحن نقوم ببعض الدروس في الأسبوع وكذلك في الاحتفالات الدينية كالأسراء والمعراج والمولد النبوي وغيرها فقلنا لهم ان واجبكم الاستمرار في التعليم والدعوة وينبغي أن تكون الدروس في المساجد مستمرة وأن تتعاونوا في إغراء أبنائكم بحضور هذه الدروس وأن تعقدوا إحتفالات عامة - على شبه ناد أو ندوات تدعون إلى حضورها أبناءكم والهندوكيين يسمعون كلمة الإسلام وتقوم الحجة عليهم بشرح أركانه ومبادئه لأن دعوتهم واجبة وهم يعبدون الأوثان . فذكروا لنا أن اجتماعات تعقد لأهل الأديان الأربعة هنا وهي الإسلام والهندوكية والبوذية والنصرانية، وكل جماعة يشرحون دينهم . قلت لهم : ولكن عليكم أن تبينوا لهؤلاء الناس أن دينكم هو الدين الذي لا يقبل الله سواه من الأديان لأنها كلها باطلة وأن تقيموا الحجة على ذلك لتتقنوا هؤلاء الضالين من الشرك بالله .

ثم حضرنا المسجد المسمى بالتقوى فصلينا العشاء وألقيت محاضرة في الحاضرين تضمنت شرح كلمة التوحيد التي دعا إليها كل الرسل وأن علينا أن نفهمها ونعمل بمقتضاها وأن نمكن نفوس أبنائنا من فهمها والعمل بها وأن ندعوا إليها الآخرين وأن على الآباء والعلماء أن يعلموا أبناءهم وعلى الأبناء أن يجتهدوا في تعلم الدين من آباءهم وأساتذتهم وكان الحاضرون في غاية الانصات والتأثر .

ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح وقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن بطلب منهم وقام إمام المسجد فأبدى سروره بهذه الزيارة وشرح مبدأ جماعة المسجد وهو التمسك بالإسلام الذي يبنى على الكتاب والسنة ونبذ الخرافات وقال : أننا سنحاول تطبيق نصائحكم وطلب منا ابلاغ المسئولين في المملكة العربية السعودية أن أبناء هذه البلاد ينتظرون منهم المساعدة بالكتب والمدرسين والمساعدة في بناء المدارس ووضع المناهج .

## أعيدوا النظر يا دعاة الإسلام :

إن الجهود المبذولة للدعوة إلى الله في أرض الله - وإن كانت قليلة ويجب بذل الوسع في المزيد منها - هذه الجهود ظهر لنا أنها تسير بدون تخطيط علمي دقيق وبدون تنظيم مفيد وتنفيذها عشوائي في الغالب وكذلك يجب على المؤسسات الإسلامية أن تعيد النظر في أساليبها المتخذة حالياً للدعوة إلى الله باتباع الأمور التالية :

١ - ينبغي أن تنسق المؤسسات الإسلامية فيما بينها في إطار مجلس واحد يسمى مجلس شؤون الدعوة الإسلامية - مثلاً - يمثل هذا المجلس كل المؤسسات الإسلامية في داخل المملكة العربية السعودية بداية لمجلس دعوة عالمي هذه المؤسسات هي الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وجامعة أم القرى وإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ويكون مقر عام يختار له رجال أكفاء مهمتهم جمع المعلومات عن العالم الاسلامي ، وتنسيقها وترتيبها في بحوث يرجع اليها عند الحاجة .

٢ - يختار عدد من الأساتذة والطلبة ويعثون في الأجازات الصيفية إلى بلدان العالم الإسلامي لجمع المعلومات ومعرفة أحوال المسلمين والجمعيات الإسلامية المتمسكة بالإسلام، والمؤسسات الإسلامية التي تحتاج إلى مساعدة، والبلدان التي يوجد بها دعاة والبلدان التي لا يوجد بها أحد منهم . ومعرفة المدن والقرى التي تحتاج إلى بناء مساجد أو ترميمها والاطلاع على الجهات التي توجد بها جامعات ومعاهد ومدارس وحاجة هذه الجامعات والمعاهد والمدارس إلى مدرسين أو كتب أو وضع مناهج أو منح دراسية والجهات التي توجد بها مدرّس ويمكن إنشاء مدرّس فيها لأبناء المسلمين .

٣ - التخطيط لبعث الدعاة والمدرسين المقيمين والمساعدات المادية وغيرها والبدء بالأهم وبذلك يمكن إيصال الدعوة إلى أغلب البلدان الإسلامية وغير الإسلامية على خطط علمية مدروسة وتنظيم دقيق :

٤ - ينبغي أن تعقد دورات في كل قطر للدعاة إلى الله الذين يتعثرون من المملكة على رأس كل سنتين على الأقل يقوم بهذه الدورات علماء الدعوة الإسلامية من داخل المملكة وخارجها ليطلعوا على ما يقوم به هؤلاء الدعاة في الأقطار ويوجههم ويحلوا لهم مشكلاتهم وبذلك يكون المؤسسات على علم بما يقوم به الأفراد التابعون لها وإذا لم يمكن إقامة دورات في تلك الاقطار فيمكن اقامتها في احدى الجامعات بالمملكة .

٥ - يجب أن لا يكدر الدعاة في بلد واحد وفي مؤسسة واحدة مع وجود فراغ في بلدان أخرى أو مؤسسات، بل ينبغي توزيعهم لتقوم الحجة بهم في كل مكان قدر الاستطاعة .

## أين الاسعاف ؟

والمسلمون في سنجاراجا بالذات يبلغ نسبتهم ٤٠٪ من السكان ولهم بعض المدارس الأهلية التي كان الطلبة المسلمون مقبلين إليها حتى فتحت المدارس الحكومية التي يوجد فيها من النظام والامكانيات البشرية والمادية مالا يوجد في الأولى وعندئذ بدأوا يتركون المدارس الأهلية وينضمون إلى المدارس الحكومية . وإذا لم تسعف هذه المدارس الإسلامية بتحسين المباني ووضع المناهج الجيدة التي تجمع بين المواد الإسلامية والمواد الحكومية المفيدة، وكذلك بالأساتذة الذين يقومون بالتدريس متفرغين فإنها يخشى عليها أن تتوقف، فأين الاسعاف ؟

### دعوة زعيم الهندوكيين في سنجاراجا إلى الإسلام :

أكد لنا الأخوة المسلمون في جزيرة بالي تسامح الهندوكيين معهم واحترامهم ومساعدتهم ماديا في بعض شئونهم كبناء المساجد وترميمها والاحتفالات الدينية قالوا وكثير من عامتهم مقتنعون بالإسلام ولكنهم يتمسكون بدينهم تقليدا للمتبعيهم ويصرح بعضهم بانهم اذ دخل زعيمهم في الإسلام فانهم سيدخلون فيه ايضا . وأثنوا على زعيمهم في هذه المدينة بانه يتعاطف كثيرا مع المسلمين . فطلبت منهم أن يضربوا لنا معه موعدا في هذا اليوم لنتلقى به ونشرح له الإسلام وندعوه إلى التوحيد ونشكره على تعاطفه مع المسلمين .

فرحب بالزيارة عندما بلغوه رغبتنا، وزرناه في الساعة التاسعة صباحا في مكتبه، وشكرناه على حسن معاملته للمسلمين وأخبرناه بموقف النجاشي من المسلمين عندما هاجروا إلى بلاده من إيذاء قومهم إياهم في بدء الرسالة في مكة وأن الرجل أسلم وحسن إسلامه وصلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب وأن ذوى العقول النيرة إذا شرح لهم دين الإسلام تقربه عقوله ويدخلون فيه وقد كان هذا على مدار تاريخ الإسلام واقعا فقد أسلم كثير من أهل الكتابين في القديم والحديث وكذلك الوثنيون في فارس والهند وغيرها .

وبينا له أننا انما جئنا إليه طمعا في أن ينقذه الله تعالى بالإسلام الذي لا يوجد في الأرض دين يرضى الله به غيره وأن رسالة هذا الدين عالمية يجب على كل الناس الإيمان بها وأن الحجج والبراهين المقنعة قد قامت على كون هذا الدين هو الحق وما سواه باطل . كما قامت على صحة رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء، وأن هذا القرآن حق منزل من عند الله تحدى الله به الأنس والجن أن يأتوا بمثله فلم يقدرُوا على ذلك منذ نزوله إلى يوم

القيامة ، وأن سبيل الجنة التي يطمع فيها أهل الأديان كلها هو هذا الدين فقط وأن النجاة من النار لا تكون الا لأهله وأن كل جزئية من جزئيات الإسلام تدل على أنه حق ، ويكفى أن الأمم التي حاربتة قد دخلت فيه ولا يزال المنصفون من أعداء الاسلام ينطقهم الله بالحجة إلى أنفسهم .

ولذلك فنحن نرغب في انقاذكم من النار ودخولكم الجنة أنتم وأتباعكم جئنا ندعوكم إلى الله عز وجل والدخول في هذا الدين حتى يكون لكم أجركم وأجر أتباعكم ولا تتحملوا وزركم ووزرهم بعدم الدخول في هذا الدين .

وقلت له : إن هذا الرجل - يعنى الشيخ عبد القوى - يحفظ القرآن كله وهناك آلاف المسلمين يحفظونه كما أنزله الله لا تحريف فيه ولا يقدر أحد على تحريفه ولو كنت تفهم اللغة العربية وسمعت منه وصف الجنة ونعيم أهلها ووصف النار وعذاب أهلها لطرت شوقا إلى الأولى بلا اله الا الله محمد رسول الله ، ولهربت خوفا من الثانية بترك عبادة غير الله تعالى ونحن نرغب أن تدخلوا في دين الله في أسرع وقت لأن الإنسان لا يدري متى يقتاده الموت إلى قبره والموت على غير الإسلام يورث الحسرة والألم والخلود في النار ونرغب في أن نكون أمة واحدة ندعوا إلى الخير ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان يظهر السرور بكل ما يسمع وأجاب أنه قد قرأ ترجمة القرآن الكريم ووجد أن ما تقوله له موجود في القرآن وانه يرى أنه حق وقال : إننى أتابع الأذان وتعجبني الفاظه وقال اننا نأسف لقصر زيارتكم وكنا نود لو تأخرتم عندنا أكثر . فاعتذرنا بارتباطنا واننا اذا جئنا مرة أخرى إلى أندونيسيا سنحاول زيارته ووعدنا ببعث كتب اسلامية إليه مترجمة وغير مترجمة .

وهنا يجب أن نقولها صريحة : أن المؤسسات الإسلامية - على الرغم مما تبذله من جهود في سبيل الدعوة إلى الله - مقصرة في التخطيط والتنظيم والتنفيذ لهذه الدعوة وأن بعث دعاة حكماء مدرين ملمين بالأديان المقارنة مزودين بالحجج المقنعة مثقفين ثقافة عصرية مع الفقه في الدين يلتقون بأمثال هذا الزعيم مع حمل الكتب المترجمة إلى اللغة المحلية لاي بلد لجدير بفتح الباب أمامهم للدخول في دين الله تعالى .

وإذا لم يدخلوا في أول الأمر فيمكن عقد صلوات معهم تكون سببا للدخول فيه مستقبلا وأن على الدعاة إلى الله أن يكونوا أعزة بدينهم يدعون إليه العظماء في قومهم كالسوقة كما كان يفعل الرسول ﷺ وما الذى يمنع الداعية المسلم من دعوة رؤساء الأديان بل وزعماء الحكومات ماداموا ضالين عن منهج الله لعل الله يشرح صدورهم لهذا الدين .

وقد بعثنا لهذا الزعيم ترجمة المصحف الكريم وتفسيره باللغة الأندونيسية وسنوالى مراسلته لعل الله تعالى يهديه . وهذا عنوانه ينقل مما كتبه فى مذكرتى بيده :  
ثم ودعناه قائلين : السلام على من اتبع الهدى (لم ترجم له هذه) وكان وداعه لنا حارا نسأل الله له الهداية والتوفيق .

وغادرنا مدينة سنجاراجا فى الساعة العاشرة إلا عشرين دقيقة ووصلنا إلى مدينة دمباسار فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين فصلينا الظهر والعصر قصرا وجمعا فى دكان عم عبد الله باهرمز أخى أبىه . ثم خرجنا إلى المطار فى الساعة الواحدة والنصف . وفى الساعة الثانية والنصف صعدنا إلى الطائرة .

\*\*\*\* \* \* \* \* \*

### « التدخين سم قاتل »

المدمنون على شرب الدخان بشراهة زائدة يعرضون رئتهم للتلف المبكر ويصابون بهبوط فى وظائف الرئة وهبوط فى القلب ... والنتيجة معروفة حتما ... وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان التدخين يسبب تهيجا فى الأغشية المخاطية للشعب الهوائية فيحدث النزلات الشعبية المزمنة وبنسبة حدوث النزلات الشعبية بين المدخين اضعاف اضعاف نسبتها لدى غيرهم . كما ثبت ان التدخين يزيد من احتمال الإصابة بسرطان الدم ، كما يزيد من تركيز الدهون فى الدم ويؤدى الى الإصابة بتصلب الشرايين عامة والشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب بوجه خاص والتدخين فوق كل هذا يرفع ضغط الدم ويحدث اسرعا فى نبض القلب ولذلك فهو يجهده ويزيد عمله وفى اولئك المصابين بتصلب الشرايين التاجية قد يسبب التدخين حدوث الأم الذبحة الصدرية وذلك ما يسمى بـ : ذبحة النيكوتين .

## كرة القدم

يلفت النظر في جمهور كرة القدم حبه الشديد للفريق الذي يشجع وتضحياته الكبيرة من أجله . . . أى أنه جمهور متممى . . . والانتفاء إلى فريق معناه التضحية بالمال والنفس . . . ونحن نسمع أن فلانا تبرع لناديه بكذا مليون ريال ليقيله من عثرته، بينما لا نجد اسم هذا الفلان في قوائم المتبرعين للجمعيات الخيرية أو المجاهدين الأفغان وهذه تضحية بالمال . ونسمع أن علانا لا يبالي أن ينزل إلى وسط ملعب الكرة في وقت الشدة ليضرب الحكم أو يضرب اللاعبين حتى لو أدت تلك الغارة الهوجاء بحياته، وهذه تضحية بالنفس، بينما لا يمارس معظم الناس أو بعضهم حبهم لبلادهم بتلك القوة وبتلك التضحيات .

ويلفت النظر في جمهور كرة القدم أيضا . . . أنه جمهور غيور فهو لا يقبل أن ينتهك قانون الكرة مطلقا، فهو يشور ويهز الملعب إذا ارتكب لاعب خطأ في غفلة من الحكام، ويقف في وجه الحكم ويقول له لا . . . إذا تغاضى عن خطأ، بينما يقف الناس يتفرجون على أولئك الذين يغتالون قواعد القانون العام أو يعبثون بمصالح البلاد والعباد . فمثلا نحن نرى الناس في أسبوع النظافة وغير أسبوع النظافة يقدفون بقايا الساندويتشات وعلب البيسى من نوافذ سياراتهم في وسط شوارع المدينة الكبيرة ولا نجد أحدا يقول لهذا المعتدى على نظافة المدينة . . . عيب، ونرى الناس يخالفون أبسط قواعد المرور، وبامكاننا أن نلفت أنظار هؤلاء إلى خطأ ما يفعلون ولكن أحد منا لا يكلف نفسه عناء أن يقول لهؤلاء عيب . في الأسبوع الماضى أردت أن أمارس دور المواطن الصالح أوقفت سيارتى لأعتب على أحدهم وهو يهيم باقتلاع غرسة من حديقة عامة . . . استسلم المخطيء لقولى وأخذ ينفذ الطين من يديه ويعود إلى سيارته . . . لكن بعض الوقوف من الناس تساءلوا على مسمع . . . فيما إذا كنت من رجال البلدية . . . أو من . . . وحين لا أكون كذلك فمعنى موقفى أنى انسان فضولى أو متطفل .

أتمنى أن يكون اندفاع الناس في حب بلادهم وتضحياتهم من أجلها كاندفاعهم في حب الكرة ونحوها .

محمد عمر العامودي

روز

روزافروز  
روز





# إِنْكَارُ الْجِنِّ

مِنْ شَطَحَاتِ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ لِلْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ مَصْطَفَى الْوَرَّاقِ إِبْرَاهِيمَ  
مَدْرَسَةِ الْعِلْمِ السَّانِيَةِ

- ٩ -

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن هناك شطحات أشد غرابة في التفسير الموضوعي للقرآن أوضحها فيما يلي :

عندما تعرض الدكتور لتفسير سورة الجن إصطدم إنكاره بآيات هذه السورة التي كشفت بوضوح تام عن موقف الجن من الإسلام ويتلخص ذلك الموقف فيما يلي :

١ - أن الرسول ﷺ أوحى الله إليه بما كان من أمر الجن عندما استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن.

٢ - استماع النفر من «الجن» للقرآن.

---

\* سقط من المقالة الأولى الآتى : (ثم نسأل الدكتور إلام كان يهدف نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من رسم هذه الخريطة المزعومة؟ فيجبنا ليستعين بها على غزوسبأ الذي عزم عليه . وإذا كان هذا صحيحا فلم طلب من (مهندسيه) أن ينكروا للملكة سبأ عرشها أى يغيروا من معالم الخريطة على زعم الدكتور. قال الله تعالى ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ (النمل : ٤١).

ثم يأتى بعد هذه الأسطر القول (ونلاحظ هنا أنه يخاطب ص ٣١٦ العدد ٥٣ . ولقد سقطت أيضا كلمة (لا يعدو) فى السطر قبل الأخير فجاءت العبارة هكذا [ولا يكون عناء الخ] وصحتها [لا يعدو أن يكون عناء الخ] فمعدرة.

٣ - إيمانهم بوحداية الله وتبرؤهم من الشرك الذي كانوا عليه من قبل وإذعانهم برسالة المصطفى ﷺ .

٤ - إنطلاقهم إلى قومهم دعاة منذرين .

إذن فالأمر هنا ليس قاصراً على ورود كلمة «الجن» ولو كان الأمر كذلك لكان من اليسير على الدكتور أن يصرفها عن معناها الحقيقي إلى شىء من المعانى المتكررة التى ادعاها لكلمة الجن ولكن الأمر هنا ليس سهلاً فكيف يصنع الدكتور ليوفق بين إنكاره للجن وهذه السورة التى سميت بهم وتكلمت عن عالمهم بكل هذا الوضوح؟ لا بد إذن من تفكير وتدبير لكي يصل الدكتور إلى مخرج - وأعمل فكره ثم أعمل خياله وبدا له أنه وجد الإنقاذ فى فكرة عنت له فسرعان ما أبرزها بل واعتبرها نظرية لم يسبق إليها وكأنى به قبل أن يصل إلى إبراز نظريته يتساءل لماذا لا يفترض أن الجنَّ قسمان جن «أصلى» وجن «ملحق به» أوسمه مجازياً أو مزيفاً . . . ولندع الدكتور يوضح لنا قصة الجن فى نظره .

يقول: [الجن موجود قطعاً وهم قوى مخلوقة من نار صافية ولذا كانوا قوى روحية . وعالم الجن قائم إلى يوم البعث لا مريّة فيه] لقد ظننت عندما قرأت هذين السطرين أن الدكتور رجع من الإنكار إلى الإقرار ولكن سرعان ما تبدد هذا الظن عندما قرأت السطر الثالث وما تلاه . قال الدكتور: [أما موجوداته الأصلية فهى طبائع الملائكة وهى العناصر الخيرة ، وطبيعة إبليس كذلك وهو العنصر الشرير] إذن فهذا هو عالم «الجن» الأصلى وليس هناك عالم ناري عاقل سوى ما ذكر الدكتور!! وما هو الجن «الملحق» أو المزيّف - كما ينبغي أن يوصف؟ فيجيبنا الدكتور: [ويدخل فى عالم الجن - ملحقاً بطبائعه الأصلية من يتخفى من عالم الإنسان فى إيمانه وكفره وفى خيره وشره باعتبار أن هذا الذى يتخفى غير ظاهر وغير مرئي وذلك كشياطين الجن . فإنهم من الإنسان ، يخفون شرهم وكيدهم لدين الله وللمؤمنين به ، وصدّهم عن سبيل الله . وجاء فى قول الله تعالى : ﴿إنه يراكم﴾ أى الشيطان وهو إبليس ﴿هو وقبيله﴾ أى هو وأعوانه من الشياطين ﴿من حيث لا ترونهم﴾ لأن إبليس بحكم طبيعته من عالم الجن ، وأعوانه بحكم تخفيهم فى الشر أحقوا بهذا العالم وأصبحوا شياطين الجن . ومثل هذا الفريق الشرير من الناس فى إلحاقه بعالم الجن لتخفيه فى الكفر والإيذاء والإغراء ، فريق آخر من الناس أيضاً تخفى فى إيمانه ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيره بالدعوة لدين الله هو هذا الفريق الذى أعلن عنه الوحي فى سورة الجن فى قول الله تعالى : ﴿قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى من العالم غير

المرئي . ولكن ليس من القوى النارية ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين ﴾ انتهى كلام الدكتور في صفحتي ٨ و٩ تفسير سورة الجن طبعة دار الفكر.

ومن الواضح أن الدكتور يزعم بأن الذين نزلت فيهم (سورة الجن) وآية الأحقاف ليس المراد بهم «الجن» الحقيقيين أى المخلوقات العاقلة النارية التى تختلف عن الملائكة كما تختلف عن الانس بل المراد بهم جماعة من البشر الذى يخفى إيمانه (ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيريه لدين الله) تفسير سورة الجن ص ٩ .

ويرجح الدكتور أن هذا النفر الذى انزلت فيه سورة الجن وآية الأحقاف كان من أهل يثرب ثم يتحدث عن ثلاث قضايا أنها أدلة على أن المراد بالجن البشر . القضية الأولى : إيمان هذا الفريق بوحدة الله فى الألوهية . القضية الثانية : حكم هذا الفريق على القرآن بعدما سمعوا منه بعض آياته بأنه كتاب مصدق لما بين يديه من التوراة . القضية الثالثة : دعوة هذا الفريق إلى الإسلام بين قومه . وهذه القضايا الثلاث تخصص - فى رأى الدكتور - برسالة البشر فالبشر وحدهم المكلفون باتباع رسالة الله ، راجع ص ١٠ من تفسيره المذكور .

ولن أطيل فى مناقشة هذه القضايا ولا النتيجة التى وصل إليها الدكتور وذلك لأنها لا تعدو أن تكون مقدمات أو قضايا لا يحكم ارتباطها بما وصل إليه من نتيجة إلا مجرد الوهم والادعاء والنتيجة وهى (اختصاص البشر وحدهم بالتكليف) لا دليل عليها بل الدليل يقوم على تأييد أن الرسالة والتكليف للانس والجن . وما نحسب أن أحداً من أهل العلم الذين يعتد بهم يؤيد ما ذهب إليه الدكتور ويكفى - فى رد هذا الاختصاص سواء قال به الدكتور أو غيره - قول الله جل وعلا : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ .

ولنعد إلى نظرية الدكتور عن نوعي الجن الأصلي والملحق فنقول : إن الدكتور يخلط خلطاً عجيباً بين الملك والجنى فيدعى بأنهما عنصر واحد خلق من مادة واحدة وله طبيعة واحدة فالملائكة هم الجن والجن هم الملائكة وهذا هو الجن الأصلي أما الملحق أو الذى يسمى (تبعاً) بالجن فهم البشر المتخفون . وقد سبق أن أوردت فى المقالة الأولى أن حديث رسول الله ﷺ حدّد أن الأصل لخلق الجن هو (النار) وأن الأصل لخلق الملائكة هو (النور) وبناء على مفهوم هذا الحديث الواضح فإن الجن والملائكة نوعان مختلفان وعالمان متبايزان وكلام الدكتور حول اتحاد جوهر النار والنور لا يقدر فى كونها عالين ذلك لأن الخلق لنوعين

أو أكثر من جوهر واحد أو عنصر متحد ليس مثيراً للاستغراب مادام الخلق بقدرة الخالق  
الباريء المصور سبحانه وتعالى . . ولعلنا نستأنس ببيتى الشاعر:

سبحان الذى خلق من نطفة ومن علق  
سبحانه مصوراً من حمأة الطين (الحق)

فما أبعد ما بين كدر الطين وصفاء العين ولكنها قدرة الله الذى قال فى كتابه ﴿ هذا خلق  
الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (لقمان : ١١) .

### الجن عالم والملائكة عالم آخر:

وما كنت أحسب أننى فى حاجة إلى التفريق بين الجن والملائكة لأن هذا الأمر لا  
يشك فيه أحد ولكن دعوى الدكتور محمد البهى جعلت الحاجة ماسة للاستدلال فى كتاب  
الله سبحانه ومن السنة النبوية على اختلاف عالمى الجن والملائكة، وسأورد الآيات  
والأحاديث التى تفصل وتبين أن لكل عالم من العالمين المتميزين صفات تناقض صفات  
الآخر مناقضة تامة وليس هناك سمة مشتركة ولا طبيعة متحدة بين العالمين عالم الملائكة وعالم  
الجن الذى منه الشياطين وأعوذ بالله منهم وإلى قارىء هذا المقال أولاً الآيات التى جاء فيها  
وصف الملائكة وتليها الأحاديث ولا أشك فى أن القارىء يعرف هذه الأدلة فلتكن له من  
باب التذكير .

قال الله تعالى مخبراً عن لزوم الملائكة لطاعته: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
ما يؤمرون ﴾ (التحریم : ٦) . وقال سبحانه: ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم  
بأمره يعملون ﴾ (الأنبياء : ٢٦، ٢٧) فهل عالم الجن بما فيهم الشياطين تنطبق عليهم هذه  
الصفة؟!

يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري فى كتابه (عقيدة المؤمن) «إن الملائكة منزهون عن  
الأغراض البشرية كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وما إلى ذلك فقد جاء فى القرآن ما  
يدل على ذلك بدلالة الالتزام إذ أخبر الله تعالى عنهم بأنهم ﴿ يسبحون الليل والنهار لا  
يفترون ﴾ (الأنبياء : ٢٠) ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون»<sup>(١)</sup> .

(١) عقيدة المؤمن: ص ٢٠٠ .

فهل يرى الدكتور شهباً بين الملائكة الذين يسبحون الله ليلاً ونهاراً وبين الجن ومنهم الشياطين قبيل ابليس؟!

والملائكة منهم حملة العرش المسبحون بحمد ربهم المستغفرون للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (غافر: ٧) فهل يحمل الجن العرش، ويسبحون الله ومحجون التائبين عن المعاصي ويستغفرون لهم؟! فهل يرى الدكتور في الشياطين أحباباً للمؤمنين؟!

والملائكة يلعنون الكافرين الذين ماتوا بكفرهم . . يقول الشيخ الجزائري في عقيدة المؤمن: «وإنهم ليلعنون من لعنه ربهم سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ (البقرة: ١٦١) (عقيدة المؤمن ٢٠١) فهل ترى لهذه الصفة مكاناً بين الشياطين؟!

والملائكة تقاتل مع المؤمنين في سبيل الله . يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه «عالم الملائكة الأبرار» صفحة ٦٢ (وقد أمدَّ الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر) ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (الأنفال: ٩) ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين﴾ (آل عمران: ١٢٣-١٢٥) ويقول الأشقر في صفحة ٦٣ وقد حاربت الملائكة في مواقع أخرى ففي غزوة الخندق أرسل الله ملائكته ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ (الأحزاب: ٩) والمعنى بالجنود التي لم يروها الملائكة كما ثبت في الصحاح وفي غيرها أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد رجوع الأحزاب وعلى ثنايا جبريل النقع (الغبار) وكان الرسول ﷺ يغتسل فقال للرسول ﷺ (اوضعتم سلاحكم فإننا لم نضع سلاحنا بعد فقال إلى أين؟ فأشار إلى بني قريظة) فهل يمكن أن تتصف الجن والشياطين بما تقدم من جهاد وتثبيت للمؤمنين في حربهم مع الكافرين؟! وإذا كانت الملائكة تنزل على المرسلين فإن الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم .

وبعد هذا نذكر قليلاً من الأحاديث التي تكشف عن صفات الملائكة وأعمالهم وأخلاقهم وذلك لأن الأحاديث في هذا الباب كثيرة فإلى القارىء بعضها .

١ - يقول الأشقر في كتابه (عالم الملائكة الأبرار) «وكلَّ الله بكلِّ إنسان قريناً من الملائكة وقريناً من الجن ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله . قال : وإيأي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) ولعل هذا القرين من الملائكة غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله قيضه الله ليهديه ويرشده . وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الإنسان هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذلك يحثه على الخير ويرغبه فيه فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فيأعد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فيأعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه فضلاً والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

فهل يمكن أن يختلط أمر الملائكة بالشياطين بعد هذا الكلام المبين؟! وهل يمكن أن يكون الأيعاد بالشر ثم الأيعاد بالخير فعل مخلوق واحد أو صفة مخلوقات من عنصر واحد ونوع واحد أم هما عنصران ونوعان .

والملائكة يُحبون المؤمنين يقول الشيخ أبو بكر الجزائري في صفحة ٢٠١ من عقيدة المؤمن (إن الملائكة تحب حباً يليق بحالهم ، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعى على أنهم يحبون ففي الصحيحين «إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض) اللؤلؤ والمرجان (٣/٢٠٥-٢٠٦) والبخارى (٩/١٧٣-١٧٤) ومسلم (٨/٤٠-٤١) .

أما عالم الجن فهو (نوعان شياطين لا خير فيهم البتة وجن منهم الصالح ومنهم الفاسد فحال الناس منهم البار والفاجر ومنهم المؤمن ومنهم الكافر بيد أن الشياطين أصلهم من الجن وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . . . الآية﴾ (الكهف : ٥٠) .

ولما أبلس الشيطان وطرد من الرحمة الالهية وانقطع عن الخير كلية كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لاخير فيهم أصلا فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه) عقيدة المؤمن ص ٢١٣ .

والشيطان ليس فرداً واحداً هو إبليس بل معه ذريته وقبيله من الشياطين وليس هناك مبرر على الإطلاق يسوغ للدكتور تأويل معنى «الذرية والقبيل» بما ذكره في ص ١٧ من تفسير سورة الجن (شياطين الجن وهم من البشر تحفوا ويتخفون في مباشرة الشر للناس، والصد عن سبيل الله وهؤلاء شياطين الجن هم أعوان إبليس وقبيله وهو معهم يرون الناس والناس لا يرونهم) إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴿ (الأعراف: ٢٧) وشياطين الجن أشبه بالخلايا السرية التي تعمل تحت الأرض وفي الخفاء على تقويض الإيمان بالله، والكيد للمؤمنين فهم من الناس ولكنهم متخفون في مباشرتهم للكيد والصد عن سبيل الله) وهذا التأويل الذي يمنح للتحريف المقصود أول الدكتور قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ وإنما لجأ الدكتور لكل هذا (التحريف) بالخفاء المعجمة ليدعم نظرية الجن الأصلي والجن الملحق لأن هذه النظرية الغربية هي الأساس الموهوم الذي يبنى عليه دعوى إنكار الجن كعالم موجود ومقابل لعالم الملائكة والإنس.

ولنمض في تمييز عالم الجن عن الملائكة والإنس بما وصفه به خالقه ومصوره سبحانه وتعالى وبما وصفه به الرسول الكريم في أحاديثه ﷺ .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ فالآية نص على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة كما قال الدكتور في حديثه عن موجودات عالم الجن الأصلي ص ٨ من تفسيره .

ويقول الله سبحانه مخبراً عن الجن الذين استمعوا للقرآن من رسول الله ﷺ ﴿وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ فهل يصلح هذا الوصف «للملائكة»؟ هل منهم القاسطون الذين يكونون لجهنم حطبا؟ وهل تصلح آيات سورة الجن التي وصفت ما كان عليه عالم الجن قبل أن يسلموا لله ورسوله ﷺ لعالم الملائكة؟ أو هل تصلح لأن تكون وصفاً لمن ساهم الدكتور بالملحقين بعالم الجن من (البشر) الأوس والخزرج كما ادعى؟ يقول سبحانه: ﴿وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً﴾ ويقول عز وجل: ﴿وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ ويقول: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ اللهم إنها ليست وصفاً لملائكة ولا لبشر. ولقد اتعب الدكتور نفسه في التحريف عندما تعرض لتأويلها وسنعرض بعض تأويله فيما يأتي بمشيئة الله سبحانه . ولكنني أسأل هل كان رجال

من الإنس (الأوس) يعوذون بجهنم؟! وهل كانوا يلمسون السماء ويقول الله في كتابه الكريم: ﴿يأبى آدم لا يفتنكم الشيطان...﴾ (الأعراف: ٢٧). ويقول سبحانه: ﴿إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ (فاطر: ٦). ويقول الله في كتابه مبيناً عداوة إبليس وذريته من الشياطين لبني آدم ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ (الكهف: ٥٠). فهل يفتن الملائكة الناس في دينهم؟ وهل يعادى الملائكة الناس؟ وهل يحذر الله المؤمنين من الملائكة ويأمرهم بعداوتهم؟ ولماذا؟ اللهم ليس هذا من صفات الملائكة الذين يحبون المؤمنين ويستغفرون للتائبين.

ولقد بينَّ الله أن لكل إنسان قريناً وأوضح الرسول ﷺ هذا الأمر في أحاديثه قال تعالى: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ وقال تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ (مريم: ٨٣) وقال تعالى: ﴿ربِّ بما أغويتنى لأزیننَّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادة من المخلصين﴾ (الحجر: ٣٩-٤٠) وجاء بيان الرسول ﷺ لأمر القرين وفاقياً شافياً وذلك فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ (ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا: وإياك يارسول الله. قال: وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير) (مسلم: ١٣٩/٨) فهل لهذا علاقة ما بملك من ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم؟ وقد بينت الأحاديث أن من صفات الملائكة الحياء وأن من سماتهم أنهم يكرهون الروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم وغيرهما مما له رائحة كريهة ونهى الرسول ﷺ عن دخول بيوت الله بمثل هذه الروائح التى يتأذى منها الملائكة كما يتأذى منها بنو آدم كما بينت الأحاديث أنهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة أما الشياطين فيسكنون الأماكن القذرة ويعملون لاىذاء الإنسان فى نفسه ولإضلاله عن الطريق السوى يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى فى كتابه عقيدة المؤمن (الغالب فى الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب والحشوش والمزابيل والقمام لحديث أبى داود إن هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث). والشياطين توسوس فى صدور الناس بالشر وتغريهم بالمعاصى ولذا أمرنا الله سبحانه أن نستعيذ به من شرهم فى سورتى الجن والناس فهل كل ما ذكر يمكن أن يكون له صلة بملائكة الرحمن يادكتور.

بعض الأمثلة لتفسير سورة الجن:

يقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن﴾ أى أنصت إلى القرآن فريق من الغرباء أو من العالم غير المرئى وهو ما يطلق عليه إسم الجن



﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى قرآنا عظيماً ﴿يهدى إلى الرشدا﴾ وهو طريق التوازن والاعتدال، وعدم الإسراف والسفه ﴿فأما به﴾ فاستقر في نفوسنا الإيمان برسالته فيما جاء فيه من عقيدة ومن منهج للحياة ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ثم يقول الدكتور من الذى يعلن الإيمان بالله وعدم الشرك به غير الإنسان المكلف بالرسالة الإلهية؟ فالملك ليس مكلفاً والرسول لا تأتى بالرسالة لغير الناس وإذا كان هناك - على سبيل الافتراض - غير الملك وغير الإنسان مكلف برسالة إلهية فرسلهم لا بد أن تكون من نوعهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (ابراهيم: ٤) ولهذا كان الفريق الغريب المتخفى الذى قدم إلى مكة واستمع إلى القرآن وآمن به وأعلن أنه لا إله إلا الله هو فريق من الناس مكلف - ككل البشر - باتباع الرسالة الإلهية، والتي قوامها عبادة الله وحده ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا أنا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥) وليس من طبيعة أخرى غير طبيعة الإنسان ولكنها طبيعة متخفية فقط) تفسير سورة الجن ٢٩ - ٣٠.

وإننى أسأل الدكتور إذا كان المراد بهذا النفر من «الجن» بشراً إذا طبيعة متخفية فلماذا لم يرههم الرسول ﷺ وهم بقربه يستمعون إليه؟ ولماذا أوحى إليه بأمرهم؟ وهل إرادة إخفاء «الإيمان» من شأنها أن تجعل جسم صاحبها يخفى فلا تراه العيون؟! ولماذا تجاوز الدكتور كلمة (أوحى) فلم يشر إلى المقصود منها؟ ويقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أى كما كنا نلمسها قبل نزول القرآن إدعاء ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً﴾ ولكن لم نستطع الإقتراب منها والقعود للتسمع كما كنا نفعّل لأن أبوابها قد أوصدت وعليها حرس قوى بالإضافة إلى أن من يقترب منها يرمى بالشهاب وهو شعلة النار الساطعة. ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى وقبل ذلك - وهو قبل نزول القرآن ورسالة الرسول عليه السلام - كما كنا نتمكن من الإقتراب من السماء والقعود بجوارها منها وبذلك كما كنا نتمكن من السمع ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾ ولكن الآن وبعد أن نزل الوحي بالقرآن فمن يحاول الإقتراب من السماء والسماع لما يدور فيها لا يمكنه ذلك إذ ترقبه الشهب النارية وتنتظره فتصيبه حتماً لو اقترب. وهذا تعبير مجازى قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقاً) تفسير سورة الجن ص ٣٧.

تفسير ابن عباس لسورة الجن:

أما خبر الأمة فيفسر قوله تعالى ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ بما يؤكد وجود عالم الجن الذى أثبتته خالقه وأجمعت الأمة علماءؤها ومفسروها وعوامها وخواصها سلفها

وخلفها على الإيمان بوجود الجن وبكل ما أخبر الله به عنهم في كتابه الكريم وليرجع من يريد الرجوع إلى تفسير ابن عباس وتفسير الطبرى تفسير ابن كثير تفسير الزمخشري، تفسير القرطبي تفسير الجلالين أو تفسير النسفى أو الألوسى الخ التفاسير التى تعد مراجع للمفسرين بل وليرجع من شاء إلى التفاسير التى كتبها المعاصرون ليجد الإجماع الكامل على الإيمان بما فى كتاب الله من الأخبار عن الجن وليجد التصديق الجازم بما أخبر به الرسول ﷺ عنهم . وقد فسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ﴿ قل أوحى إلى ﴾ بأن القصد أن يقول : قل لكفار مكة ، يا محمد : أوحى إلى أنزل إلى جبريل فأخبرنى ﴿ أنه استمع نفر من الجن ﴾ تسعة نفر (من الجن) جن نصيين باليمن ﴿ فقالوا ﴾ بعد أن آمنوا ورجعوا إلى قومهم ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ تلاوة قرآن عجيب كريم شريف يشبه كتاب موسى وكانوا أهل توراة ﴿ يهدى إلى الرشده ﴾ الى الحق والصواب لا إله إلا الله . . . ثم يقول فى تفسير قوله تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون ﴾ يتعوذون ﴿ برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ بذلك (رهقا) عظمة وتكبرا وفتنة وفسادا وذلك أنهم إذا سافروا سفرا واصطادوا صيدا من صيدهم أو نزلوا واديا خافوا منهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيأمنون بذلك منهم فيزيد رؤساء الجن بذلك عظمة وتكبرا على سفلتهم والجن ثلاثة أجزاء جزء فى الهواء وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاءون وجزء مثل الكلاب والحيات (١) . ثم يقول فى تفسير قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء ﴾ انتهينا إلى السماء قبل أن آمنا ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾ من الملائكة ﴿ شديدا ﴾ كثيرا ﴿ وشهبا ﴾ نجما مضيئا يدرهم عن الاستماع ﴿ وأنا كنا نقعد منها ﴾ من السماء ﴿ مقاعد للسمع ﴾ للاستماع قبل أن يبعث محمد ﷺ (فمن يستمع الآن) بعد ما بعث محمد ﷺ (يجد له شهاب) نجما مضيئا (رصدا) من الملائكة يدرهم عن الاستماع) تفسير ابن عباس سورة الجن . . . وكيف يكون التعبير فى هذه الآية ﴿ وأنا لمسنا السماء . . . ﴾ مجازيا قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقا؟ كيف يكون كذلك وهذا تفسير ابن عباس حبر الأمة ومن بعده المفسرون يقول إن استراق الشياطين للسمع قبل الرسول ﷺ كان حقا واقعا ويؤكد هذا حديث البخارى ١٣٥/٤ (إن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قصى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) ومن غير الدكتور قال بهذا التفسير المنحرف؟!

(١) ثبت ذلك فى حديث رواه الطبراني والحاكم والبيهقي باسناد صحيح (صحيح الجامع ٨٥/٣).

( تفسير القادياني للجن ) :

لقد سبق أن أوردنا كلام القرطبي عن إنكار الفلاسفة وبعض أهل الاعتزال للجن وهذه فئة المنكرين قديماً أما فئة المنكرين حديثاً فمنهم الفلاسفة الماديون وطائفة القاديانية يقول محمد علي اللاهوري القادياني ( والمراد بالجن في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي ﷺ في الخفاء وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر وقد جاءوا من الخارج وكانوا أجناب وغرباء ولذا سموا جنّاً) بيان القرآن ج ٣ ص ٦٧١١ (من كتاب القاديانية دراسة وتحليل للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي مدير ندوة العلماء بالهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

وليس هذا الكلام في حاجة إلى تعليق ولكنني أزيده إيضاحاً ليعرف المسلمون مصادر الدكتور ومراجعته وليدركوا من أين يستقى؟ يقول من يسميه القاديانيون بمولاهم محمد علي اللاهوري في قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ﴾ ليس محمولاً على الحقيقة بل هو مبالغة في السرعة وقد كان بين العفريت والذي عنده علم من الكتاب مباراة فكان العفريت - وهو الرجل الذي يخوض في أمر يخبث وشده ويوصله إلى الكمال - ممثلاً للقوة البدنية وكان يحتاج إلى وقت أطول في إحضار هذا العرش، وكان صاحب العلم يستطيع أن يكمل مهمته في وقت قصير مع أنه لم يكن على جانب عظيم من القوة والمقصود ترجيح العلم على القوة) بيان القرآن ج ٣ ص ١٤١٦-١٤١٧ عن كتاب القاديانية للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

وليرجع القارئ إلى تفسير الدكتور لسورة الجن ص ٩ وإلى تفسيره لسورة النمل ص ١٩ وليوازن بين ما نقلناه من تفسير محمد علي اللاهوري وما كتبه الدكتور.

«إنكار عموم رسالة الرسول ﷺ تبعاً لإنكار الجن» :

وإن من المؤسف حقاً أن يجحد الدكتور عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن، وأن يدافع بحرارة عن هذا الجحود وكأنه يدافع عن حق! يقول الدكتور: (وإذن بناء على جميع هذه الافتراضات وهي :

١ - أن عالم الجن مستقل خلق من نار كما خلقت الملائكة من نور وكما خلق الإنسان من طين .

٢ - وأن الجنَّ إختبر في طاعته وفي عبادته لحظة أن اختبرت الملائكة، واختبر آدم وحواء، أو بعد هذه اللحظة أو قبلها فظهر: أنه في حاجة إلى هداية إلهية كما اتضحت حاجة الإنسان إليها.

٣ - وأن الجن كلفوا باتباع رسالة من الله لهدايتهم، كما كلف بنو آدم باتباع رسالة الله يأتي بها رسل منهم. وإذن بناء على جميع هذه الافتراضات فإنَّ الرسول الذي يحمل رسالة الله إليهم، هو منهم، وليس بغريب عن عالمهم أى ليس ملكاً ولا إنساناً، وبالتالي ليس هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام) ص ٢٤-٢٥ من تفسير سورة الجن.

أرأيت ما يسميه «بالافتراضات» وإلى النتيجة التي بناها عليها على (فرض) صحتها؟! يقول الله سبحانه ﴿قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به﴾ فيقول الدكتور لا ليس هذا موافقاً للمنطق اليوناني وبالتالي فلا بد من تأويله ولا بد من اعتبار كل خبر يؤكد تكليف الجن ويثبت وجودهم لا بد من اعتباره مجرد افتراض! وهل يصح من مسلم أن يعتقد مثل هذا؟!!

أصل البلاء: وأصل البلاء الذي تنطلق من ناحيته النكباء هو التفسير بالرأى، هو الاعتداد بالرأى مقابلاً للنصوص بل ومعارضاً لها. يقول ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير): (أما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ص ١٠٥. ويقول في صفحة ١٠٨: (ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق: «أى أرض تقلني وأى سماء تظلي إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم».

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي: (وإذا أردنا أن نرجع الخطأ في التفسير بالرأى إلى دوافعه وأسبابه أمكننا أن نرد ذلك - في الغالب - إلى عاملين اثنين: العامل الأول أن يعتقد المفسر معنى من المعانى ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده. العامل الثانى أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها ص ١٨-١٩.

وضرب الدكتور الذهبي للعامل الأول أمثلة نختار منها اثنين :

١ - تفسير ابن عربي للآية ﴿واذكر إسم ربك وتبتل إليه تبتلاً﴾ يقول ما نصه واذكر ربك الذى هو أنت أى اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله (تفسير ابن عربي ١٦) (الاتجاهات ص ٢٠).

٢ - تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة : ٢٢-٢٣) يقول (إلى) واحد الآلاء بمعنى النعم فيكون المعنى ناظرة نعمه ربها على التقديم والتأخير وذلك ليصرف الآية عن دلالتها على رؤية الله عز وجل فى الآخرة . (أمالى المرتضى ج ٢ ص ٢٨) (الاتجاهات ص ٢١) . وهكذا فعل الدكتور ولسنا فى حاجة إلى زيادة التنبيه إلى خطر هذا الاتجاه ويكفى ما تقدم فى مناقشة شطحات التفسير الموضوعي ولكنى اثبت هنا فتوى ابن تيمية فى عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن كما أوردها عمر سليمان الأشقر فى كتابه (عالم الجن والشياطين) يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٩/١٩) : (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم أجمعين) يدل على ذلك تحدى القرآن الجن والإنس ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء : ٨٨) . ثم ذكر النفر الذى استمع القرآن وآمن به ونزلت بشأنه سورة الجن وآية الأحقاف . وذكر رواية البخارى ومسلم لقصتهم . ص ٤٤-٤٥ من كتاب الأشقر . ولعل القارىء يعلم بما تحكم به الشريعة فى (إنكار الجن) ودونه فتاوى العلماء من أمثال النسفى فى تفسير سورة الجن ، وابن تيمية فى الفتاوى والشيخ أبوبكر الجزائري فى «عقيدة المؤمن» وغيرهم من العلماء ولعل القارىء يعلم أيضاً أن إنكار المغيبات هو الاتجاه الذى يدعمه ويعمل على نشره أعداء الإسلام فى الماضى وفى الحاضر . يقول عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي فى كتابه (الفرق بين الفرق) بعد أن ذكر جملة من دعاوى الباطنية الباطلة فى إبطال الشريعة (وقد قال القيرواني فى رسالته إلى سليمان بن الحسن : إني أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور وإبطال الملائكة فى السماء ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم) ص ٢٩٦ . هذا فى القديم وأما فى الحديث فقد أوردت فيما سبق قول القاديانية فى تفسير مولاها محمد علي اللاهوري . وإليك ما يورده الدكتور عبد الوهاب ابراهيم أبوسليمان فى كتابه (منظمة الايجا محمد الأمريكية) يقول عن إيمان الإيجا محمد

بالملائكة (فإن الإيمان بالملائكة لا يتفق ومبادئه الدينية والفلسفية ويزيد هذا المعنى تأكيداً دعواه أن الرسول محمد بن عبد الله ﷺ تلقى القرآن مباشرة من الله) يقول الدكتور عبد الوهاب وفي هذا دلالة واضحة على إنكاره الإيمان بوجود الملائكة التي تنزل بالوحي من عند الله . ص ٧٢ من الكتاب .

وهل هناك منزلق أشد إهلاكا من هذا . وكل هذا أدى إليه الاعتداد بالرأي في التفسير .

أسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وصلى الله على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه .

### من أسباب النصر

خرج الصديق رضى الله عنه يمشى مودعاً جيش يزيد بن أبي سفيان ، وهو متوجه للفتح ، وكان مما أوصاه به :  
- لا تكثرن الكلام فإن بعضه ينسى بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح الناس لك .  
- لا تجعل شرك مع علانيتك فيمزج عملك ، وإذا استشرت فأصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك .  
- إذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذى تلى كلامهم .  
- إذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعانيتها ، واستر في عسكري الأخبار ، وأذك حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك ...

# آراء فقهية منحرفة والرد عليها

فجأة خرج الدكتور محمد سعاد جلال المؤلف المصري المعروف على الناس ببعض الآراء الفقهية الجديدة التي استطاعت أن تثير الآراء المعارضة بين فقهاء وعلماء الدين في مصر .. فقد ذهب الدكتور سعاد في حديث منشور بجريدة الأحرار ( لسان حزب الأحرار المعارض ) إلى أنه للمرأة أن تكشف عن وجهها ويديها وذراعيها أيضا ، كما ذهب إلى أن المبالغة في التحجب ليست من الإسلام وأن المكياج ليس محرماً على المرأة بين العامة وأن رجم الزاني ليس حكماً شرعياً .

يقول الدكتور جابر حمزة مسؤول الإعلام بالأزهر :

كانت المرأة في الجاهلية تظهر بلا حجاب ولا تتسم بالحشمة أو الوقار ، فلما جاء الإسلام صان المرأة وحفظ لها كرامتها ففرض الحجاب صيانة لها وحماية من العبث والاعتداء قال تعالى ( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) .

فهذه الآية الكريمة تحدد لنا بوضوح لزوم المرأة بالمكث في بيتها وعدم الخروج إلا لضرورة ، كما نهت عن التبرج وإظهار الفتنة والزينة .. وقد نهى الله سبحانه وتعالى بالنص الصريح في القرآن على إظهار الفتنة وإبراز المفاتن ، وقد حرم الله ونهى عن أن تضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع الرجال الأجانب رنين خلخالها : ( ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ) ومن هنا نرى أن المرأة كلها عورة .. ولكن الإسلام دين الحياة أباح للمرأة أن تخرج للعمل عندما تدعو الضرورة لذلك فهي تبيع وتشترى وتعلم وتشهد أمام القاضي ، كما أباح النظر إلى الوجه والكفين عند الخطبة ، ومن أجل الزواج - وهذا الاستثناء يدل على أن الأصل هو التحريم ، ويقول بعض العلماء بأن تغطية الوجه هو أكثر أجزاء الجسد اثاراً .

أما بالنسبة للمكياج : فلا يجوز للمرأة بحال من الأحوال أن تتزين لغير زوجها ومحارمها ( كالأب والعم والخال والابن والأخ ) .. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( أيما امرأة خرجت من بيتها متزينة متعطرة فمرت بقوم من الرجال وأصابهم عطرها فهي زانية .. زانية .. زانية وكل عين تنظر إليها زانية ) . وبالتالي يكون المكياج في الخارج وفي الشارع وفي الطرقات حراماً ومن أكبر الكبائر .. ثم أقول لهؤلاء الذين ينادون بالتحلل مخالفين رأي الدين بأنهم يتجاوزون حدود الله ، وليعلموا بأن عظمة الشعوب لا تظهر في تبرج نسائها وإنما تكمن عظمتها في التمسك بدينها والحفاظ على تقاليدها .

أما تدريس الجنس في المدارس والجامعات : فهو إقحام للشباب وغمس لهم في مجال الشهوة ، كما أن فيه إزالة للحياء الذي يجب أن يتحلى به المسلم والمسلمة ، وقد أمرنا الإسلام بغض البصر وعدم النظر إلى المرأة الأجنبية ، وحرّم ذلك حتى لا ينحرف الإنسان إلى اغراء الشيطان ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب ودفعهم إلى الزواج المبكر صيانة لهم عن ارتكاب المنكر أو الوقوع في الفاحشة فقال في الحديث الصحيح ( يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) أي صيانة وحصانة - ثم أمرنا الشرع بطاعة الله ودعانا إلى الصلاة التي فرضها علينا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. وتدريس الجنس أمام المراهقين والمراهقات أمر خطير لم يرد في كتاب الله وسنة رسول الله ، والدعوة إلى تدريس ذلك مثلها كمثل المستجير من الرمضاء بالنار ، فهذه دعوة للإباحية والانحلال ، وهبوط إلى درك الحيوانية والبهيمية .

ويرد ( الشيخ عطية صقر ) على القول بأن رجم الزانى ليس حكماً شرعياً - قائلاً :

الزنى من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش وأقبح القبائح لما فيه من معصية الله والخروج عن تعاليم الدين ، ولما فيه من انتهاك للحرّمات واختلاط للأنساب مما يتنافى مع المجتمع الطاهر السليم ، ولقد حرم الله الزنى ووضع له حداً رادعاً .. وقد قسم الإسلام الزانى إلى قسمين ( الزانى المحصن والزانى غير المحصن ) والمراد بالإحصان هو الزواج وما يترتب عليه ، فالزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت ، والزانى غير المحصن حده الجلد مائة جلدة والزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت كما ورد في السنة الصحيحة وجميع كتب الفقه .. أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية أمام جمع من أصحابه ، وقدرت السيدة عائشة رضی الله



عنها أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله .. والله عزيز حكيم .. فهذه الآية نسخت تلاوة وبقيت حكما ، ولعل قائلًا يقول ( كان الأولى أن يأتى في القرآن حكم الزانى المحصن والمحصنة ) ، والرد على ذلك أن وقوع الزنى يكون من الشباب غير المتزوجين غالبا ، والحكم يكون على الكثير الغالب ، علما بأن حد الزنى لا يثبت بسهولة ، بل لابد لإثباته بشهود أربعة ( شهود عدل ) فضلا عن الشروط الأخرى الموجودة في كتب الفقه ..

ويقول الدكتور الحسينى أبو فرحة :

كلام الدكتور سعاد مغالطات ، فالنقاب حجاب شرعى لكنه ليس واجبا - أما ستر جميع البدن ما عدا الوجه والكفين فهذا واجب يحرم تركه .. والكلام عن كشف غير الوجه والكفين ، فهذه عند الضروريات وبين المحارم فقط وليس في مجال العمل فالإسلام يبيح العمل للمرأة بشرط أن تكون في زي إسلامى وبآداب الإسلام .  
- وللمرأة أن تتزين في بيتها لزوجها ، أما الخروج بالزينة خارج البيت وبين الرجال الأجانب فهذا يحرم شرعاً ، لأنها من مثيرات الفتنة ، وذلك التحريم ضرورة هامة لصيانة الأعراس .

وبالنسبة للدعوة لتدريس الجنس فإننى أقول إن الاثارة الجنسية حرام ، ولكن تدريس الأمور التى وردت في الفقه الإسلامى كوجوبات الغسل أو غيرها فهى جائزة بل وضرورة ويتعلمها الطالب في الأزهر من سن صغير .  
ويقول الدكتور ( جمال الدين محمود ) أمين المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية :

هذا الذي يثار رغم اختلافي معه ليس وقته الآن ، بل إننى اعتبره عندما يأتى من عالم كبير تميعاً لقضايا المسلمين والعالم الإسلامى في حاجة إلى وعى اكبر في كل ما يحيط العالم الإسلامى من مخاطر ونكبات مثل الذي يحدث في أفغانستان والعراق وإيران وفي أماكن أخرى كثيرة تهدد وحدة العالم الاسلامى ، وحمايته من المخاطر التى تتهدده هى القضية الكبرى التى يجب أن نقف عندها جميعا .

ويقول الدكتور ( الطيب النجار ) رئيس جامعة الأزهر :

لقد أفتى الدكتور ( سعاد ) فتوي باطلة ، فالمرأة لا يجوز لها أن تكشف إلا الكفين والوجه ، وهذا تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ترويه السيدة عائشة رضی الله عنها .. ( إذا بلغت المرأة المحيض لا يصح أن يري منها إلا هذا وذاك ) وأشار إلى الوجه والكفين والآية الكريمة تقول ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) وأما الأذرع والسيقان فهي عورة يجب أن تستر بالنسبة للمرأة .

وبالنسبة ( للمكياج ) يقول الدكتور الطيب النجار :

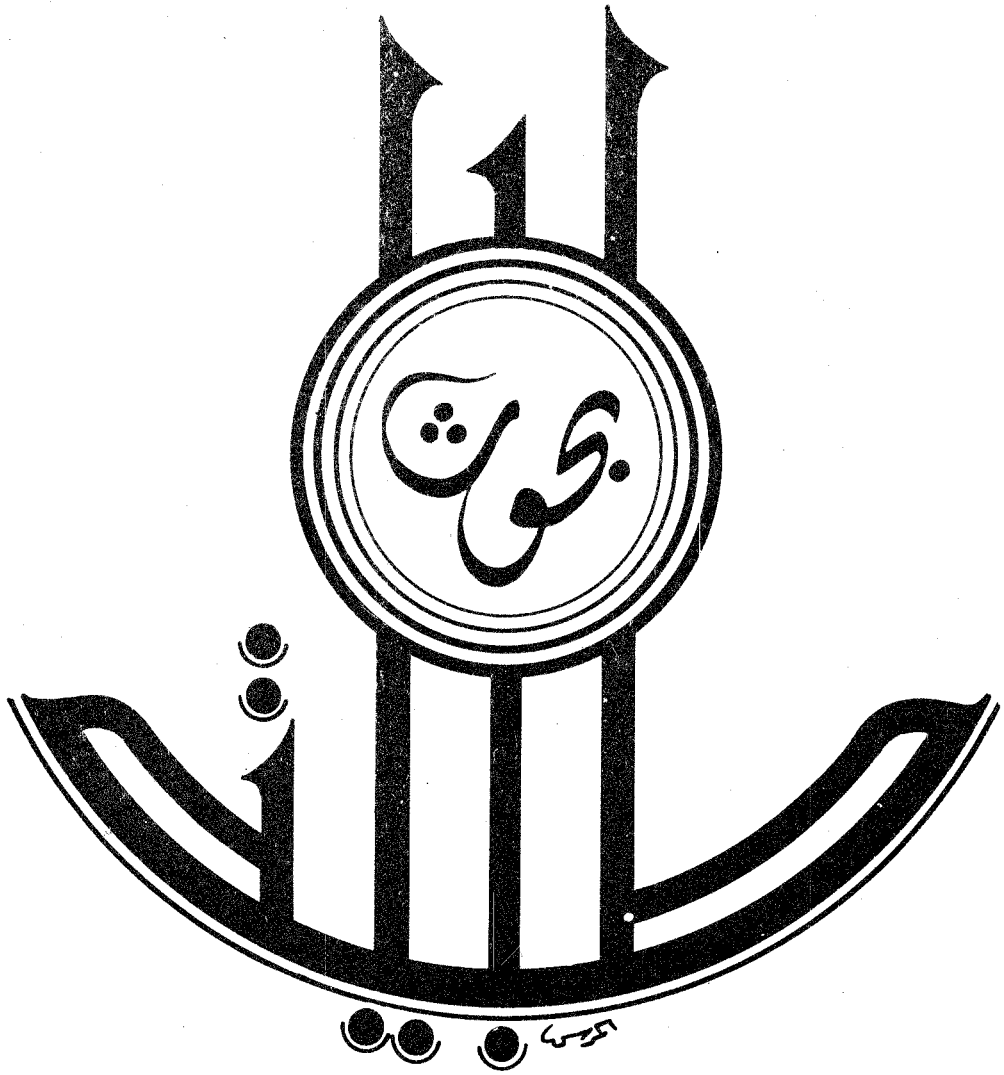
المكياج نوع من الزينة والله عز وجل قال ( ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن .. ) إلى آخر الآية الكريمة . وفي هذه الآية يذكر الله إنه لا تبدي الزينة إلا للمقربين للمرأة ( وهم الآباء والأبناء والإخوة والأخوات ) وهكذا .. أما من يحل له زواج المرأة وهم سائر الأجانب فيحرم إبداء الزينة لهم .

- وعن قول الدكتور ( محمد سعاد جلال ) إن رجم الزانى المحصن ليس حكماً شرعياً - يقول الدكتور الطيب النجار :

( هذا افتراء لا موضع له من الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رجم رجلاً يدعى ( ماعزا ) لأنه اعترف بجريمة الزنا ، وكذلك رجمت امرأة لأنها اعترفت بجريمة الزنا .. وهذا قاطع في أن الرجم بالنسبة للمرأة المحصنة والرجل المحصن حكم شرعى أوجبه الله ...

التحرير : عجباً لأئلك الذين ينتسبون إلى العلم ، ويتصدون للفتوى ، وهم علماء ضلال وسوء ، وهؤلاء هم الأئمة المضلون الذين خاف على أمتهم منهم - الذين اتخذوا إلههم هواهم ( أفراة من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ) ( الجاثية ) .

اللهم يامقلب القلوب تبث قلوبنا على دينك - واختم لنا بخاتمة إيمان .





# علوم المادة في خدمته الربك

د. أبو الوفاء عبد الأضر  
صيدلي كيميائي

أود أن أقرر قاعدة علمية هي : خصائص المكونات لا تذوب في خليط الأطعمة والمشروبات ، ويظل النجس بحالته كما يظل الطاهر بحالته كذلك .  
وقد اطلعت على سؤال منشور بصحيفة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/١٢/١٧ م تحت عنوان : ما رأي الدين في الأطعمة والمشروبات التي تلحقها مواد محرمة ؟  
ووجدت إجابته كما يلي : « إذا اضيفت بعض المواد المحرمة إلى المأكولات أو المشروبات أو العطور بشكل تذوب فيه خصائص هذه المادة المحرمة فإن الأشياء المضافة إليها هذه المادة تحتفظ بطهارتها وحلها ، بل إنها تحول النجاسة في المادة المحرمة إلى طهور على مذهب الإمام أبي حنيفة ، لأن التحول عنده وسيلة من وسائل التطهير . وعلى ذلك يحكم بطهارة الصابون إذا اضيفت إليه مادة غير طاهرة ، وكذلك السمن الصناعي ، وبعض أنواع الحلوي ، وكذلك الجبن المعقود بمادة محرمة ، أو العجين الذي يخمر بإضافة خميرة البيرة وما يشبهها ، والعطور التي يدخل فيها الكحول .. فإن التحول الذي يذيب خصائص الشيء المحرم يجعله طاهراً ، وكذلك الحال إذا تحولت الخمر إلى خل فيصير الخل حلالاً . هذا هو السؤال وهذا هو جوابه .  
وإنى أعرض قدرأ من المعلومات التي يمكن الاستئناس بها عندما نريد التعرف على رأي الدين فيما ورد من التساؤل ، وفيما يشابهه حيث يكون لعلوم المادة دور في الإيضاح .  
وياحبذا لو أن مثل هذه الأفضية والمشكلات ، شارك في دراستها مع علماء الدين - علماء الماديات من صيادلة وكيميائيين وغيرهم من أصحاب التخصصات المناسبة ، حتى يقوموا بوضع المعلومات العلمية أمام رجال الدين لمساعدتهم على إصدار الفتاوي والأحكام الشرعية في مثل هذه التساؤلات .

أولاً : معلومات من علوم الكيمياء :-

عند إضافة المواد بعضها إلى بعض فإنها تخضع لواحدة من حالتين :-  
( ١ ) الخلط : وفيه تتداخل أجزاء مادة في مادة أخرى فيتكون : الخليط أو

المستحلب أو المحلول . الخ وتظل كل مادة محتفظة بصفاتنا الطبيعية ، والكيميائية ، وبآثارها داخل الجسم الإنسانى ، كما أنها تمر داخل الجسم بعمليات التمثيل الغذائى كما لو كانت غير مختلطة بغيرها من المواد . وذلك بصرف النظر عما يصبح عليه الخليط من صفات طبيعية مشتركة - لوناً أو طعماً أو رائحةً أو مذاقاً .. الخ . هى محصلة الصفات الطبيعية للمكونات نفسها . والأمثلة على ذلك : خليط الملح والسكر ، خليط شحم الخنزير ، ودهن البقر ، خليط الكحول والزيوت العطرية ، خليط الدقيق وشحم الخنزير . فلا تحول يحدث لهذه المواد فى الخليط ، ولا تذوب خصائصها ويظل النجس بحالته والظاهر بحالته ، ويظل الحرام بحالته ، والحلال بحالته .

أما إذا كان المعنى المقصود بالتحول وذوبان الصفات هو ما يطرأ على المادة النجسة من تغيير فى صفاته الطبيعية من لون وطعم ورائحة وقوام عند إضافتها إلى مواد أخرى أو إضافة مواد إليها ، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل أوامر التحريم وأحكام النجاسة ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام استعمال المواد النجسة أو الحرام ولو فى خليط تكون فيه المواد النجسة أكثر من المواد الطاهرة ، فما من مادة تخلط بمادة أخرى إلا ويطرأ على كلا المادتين تغييرات فى الصفات الطبيعية تجعلها مختلفة عن المادة الأصلية المنفردة . فشحم الخنزير يختلف عن شحم الخنزير مخلوطاً بشحوم أخرى ، كما أن شحم الخنزير بمفرده يختلف عن شحم الخنزير إذا أضيفت إليه مواد مكسبة للطعم أو الرائحة أو اللون . ومن السهل تغيير الصفات الطبيعية للحم الخنزير به وإخفاء لحم الخنزير تماماً وذلك بفرمه وخلطه بأطعمة ومواد أخرى وبلحوم أخرى وتقديمه باسم ( لحم الخنزير ) أو تحت أى اسم آخر معروف أنه لطعام يحتوى على لحم الخنزير فلو أننا أخذنا بالمعنى السابق للتحول وذوبان الصفات ، لجاز للمسلمين أن

يأكلوا لحم الخنزير ، وشحم الخنزير ، وكل حرام بهذه الحالات المقنعة ، ولما بقى عليهم محرماً إلا لحم الخنزير أو شحم الخنزير أو الميتة بحالته المنفردة ، وهى حالة يمكن الاستغناء عنها ، وبهذا يتعطل تحريم أكل النجاسات والمحرمات ، ويصبح أكلها ممكناً ومباحاً بهذه الصور المقنعة باسم التحول وإذابة الصفات بالمفهوم المطلق المذكور سابقاً .

( ٢ ) التفاعل : وفيه تتفاعل المواد مع بعضها تفاعلاً كيميائياً مما يترتب عليه تحول هذه المواد ، وتكوين مواد أخرى لها صفات تختلف بدرجات متفاوتة عن المواد الأصلية . وفى هذه الحالة تذوب خصائص المكونات الأصلية ، والأمثلة على ذلك : تفاعل المعادن والقلويات مع الأحماض لتكوين الأملاح ، وتحول المادة إلى مادة أخرى تختلف عنها فى الصفات كتحول ( الكحول إلى خل ) . وفى ( الكيمياء العضوية ) نجد تحضير المواد بعضها من بعض يكون عن طريق التحويل ، إما بتحويل جزيئات المادة إلى جزيئات أكبر لتكوين مادة

جديدة وذلك عن طريق ما يعرف ( بالتشديد الكيميائي ) أو العكس وذلك عن طريق ما يعرف ( بالتحليل ) إلى غير ذلك من طرق التحويل المعروفة في علوم الكيمياء العضوية .  
ثانياً : معلومات في الصناعة والإنتاج :

وفي مجال الصناعة والإنتاج ، ومن خلال المنظور الإسلامي ، نجد تجهيز الأطعمة والمشروبات وما يستعمله الإنسان في معاشه ، يخضع لواحدة من الحالات التالية :  
( ١ ) - تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهي بمواد حلال : والأمثلة على ذلك :

- ١ - تحويل ( عصير العنب ) غير المتخمّر إلى شراب العنب ( الطلاء ) الخالي من الحرام .
- ٢ - تحويل ( عصير القصب ) إلى العسل الأسود ، أو سكر القصب .
- ٣ - تحويل ( اللبن ) بواسطة ( الأنفحة ) ( ١ ) الحلال إلى ( الجبن ) .
- ٤ - تحويل ( العجين ) بواسطة ( الخميرة ) التي هي مجرد نباتات فطرية إلى ( خبز ) .

( ٢ ) تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهي بمواد حرام : كما هو الحال في عمليات ( التخمير الكحولي ) التي تبدأ بالأطعمة الحلال والمشروبات الحلال ، وتنتهي بالمشروبات الحرام ( الخمر ) .

( ٣ ) تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهي بمواد حلال : كما هو حاصل في تحويل ( الخمر ) إلى ( خل ) وتحويل ( عصير العنب ) إلى ( شراب العنب ) الخالي من الخمر .  
( ٤ ) تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهي بمواد حرام : كتقطير ( الخمر ) الأقل قوة للحصول على ( الخمر ) الأكثر قوة .

( ٥ ) تجهيزات تبدأ بمواد حلال ومواد حرام وتنتهي بهما معا : والأمثلة على ذلك :

- ١ - تجهيز بعض أنواع السمن الصناعي ، بإضافة دهن البقر ( الحلال ) إلى شحم الخنزير ( الحرام ) .
- ٢ - تجهيز بعض أنواع الحلوي والفطائر وذلك باستخدام المواد الحلال كالدهن البقر والسكر مع شحم الخنزير الحرام .

(١) (الأنفحة) تخضرمّن (بطانة معدة) الحيوانات كالعجل أو الجمل أو الجدي وذلك بنقعها في الماء الذي يستخلص (مادة تدويب اللبن) وهي خميرة (Enzyme) تسمى (رينين) (Rannin) كما توجد هذه المادة في بعض النباتات غير الخميرة أنزيمات تسمى (زيميزين) (Zymases) وتوجد في بعض الخمائر (Yeasts) وهي من الفطريات (Fungr) ومنها تتكون (خميرة الخبز) المعروض في الأسواق وكذلك (مسحوق الخميرة) المحتوي على النشا والخميرة .

٥ - عصائر الفواكه ( الحلال ) يضاف إليها ( الخمر ) الحرام ، لتجهيز خليط منهما .  
٦ - تجهيزات تبدأ بمواد حرام ومواد حلال وتنتهى بمواد حلال : كما يحدث في صناعة بعض المواد الطبية ، حيث يستخدم ( الكحول ) الحرام لاستخلاص المواد الفعالة من النباتات الطبية ، ثم يطرد ( الكحول ) تماما من الخليط للحصول على ( خلاصة جافة ) أو ( مواد فعالة ) خالية من الكحول .

ومما سبق ذكره من حالات التجهيزات الست ننتهى إلى ما يلى :

الحالة الأولى : تجهيزاتها حلال ، وهى تمثل الجزء الأكبر من التجهيزات الست .

الحالة الثانية : تجهيزاتها حرام .

الحالة الثالثة : تحكمتنا فيها أحاديث صحيحة وآثار صحيحة :

فمن الأحاديث الصحيحة : عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر : أتتخذ خلا ؟ قال : ( لا ) أخرجه مسلم والترمذي وهذا الحديث رواه أيضا أحمد وأبو داود .

ومن الآثار الصحيحة والتي تعتبر أثارا مطلقا : جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله عن العصير ؟ فقال : اشربه ما كان طريا . قال : إنى أطبخه وفي نفسى منه شئ ؟ قال : أكنت شاربه قبل أن يطبخ ؟ قال : لا ، قال : فإن النار لا تحل شيئا قد حُرِّمَ .

الحالة الرابعة : تجهيزاتها حرام .

الحالة الخامسة : تجهيزاتها حرام حيث أن المواد الحرام تظل كما هى محتفظة بخواصها دون تحول ، كما لا تذوب خصائصها وتظل نجاستها قائمة .

الحالة السادسة : تجهيزاتها بها شبهة ، ويمكن قياسها على الحالة الثالثة .

ثالثا : العلوم المادية من المنظور الإسلامى :

يوجد بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية والآثار ، كثير من اللطائف والدقائق والحقائق والتوجيهات العلمية التى يجب البحث عنها والوقوف عليها والاستفادة منها والعمل بها وتطبيقها على أمور الحياة ومتطلباتها . ولقد وضحت الحقائق لسلفنا الصالح من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها الذين عنوا بأمور الأبدان ومطالب العيش كالإمام ابن القيم رحمه الله وغيره ، وذلك لاستنارتهم بنور الإيمان وهدي النبوة . وفيما يلى نعرض بعض الأمثلة لنبيين أسلوب البحث والاستنباط الذى يمكن به الحصول - من القرآن الكريم والسنة المشرفة - على الفوائد في مجال علوم المادة وفي مجال الصناعة والإنتاج .



- ٣ - الفطائر المضاف إليها ( الخمر ) والشكولاته المحشوة ( بالخمير ) .  
 ٤ - الزيوت العطرية الحلال المخلوطة ( بالكحول ) روح الخمر النجس ، وذلك لتجهيز بعض مستحضرات التجميل ومن أشهرها ما يسمى ( بالكلونيا ) .

### مثال : ( الخل ) :

( ١ ) لقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تحرم اتخاذ الخل من الخمر، ومنها الحديث السابق ذكره .

( ٢ ) وردت أحاديث صحيحة تفيد بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يأكل الخل ويقول عنه : ( نعم الإدام الخل ) .

وبالنظر إلى هذه الأحاديث نرى أننا كمسلمين أمام « أسلوب إنتاج حرام » وهو تحويل ( الخمر الحرام إلى خل ) ، كما أننا أمام إنتاج حلال وهو ( الخل ) الذي يأكله الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضی الله عنهم . فإذا كان تحليل ( الخمر ) حراماً ، فمن أين يكون ( الخل ) الحلال ؟ وبالدراسة المتكاملة للأحاديث وبفقهها يجيء الجواب الذي ينبى عليه العمل الحلال كالاتى :

( ١ ) إن الخل الحلال تكون صناعته من ( عصير العنب ) الطازج غير المتخمّر والذي يكون حلالاً ، وذلك كنقطة ابتداء في الصناعة ، ليمر بمراحل التحول وينتهى إلى ( الخل ) الذي يكون ( خللاً ) حلالاً .

( ٢ ) ما بين نقطة البدء بالخامات الطاهرة الحلال ، ونقطة النهاية الحلال بإنتاج المواد الطاهرة والمطلوبة من عملية التصنيع ، تمر الخامات بمراحل تحول مختلفة قد تتولد أحيانا عنها مواد نجسة مرحلية لا يكون لها وجود في المادة المنتجة في نهاية التصنيع ، كما أنها لا تكون مقصودة في الصناعة ، كما يحدث لعصير العنب ( الحلال ) عند صناعة ( الخل ) الحلال . فهو يمر بمراحل التخمير وتكوين الخمر ، قبل أن يصل إلى الإنتاج النهائى المطلوب وهو ( الخل ) .

ومفاد ذلك أن النواتج المرحلية بين البدء الحلال ، والنهائية الحلال ، حتى ولو كانت حراماً ، فلا ينظر إلى حكمها الشرعى ، وتترك لتسير في دورتها الإنتاجية لتعطى الحلال من الأشياء .

ومن هذا الذي ذكرناه على ضوء فقه الأحاديث التي استعرضناها نخرج بالقواعد

الصناعية التالية :

- ( ١ ) إذا أردنا إنتاج شيء حلال فعلياً أن نبدأ بالخامات الحلال الطاهرة .

( ٢ ) أن يكون الإنتاج النهائى خالياً من كل محرم .

( ٣ ) موقفنا من الحلال والحرام في الصناعة يكون حال نقطة البداية ، كما يكون حال نقطة النهاية ، أي حال الحصول على الشيء المطلوب ، وما يجري بين البداية والحلال والنهاية الحلال من تحول وتغيير يطرأ على الخامات الطاهرة . يكون في حكم ( الإكراه الصناعى ) الذي لا نرغب فيه . ولا دخل لنا فيه .

رابعاً : أقيسة يجب الاستئناس فيها برأى علماء المادة المسلمين :

هناك حالات من القياس الفقهي تحتاج إلى معرفة قدر من المعلومات الواردة في علوم المادة ، كعلوم الكيمياء والصيدلة والطب .. الخ . ولهذا فمن الصواب أن يستأنس رجال الدين برأى علماء المادة المسلمين في مثل هذه الأقيسة عند إصدار الفتاوى والأحكام الشرعية . فعلماء المادة هم المتخصصون في دراسة صفات المواد ، واحتياج الإنسان إليها طعاماً وشراباً وعلاجاً ، وهم الدارسون لطرق تجهيزها وصور استعمالها وأغراضها ، إلى آخر هذه الدراسات المادية . فالتعاون إذن واجب بين الفقهاء وعلماء المادة وتضافر الجهود بينهم فيه الصواب والخير للأمة الإسلامية .

والقول - مثلاً - بأن التحول يذيب خصائص الشيء المحرم ليصبح طاهراً وحلالاً يحتاج إلى رأي علماء المادة لمعرفة طبيعة التحول في المواد وطرقها وأنواعها .. الخ .  
والقول - مثلاً - بأن المائعات النجسة التي تضاف إلى الأدوية والروائح العطرية لإصلاحها يعفى عن القدر الذي به الإصلاح قياساً على ( الأنفحة ) المصلحة ( للجبين ) هو قول يحتاج إلى مراجعة على ضوء المعارف العلمية كالاتى :

معروف أن ( الأنفحة ) تأتي من حيوانات مأكول لحمها بعد تذكيته الشرعية وهى جزء من أجزاء الحيوان ( كالمرارة ) وبقياس طهارتها على طهارة مرارة الحيوان ، تكون طاهرة ، وهى جزء من الحيوان المذكى تابع له في طهارته ( والجبين ) في تجهيزه إنما يصلح بهذه ( الأنفحة ) الطاهرة التي تضاف إلى ( الجبن ) الطاهر الحلال . إذن فالعفو عن المائعات النجسة التي تضاف إلى الأدوية وإلى الروائح العطرية ( كالكحول ) مثلاً - بالقدر الذي يلزم لإصلاحها ، قياساً على ( الأنفحة ) المصلحة ( للجبين ) قياس غير صحيح على ضوء المعارف ( العلمية ) ، ويكون استخدام هذه المائعات هو استخدام لنجاسات مغلظة ما لم تكن هناك ضرورة يبينها ويحددها علماء المادة من المسلمين المشهود لهم بالعلم والصلاح .

خامساً : درجة الحرمة والنجاسة للخمر ولحم الخنزير :

الخمر : هى أم الكبائر ، وهى نجسة لذاتها كما قرر الفقهاء . وهى الرجس . وهى داء وليست دواء . ولقد وردت فيها نصوص القرآن الكريم ( بالاجتناب ) الذي هو أشمل من

تحريم تعاطيها ، كما وردت في تحريمها والتنفير من استعمالها ولو بقصد التداوي عشرات الأحاديث الصحيحة .

وهي نجسة نجاسة مغلظة ، حتى أن ( الأحناف ) قالوا : بنجاسة سؤر شارب الخمر إذا شرب من الماء عقب شرب الخمر مباشرة . فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للماء الذي مصدره سؤر شارب الخمر ، فناهيك عن الخمر نفسه نجاسة ورجسا ، وناهيك عن نجاسة ( الكحول ) الذي هو المادة الأساسية في الخمر ، والذي أصبحت تسمى باسمه الخمور ( مشروبات كحولية ) وهو الذي عمت البلوي باستعماله على شكل مستحضرات للتطيب والتزين ، ومنها المستحضر المعروف في الصيدلة ( بماء الكولونيا ) وهو في الحقيقة ( خمر معطر ) نجس لوجود الكحول النجس كمادة أساسية فيه ، بل هو المادة الغالبة بالمستحضر .

**لحم الخنزير :** والمراد لحمه وعظمه ودهنه كما قرر الفقهاء ، فهو أيضا حرام بنص آيات القرآن الكريم ، وهو نجس ، بل إن الخنزير كله نجس لذاته نجاسة عينية ، ولعابه نجس وإذا سقط في الماء نجسه . بل إنه إذا سقط في بئر ، نجس ماء البئر ووجب نزع البئر ليصبح ماؤها طاهراً . فإذا أضيف شحم الخنزير إلى شحوم حيوانات أخرى كشحم البقر الحلال لصناعة بعض أنواع المسلى الصناعي فإن الخليط منهما يكون نجسا وحراما لوجود شحم الخنزير في هذا الخليط دون تحول ، خلافا لما يظن بعضهم ويقولون : بتحوله وذوبان خواصه في الخليط يصبح طاهراً رغم وجود المواد النجسة فيه .

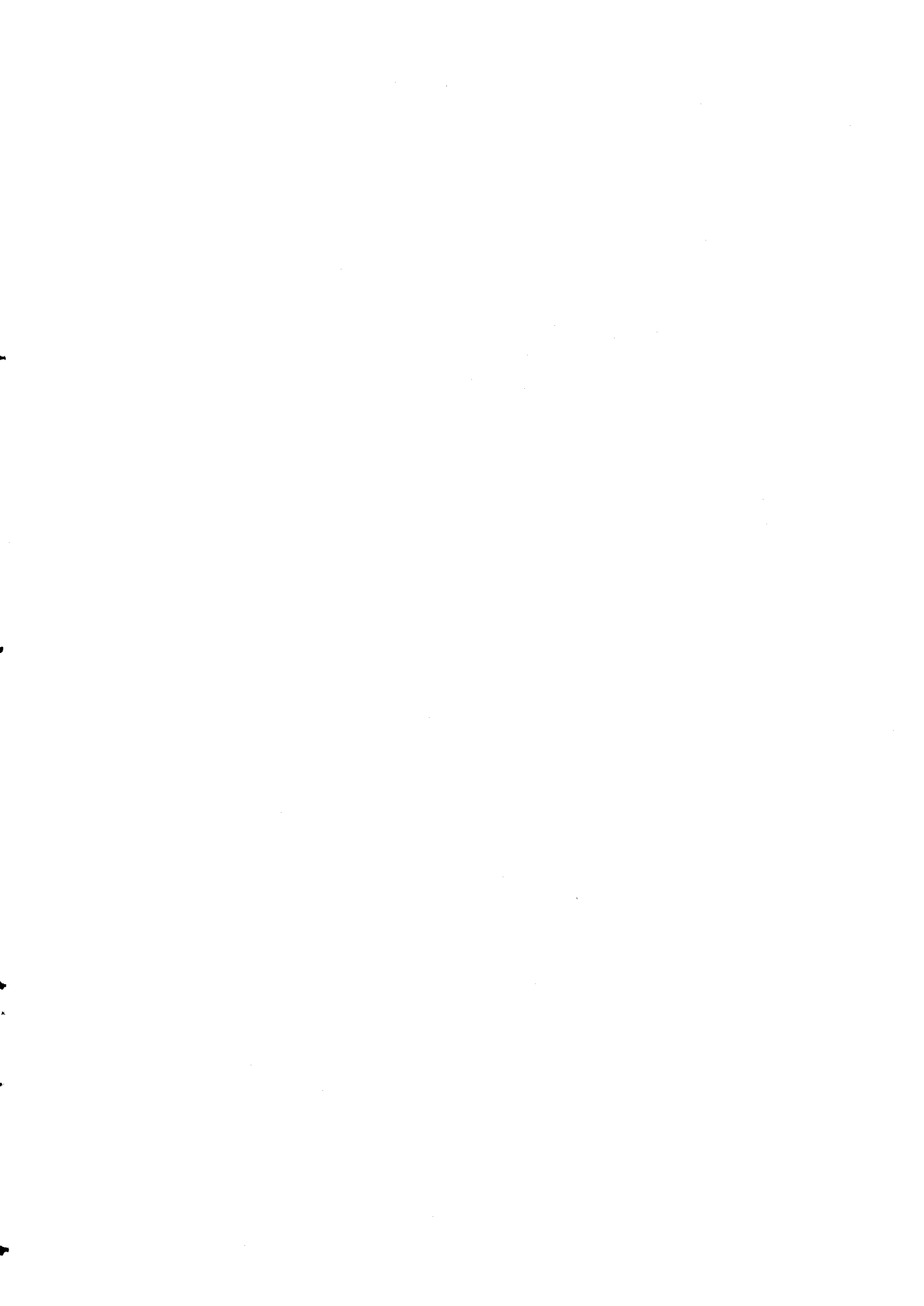
وبعد ... فهذا ما رأيت من الواجب بيانه وعرضه ... وبالله التوفيق ...





بَابُ

الْفَقْدَانِ



# هُكْمُ إِزْهَادِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالرَّعْمَاءِ

لسماعة السنجي جبر العزير بن باز  
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء  
والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن اهتدى  
بهداه أما بعد : -

فقد جرت عادة الكثير من الدول الإسلامية في هذا العصر بالأمر بالإحدااء على من يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية وتنكيس الأعلام .

ولاشك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية وفيه تشبه بأعداء الإسلام . وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عن الإحدااء وتحذر منه إلا في حق الزوجة فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه صلى الله عليه وسلم للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل . أما ما سوى ذلك من الإحدااء فهو ممنوع شرعاً وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما .

وقد مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وبناته الثلاث وأعيان آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام . وقتل في زمانه أمراء جيش مؤته زيد بن حارثة وجعفر بن أبي وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم . فلم يحد عليهم . ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم . والمصيبة بموته أعظم المصائب ، ولم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم . ثم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو أفضل الصحابة وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه . ثم قتل عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وبعد أبي بكر الصديق . فلم يحدوا عليهم وهكذا مات الصحابة جميعاً ، فلم يحد عليهم التابعون . وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب ، وعلى بن الحسين زين العابدين ، وابنه

محمد بن علي ، وعمر بن عبد العزيز ، والزهري ، والإمام أبي حنيفة ، وصاحبيه ، والإمام مالك بن أنس ، والأوزاعي ، والثوري ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهوية ، وغيرهم من أئمة العلم والهدى فلم يحد عليهم المسلمون . ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم .

وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الإحداد على غير الأزواج هو الحق والصواب . وأن ما يفعله الناس اليوم من الإحداد على الملوك والزملاء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام .

وبذلك يعلم بأن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الإحداد والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم ، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك وإعلامهم به أداءً لواجب النصيحة ، وتعاوناً على البر والتقوى . ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة .

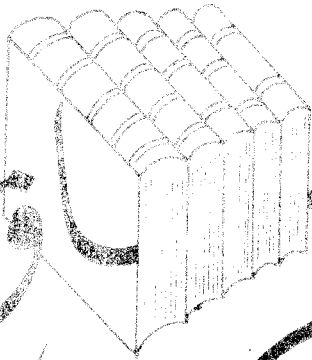
وأسأل الله عز وجل أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الإجابة .

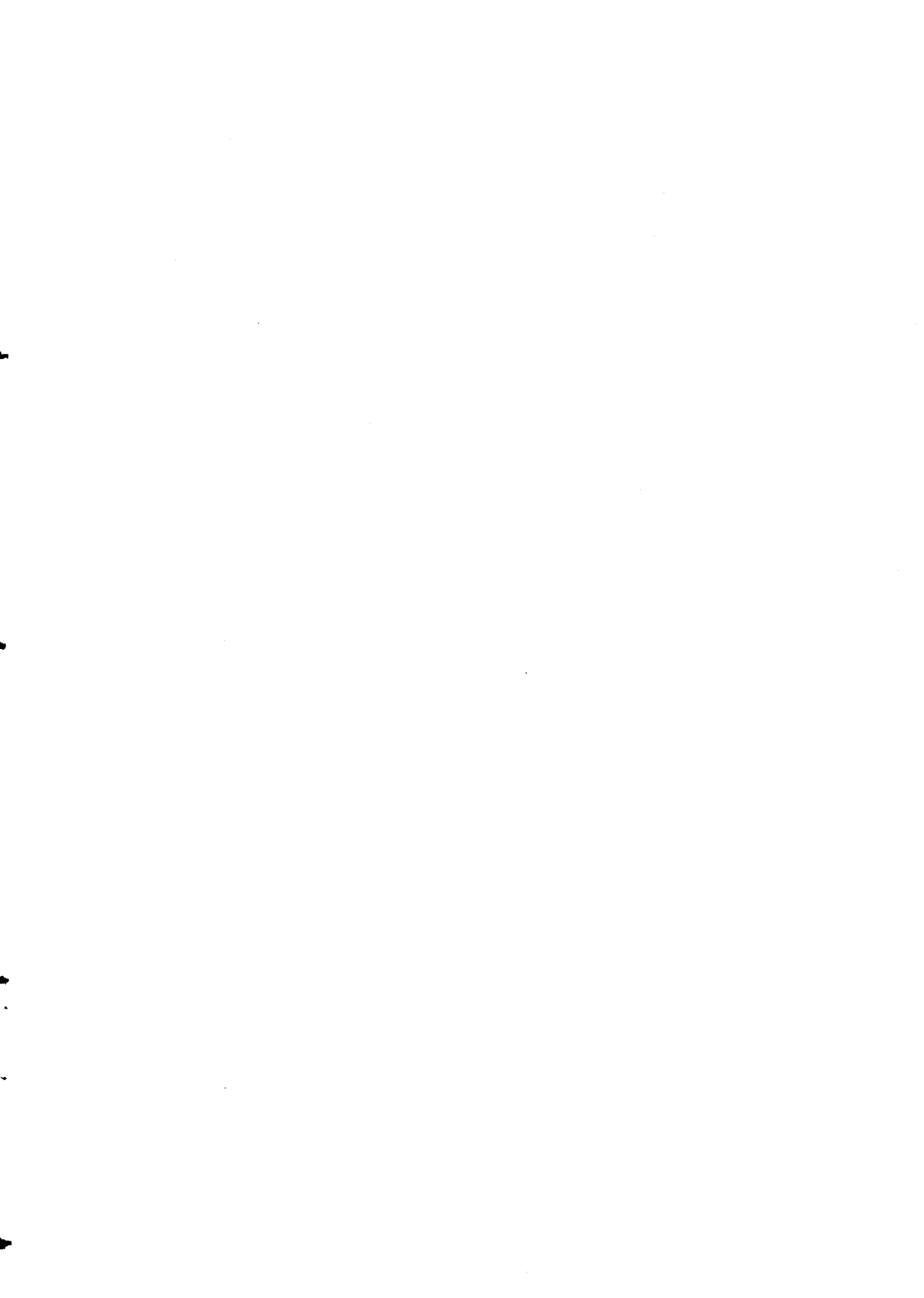
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ...





مِنْ مِثْلِ  
الْكَتَابِ

A stack of several books, shown in a perspective view, positioned between the two lines of text.



# كتاب عنوانه : المسلمون في الاتحاد السوفيتي

كتاب عنوانه :

( المسلمون في الاتحاد السوفيتي )

ألفه فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأستاذ : محمد صفوت السقا ، شمل حقائق هامة عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي يهم كل مسلم معرفتها ، ليقف على وضع المسلمين وما يلاقون من عنت في تلك الديار ، وليفكر في الوسائل التي يمكن أن ينقذ بها هؤلاء الإخوة المستضعفين .  
وقد صدر الكتاب المذكور ضمن مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، ويقع في ٩٤ صفحة بالحجم المتوسط .  
ومن الحقائق التي شملها هذا الكتاب ما يأتي :

نظرة واحدة إلى الواقع في جميع أبعاده . على خريطة الجمهوريات الست المسلمة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي تؤكد ما نريده في عرضنا هذا : -  
ففي عام ١٩٣٩ كان مجموع الجمهوريات الست ( ١٩٠٨٤٤٠٠٠ ) نسمة كان بينهم حوالي ( ١٤٧٦٦٠٠٠ ) مسلم ، و ( ٥٠٧٨٠٠٠ ) من غير المسلمين . وفي عام ١٩٧١ صار عدد سكان الجمهوريات الست ( ٣٨٠٨١٢٠٠٠ ) نسمة ، من بينهم ( ٢٦٠٠٠٠٠٠ ) مسلم ، و ( ١٢٠٧٠٢٠٠٠ ) من غير المسلمين ، فإذا اعتبرنا زيادة غير المسلمين الطبيعية يكون عدد من هاجر إلى الأراضي الإسلامية بين عام ( ١٩٣٩ - ١٩٧١ ) هو ( ٥٧٠٠٠٠٠ ) شخصاً مع أولادهم وأسره ، وهذا رقم هائل ، ويعطينا نظرة مبسطة عن محنة المسلمين في تلك المناطق ، ولولا ازديادهم الطبيعي لصاروا أقليات ضئيلة في أكثر من جمهورية ، بل في شتى الجمهوريات ، وتعمل الشيوعية جاهدة على إزكاء النعرة القومية . فجريدة ( البرافدا ) تطبع باللغات المحلية لكل جمهورية وتوزع . كما أن التدريس باللغة الروسية واللغات القومية ، إلا العربية ، فمحاربتها تأتي بهذا الطريق ولا يعرف الجيل الجديد تلك اللغة باستثناء أعداد ضئيلة منهم تقدر بالمئات .

والتشكيلات الإدارية للشؤون الإسلامية في الاتحاد السوفيتي تعتبر هذا التنظيم تنظيمًا شعبيًا ، وهذا التنظيم مرتبط إداريًا بوزارة الأديان ( ومقرها موسكو ) ويمثل هذا التنظيم سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين بابا خانوف ، أما باقي المفتين فيمثلهم مفوض من مجلس السوفيات وفي كل جمهورية ، وممثل عن وزارة الأديان ، كما أن هناك ممثلًا مقيمًا في موسكو هو الأستاذ الحاج أكبر أعظم وهو الذي يقوم باستقبال المسلمين من غير الاتحاد السوفيتي . وهو من أبناء تركستان ، وتوجد الآن أربع إدارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي ، وإحدى الإدارات الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وفازخستان ومركزها ( طاشقند ) ويرأسها المفتي ( ضياء الدين بابا خانوف ) وتضم الجمهوريات التالية : -

١ - أوزبكستان وعاصمتها ( طشقند ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ١١ مليون نسمة .

٢ - تاجكستان وعاصمتها ( دوشاشة ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين نسمة .

٣ - قيرغيستان وعاصمتها ( مورترزة ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين .

٤ - تركستان وعاصمتها ( تشخيظ ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين .

٥ - قازقستان وعاصمتها ( الماءتا ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ١٢ مليونًا .

ويتولى الشؤون الدينية في كل منها القاضي ، وهو مسؤول أمام المفتي ، ويوجد في هذه الإدارة نائب للمفتي .

ويرى المؤلف في كتابه الممتاز حقيقة - والذي يجب أن يدرسه كل من يحاول أن يكتب عن الاقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي كوثيقة يعتمد عليها . إن من المهم بذل المزيد من الاهتمام بهؤلاء الإخوة الخاضعين لنظام الحكم الشيوعي ، وقد يكون مفيدًا بادئ ذي بدء إلى الاهتمام بالأمر التالي : -

١ - عدم تجاهل مسلمي الاتحاد السوفيتي في سائر المؤتمرات الإسلامية .

٢ - اختيار عضو منهم لتمثيلهم في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

٣ - إعطاؤهم منحة جامعية في المملكة العربية السعودية وبقية البلدان العربية والإسلامية .

٤ - تشجيعهم على نشر التراث الإسلامي بكل الوسائل الممكنة ..

- ٥ - مدهم بإعداد وفيرة من مصاحف القرآن الكريم .
- ٦ - تزويدهم بكتب السيرة النبوية ومختلف الكتب الامهات للمذهب الحنفى .
- ٧ - تبادل الزيارات بينهم وبين مسلمى البلاد العربية والإسلامية ..
- ٨ - تزويدهم بالدوريات الإسلامية من بينها على سبيل المثال لا الحصر مجلة التضامن الإسلامى - مجلة رسالة المسجد - مجلة الدعوة ، مجلة الأمة القطرية ، مجلة ( المسلمون ) مجلة الجامعة الإسلامية ..
- ٩ - استضافة وفد سنوي من علماء مسلمى الاتحاد لتأدية فريضة الحج المقدسة .

( التحرير )

## من خصائص الصيام في شهر رمضان

من خصائص الصيام : أن للصائم فيه فرحتين ( فرحة عند الافطار ) لازالة الجوع واتمام العبادة .. ( وفرحة يوم القيامة ) .. رجاء ثواب الله تعالى ...

ومنها أن الاخلاص في الصيام يغفر الذنوب . فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ايمانا واحتساباً . غفر له ما تقدم من ذنبه )

( رواه البخارى ) .

ومنها أنه شهر التقوى والرحمة : جاء في الحديث الشريف : « اذا جاء رمضان فتحت ابواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » . وفي رواية للإمام مسلم : « فتحت ابواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

## فوائد عسل النحل

..يقدم نحل العسل خدمات جليلة للإنسان حيث يضع الشهد ..  
الذي يعتبر من أجود وأشهى الأطعمة وأسهلها هضما وامتصاصا ،  
ويدخل في صناعة كثير من الأدوية ، ففيه الغذاء ومنه الدواء وبالنظر  
إلى خواصه الكيميائية فإن العسل يحتوي على حوالى ٢٨ ٪ سكر  
فركتوز وحوالى ٣١ ٪ سكر جلوكوز .. وهى سكريات أحادية سهلة  
التمثيل وإعطاء الطاقة اللازمة للجسم حيث يستفيد بها في مجالاتها  
المختلفة بصورة سهلة غير مرهقة للكبد ..

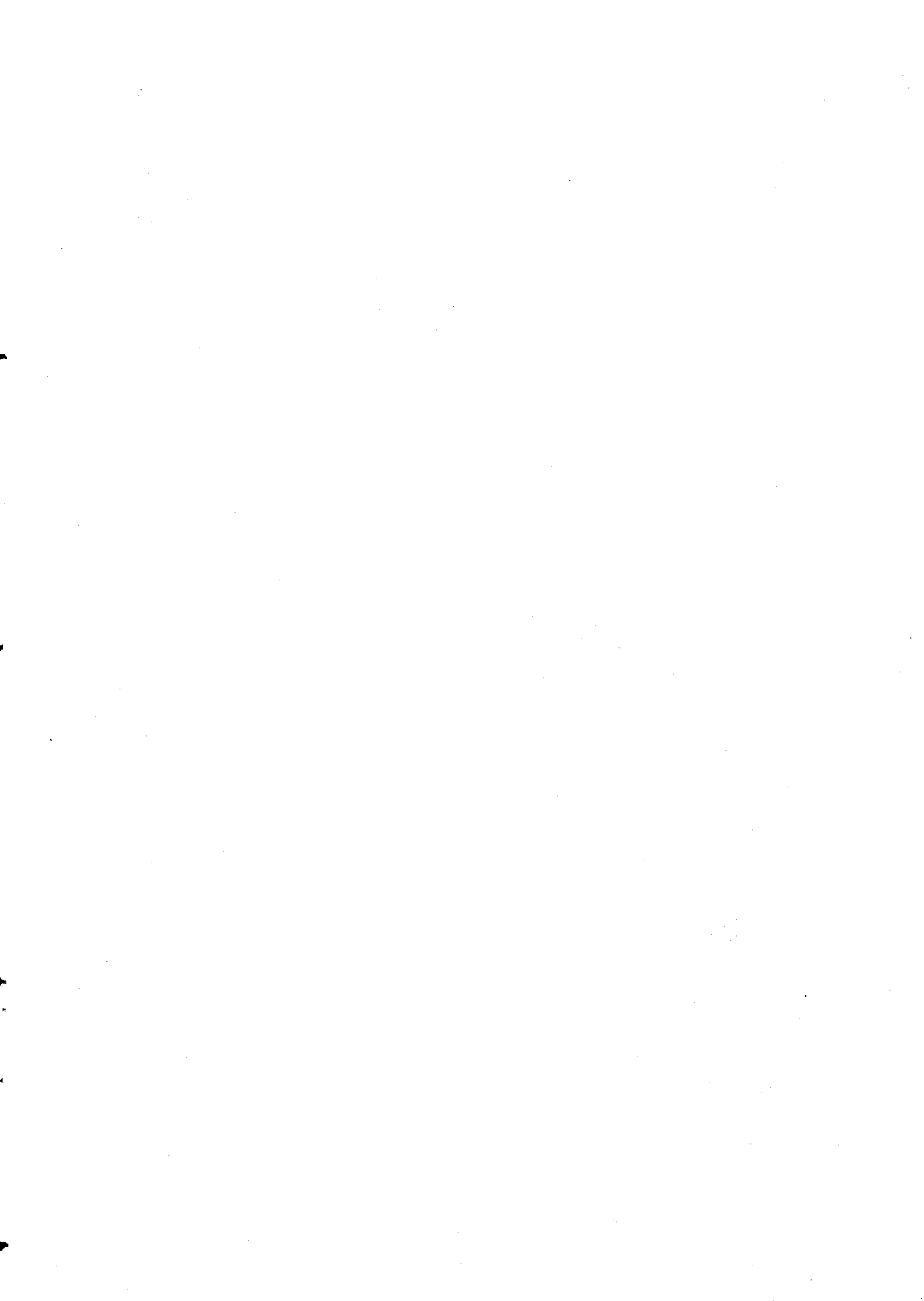
ومن العناصر المعدنية الهامة الموجودة في العسل الفسفور ، والكالسيوم ،  
والبوتاسيوم ، والكبريت ، وغيرها .. وكذلك يحتوي العسل على نسبة من  
البروتينات متمثلة في حبوب اللقاح الموجودة به والتي تحتوي على كثير من  
الفيتامينات ..

كما يتم تحويل السكريات الشائبة إلى سكريات أحادية .  
ومن هنا فإن العسل يجب أن يكون الغذاء المفضل للأطفال في معظم  
حياتهم ، حيث انه يفيد في حالات نقص التغذية ، والانيميا ، والاضطرابات  
المعوية . وقد وجد أنه يفيد في حالات عسر الهضم ، وحالات الإمساك ، وفي  
حالات الحساسية ، بالإضافة الى أنه يقوي الذاكرة ، ويفيد في التئام الجروح  
السطحية ، حيث أن دهان الجروح البكتيريا يساعد على شفائها بسرعة .  
ويجب أن تحلى السوائل التى يتناولها الأطفال بالعسل ، وبذلك تصبح  
ذات قيمة غذائية عالية ..

وهناك نصيحة هامة يجب أن تراعيها الأم عند تقديم العسل المتبلور أي  
المسكر أو المتجمد وهى أن تقدمه بصورته المتبلورة إلى المادة الغذائية المراد  
تقديمها إلى الطفل ، ولا تحوله إلى عسل سائل مرة أخرى بالتسخين كما يفعل  
بعضهم باستخدام حمام مائى ، ولان ذلك يتلف مكونات العسل ، ومنها  
الإنزيمات ، والفيتامينات ، وبذلك يستفاد كثيرا من قيمته الغذائية ...

# مختار تصفیه







# تاريخ مجيد للخلاوي القرآن

## في السودان

قال الله تعالى :

« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور » .

خلوة القرآن الكريم هي المكان الذي يتلقى فيه الكبار والصغار مبادئ القراءة والكتابة في السودان ( حتى القرن التاسع عشر الميلادي ) ودورها قبل هذا التاريخ هي دور المدرسة الابتدائية اليوم ، وهي تقوم غالبا على النظام الأهلي ، وذلك باتفاق وتعاون أهل القرية في تحفيز مشيخة الدين لتعليم الصغار والكبار .

والدور الرائد الذي لعبته ( الخلوة ) في إرساء ركائز المعرفة وسط المجتمع السوداني والأفريقي : الأستاذ - حامد ضوء البيت - مفتش تعليم الخرطوم سابقا ببيانه فيقول :

تعتبر ( خلوة ) القرآن الكريم بالسودان هي المكان المعد لتعليم الاطفال مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ، وكانت ( الخلاوي ) حتى القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله تقوم بتعليم الكبار والصغار مبادئ القراءة والكتابة كالدور الذي تقوم به المدرسة الابتدائية اليوم .  
والخلوة يؤسسها صاحبها على حسابه الخاص وأحيانا يتعاون على إنشائها أهل القرية ثم يحفزون الشيخ الذي يتولى مهمة التعليم بها .

ويلتحق الأطفال بالخلوة في سن مبكرة ، ولم يعرف السودان التعليم المدني إلا بعد الغزو التركي المصري للسودان في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ..

وفي أوائل هذا القرن ( العشرين ) ظهرت ( المدارس ) التي كان المستعمر ينشئها وفق سياسته ، وكان فتحها يتم في ببطء شديد ، وفي أمهات المدن ، واكتفت المناطق التي يشملها التعليم المدني ( بالخلوة ) التي زاد طلبتها - زيادة على تحفيظ القرآن الكريم - بشيء من علوم الفقه والسيرة واللغة العربية - إلا أن العناية التي أولاها المستعمر للتعليم المدني الحديث الذي يؤهل الطالب لنيل وظيفة يعتمد عليها في مستقبله ، تلك العناية كانت سببا في جذب الأغلبية من الأطفال إلى تلك المدارس التي انتشرت في المدن والقري والأرياف وبتلك السياسة المرسومة للقضاء على القرآن الكريم دخلت الخلوة مع المدرسة الابتدائية في منافسة وصراع غير متكافئ .

وفي السنوات الماضية ( قبل الستينات ) نافستها أيضا ( رياض الاطفال ) التي يلتحق بها الأطفال قبل بلوغهم السن التي لا تسمح لهم بالالتحاق بالمدارس وهي سن السابعة . وعلى الرغم من ذلك الصراع القائم بين الخلاوي والمدارس فإن عددا من الخلاوي الكبرى ، ظلت تؤدي دورها العظيم في تحفيظ كتاب الله لطلبتها - في مختلف أعمارهم ، وظلت الأمور تسير على هذا المنوال حتى قامت هيئة من الشباب في الستينات تعمل في ميادين الإصلاح العام .

في عام ١٩٦٤ تولى السيد ( حسن عوض الله ) وزارة التربية السودانية فعنى بالخلاوي وقدم لها الدعم الأدبي والمادي مما شجعها على المضي قدما في تنفيذ مشروعاتها وواصلت نشاطها ووسع من قاعدتها حتى بلغ عدد الذين يقفون وراء الفكرة نحو سبعين رجلا ، ومما قوي من عزمهم ومضاعفة نشاطهم ، أن مجلس الوزراء الموقر صدق لهم بقيام مؤسسة ( أحياء نار القرآن الكريم ) .

واختارت المؤسسة مجلسا للأمناء يتكون من ( خمسة وعشرين عضوا ) واختار ذلك المجلس رئيسا له من بين الأعضاء هو السيد ( بدوي مصطفى ) أحد الوزراء السابقين واختار للسكرتارية الأستاذ ( يوسف الخليفة ابوبكر ) سكرتير جامعة أم درمان الاسلامية يومئذ . وواصلت المؤسسة أعمالها ومنح وزير التربية سلطاته لمجلس الأمناء باستثناء الاتصالات الخارجية .

إن أول عمل قامت به تلك المؤسسة هو ضم ( معهد القرآن النموذجي ) بـ « ألتى » ثم فتحت معاهد مماثلة في كل من المناقل وسنكات ونيالا .

وحرصا على أهمية الدور الذي يقوم به شيخ الخلوة في تحفيظ القرآن الكريم فإن المسؤولين هياؤا له فترات تدريبية تمتد إلى ثلاثة أشهر يتلقى فيها ( شيخ الخلوة ) قواعد التجويد ، ومعرفة القراءات الصحيحة ، وشيئا من علوم التوحيد واللغة العربية ، من أساتذة

متخصصين من الأزهر، أعارتهم جمهورية مصر العربية للسودان منذ عام ١٩٦٨، تم ذلك في مراكز أقيمت بالخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان والدامر وبلغ عدد الذين تلقوا تدريبهم نحو ٣٦٠ شيخاً، عادوا بعدها يطبقون ما تحصلوا عليه بخلاويهم .

وجدير بالذكر أنه توجد خلاوي للقرآن ( خاصة بالنساء ) في الإقليم الشرقى للبلاد يقوم بالتعليم فيها معلمات مدربات على تدريس القرآن الكريم ، كما توجد في ذلك الإقليم خلاوي تسمى بأسماء منشئاتها وهن يشرفن على إدارتها .

وتشجيعاً لحفظ القرآن ونشره بين أفراد الأمة فقد قرر الرئيس السوداني إقامة مهرجان للقرآن الكريم يعقد بالخرطوم ، أول كل عام هجري تمنح فيه الجوائز للفائزين من حفظة القرآن الكريم - من الرجال والنساء الذين لا تزيد أعمارهم عن الأربعين ، وقد رصد سيادته في المهرجان الأول جائزة قدرها ( عشرة آلاف جنيه ) وكننتيجة للزيادة المضطردة في عدد الحفظة الذين يتقدمون لنيل هذه الجوائز كل عام ، فقد تم رفع هذه الجوائز في المهرجان العاشر الذي أقيم في أول السنة الهجرية الحالية ( ١٤٠٣ هـ ) إلى ( مائة الف جنيه )

في المهرجان الرابع الذي أقيم في أول السنة الهجرية ١٣٩٧ هـ وجه - السيد رئيس الجمهورية ، والسيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف ( الآن المجلس الاعلى للشئون الدينية والأوقاف ) . والسيد وزير التربية والتوجيه إلى إعادة النظر في ( مناهج الدين الإسلام ) وتكثيفها تمشياً مع القرارات الجمهورية التي نادى إلى العناية بالتربية الإسلامية الصحيحة التي تشمل حياة الفرد والجماعة والزام الجميع بالسلوك القويم في كل ما يمس حياة هذه الأمة المسلمة وبناء على ذلك التوجيه الكريم ، فقد تم تكوين لجان من الوزارتين ، قامت بمراجعة المناهج الدينية وأوصت بتعديلات وزيادات شملت المراحل الثلاث - ابتدائية ومتوسطة وثانوية .

والأمل كبير في أن تجنى ثمرة تلك التوجيهات الكريمة .

ظلت خلاوي القرآن الكريم تقوم بدورها الكبير في تأدية رسالتها العظيمة في تحفيظ القرآن الكريم ونشره بين الصغار والكبار معا حتى يومنا هذا . وفيه لرسالتها الكريمة ، وظل مؤسسوها أو القائمون بأمرها يعملون في صمت وإخلاص ، يبذلون في سبيل ذلك كل ما يملكون من مال كثر أو قل في سبيل الحفاظ عليها حية ، تصل حاضر هذه الأمة بماضيها ، طارفاً بتليدها ، وبذلك الإخلاص والتفانى والعزم الأكيد . تمكنوا من القيام بدورهم العظيم في نشر القرآن الكريم واللغة العربية في أرجاء هذه الرقعة الواسعة في افريقيا .

وما يثلج الصدور اليوم قيام كلية القرآن الكريم - إحدى كليات جامعة أم درمان الإسلامية ، التي تم افتتاحها عام ١٩٨٢ وبقسا، لها طلبة من حفظة القرآن الكريم الذين تحصلوا

على إجازة علوم القراءات وإجازة التجويد . وتعتبر هذه الحصوة أكبر انتصار للمسئولين الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض ونشر القرآن الكريم وترسيخ تعاليمه والعمل بما جاء به . وهذا نفس الطريق الذي سلكه أسلافنا الصالحون منذ أن تم للمسلمين فتح مصر في عهد الخليفة الثاني . أمير المؤمنين ( عمر بن الخطاب ) رضى الله عنه في عام ١٨ هجرية الموافق ٦٤١ ميلادية . وهو التاريخ الذي وطئت أقدامهم هذه البلاد - وفي إحصائية لخلاوي القرآن الكريم أعدتها إدارة التعليم الديني بمناسبة الاحتفال الذي عقده ( المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف ) لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري عام ١٤٠١ هـ - كان عدد الخلاوي المسجلة آنذ هو ٢٤٥٧ خلوة عاملة . نسأل الله التوفيق .. ( وما توفينى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ) ..

( المدينة )



### طريقة جديدة لعلاج الانزلاق الغضروفي

استطاع طبيب امريكى من التوصل الى علاج وطريقة جديدة للانزلاق الغضروفي والتهاب العصب بين فقرتين في العمود الفقري والالام الناتجة عنه وذلك بدون عملية .

وتتمثل الطريقة الجديدة في طريقة حقن المريض بمادة مستخرجة من ثمر ( الباباي ) المعروف في الدول الاستوائية لتتخلل هذه المادة وتدخل بين الفقرات ليخف الضغط على العصب ويمكن للمريض ان يغادر المستشفى خلال خمسة ايام من اجراء هذه العملية ..

وقد اكتشف الطبيب اوجين نوروكى من الولايات المتحدة الامريكية هذا العلاج عندما كان يجري تجاربه العلمية على الارانب .

# المرد يستنجم المواد الكيميائية والأشعة

## بإفراط والمواليد العرب

أشار تقرير خاص من الوطن المحتل إلى أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي لجأت مؤخرا إلى إجراءات جديدة تستهدف اجتثاث جذور الشعب الفلسطيني من قلب الوطن المحتل بعد أن فشلت في طرد المواطنين العرب بالطرق السريه .  
وتتمثل الإجراءات الجديدة في عمليات إخضاع المواليد العرب في الوطن المحتل بيده وضع حد للقدرة التناسلية العربية وبالتالي إضعاف النمو البشري العربي ليسهل على العدو ابتلاع الأرض وتهويدها للأبد .

ويفيد القادمون من الضفة المحتلة بأن العدو وضع سياسة جديدة تستهدف وقف النمو السكاني العربي في الوطن المحتل من خلال لجوئه إلى هذه الخطة الجهنمية التي تعبر عن نزعته العدوانية والعنصرية .

ويقوم العدو بتنفيذ خطته السرية ضد المواليد العرب في مختلف المستشفيات في الوطن المحتل .. ويشير القادمون إلى أن الإخضاع يتم عن طريق عملاء يقومون وبحركة سريعة من أصابعهم بالضغط على خصية المولود حتى تهشيمها .  
وهناك طريقة أخرى لعملية الإخضاع تتمثل في تلقيح المولود بمادة كيميائية خاصة تعطى له مع الحليب وتعطل بصورة هادئة قدراته الجنسية عند الكبر .

كذلك بالنسبة للشباب والرجال الذين يدخلون مستشفيات تديرها عناصر يهودية فإنهم يعطون دواء معيناً وعلى عدة جرعات تكفي للقضاء على قدراتهم الجنسية .

وذكر بعض القادمين من الوطن المحتل أن اشاعات جديدة سرت بين المواطنين العرب تشير إلى أن السلطات الإسرائيلية لجأت لبعض الإجراءات السرية اللازمة لتعريض المرضى من الذكور العرب لإشعاعات معينة تصيب الذي يتعرض لها بالعقم الفوري .

وأشار التقرير إلى أن الإجراءات الإسرائيلية الجديدة امتدت لتشمل النساء العربيات حيث أوغزت سلطات الاحتلال لبعض الجهات بإعطاء نزيلات المستشفيات الإسرائيلية من

النساء العربيات أدوية خاصة تذاب مع الشراب أو الطعام وتتناولها المريضة دون أن تشعر بأن شيئاً رهيباً قد حدث لها .

وخلص التقرير إلى القول بأن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تعتقد أنها بلجوها لهذه الطريقة ستقضى على حركة النمو السكاني العربي الذي يظل السلاح الفعال والقوي الذي يهدد إسرائيل من الداخل ويعرض كيائها ووجودها للخطر خاصة وأن هناك أصواتاً صهيونية ظهرت مؤخراً تحذر من مغبة التغاضي عن التزايد السكاني العربي داخل الوطن المحتل بحجة أن العرب سيقومون في المستعمرات والكيوتسات الاسرائيلية مع حلول عام ٢٠٠٠ م .  
وحذر التقرير من مغبة التغاضي عن مثل هذه الاجراءات العدوانية مشيراً إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر واليقظة لكافة الحيل والمكائد الإسرائيلية التي تنفذ على مراحل ضد أهلنا داخل الوطن المحتل وضد الأرض العربية .

( المدينة )

### إسلام ٧ تايلنديين

أشهر سبعة من التايلنديين إسلامهم أمام رئيس المحكمة الشرعية في بيشة . وقد تم تسميتهم بأسماء إسلامية جديدة .. كما أشهرت أيضاً السيدة مرضاوي سيناكروور فلبينية الجنسية إسلامها وذلك أمام رئيس محكمة خميس مشيط ..

( الندوة )

### ماليزيا تصر على العقوبة المشددة لتجار المخدرات

كوالالمبور - قال السيد موسى هيثم نائب رئيس الوزراء أن ماليزيا لن تنحني أمام أي ضغط سياسي خارجي في تطبيق قوانين مكافحة المخدرات التي تفرض عقوبة الموت الإلزامي على كل من يوجد في حوزته ١٥ غراماً من الهروين .

وأبلغ الصحفيين قوله إن الأجانب الذين يعثر في حوزتهم على مخدرات أو يتاجرون بالمخدرات لن يفلتوا من التشريع المعدل الذي أقره البرلمان أخيراً .. وقال « سنحاكم كل شخص بالتساوي دون إن نأخذ بعين الاعتبار الجنس أو الدين أو اللون إذا ما وجد أن هذا الشخص يخالف قوانين المخدرات » .

وكان كل من يعثر في حوزته على ١٠٠ غرام من المخدرات في السابق يفترض بأنه تاجر مخدرات وكان يواجه حكماً بالموت أو السجن مدى الحياة ..

احمد

الحمد لله رب العالمين





# بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر الشريف

... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للإسلام والمسلمين ؟  
... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للعلم والدين ؟  
... وماهى مكانته في العالم الإسلامى أمس واليوم ؟  
... وماذا كانت غايته في تاريخه المديد ؟  
... وماهى الخطوات التى اتخذها في سبيل خدمة الدعوة الاسلاميه ونشر اللغة العربية في سائر البلاد ؟

هذه أسئلة تشغل اليوم ذهن كل مسلم في مشارق الأرض ومعاربها وإن المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وعاداتهم وثقافتهم - يتطلعون إلى هذه الجامعة التى هى أكبر وأقدم جامعة إسلامية على وجه الأرض ، ولها سجل تاريخى وضاح الجبين مشرق الغرة في نشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم . وحفظ اللغة العربية والثقافة الاسلامية في عصر التدهور والانحطاط وسيادة الاستعمار الغربى على الاقطار الاسلامية . في مقاومة شتى تيارات الالحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة دعاة الفوضى والانحلال .

وهى الجامعة التى عانجت علوم ائدين والادب العربي عبر اسرون . ويسرت سبلها وأكثرت كتبها وخرجت فطاحل علماء الاسلام والادب العربي وبقيت على مدى الأجيال والقرون قائمة بعملها وفيه بأمانتها وأمدت العالم الاسلامى في الشرق والغرب بما هو في حاجة إليه فاتجهت إليها أنظار المسلمين جميعا خصوصا بعد سقوط بغداد واتلاف كتبها وذخائر مكاتبها العلمية فبدأ طلاب النور والعرفان يفدون إلى حظيرة الأزهر من كل فج عميق . وهو الان ملتقى آلاف الطلاب من أنحاء العالم كما أنه مصدر آلاف العلماء إلى مختلف القارات ومركز الدعوة الاسلامية إلى شتى الأمم والشعوب .

وإذا زرت كليات جامعة الأزهر ومعاهده وأروقته تجد هناك مظهرا عاما لثقافات عديدة ولغات مختلفة وأجناس شتى ، وترى فيها مظهرا عاما أيضا للعالم الاسلامى كله فإنه لمصداق بين للمبدأ الذي يتخذه الأزهر رمزا لرسالته هو :

## العلم رحم بين أهله

وما كانت غاية الأزهر في تاريخه الطويل إلا أن يكون دائرة في مجال تبليغ رسالة الإسلام . وهذه الرسالة هي أجل ما تتطلع الانسانية في كل مكان إلى بلوغه والانتفاع بثمراته .

وضع أساس الجامع الأزهر في ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هـ ( ٩٧١ م ) تحت إشراف جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، وتم بناؤه في سنتين ، وفتح الجامع الأزهر للصلاة لأول مرة في رمضان سنة ٣٦١ هـ . فلم يلبث أن تحول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية ، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار ، وكان الخلفاء الفاطميون حريصين على الاهتمام بهذا المعهد الكبير وتزويده بكثير من الكتب وتخصيص موارد باهظة للإنفاق على طلابه والوافدين عليه ، وبقي للأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي وكان الخليفة بنفسه يؤم الناس في صلاة الجمعة وعيدي الفطر والأضحى التي تقام فيه .

ومنذ عام ١٩٦١ دخل الأزهر في دور فعال وجبار في المجال العلمي والعملية ، حيث جري تطوير الأزهر تطورا يتهيأ به لأبناء المسلمين جميعا من العلم والمعرفة ويضيف إلى الخير التالد في رسالة الأزهر العلمية خيرا جديدا في رسالته العلمية ، لكى يعالج شئون الدين والدنيا ، ويخدم الإنسان بمعنييه جميعا روحه وجسده لأن الاسلام له جانبان جانب روحى وجانب مادي ، فالأول يخدم الناحية الروحية في الانسان والثانى يخدم الجانب المادي فيه ، من النواحي الاجتماعية والصحية والزراعية والهندسية والاقتصادية وغيرها .

ومن أكبر ما اهتم به هذا التطوير إنشاء « جامعة الأزهر الحديثة » وفتح الكليات العملية بها وكلية خاصة للبنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وفلسفة وعلوم .

وجامعة الأزهر لن تختلف غايتها عن غاية الأزهر الشريف في تاريخه المديد الا من تغيير الخطط وتعديل الوسائل بقدر ما تطلبه الحياة المتطورة ، ولن ينحرف طريقها عن طرق أبيها الجليل « الجامع الأزهر » فإن التاريخ الصحيح يقول : إن الأزهر كانت تدرس فيه ، في أبهائه وصحونه ، إلى جانب التفسير والحديث والفقه والأدب ، علوم الفلك والهيئة والميقات والطب والرياضة والحساب . وكانت تعقد فيه حلقات العلم للنساء . ويذكر التاريخ أن سيدة فضلى تقدمت فعلا لنيل شهادة « العالمية » الأزهرية .

وأما تطوير الأزهر فخطوة جديدة تتهيأه بها دراسة الطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها من العلوم الكونية والفنون العملية ، كما أنه يهيء الفرصة للبنات من العلوم والمعرفة ما قد تهيأ للبنين . وكلية البنات الأزهرية كانت نواة للجامعة الإسلامية للبنات ،

لكى يقدر الأزهر بمختلف هيئاته ومعاهده وكلياته على إسداء الخير النافع العام إلى العالم الإسلامي كله ، وإلى الإنسانية جمعاء .

والأزهر جزء بارز في كيان المجتمع الإسلامي ، وهو تراث مجيد يعتز به كل مسلم وهو في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يجاهد في ميادين العلم والدين والإصلاح الاجتماعى والخلقى والسياسة في العالم العربى والإسلامى . ولولاه لجف الأمل وانطفأ النور في ميادين العلم والمعرفة في هذا العالم في عصر الظلمات والركود . وأما جمهورية مصر العربية فمدينة للأزهر فأصبحت بفضلها منبرا تفيض منه أسمى الأبحاث الإسلامية والفكرية وقاعدة للإشباع الثقافى الاسلامى وقد أسرعت مصر الفتية التى اعترفت بمكانة الأزهر في العالم الإسلامى وجهوده في سبيل العلم والأدب فمدت يدها بالعون له بكل الوسائل الممكنة ليقوم برسائله على أحسن وجه حتى يتبوأ مكانته اللائقة به كمبعث حضارة روحية ومادية ، وقلعة حصينة للعروبة والاسلام ، ومصدر رجال الفكر وزعماء الاصلاح يحملون أمانة الرسالة الإسلامية ، ويكونون ورثة الأنبياء .

ولم يكن دور الأزهر مقصورا على العلوم الدينية واللغوية كما يظن بعض الناس ، فإن الإسلام لا يفرق بين المعارف والعلوم بل هو يجمع بين الدنيا والدين وبين الأرض والسماء وبين المطالب الدينية والسبحات الروحية ويقرر أن طلب العلم على إطلاقه فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولهذا كان علماء المسلمين في عصر ازدهار الإسلام يدرسون جميع أنواع العلوم والفنون ، فكان منهم الفقيه ، والطبيب ، والفلكى ، والمهندس . والعالم الطبيعى ، والكيميائى ، والجغرافى ، والمؤرخ ، والرحالة ، والرياضى ، وكان هذا يتجلى في علماء الأزهر على نطاق يختلف قلة أو كثرة بحسب اختلاف العصور . وكانوا يُسمون علم الفلك بعلم الهيئة ، ويُسمون علوم الأحياء بعلم المواليد ، والكيمياء بعلم التركيب . وظل علماء الأزهر يحرصون على دراسة هذه العلوم حتى في أشد عهود التدهور والجمود .

ولا يخفى على من تتبع تاريخ الأزهر ، أن علماءه قد أسهموا في جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتأليف ، سواء في العلوم الدينية واللغوية أو في المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك . ولما بدأت النهضة العلمية في مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعا إلا في رحاب الأزهر فقد كان معظم المبعوثين من مصر - مثلا - إلى أوروبا من رجال الأزهر وقد عادوا بعد أن تخصصوا في مختلف العلوم والفنون فوضعت أسس النهضة العلمية والفنية والثقافية في هذه البلاد ، وكان البارزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا أساس النهضة الحديثة في مصر ، وأساتذة جامعة القاهرة وبقية الجامعات ومدرسة الألسن ومدرسة القضاء الشرعى وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التى تفرعت من دوحة الأزهر الشريف .

وإن الاستعمار بأساليبه العديدة ووسائله المختلفة - قد نجح إلى حد كبير - في أن يعوق حركة الأزهر المطردة ، واستطاع أن يحدث فجوة بين العلوم الدينية واللغوية وبين العلوم الأخرى ، وكاد الانعزال يتم بين علماء الأزهر ، وعلماء الجامعات الأخرى ، فنادي علماء الإصلاح في العصر الحديث بعلاج هذه الحال فإن الغرب يعرف كما يعرف أبناءه ، أن العلوم الحديثة العصرية إسلامية في نشأتها وتقدمها ، وأن الغرب استعارها من المسلمين ، وتقدم كثير من المصلحين في هذا الميدان وتوالت الصيحات في كل مكان وقد تكررت محاولات لتجديد الأزهر وتطويره بحيث يتفق ومكانته وأثره في العالم العربي والإسلامي ، مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه وصفته التي استحق بها أن يبقى دوره بارزا في تاريخ العرب والمسلمين أكثر من ألف سنة ، ولكن هذه المحاولات المبذولة منذ أكثر من نصف قرن لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا . وأما القانون الخاص بإصلاح الأزهر فوضع على أساس تقرير المباديء اللازمة لكل إصلاح جذري شامل .. وبناء على هذا القانون ظهرت الهيئات الخمس الأزهرية للنور وهي :

- ١ - المجلس الأعلى للأزهر .
- ٢ - مجمع البحوث الإسلامية .
- ٣ - جامعة الأزهر .
- ٤ - إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .
- ٥ - المعاهد الأزهرية .

وبالله التوفيق .



# حصّاد الدراسات العليا

في العام الجامعي ١٤٠٢-١٤٠٣هـ

قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية - كما في أي جامعة - يعتبر أهم الأقسام التعليمية لأنه مركز تخريج الكوادر العلمية المتخصصة التي يسند إليها في المستقبل القريب - إن شاء الله - تولى القيادة الفكرية، وتتحمل مسئولية البحث العلمي في مختلف مجالات المعرفة العربية والإسلامية، ويتكون من هذه الكوادر العلمية أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية وغيرها من الجامعات العربية والإسلامية.

ويقوم قسم الدراسات العليا في الجامعة بمسئوليات جسام لتوجيه الطلاب وإعدادهم الإعداد الذي يمكنهم من حمل الأمانة في تربية الأجيال، وتهيئهم للبحث العلمي الجاد المتعمق في جميع مجالات الدراسات الإسلامية.

وقد كان حصّاد قسم الدراسات العليا في العام الجامعي ١٤٠٢/١٤٠٣هـ حصّادا وفيرا يبشر بفتح مشرق للجامعة إن شاء الله . . . فقد حصلنا من قسم الإحصاء والمتابعة بالدراسات العليا على بيان تفصيلي بالخاصين على درجتي الدكتوراه والماجستير في المدة من أول محرم ١٤٠٢هـ إلى أواخر شعبان ١٤٠٣هـ.

وقد بلغ عدد الخاصين على الدكتوراه في المدة المذكورة ١٥ خمسة عشر طالبا من شعب الفقه، وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة. ومن جنسيات مختلفة. كما بلغ عدد الخاصين على الماجستير ٣٥ خمسة وثلاثون طالبا من شعب الفقه وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة والتفسير واللغويات والأدب والنقد، وينتمي هؤلاء الطلاب إلى جنسيات مختلفة من السعودية ومصر واليمن وأندونيسيا والهند وحضرموت ونيجيريا والسودان ونيبال وبورما وباكستان واوندي ومالي والأردن والصومال. وقد نشرنا في العدد الماضي أسماء بعض الذين حصلوا على درجة الماجستير والدكتوراه.

ويسرنا أن نسجل أسماء الخاصين على الدكتوراه والماجستير في المدة المذكورة، والتي لم يتم نشرها في العدد الماضي. وندعو الله أن يوفق القائمين على قسم الدراسات العليا إلى

مزيد من النجاح المضطرد في سبيل تحقيق الغاية المرجوة لخدمة الإسلام مع تهانينا للخرابين .

### أولا - الحاصلون على الدكتوراه

١ - الدكتور محمد زين الهادي - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته « حاجتنا إلى إعلام إسلامي » من شعبة الدعوة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٥/٣/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الأستاذ محمد قطب، والدكتور إبراهيم إمام وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٣٦ صفحة .

٢ - محمد علي قاسم العمري - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته « مغلطاي ومنهجه في كتابه : إكمال تهذيب الكمال » من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ٨/٤/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود ميرة، وعضوية كل من الدكتور أحمد نور والدكتور أكرم ضياء العمري . وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٢٨٤ صفحة .

٣ - الدكتور مرزوق بن هياش الزهراني - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته « الغيلانيات في حديث أبي بكر الشافعي » من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ٢٥/٣/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور أكرم ضياء العمري وعضوية كل من الدكتور محمد أديب الصالح والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٠ صفحة .

٤ - الدكتور صالح بن مسعد صنيتان السحيمي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته : « أحكام عقد الإيجارة في الشريعة الإسلامية » من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ٦/٦/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من الدكتور محمد مندور وفضيلة الشيخ عبد القادر شبية الحمد . وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى . وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٨٢ صفحة .

٥ - الدكتور أحمد محمد عبد الوهاب - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته : « الوصف المناسب لشرع الحكم » من شعبة أصول الفقه . ونوقشت رسالته يوم

١٤٠٣/٧/١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبد العزيز وعضوية كل من الدكتور محمود عبد الدايم وفضيلة الشيخ عبد الله القديان، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٥٠ صفحة.

٦ - الدكتور أبو بكر دكوري - من فولتا العليا - وكان موضوع رسالته «تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول لعلاء الدين المرادي دراسة وتحقيق» من شعبة أصول الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٨ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبد العزيز وعضوية كل من الدكتور محمود محمد فرغلي والدكتور عبد القادر شحاته، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٢٤ صفحة.

٧ - الدكتور أبو حماد صغير أحمد بن محمد ضيف - هندی الجنسية - وكان موضوع رسالته «الأوسط لابن المنذر» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/١٠ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ عطية سالم وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيان. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٢٧ صفحة.

٨ - الدكتور محمود صالح شريتج جابر - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «دراسة وتحقيق كتاب (المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ) لأبي قامة المقدسي».

٩ - الدكتور أحمد محمد محمود عبيد - لبناني الجنسية - وكان موضوع رسالته «منهجية الدعوة في القرآن الكريم» من شعبة الدعوة، ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨/٧ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور نعمان عبد الرازق والدكتور محمد نمر الخطيب، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٣ صفحة.

١٠ - الدكتور عبد العزيز راجي الصاعدي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «كتاب البعث والنشور للبيهقي» تحقيق ودراسة من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١٠ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ حماد الأنصاري وعضوية كل من الدكتور محمود ميرة والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٣ صفحة.



١١ - الدكتور علي أحمد القليصي - يميني الجنسية - وكان موضوع رسالته «عقد بيع الغر» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٢/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ عطية سالم والدكتور محمود علي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٨ صفحة.

١٢ - الدكتور عبد الرحمن أحمد عبده - يميني الجنسية - وكان موضوع رسالته «أدلة الكفاءات جمعاً وتخریجاً ودراسة» من شعبة السنة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٣/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور السيد الحكيم وعضوية كل من الدكتور محمد أبوشيبة والدكتور محمد طنطاوي وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٥٦ صفحة.

١٣ - الدكتور محفوظ الرحمن زين الله - هندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود ميرة وعضوية كل من الدكتور أكرم العمري وفضيلة الشيخ حماد الأنصاري وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٦٧٤ صفحة.

١٤ - الدكتور صالح عبد الله العبود - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ٢٤/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد الله الغنيان والدكتور علي ناصر فقيهي. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٨٠٠ صفحة.

### ثانياً: الحاصلون على الماجستير

١ - فضل الله الأمين فضل الله - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته «حجية قول الصحابي» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ٢٥/١/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض، وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور محمود محمد فرغلي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد. وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٢٥ صفحة.

٢ - سلامة ضويغن الأحمدي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «حجية القياس في الشريعة الإسلامية» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم ٢٥/١/١٤٠٣هـ

برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور علي بابكر، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٥٠ صفحة.

٣ - عبد الله جولم - نيالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الإمام أبو حنيفة واحتجاجاته بالسنة» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ٢٦/٢/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور أحمد فهمي والدكتور علي أحمد وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١٥ صفحة.

٤ - سعود بن صالح العطيشان - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الجزء الأول من كتاب شرح العمدة في الفقه لابن تيمية» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٣/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح بن محمد وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٣٤ صفحة.

٥ - إبراهيم يوسف محمد إبراهيم - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام الغضب في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ٢٠/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان والدكتور عبد الرحمن العدوي وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١١ صفحة.

٦ - شير علي شاه - باكستاني الجنسية - وكان موضوع رسالته «تفسير سورة الكهف» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم ٢٢/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وعضوية كل من الدكتور مصطفى مسلم والدكتور محمد طنطاوي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٠٧ صفحة.

٧ - صالح سعيد باقلاقل - حضرمي الجنسية - وكان موضوع رسالته «المرسل واختلاف الأصوليين» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم ٢٤/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض وعضوية كل من الدكتور محمد حسين والدكتور عبد القادر شحاته وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٤١ صفحة.

٨ - المكاشفي الشيخ الزبير - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته «دفع مطاعن عن القرآن من حيث مصدره» من شعبة الدعوة ونوقشت رسالته يوم ١/٤/١٤٠٣هـ برئاسة

وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيان وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا، وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٣ صفحة .

٩ - علي محمد الزبير - يماني الجنسية - وكان موضوع رسالته «ابن جزى الكلبى ومنهجه في التفسير» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم ٦/٤/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شبية الحمد والدكتور محمد الطنطاوي وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ صفحات رسالته ١١٨١ صفحة .

١٠ - عزام نعمان عبد الرحمن سلهب - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ٢٩/٤/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان وفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا . وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٢٧ صفحة .

١١ - سميح أحمد خالد - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «تحقيق الجزء الثانى من أصول الجصاص من أوله الى نهاية باب القياس» من شعبة الأصول . ونوقشت رسالته يوم ١١/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور طه جابر والدكتور عبد القادر شحاته . وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز مع توصية لجنة المناقشة بطبع الرسالة التى بلغ عدد صفحاتها ١٢٥٠ صفحة .

١٢ - علي عبد الله المحيسن - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام قطاع الطرق في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٦/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود عبي أحمد وعضوية كل من الدكتور محمد مندور والدكتور أحمد الأزرق . وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٠٠ صفحة .

١٣ - محيسن عبد الله المحيسن - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام الكفالة في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه . ونوقشت رسالته يوم ١٨/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي أحمد وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شبية الحمد والدكتور يوسف عبد المقصود وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٤٥ صفحة .

١٤ - عبد الله ديره ابتدون - صومالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين» من شعبة التفسير . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٥ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبية الحمد والدكتور محمد طنطاوي وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٠ صفحة .

١٥ - كمال الدين شاه عبد الحميد - هندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «مباحث في العقيدة الإسلامية على ضوء سورة التكاثر» من شعبة العقيدة . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٦ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد الله الغنيان وعضوية كل من فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ، والدكتور علي ناصر . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٢٥ صفحة .

١٦ - حافظ محمد عبد الله حكيمي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة» من شعبة السنة ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢١ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد وعضوية كل من الدكتور السيد الحكيم والدكتور أكرم العمري وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز . وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٥٥ صفحة .

١٧ - عمر محمد عمر باحاذق - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الجانب الفني في قصص القرآن الكريم» من شعبة الأدب والنقد . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٢ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد الفتاح الدماصي وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل والدكتور جودة مصطفى وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٠٠ صفحة .

١٨ - سليمان عبد الله العمير - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «زكاة الخارج من الأرض» من شعبة الفقه ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٧ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي إبراهيم وعضوية كل من الدكتور يوسف عبد المقصود والدكتور يوسف المرصفي . وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣١٠ صفحة .

١٩ - عوض رجاء فريح العوفي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الولاية في النكاح» من شعبة الفقه . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٤ هـ برئاسة وإشراف الدكتور

محمد مندور وعضوية كل من الدكتور أحمد الأزرق والدكتور عبد الرحمن العدوي ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٠ صفحة .

٢٠ - اسحق موسى كوني - مالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين» من شعبة الأصول . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٥ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور عبد القادر شحاته والدكتور علي أحمد ، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٤٠ صفحة .

٢١ - هيرامانا عبد الكريم - رواندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الحكمة في شعر العصر العباسي» من شعبة الأدب والنقد ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/١/٦ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد أحمد العزب وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل . والدكتور جلال صابر ، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٤٥ صفحة .

٢٢ - عبد الحميد فطاهري ندوي - من بورما - وكان موضوع رسالته «معالم الدعوة في الدولة الإسلامية الى عهد معاوية» من شعبة الدعوة . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور محمد الجيوشي والدكتور جمعة الخولي وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٠٠ صفحة .

٢٣ - أحمد حسن حسين - يمني ج - وكان موضوع رسالته «أهمية المسجد في الدعوة الى الله» من شعبة الدعوة ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٢١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد الوكيل وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد الجيوشي . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١٧ صفحة .

٢٤ - محمد عوض السهلي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «دراسة لغوية للأساليب الطلبية» من شعبة اللغويات . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٢٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور أحمد غالي وعضوية كل من الدكتور يوسف أبو العلا والدكتور أحمد عبد الله ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز . وكان عدد صفحات رسالته ٢٦٠ صفحة .

وبعد فإلى هذا الرعيل السابق من طلاب الدراسات العليا نقدم تهانينا ونتمنى لهم مستقبلا مشرقا يخدمون فيه الدعوة إلى الله عن طريق العلم والبحث العلمي . وفقهم الله وإيانا إلى ما فيه رضاه ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والقصد إنه ولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## المخيم الصيفي السنوي لطلاب الجامعة الإسلامية

تقيم عمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية المخيم الصيفي السنوي ، والذي اعتادت العمادة إقامته في صيف كل عام ويشارك فيه الطلاب المتخلفون عن السفر إلى أوطانهم في العطلة الصيفية .

وسيقام المخيم ويستمر لمدة شهر ابتداء من يوم ٧/١٠/١٤٠٣هـ بمدينة النهاص بمنطقة الجنوب .

ومن المقرر أن يشارك فيه مائتا طالب من مختلف الكليات والمعاهد والدور التابعة للجامعة .

وقد تم إعداد برنامج تربوي وثقافي حافل بالندوات والمحاضرات والأنشطة المختلفة التي تعمل على توجيه الطلاب توجيهها إسلاميا صحيحا ، وتعددهم للمشاركة في إلقاء المحاضرات وإدارة الندوات .

وبصحب المخيم مجموعة من الموجهين الاجتماعيين من عمادة شؤون الطلاب والمسؤولين في العمادة .

نرجو الله أن يوفق الجميع لما فيه خير أبناء المسلمين في هذه الجامعة .

## شخصيات ووفود إسلامية في زيارة الجامعة

من أهداف الجامعة الإسلامية التي حددها نظامها الأساسي إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية في العالم وتوثيقها لخدمة الإسلام وتحقيق أهدافه .

وفي إطار هذا الهدف يهدف إلى الجامعة شخصيات ووفود إسلامية بقصد دعم التعاون المنشود في مجال الدعوة والتربية والتعليم والتبادل الثقافي، أو طلب دعم الجامعة لهذه الهيئات والمؤسسات التي تمثلها هذه الوفود أو هذه الشخصيات.

ومن الوفود والشخصيات التي قامت بزيارة الجامعة في الفترة الأخيرة:

(١) وفد يمثل الاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا، وقد ضم هذا الوفد: البروفيسر سيد محمد سعيد عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد، والأستاذ ربيع حسن أحمد أمين عام الاتحاد، والسيد دواد زوتك، ورافق الوفد الأستاذ أحمد عبد العزيز الرشيد من وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية وقد اجتمع بالوفد معالي رئيس الجامعة الإسلامية الدكتور عبد الله الصالح العبيد وفضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عمر محمد فلاته. وقد دار الحديث في هذا الاجتماع حول شئون الأقليات الإسلامية في شمال أمريكا والصعوبات التي يلاقونها والتحديات التي يواجهونها.

وقام الوفد بجولة في الجامعة زار خلالها المكتبة المركزية وشاهد قسم المخطوطات بها، كما قام بزيارة للأماكن المقدسة في المدينة المنورة.

(٢) قام الحاج بابا سيسي مدير معهد الملك خالد الإسلامي في مدينة باماكو بجمهورية مالي بزيارة للمدينة المنورة زار خلالها الجامعة الإسلامية وحضر مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب اسحق موسى كوني مالي الجنسية وكان موضوعها: الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين من شعبة الأصول، كما رافقه في حضور المناقشة سعادة سفير مالي لدى المملكة.

(٣) كما زار الجامعة وفد من الكلية العربية المالية بكيرالابجنوب الهند. ويتكون هذا الوفد من الشيخ أبوبكر العمري والشيخ داد عبد الجبار، وقد التقى بهم معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ عمر محمد فلاته الأمين العام للجامعة. وقد بحث هذا الوفد الأمور ذات العلاقة المشتركة فيما يتصل بالشئون التعليمية والتربوية.

(٤) كما زار الجامعة فضيلة الشيخ غالب سنجدار رئيس جمعية التوجيه الإسلامي الخيرية بطرابلس الغرب، وقابله كل من معالي رئيس الجامعة والأمين العام. وتباحث معها حول رغبة الجمعية في إنشاء معهد متوسط وثانوي لتدريس المناهج الإسلامية لأبناء المسلمين. وتناول اللقاء إمكانية مساهمة الجامعة في هذا المشروع.

(٥) وفي إطار جولة في بلدان إسلامية مختلفة ومنها المملكة العربية السعودية وصل إلى المدينة المنورة في أواخر شهر رجب ١٨ منه أعضاء مجلس علماء باكستان وزاروا الجامعة الإسلامية والتقوا بمعالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة حيث دار الحديث حول شئون الدعوة الإسلامي في إطار عالمي والدور الذي يمكن أن تؤديه الجامعات الإسلامية في هذا المجال كما جرت الأحاديث حول القضايا التي تهم العالم الإسلامي .

## محاضرات الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ

في إطار الموسم الثقافي الذي تعده وتنفذه عمادة شئون الطلاب شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية سبع عشرة محاضرة ألقاها العلماء والمفكرون من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ومن غيرهم من علماء المملكة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المحاضرات يحضرها طلاب الجامعة وأساتذتها وعدد غفير من علماء المدينة وأدبائها والمهتمين بالحياة الثقافية والأدبية، وتمثل هذه المحاضرات نافذة يطل منها طلاب الجامعة على كثير من جوانب العلم والمعرفة خارج قاعات الدرس .

وفيما يلي نورد بياناً بعناوين هذه المحاضرات ممن لم يسبق نشره :

١ - الأفعى الباطنية : من أخبارها وأوزارها : ألقاها الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة الأستاذ المساعد بكلية الحديث في ٢٣/٢/١٤٠٣هـ .

٢ - القدس قبل الإسلام وبعده : ألقاها الدكتور شفيق الجاسر الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين في ٣٠/٢/١٤٠٣هـ .

٣ - منهاج أهل السنة في العقيدة والعمل : ألقاها فضيلة الشيخ محمد الصالح العيثيمين . مساء يوم ٧/٣/١٤٠٣هـ .

٤ - شبابنا بين الأصالة والتقليد : ألقاها الدكتور محمد السيد الوكيل الأستاذ المساعد بكلية الحديث . مساء يوم ١٤/٣/١٤٠٣هـ .



٥ - طريق الخلاص: ألقاها الشيخ أبو بكر الجزائري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٣/٥/١٤٠٣هـ.

٦ - صور من الحياة الإسلامية في أمريكا الجنوبية: ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند. مساء ١٠/٥/١٤٠٣هـ.

٧ - العقوبات الشرعية: أسسها وأهدافها: ألقاها الشيخ محمد بن ناصر السحبياني الأستاذ المساعد وعميد القبول والتسجيل بالجامعة الإسلامية. مساء ١٧/٥/١٤٠٣هـ.

٨ - ندوة مفتوحة اشترك فيها كل من سعادة أمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجي، وسعادة مدير مرور المدينة المنورة الرائد إبراهيم الرادي. حضرها عدد غفير من أهالي المدينة المنورة وعلماؤها ومفكرها وطلاب الجامعة الإسلامية وأساتذتها. أجاب فيها كل من سعادة أمين المدينة ومدير مرور المدينة على الأسئلة التي توجه بها الحضور فيما يتصل بمشاريع المدينة ونظام المرور. وكان ذلك مساء يوم ٢٤/٥/١٤٠٣هـ.

٩ - الجزء الحق: هذا هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشيخ علي الحذيفي. مساء يوم ٢/٦/١٤٠٣هـ.

١٠ - معاوية بن أبي سفيان بين المنصفين والمتعسفين: ألقاها فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٩/٦/١٤٠٣هـ.

١١ - واجب الإنسان الذي كلف به من الله: ألقاها الشيخ عبد الله بن محمد الغنيان. مساء يوم ١٠/٦/١٤٠٣هـ.

١٢ - مكانة أهل الحديث: ألقاها الدكتور ربيع هادي مدخلي الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٢٣/٦/١٤٠٣هـ.

١٣ - جاء الإسلام ليقي: ألقاها الدكتور جمعة الخولي الأستاذ المشارك ورئيس قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٣٠/٦/١٤٠٣هـ.

١٤ - أعرفت أنك بالمدينة: ألقاها الشيخ عبد الفتاح العشماوي عضو هيئة التدريس بالجامعة. مساء يوم ٧/٧/١٤٠٣هـ.

صياغة الشيخ محمد صالح

مجلة الجامعة الإسلامية

برّء البحوث والمقالات التي لم تنشر  
إلى كتابها ولا بإيداء أئبأ عم نشرها.



# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- قبس من كتاب الله .....  
— من نور النبوة .....  
— حكمة العدد .....  
— كلمة التحرير ..... زاد اللقاء الكريم ..... ١٣

## التفسير وأصوله

- كيفية الدعوة إلى الله ..... للشيخ أبي بكر الجزائري ... ١٧

## الحديث وأصوله

- صلاة التراويح ..... د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ٢٧  
— حديث تفرق الأمة ..... للشيخ عبد الكريم مراد ..... ٤٧  
— مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة  
في الدين ..... د. ربيع هادي مدخلي ..... ٥٥

## العقيدة

- بيان مذهب أهل السنة في الاستواء وسائر  
الصفات ..... للشيخ عبد العزيز بن باز ... ٧١  
— مفهوم الأسماء والصفات ..... للشيخ سعد ندا ..... ٧٣

## الفقه وأصوله

- سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يدعو المسلمين للمبادرة بالتوبة ... ٨٧

- نظام الاثبات في الفقه الاسلامي د. عوض عبد الله أبوبكر . . . ٩١  
 — شرعية المعاملات التي تقوم بها البنوك  
 للاسلامية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ٩٧

## ثقافة إسلامية

- الغزو الفكري ووسائله لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ١١٥  
 — حديث عن الدورة وأثرها على المجتمع الذي  
 أقيمت فيه د. علي ناصر فقيهي . . . . . ١٢٠  
 — من منهج القرآن العظيم في التربية والتعليم للشيخ محمد المجذوب . . . . . ١٤٣  
 — تعدد زوجات الرسول ﷺ د. ملك غلام مرتضى . . . . . ١٥٠  
 — الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية د. محمد نغش . . . . . ١٦٢  
 — مذابح بشرية جماعية للمسلمين للشيخ محمود محمد سالم . . . . . ١٧٤  
 — نصائح للشيخ إبراهيم الراشد . . . . . ١٧٨

## سيرة وتاريخ

- الكعبة البيت الحرام وتطبيقات رسول الإسلام ﷺ  
 للدكتور عبد العظيم خطاب ١٨٥  
 — جهاد المسلمين ضد الصليبيين للدكتور جاد محمد أحمد رمضان ٢٠٢  
 — لماذا كانت الهجرة إلى الحبشة للشيخ عبد الكريم عبد السلام ٢١٥  
 — موجز لتاريخ القدس حتى الفتح الاسلامي د. شفيق جاسر أحمد محمود ٢٢٣  
 — يوسف بن تاشفين في الأندلس للشيخ إبراهيم الجمل . . . . . ٢٣١

## إحياء التراث

- تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين للإمام الدارقطني  
 للشيخ عبد الرحيم محمد القشقرى ٢٤٧

## لغة وأدب

- ظاهرة التقارض في النحو العربي د. أحمد محمد عبد الله ..... ٢٦٥
- ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي د. محمد عارف محمود حسين ٢٨٣
- قل ولا تقل للشيخ ضياء الدين الصابوني .. ٢٩٩
- وإن من شيء إلا يسبح بحمده (شعر) للشيخ يوسف الهمزاني ..... ٣٠٢
- تحية ونداء (شعر) د. محمود عبد المحسن .... ٣٠٤
- أنشودة الأرواح حول الكعبة المشرفة للشيخ محمد المجذوب ..... ٣٠٦

## جولات عالمية

- في المشارق والمغرب للشيخ عبد الله أحمد قادري .. ٣٠٩

## ردود ومناقشات

- إنكار الجن من شطحات التفسير الموضوعي للقرآن للشيخ مصطفى الوراق ..... ٣٢٩
- آراء فقهية منحرفة والرد عليها ..... ٣٤٣

## بحوث طبية

- علوم المادة في خدمة الدين للدكتور أبو الوفا عبد الآخر .. ٣٤٩

## الفتاوى

- حكم الإحداد على الملوك والزعماء لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٣٥٩

## من أعماق الكتب

— كتاب عنوانه (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ..... ٣٦٣

## مختارات من الصحف

— تاريخ مجيد لخلاوى القرآن في السودان ..... ٣٦٩

— العدويستخدم المواد الكيميائية والأشعة لاختصاص المواليد ..... ٣٧٣

## أحداث العالم الاسلامى

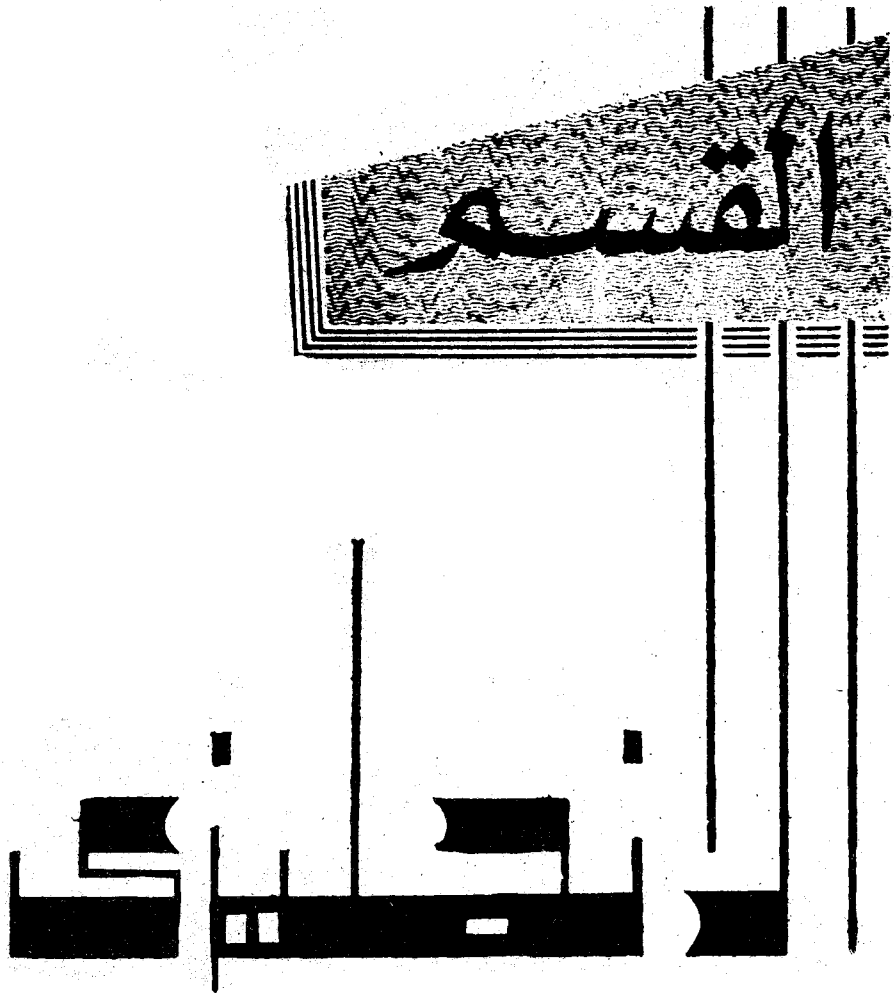
— بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر الشريف  
للدكتور محى الدين الألوائى .. ٣٧٧

## أخبار الجامعة

— حصاد الدراسات العليا فى العام الجامعى ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ ..... ٣٨٢

— محتويات العدد ..... ٣٩٥

— القسم الانجليزى ..... ٣٩٩







It is incumbent on every believer to adhere to the divine teachings of Allah the Almighty and His Prophet (P. b. u. h.) and the line followed by the companions of the Prophet (p. b. u. h.) and their followers. One should guard against innovations of those who have gone astray from the Qur'an and the Sunnah (practical life of the prophet) and resorted to their delusive reasoning and random thoughts; They were led astray and deluded others .

We pray to Allah the Almighty to save us and all the muslims from the attacks of the Devil and his agents; He is all powerful and is quite capable of that May Allah shower His peace and Blessings on our Prophet Muhammad, his family and companions .

Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz  
general President .

Idarat Buhus al-Ilmiyyah wal-ifftha  
wa - Dawwah wal-Irshad

Translated by : —

Dr. Malik Ghulam Murtaza

Asstt. Professor

Islamic University

Madinah Munawwarah

The same explanation has been communicated to us through Ummul Muminin Ummi Salmah and Rabbiah bin Abdir Rahman Sheikh Malik. This is the real truth and same is the faith of Ahlus-Sunnah- wal-Jama'ah without any doubt. Same is their faith about the rest of the Attributes of Allah i. e. Hearing, Seeing, Pleasure, Wrath, Hand, Foot, Fingers, Words, Will etc .

It may be said about all of them that they are well- known as understood in Arabic language and belief in them is imperative; whereas the details about them are not known except to Allah Himself. We have to believe that He is Perfect in all His Attributes and that He does not resemble anything created by Him; His Knowledge is not like our Knowledge; His Hand is not like ours; His Fingers are not Pleasure and so on as He, the, Exalted has said : —

﴿ ليس كمثلہ شیء وهو السميع البصير ﴾ .

«There is nothing like Him; He is all-Seer and all-Hearer» .

﴿ قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد ولم يولد - ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

«Say : He is Allah, the one and Only, Allah, the Eternal, the Absolute. He begets not; Nor is He begotten; And there is none like unto Him

And He has Said : —

﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ .

«Do you know any one resembling Him» ?

This means there is none who could be like Him or who could resemble Him .

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال - إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

Allah, the Almighty has said : —

«Don't give similies about Allah; Verily He knows while you do not know» .  
There are many verses in the Holy Qur'an which convey the same meanings.

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (النحل: ٥٠) .

“ They all revere their lord High above them ” .

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (السجدة: ٤) .

“Then He is firmly established on the Throne” .

“There are innumerable verses of the Holy Qur’an which bear the same meanings. Likewise, then are innumerable authentic and reliable traditions (Ahadith) which refer to the same faith and confirm it .

To cite a few examples, there is the story of descending of the Prophet to His Lord, descending of the angels from Allah and then ascending to Him back; His saying about the angels who accompany human beings at night and during day time : —

“The angels which have spent night with you ascend to their Lord; He asks them even though He knows more than themselves” . In the same way there is a tradition about Khawari in “Sahih” : —

“Don’t you believe in me and I am the trusty of all who are in the Heavens; The news of Heavens comes to me in the morning and in the evening” .

So there are innumerable sayings of the Prophet, which through their words and import make it clear and communicate to us a clear belief that Allah, the Glorious, is above the Throne, and above the Heavens. This is the natural belief conveyed by Allah to all the nations be they Arabs or non- Arabs, pre Islamic or post- Islamic except those who have been led astray by the Devil. Then there are thousands of the sayings recorded by the Scholars of Salaf in support of what is mentioned above .

This may be enough to make it clear for the readers that the saying attributed by Ahmad Mahmud Dahlob to the Ahl al-Salaf pertaining to the explanation of Istawa (establishing on the Throne) is a blunder, a white lie that deserves no attention .

The sayings of the pious Salaf in this respect are well known, clearly established and communicated to us uninterrupted by as clearly pointed out by Sheikhul-Islam ibn Taimiyyah while explaining “Istawa” determining thereby that He is Seated high above the Throne and that belief in it is imperative whereas the details there of are unknown except to Allah Himself .

“This is the book of Allah from its beginning to its end and the Sunnah (saying and deeds) of His Prophet (P.B.U.H.). Then there are the general teachings of the companions of the prophet (p.b.u.h.) and their followers; Then there are sayings of all the Imams, the established Scholars among the muslims. Everything mentioned above explains definitely and clearly in the form of a verdict. That Allah the Almighty and Glorious is Greatest of all and Highest of all; He is above each and everything; He is above the throne; He is above the Heavens as He has said : —

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (فاطر: ١١) .

“To Him mount up (All) words of purity. It is He Who exalts Each Deed of Righteousness” .

﴿ إني متوفيك ورافعك إلیّ ﴾ (آل عمران: ٥٦) .

“I will take thee and raise thee to myself” .

﴿ أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (الملك: ١٧) .

“Do you feel secure that He Who is in Heaven will not cause you To be swallowed up By the the earth” .

﴿ أم أمتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ (الملك: ١٨) .

“Or do you feel secure that He Who is in Heaven Will not send againts you aviolent tornad” ? .

﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (النساء: ١٥٩) .

“Nay Allah raised him up unto Himself” .

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ (المعارج: ٥) .

“The angels and the Spirit ascend up to Him” .

﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ (السجدة: ٥) .

He rules affairs from the Heavens to the earth which then go up to him”

# **Statement about the Faith of Ahl-us-Sunnah regarding ‘Istawa’ and all Attributes of Allah**

**by Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz**

**Translated by Dr. Malik Ghulam Murtaza**

Praise be to Allah, the Almighty and His blessings and Peace be upon the prophet of Allah, his family and Companions .

Recently, I have come to know what has been published in the magazine ‘Albalagh’ (Issue No. 637) in the form of a reply to a question concerning the explanation of the Quranic Verse ‘Allah sat upon the throne’. The reply which was given by Ahmad Mahmud Dahlob contained a sentence which was attributed to the ‘Salaf’. The sentence is:- ‘Ahl-us-Salaf say that the meaning of ‘Sitting upon the throne’ is to seize and take possession of it as they say: ‘a human being seized Iraq without wood or blood shed’ .

Now, as this sentence has been wrongly attributed to Ahl-Us-Salaf, I like to make this point clear for any reader so that he may not be deceived by it taking it for a saying of the reliable Scholars. The fact is that this explanation is the same as given by Jahmiah and Mutzalites and their followers. It contains negation of the Attributes of Allah and His Suspension. Allah is great, Sublime and above all such changes as He has attributed to Himself all the qualities in perfection. The scholars of ahl- us-Salaf have denied such explanations and disallowed such interpretations. They hold that the meaning of ‘establishing oneself on the throne’ would be the same as in case of other Attributes i.e. to affirm all the Qualities as it behoves His glory, without changing, Suspending, over interpreting / conditioning or exemplifying them. Imam Malik has said : —

‘The fact of ‘establishing firmly (on throne) is well — know but its details are unknowns,. The belief in it is incumbent and questioning about it is innovation’ .

The scholars of Salaf have all followed the same line .

Sheikhal- Islam ibn Taimiyyah (May Allah bless him) has said in his boohlet ‘Risalah Hamdiyyah : —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي  
لَتَفِدَا الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي  
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

*Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."*

(Qur'an 18:109)



*Journal of*

**THE ISLAMIC  
UNIVERSITY**

OF  
MADINAH MUNAWWARAH

RAJAB — SHABAN — RAMADAN  
1403 A . H  
[ QUARTERLY ]

59

15 th Year